

الرسالة

وهي الرسائل التي كتبها على اوروبا



رئيس قلم بمجلس النظار
ومسئول السكرتير العام في الجمعية الجغرافية الخديوية

سافروا تصحوا وتفعلوا
(حديث كريم)

عما الارض والقضاء كان
فأقرأوه معاصر الاذكار
(ا. صبري)

الطبعة الثانية

بالطبعة الكبرى الاميرية بيولاقي مصر المحمية

س ١٣١١ هـ
م ١٨٩٤

١٢٢٠

قررت نظارة المعارف العموميه بناء على رأى اللجنة العلمية استعمال
هذا الكتاب لتدريس المطالعة فى بعض مدارسها الثانويه
والخصوصية والعالية

(حقوق الطبع والترجمه محفوظه للمؤلف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نجان الذي أسرى عبده ليل من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى * وصلاة وسلاما على نبي الهجرة الذي اختصه مولاه بحامه
لاستقصى * وعلى آله وصحبه الذين اشرروا في الامصار * وطلبوا
القطار * فرفعوا للعلم اعلى منار * وضربوا للناس الامثال
فاصبح التمدن كما نراه جليس المقادير * سامع الاقربان

وبعد فان لكل عامل غاية يتوخاها ولكل من تادضالة ينشدتها
وضالتي التي نشدتها في هذه المجموعة العناية بتخييل ماشاهده العيان
من المناظر الشائقة والمراني الرائقة تخيلا تجلي به للقارئ موائل
يتقراها بيده ويسيرها بساعده فاني حاولت ان امثل له تأثير الحس
وانفعال النفس اذ الباصرة تقفل والخيال يتقل والمفكرة تخبر
والضمير يسير فتفعل الحواس فتلي على اليراع بحسب مايقع عليها من
التأثير وحكمها في ذلك راجع الى مزاج الانسان وطبيعته ومشربه
وتربيته فقد كنت أعرف قبل تطواني ببعض البلدان أمورا كثيرة
أكنني لما طوحت بي الايام الى تلك النواحي تناسيت الصور التي كانت

مر تسمية في مخيلتي فنقلها الى الانفعال النفساني بصورة توافق أو تخالف
ما كنت أعرفه فهذا هو التأثير النفساني الذي ابتغيت المبادرة بتثيله
بوقته في رسائل هذه قبل ان يضيع شيء منه أو يعرض مؤثر آخر عليه
حتى إنني كنت اكتب رسائل هذه وأنا بين حل وترحال تطوح بين
الاسفار ولا يستقر لي قرار وليس لي من الوقت ما يكفي للمراجعة والتنقيح
واعادة النظر والترجيح لأنني كنت أخذت على نفسي قبل السفر ان
أمضي نهاري في التنقل من مكان الى مكان أصعد الى أعالي كل مدينة
نزلت بها وأدخل في جميع آثارها وأطوف كل شوارعها وأزور كافة
متاحفها وبالجملة أشاهد كل ما يمكن مشاهدته في اليوم وأقضي
شظا من الليل ليس بقابل في إتمام ما يتسنى أو تلزم رؤيته بالليل وتعلنيق
المفكرات وكتابة البريد وكنت في كل لحظة متخوفا من فوات القطر حتى
لقد صدق علي قول بديع الزمان الهمداني

إسكندرية داري * لو قر فيها قراري

لكن بالشام ليلى * وبالعراق نهاري

أو ما قاله عبد الله بن أحمد بن الحرث شاعر ابن عباد

يوما بحدوى ويوما بالعقيق وبالـ * عذيب يوما ويوما بالخليصاء

وتارة أنتهى نجدا وآونة * شعب العقيق وأخرى قصر شيباء

بل قد كان وقتي من أقصر ما يكون حتى لقد كنت أسهي في توفير الزمن

وتكثيره باتعاب نفسي وحرمانها من الراحة فافضل السفر ليلا في أغلب الأحيان الا اذا لم يكن ذلك في الامكان ولقد صدق رسول الله الكريم في قوله (عليكم بالبلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار) وقد افرغت وسعي في التحقيق والتدقيق كما يشهد به المنصفون من الناظرين في هذه الرسائل التي يعلى من رايها ويرفع من ذكرها أنى حررتها وأنا أنظر الاشياء بعيني مصرى بحث يتفعل بانفعال المصريين ويكتب للمصريين فلم أعبأ بقول مصنف غربي ولم ألتفت الى نبأ مؤلف عربي الاحيثما تدعو الضرورة الى تحقيقات جغرافية أو علمية وذكربعض الاحصائيات وفيما عدا ذلك أشهد الله انى لم يكن لى من معتمد فى استكناه الحقائق واستجلاء الماهيات سوى شعورى المصرى الخالص من أثر الشوائب والاستفسار عن يوثق بعلمه وخبرته من أهل هاتيك الديار هذا وقد باشرت طبعها بنغاية العناية وأوردت الجمل التي كانت حذفت فى غيبتى أثناء طبعها فى الجرائد لاسباب اقتضاها الزمان فرددتها كما كانت يوم كتبها باوروبا بالتمام غير انى أضفت هنا كثيرا من الحواشى والتعليقات لزيادة التحقيق والتدقيق فى بعض المواضع وأنى آنبه القارئ الى أن الرسالة الكبيرة على باريس لم يسبق طبعها فى الجرائد سوى وكالة الرسالة الاندلسية فى بيان امتزاج العرب بالمجم فى اسبانيا والاستشهاد على ذلك بالاعلام وكذلك الخاتمة فضلا

عن الزيادات الكثيرة والاضافات الوافرة واننى أستلقت النظر الى رسالة باريس الثانية (وهى الخامسة عشرة) فانها تصور تلك المدينة للقارئ تصويرا وافيا جامع بحيث ان من تمنعها واستكمل قراءتها يمكنه ان يقول انه يعرف باريس وما تحويه مما قد لا يعرفه كثير من المقيمين بها سواء كانوا من أهلها أو النازحين اليها أو أكثر مما يقف عليه السائح الذى قد يقيم فيها شهرا أو أكثر من شهر وأما كمال الرسالة الاندلسية فهى تستحق من العناية ما لا يقل عن ذلك وحسبى اننى طرقت بها بابا جديدا توصلت منه الى منهاج من التحقيق يشهد الله بمقدار ما عانيت فيه من التعب والتنقيب والمراجعة وكل ذلك لا يخفى على فطانة أهل الانصاف ومحبي الحقائق العلمية

وأقول ان مادونته فى هذه الرسائل هوشى قليل فى جانب ما عندى من البيانات والمعلومات التى عنيت بتعليمتها وجمعها لتدوينها فى الرحلة الكبرى وعناية سؤالى للملك المتعالى ان يتدرنى على إتمامها ويسر الطريق الى طبعها وتعميمها فاننى عزمت على إدارة سياجها وانتهاج منهاجها بحيث يكون موضوعها علميا محضا أتحرى البحث فيها بصفة كوني مسلما شرقيا يعنى من عملى التنقيب عن آداب الشرقيين والغربيين والمقارنة بين اخلاقهم وعلومهم ومذاهبهم ونحلهم ومبلغ ارتقائهم ومقدار تأثير

الاولين على الاخرين أو الاخرين على الاولين في القديم أو الحديث
ويعرجع ذلك في الاغلب الى دواوين الفلاسفة ومصنفات الجهابذة
من الفريقين والله الهادي الى سواء السبيل



مقدمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة الثانية أقدمها للافاضل الاجواد الناطقين بالضاد في
جميع البلاد وقد كان السبب في بروزها حضرة الوزير الجليل
والمشير الخطير الاخذ بناصر المعارف المؤيد لابناء الوطن ممد
السبيل لكل مجتهد في الكسب والتحصيل معين المشتغلين بعبءه
القوى المتين محط رحال الآمال صاحب الدولة والاقبال مصطفى
رياض باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الجليلة والمعارف
العمومية حفظه الله وأبقاه وأكثر من المستظلين بحمائه
هذا واني أجتزئ عن الرسائل الكثيرة والتقارير العديدة التي
وردت لي أو ظهرت في الجرائد العربية والافرنكية بالنسبة الآتية
التي كتبها رئيس المنشئين ونفر الكاتبين حضرة الاستاذ الفاضل
الشيخ عبدالكريم سلمان وكيل ادارة الجرائد الرسمية قال حفظه الله

قوائد السفر ولولغيرالمؤتمر

أراني وأنا أقص على قومي مثل هذا القمص قد أحدث عن معلوم وأعرض لبيان منهوم ولكني مع ذلك لا إخالهم الاموافقين على أن في الاعادة افادة وعلى أنه ربما سنج للتأخر من فكر المنقذم بعض لوازم كانت غير بيئة فادر كها ثم صاغها على أسلوب جديد فراقت للناظرين ولكل زمان مقال كما أنه لكل مقال مجال القرآن الشريف والسنة النبوية يحضان على الرحلة من دار الإقامة الى غيرها من الديار (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) (أولم يسيروا في الارض) (قل سيروا في الارض) الى غير ذلك من الآيات وعمل النبي صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة رضوان الله عليهم من بعده أكل وأجلى في الاستدلال الحكمة في مشروعية هذا الامر مبينة في الاى الكريمة وها تذكر حال الماضين والاعتبار بما كان لهم في زمانهم وما انتهى اليه أمرهم من عمار أو دمار وليس هذا الا ليزداد الفكر تنورا والعقل تبصرا وينفسح أمامه مجال النظر والتصرف وترتيب المسبيات على الاسباب سنة هذا الشرع الحنيف فيما كلفنا به من الاعمال أتذكر أنه وأنا في التاسعة أو العاشرة كان يفد الى مقر ققامتي مع والدي وأهلى سفن شراعية كبيرة فيها تجار من الأفرنج يبيعون

غلى أهل شواطئ النيل أمتعة المنازل وزينتها وحاجات الحياة
فكنت ممن يخرجون مع آبائهم للشراء ولكن غرضي وغرض
أترابي غير ما كان للوالدين فلم نك لنقصد الامشاهدة تلك السفن
وكان اسمها عندنا (الغليون) وتعرف من فيها من الباعة الا فرنج
أن كانوا من جنسنا وعلى زينا كما يقول آباؤنا أو هم على ما في خيالنا
يخالفوننا في الطول والعرض والصورة والوضع فلما كنا را هم طبق الأصل
كما أخبرنا لا مخالفين كما تخيلنا نرجع وقد استفدنا بانتقالهم الينا
وانتقلنا اليهم في سفينتهم شيئاً جديداً ما كان يتأق لنا لولم يحضروا
عندنا أو بقينا في دورنا واندفع عنا ذلك الخيال قبل أن نصل الى
سن الرجال فهذه فائدة صغيرة تناسب ذلك السن سن الاطفال
المشاهد أن أهل القرى وهم طبقات كثيرات يكون أولادهم
مختلفين في النجابة والذكاء الفطريين ولكن النجباء منهم يمتازون
بالتاجر من بينهم بان له معلومات أوسع من سواه فتراه يحدث أترابه
بما ليس لهم به علم اذا رجع مع أبيه من بعض الاسفار ينبئهم بان
البلد الذي كان فيه مع أبيه أطول بناينا وأوسع عمراناً وباعمال
البيع والشراء والكيل والميزان وغير ذلك من أطوار الادميين
مما يسعه عقل الصبي في صباه وكذلك نجد طلاب العلم في الأزهر
والمدارس في مصر وبقية المدن يحصلون شيئاً آخر غير ذلك العلم
الذي طلبوه فتجدهم وهم من أهل الريف يقتبسون معلومات عن

أحوال الناس وعشرتهم ليست من منقولات الكتب ولا مباحث تلك العلوم وكذلك نرى البدوي وهو في بيته الشعر وعيشته الضيق ليس حوله غير الاجمال تنوء بالاجمال يتغير حاله اذا نزل البادية وحل بالحاضرة وتظر المزارع والزراع والدور والمتاع ولو غادرها وعاد ذكر لقومه أسماء ووصف لهم مادات عليه من المسميات التي هم عنها بمعزل بعيد وكذلك توجد في قطرنا قرى يشط حزارها ويتباعد جوارها ليس لأهلها بالناس اختلاط ولا للناس بهم ارتباط فنرى أهلها كأنهم قرييون من أول الخليفة أو حوالى زمن الطوفان وهذا على العكس من حال القرى المتجاورة وأهلها المتزاورة فانهم أوسع مدارك وأكثر معلومات ونرى الفرق بين كل طبقة مما تقدم وبين مقابلهما بمقدار الانتقال عن المواطن عدما ووجودا وقلة وكثرة والتفصيل في هذا مما لا يحتمله المقام فلا بد من الرجوع الى الاجمال

الفائدة العائدة من الانتقال ليست قاصرة على ذات المتقلين ولكنها من الامور المتعدية للآخرين نعم انها لنفس المنتقل أكبر وأجمع فانه وحده الذي يمكنه التلذذ بالمناظر اليهجة والتأثر بالبصريات الغريبة والانفعال في الرائيين أشد منه في السامعين الا أن هذا اذا رجع لقومه وحدثهم بما رأى عن علم وكمال توصيف أو وجد عندهم شياً مما ذاقه وبت فيهم روح الطلب الى

خير بما هم فيه من حيث المعيشة ولوازم الحياة الطيبة وقد يجتهد
بهم السير الى اختيار الحسن مما سمعوه واجادة التقليد فيسهل ما
تهي الا ازمان قلائل حتى يعرف الحسن في البلاد وتتسابق اليه
الهمم فتنتشر المنفعة ويتقدم النفع كلما تقدمت الاجيال
• الامة بالقياس الى غيرها من الامم لا تختلف عن القرية بالقياس
الى سواها من القرى فان كانت احدى الامم راكدة في موطنها
ليس للكثير من افرادها تردد على مجاورتهم كانت اقل معلومات
وأقرب الى السذاجة عن سعة الادراك فكانت كالقرية البعيدة
المزار المتناثية الحوار وحالها ما قدمناه من وقوف حركة الافكار
فانها لم تشهد ما ينهها الى الجولان وان كانت واحدة من الامم قد
نجب فيها اقوام وهموا بنيل الاوطار فاكثروا من الاسفار استفادوا
بها لم يعتادوا فافادوه مواطنيهم وانتشرت بذلك بين أهليهم أخبار
مجاورهم فأخذوا أحاسنها وترقت الامة بتمامها من حال الى حال
الشاهد على صدق هذه القضايا هو حال أمتنا المصرية في
زمانها الغابر والحاضر فانها لما كانت غريبة في باب الحضارة وأقل
تنورا مما هي عليه الآن كان أمر السفر منها الى غيرها يعد من
الاعاجيب ولا تنسى أننا كنا نفرع غرابية اذا قيل ان فلانا منا سافر
الى (بحريرا) أو قدم منه كان هذا اللفظ عندنا عنوانا على ما سوى

ديارنا سواء كان من البلاد الاوروبية أو الآسيوية (عدا الحجاز) أما الآن وقد تنورت العقول فقد بدت تلك الغرابة عند العامة بشبه العادة وكثر تردد أهلينا على تلك الديار الخارجة عنا وعرفت الفائدة منا نقلوه اليها من أحوالهم العامة والخاصة وقد رأينا أن التقدم والتأخر في حركة الفكر والاقبال على الانتقال والتناكص عنها متلازما الحصول حتى كأن كلا منهما آلة لوجود الثاني والفصل بينهما من المحال

المأخوذ مما تقدم أن فائدة السفر تعود على المسافر نفسه وعلى قومه وقد ترجع أيضا على البلاد التي إليها السفر وليس ذلك بالأمر البعيد على الإدراك ولا نذهب في التمثيل له إلى غير هذه البلاد المصرية فإن أهل الديار الأوروبية كانوا لا يعتقدون فينا إلا أننا من متوحشة الأفر يقيين فيصدقون عنا كل خبر سمعوه ولا يرون منا إلا قوما عطلا من كل فضيلة وكان لا يكفهم ما ينقله لهم عنا رجالهم اليها من أننا مثلهم في قابلية الكمال فلما كثر ترددنا إليهم في ديارهم وخاطبوا رجالنا فيهم ورأوا منهم أناسا مهذبين ورجالا عارفين يخوضون معهم في كل حديث عن القديم والحديث يضربون في كل علم عن دراية وفهم أيقنوا بان الإنسان واحد في الغرب والشرق وسوا بيننا وبينهم في الحكم باننا من نوع

واحد يجوز على أحد المتلين ما يجوز على الثاني من العلم بعد الجهالة ومن التمدن بعد الوحشية ومن الرفعة بعد الضعة والانحطاط فهذه فائدة لهم بانتقالنا اليهم عرفونا بعد ما جهلونا وحكموا صوابا بعد أن كانوا خاطئين نعم اتنا شاركناهم في هذه الفائدة فقد صرفنا في أعين الغائبين عنا من نوع الانسان لنا مالهم وعلينا ما عليهم من الحقوق والواجبات فكانت الفائدة من سفر المصريين الى الديار الاوربية من دوجة بين الطرفين وهذا ما يعظم شأو الاسفار ويجعلها هينة على النفوس وان كان عذابها لا يحتمل وفيها ما لا يطاق من الاهوال

• البرهان على أن هذه الفوائد حصلت من أسفار المصريين وعلى حصرها في السفر أن البلاد التي لم تجررجلنا اليها ولم يشاهد لنا فيها شبح قد بقيت فينا على ذلك التصور ولم يعلم أهلها من أخلاقنا غير أخبار النقلة خطأ كان أوصوابا يدانا على هذا ما رواه بعض الصينيين الموجودين في ديارنا الآن من أنهم جاؤا مصر وهم على عقيدة أن المسايين لا يفلتون من يحل في ديارهم وان كان من المسايين ولما شاهدوا غير ما سمعوه من لطف المعاملة وكرم المجاملة لم يسعهم الا الاقرار بالمروءة العربية وقالوا اتنا سننشر ضد ذلك المسموع ونذيعه في أنحاء بلادنا وبذلك ربما ارتفع الوهم

عن النفوس ولا ترتاب في أن بعض البلاد المشرقية التي لم يتعرفها
سواها ولم يشارف أهلها غيرها من الديار الأوربية قد بقيت على
حال لا ترى معها في أعين الغائبين عنها إلا بما كانوا يرون به نحن قبل أن يكثُر
سفرنا إلى الديار الأوربية ويرتفع مقدارنا فيها من أنهم لا يقبلون الكمال
بجمال من الأحوال وكذلك لانثك في أن أهل تلك البلاد المشرقية
الباقية على التحول لو اتجهت رغباتهم إلى ما اتجهنا إليه من الأسفار
لا ترتفع ذلك الحجاب عنهم كما ارتفع عنا وأخذوا من قلوب القوم مكانا
وكذلك لو زادت رغبتنا نحن في الأسفار إلى غير ما شاهدناه من الديار وكثر
رحالنا في أقاصى الأرض وجوانبها من مشارقها ومغاربها الاستجلبنا من
القوائد واستجمعنا من الشوارد ما يجعلنا في الوجود كبارا وينقل أقدامنا
في سبيل الاجتماع المدني خطوات بها نحل محل الاعتبار والاجلال
الفضل كل الفضل في اتصال العالم ببعضه وتمكن الإنسان
من مجاوزة أرضه لما تجدد من المخترعات البخارية برية كانت أو
بحرية فأهل الأجيال الأولى كانوا معذورين ولا نحسبهم مقصرين
إذا لاحظنا طول المسافات ووعورة المسالك فقد كانوا مع ذلك
يتجشم بعضهم المشقة على بعد الشقة ويحترق البحار إلى القفار
تحمله الناقة وزاده وزادها ويضطر إلى الاقتصاد منها خوف ضارية
الجوع على الحامل والمحمول ولا يعود إلا وقد صاحب الأرب وتزود

الادب ورجع الى أهله فعلمهم ما علم وأفادهم ما غنم (فلولا نقر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وكفى بفرض الحج على كل المسلمين والسفر اليه جرم غبالبهم ومعيناعلى هاتيك الاسفار الصعاب التى هى فى الحقيقة قطعة من العذاب وساعدعلى تحمله أيضا مشروعيته لطلب العلم (اطلبوا العلم ولو بالصين) وسرى ذلك الى كل الامم المختلفة فكان لكل أمة النصيب الكافى من السفر الى غيرها على قدر الاستطاعة فى تلك الأزمان وإن كان لا يحسب شياً فيما هو حاصل فى هذا الزمان نعم ان الاسفار فى زماننا هذا تعد قليلة بالنسبة لسهولة الاتصالات وقلة النفقات فلا بد أن نرى الامم كلها أو غالبها يوماً من الأيام كأنها أمة واحدة بما يكثر من تردد أفراد كل واحدة على الثانية فى ديارها وتبادل المنافع بينها وتعرف كل منها أحوال صواحبها وهنالك تكون القادة الحقيقية من الاسفار وتحل الحقيقة محل هذا الخيال

المتظنون أن قد تبينت فوائد السفر فى هذه النبذة الصغيرة وان كان ذلك على وجه مجمل بغاية الاختصار ولما كان المناسب فى هذا المقام أن يذكر بعض الفوائد الخاصة لبعض الاسفار الخصوصية رأيت أن أذكر طرفاً مما يناسب هذه الرحلة التى كانت لاحد الشبان الأفاضل من المصريين الى الديار الاوربية وما ينجم عنها من الفوائد فى حد ذاتها مضافاً الى تلك الفوائد العامة للاسفار العمومية

فأما الراحل فشهرته بالفضل واقباله على العمل وأعماله
المنتشرة بيننا مما يغنينا عن الاطناب في تعريفه والتنويه بتوصيفه
وأما الرحلة فالى مجتمع العلوم الشرقية سنة ١٨٩٢ فى مدينة
لوندرة وأما الغرض منها فالنيابة رسمياً عن الحكومة الخديوية فى
هذا المؤتمر وأما الفائدة منها فبينها موجزة ولانطيل فيها المقال
الواجب على هذا الراحل ليس الا الوصول الى مكان الاجتماع
فى وقته المعين وتقديم شئ من التأليف العربى الى هيئته وحضور
جلساته على الانتظام وابداء رأيه فيما تدور عليه المذاكرة فيه
وان يظ من قبله بعمل أتاه على الوجه المطلوب كما أجمع عليه رأى
أهليه هذا كل ما كان يلزم حضرة هذا المندوب المصرى واذا أراه
كما وجب فقد خلص من تبعه التقصير واستحق الثناء من مرسله
عليه الا انه لم يكف بهذا الواجب بل أحاطه بنوافل أداها قبله
وبعدده وفى أثنائه كان القصد منها استفادة ما عليه أصناف الانسان
الآخرون من حيث عملهم فى دنياهم وعيشهم وبنائهم وصناعتهم
وعلمهم وكيفية التربية عندهم ومآلهم من الاخلاق والعادات
والمشارب والمعتقدات وما هم فيه من نعمة ورخاء وشغل وعناء
وما جددوه من المخترعات الى غير ذلك مما هم عليه من جميع الاحوال
النوافل التى أداها حضرة هذا الفاضل كان يتأق له مشاهدتها

بأن تقتصر عليه لذاتها ولما يعود يحدثنا عنها حديث الرائيين
ولكنه لم يرد أن تكون المنفعة من رحلته قاصرة عليه أو متعديتنا
والصحيح لا يبقى بعدنا لا بناً فلذلك قيد كل ما رآه من الاوابد
والنشوارد وبعدر جوعه ضمها الى بعضها واستخرج منها هذه الرسائل
الفعالة في النفوس الاخذة بجماع القلوب عجباً واستغراباً ولقد
كان من الممكن أن يأخذ في سفره هذا طريقاً واحداً في الذهاب
والاياب وأن لا يتغيب عن بلده أكثر من الزمن الذي يستلزمه
ما كلف به فيقتصد من زمانه وماله ولكن أحب استجماع الفوائد
فجاء منحنى السائحين الاقدمين واختار أن يشهد له الطريقان
طريق الغدو وطريق الرواح وقد أخذت الاقطار أمامه في رجوعه برقاب
بعضها فكلاما خاص من بلد تذكّر الثاني فانساق اليه بحكم حب
الاستطلاع وان لم يكن في طريقه ولا في حسابانه وقت مبارحته دار
اقامته الاولى وطوّحت به الرغبة في الاستكشاف الى أن عرج على
بلاد الابدلس العربية الاصل وايست من احدى طرقه الى بلده
وأضاف اليها بلاد البرتقال وهي كذلك لم تتعين طريقه وقاله وتغيب عن
بلاده تلك الشهور الطوال

المعجب في كتاب هذه الرحلة هو استنهاض همة قومه كالمراى
لذلك فرصة وتنبيههم على ماجر العظمة والفخار لاوائك الاقوام ومقابلة
أعمالهم بأعمالنا والتنبيه على مواضع انتقاصنا واستحسان بعض

العوائد عندنا مع مقارنتها بما هم فيه واستجماع ممالك البيان في التوضيف،
بعبارات كأنها فوتغراف نقلت اليها صور معانيهم بالتدقيق فلم يفتنا بما
تجمل الاحاطة به فائتة وكان هو عندهم حاكيا ما صرنا اليه من التقدم
ومحبة التعلم واجتلاء الحقائق على ماهي عليه والرغبة في الاستفادة
والتقاط الحكمة من أى طريق وان هذا لهو السحر الخلال
المسطور في عبارات هذا الكتاب أن مؤلفه الفاضل أخذ عنى نفسه
أن يفصل رحلته الى تلك الديار في كتاب أوسع من هذا يأتي فيه على ما لم يتح
له في هذا الكتاب من مقابلات الاخلاق والعوائد والبحث في أصولها
ومرجع اللغات والاعلام وما أخذها بعبارات علمية مؤسسته على البراهين
العقلية والنقلية ولا تظنه الا فاعلا لانه عودنا بالجد والنشاط وقد استبان
مع ذلك ما توخينا من الفائدة الخاصة بهذه الرحلة في حد ذاتها كما يفهمه
القارئ مما تخلل عباراتها من حكمة وضعها وأسلوب صنعها وما قصد
واضعها منها نسأل الله أن يوفقنا واخواننا الى معرفة الفضل لذويه وأن
يكثر من أمثال هذا الفاضل في البلاد حتى تتجسم منافع السفر للعيان
وتنشر بها الارواح والابدان فيزداد فينا عدد السائحين والغادين
والرائحين ويعمل كل منهم على نشر ما استفاد من السياحة في البلاد
فيكون كأننا عوننا الاخيه في الخط والترحال ونصل الى ما قصدناه من المكال

عبد الكريم سلمان

الرسالة الأولى

عن نابولي في يوم السبت ٢٧ محرم سنة ١٣١٠

(٢١ أغسطس سنة ١٨٩٢)

لقد صدق من قال انه "اذا كان للعالم مجال فلامعمل ألف مجال" - فراق الوطن وان حقائق الاشياء وهى فى عالم التصور، أقل منها بكثير حينما تبرز الى حيز الوجود، وتجبلى فى مظاهر الشهود - فطالما قرأت ما أتى به الكتاب من الآيات البيّنات، وما ترنم به الشعراء من الابيات الآيات، فى الحنين الى الاوطان، والتشوق الى الاهل والخلان، والتوجع من مفارقة المؤلف، والتفجع من مبارحة الديار، والربوع، ولم تكن نفسى تتأثر من ذلك الا بمقدار اعجابها ببراعة الكاتب، واقتدار الناظم على صوغ المعانى فى أجمل القوالب، وسبك الالفاظ على أبداع طرازه وتمثيل التخييل بما ترتاح له النفس، وينشرح منه الفؤاد، وكنت أظن أن ذلك انعام صدره تميم الكتاب، وتزويق الشعراء، حتى قضى على طالب المعالى بمفارقة مصر السعيدة المحروسة، وديارها المحبوبة المانوسة، فانجبت لي هذه العواطف الجليلة فى أجلى تجلياتها، ووجلت هذه الشعائر الجميدة فى فؤادى باحلى معانيها، فتمنيت حينئذ لو كنت من المنشئين المجيدين، لاصور لك أيها القارئ العزيز والمواطن القطين، "حب الوطن بحسما فى أجل حال، وعلى أكمل منوال، ليكون ذلك

باعنا يدفعك الى تعزيز شأنه، والسبحي بما في قدرتك على رفع مناره،
والاجتهاد بما قسمه الله لك من العرفان في تهذيب أبنائه، وبث نور
العلم في انحاءه، فاني وعينيك حينما اقترب الوقت المضروب لمبارحة
القاهرة (يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ٢٠٩٢ محرم سنة ١٤١٠) كنت
أمتع الطرف وأزود الناظر، بما في القاهرة من باهر المناظر، وأجتلي
محاسنها الكثرة بعد الكثرة، وأزود من رؤية معاهدها المرة بعد المرة،
ليكون لي ذخرا منها الى أن أعود اليها بسلامة الله وحسن توفيقه -
وما زلت على هذه الحال، مشغول البال، هايج البلبال، وأنا كالباهت
الحيران حتى حان وقت السفر وحل يوم الرحيل.

احتفال
الاخوان
فاحتشد الاخوان الافاضل والخلان الامثال لتوديعي على
محطة العاصمة وكان الكثير منهم يقول « انما جئنا لتودعك حتى
تتقوى بنا عزيمتك وينشرح برؤيتنا صدرك فتبذل قصارى
ما عندك في حسن القيام بالأمورية الجليلة التي عهدت اليك
وتأتى بأصدق برهان على ان في مصر من الشبان من اذا شملهم
بنظرة الكريم أمير مصر مولانا العباس أصبحوا من أنفع الناس
للناس وجعلوا للوطن العزيز بين الامم المتمدنة مقاما محمودا وفضلا
مشهودا»

فكنت أنظر الى نفسي ومن أنا ثم أردد الفكر في هذا

الإحتفال وفي أمثال هذا المقال فأرى أن هذا التظاهر العظيم وان
هذا الإحتفال والتكريم انما يقصد به اعلاء كلمة الوطنية واتحاد
القلوب على تنشيط كل من يقوم بعمل يربحى منه نفع البلاد بقطع النظر
عن مقام القائم بهذا العمل في هيئتنا الاجتماعية صغيرا كان أو
كبيراً فإني لم أبأخ الى الآن ما يجعل القوم يتقاطرون على جهده
الحفاوة فلا ريب في ان الباعث لذلك الإحتفال والاجلال هو
الإخلاص في التكاتف على تأييد كل مسعى علمى وتعضيد كل عمل
وطنى وان اخواننا أيدهم الله بروح منه قد أحسوا بوجوب
الدعوة الى رفع شأن الوطن وتعزيزه فلهم من وطنهم أخلص
الشكر وأجزل الثناء اذ ليس في وسعى ان أوفيهم حقهم من
الاعتراف بجميل فضلهم

ولقد لاقيت في الاسكندرية (عروس المشرق وعنوان المغرب)
عند مقدمى اليها وقيامى منها مثل ما لقيت في القاهرة وفي ذلك
برهان قاطع على ان الشعور بحب الوطن والدأب على استمرار
حركة النهضة الوطنية قد سرى في عامة النضلاء سريان الارواح في
الاجساد وكيف لا يكون الامر كذلك واميرنا الهمام وولى نعمتنا
المقدم مولانا العباس وطد الله دعائم ملكه ونشر في الخافقين ألوية

مجده انابه أحسن اسوة وأتم قدوة فانه أول من يسعى في
النهوض بالوطن المحبوب الى ذروة العز ومنصة الشرف
وقد قال لى حينما تشرفت بلثم أيديه الكريمة وشكرأيديه
العميمة ان بعضهم اعترض على تعيينى فى هذه المأمورية العلمية
العلمية بانى مازات فى دور الشبية والفتوة فأجاب بلفظه العاخر
المنيف

شرف المثول
بين يدي ولى
النعمة

«ان هذا هو ذات الواجب وعين الصواب فان زكى من نوابغ
الشبان وبه يمكننا أن نبرهن لعلماء أوروبا على ان عندنا من
الشبان من يجارونهم فى ميادين الفضل والعرفان»
فكيف لا أتبه فخارا وأختال ابتهاجا به هذا القول الذى هو
أفضل من جميع علامات التشرىف ودرجات التكريم وكيف
لأدأب على البحث والاجتهاد حتى يبقى اعتقاد ولى النعم فى عبده
المخلص هكذا على الدوام وكيف لا يكون فى ذلك المقال أعظم
تنشيط لامثالى من الشبان يدعوهم الى اطراح الكسل وتزلة الخمول
والاقبال على كل عمل يرفع شأن وطنهم ويستوجب رضا ولى
نعمتهم ولماثل هذا فليعمل العاملون ويمثل هذا فليتنافس المتنافسون

قت من الاسكندرية فى صباح يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس سنة

ركوب البحر
وزيادة الأشجان

١٨٩٢ فى باخرة من بواخر شركة الأويده النمساوية اسمها فورورد قد

نجفت الى النظافة أسباب الراحة بحيث لم يكن يتقصنا فيها شيء مما
تراه في المدائن سوى قرب تناوله وسهولة الحصول عليه بمجرد الضغط
على الجرس الكهربائي ولم يكن فيها كثير من السواح ولكنها
أفقلت بعد الوقت المضروب بربع ساعة على التقريب وسارت
الهيونا الى ان خرجت من بوعاز الاسكندرية وابتعدت عن الشطوط
المصرية فكنت أحرق النظر بمجرد ومستعينا بالنظارة المقربة إلى
رؤية أطراف الاراضى المصرية حتى سترها حجاب الافق واذالك
أخذتني كآبة ويولاني حزن وتلكنى انقباض مما لم يكن لى به عهد
من ذى قبل فاعرو رقت الدموع فى فؤادى وتلهفت نفسى الى
معاهد بلادى ولم تذهب عنى هذه اللوعة الابدان أطالت الفكرة
فى انى أسعى الى مجد مؤنث قديركه أمثالى وأعود الى وطنى سالما
غانما راجعا ناجحا بأذن الله تعالى فشاعلت نفسى عن تيار هذه
الانكار بالنظر الى تمايل السفينة ذات اليمين وذات اليسار وتلاعب
الامواج وصفاء الماء الذى اكتسب فيما أمام الاسكندرية لونا
أزرق باهيا جعل اللجة كأنها قطعة واحدة من الفيروزج
الجبل

ومازالت السفينة توالى سيرها حتى أتى ميعاد الطعام فالكات تعب البصر
قليلا منه لاني مجزت عن الاتمام ولم يك وحققك من القادرين بسبب

ما عتراني من دوار البحر وان كانت الدوخة خفيفة جدا فقد
أخبرنا أهل الخبرة ان هذه الحالة من اخف السياحات شدة
على من ليس لهم عادة بالاسفار في البحار ولكن هذا القول لم يمكنني
من الامتناع عن الاضطجاع على فراشي فلما طان العصر خرجت
الى ظهر السفينة لاجرب الحالة فعاودتني الدوخة ودوران الرأس
فقلت مجلا الى مضجعي ولم تيسر لي الاستراحة الا بعد ان
صارت معدتي صفراء من الصفراء مدة الليلة الاولى واليوم الثاني
والليلة الثانية ولم اتمكن من تناول شئ سوى قليل من اللبن
بالقهوة وبعض الفاكهة وقد كان صاحبي حضرة الشيخ محمد راشد
قد أصابه ما أصابني فلبثنا في حجرتنا مضطجعين على الاسرة متقابين
فكنا في هذه الحالة أشبه بالمرضى في المستشفى النمساوي ووجه
الشبه الجامعة في الجنسية بين المستشفى والباخرة ونظافة الخدمة
واتقانها وقيام عمال من صنف واحد بها وقد شعرنا بشدة اضطراب
السفينة وتزايد ارتجاجها (أو نوداتها أو ميدانها) حينما اقتربنا من
جزيرة كريد (١)

(١) كنت تصورث أن اشتقاق لفظة القندع عن السكر عند العرب من اسم هذه الجزيرة
الآن الذي هو كندا لأشتمارها باصطناع العسل الجيد ولو أن علماء اللغة نصوا على
ان القندع عربية واردة في الشعر الفصيح وقال بعضهم انها فارسية ولذلك تحريمت
لحقيقة فعلت بعد البحث والتنقيب أن المسلمين لما فتحوا هذه الحرير في سنة ٢١٠

وفي اليوم الثالث مررنا أمام سواحل اليونان وبين بعض جزائرها وكان من معنا من بنى الاغريق (الجريج) فرحين مبتهجين برؤية سواحل بلادهم يرنون اليها بالخط متوال والانشراح ملء قوادهم ثم مررنا قبالة جزيرة كورفو Corfou (قرفس في كتب العرب) ذات

اخطوا بها مدينة سموها * (الخندق) * ثم حرف الروم والافرنج هذا الاسم الى كنديا وتعارفه العرب بهذا الاسم وتماثروا الاسم العربي القديم كما حصل مثلا في « دارالصنعة ودارالصناعة » فله اسم عربي معتبر يدل على المكان الذي تصنع فيه السفن ذكره بهذا المعنى المقرئ وابن بطوطة وابن الاثير والادريسي وابن خلدون وابن جبير والمسعودي وغيرهم وهو عند العرب يدل أيضا على المكان الذي يصنع فيه شئ من الاشياء ولكنه بالسفن أخص حرفه الاسبانيون الى Darsena و Aterzana و Arsenal وعلها الطليانيون هكذا Arsenale و Darsena والاسكيز الى Arsenal والفرنساوية الى Arsenal و Darse ومن المعلوم ان أهل مصر في هذا الزمان أي من أيام محمد علي استعملوا فيما يتعلق بنفن البحر كلمات كثيرة نقلوها عن اللغات الافريقية وأحصها الطليانية فلم يلفتوا الى أن كلمة Darsena أصلها عربي بل أضافوا لفظه (خاه) التركية وقالوا ترساخانه لاعتيادهم على إضافة «(خاه)» الى أسماء جميع الاماكن العمومية الاميرية جريا على الاصطلاح الخاص باللغة التركية ثم انهم أحسوا ببعض المخالفة بين لفظي (ترساخانه) و (دارسنا Darsena الطليانية) فحذفوا خانه واقتصر واهل قولهم «ترسانه» ومثل هذه الكلمة كثير نقله الافرنج الى لغتهم ثم استرجعها العرب من غير أن يعيدوا لها شكلها بل أبهوها بكيفية لا يكاد يتعرفها الباحث وليس هذا محل استقصائه وأرجع الى الموضوع فأوردته هنا ما أتخفى

المناظر الجميلة والحدائق الغناء التي اشتهرت في السنة الماضية بقيام
أهلها على بني اسرائيل وقتكهم بهم الفتك الذريع
وصول برندى ومازال البحر صاحيا والهواء موافقا والشهية حاضرة فعرضنا
ماقاتنا من الطعام وخسر متعهده ما أكسبه اياه اشتداد الجحر في
اليومين الاولين حتى وصلنا في ذلك اليوم الى برندى واسمها في كتب
العرب ابرندس وعند الفرنسيين برند (Brindes) وعند الرومانيين

به حصره صديق المهذب محمد افندي كامل تيمور من اعيان التجار بالاسكندرية لكون
هذه الجزيرة وطنه وله بها علم تام - كانت هذه الجزيرة تسمى عند قدماء اليونان
(ايدا) لكون أعلى جبل فيها كان معروفا بهذا الاسم ولما كان طولها يضاهي عرضها
سبع مرات أو ثمانية سميت باسمناه (الطول السعيد) ثم سميت باسمناه (ذات الهواء)
لكون هوائها جيدا وجافا للغاية ثم أطلق عليها اسم جديد معناه (العظمة) لكونها
أعظم جزائر بحر الروم وفي آخر الامر سماها الاغارقة (كريت) تشرى بها الكون
زوجة أحد حكامها كانت تسمى كذلك - قد وردت هذه الاسماء في تاريخ يوتاني
قديم ألفه من هذه الجزيرة أحد الفلاسفة والمؤرخين واسمه باكو فاثون - وقد قال
حسين بك كامي في تاريخ كريد الذي ألفه باللغة التركية ان العرب حرفوا كلمة
(كريت) الى اقريطش والعثمانيين الى (كريد) لسهولة التلفظ بها

ولمناسبة كون العرب بنوا في مدينة ايراقليو (Hiraklio) المعروفة
الآن باسم (قندية وكندية) خنادق وطوابق جسيمة لازالت موجودة الى الآن
حرف الروم والاورباويون لفظه (خندق) الى كندك ثم الى كنديه وجعلوا هذا
الاسم للدلالة على جزء من الجزيرة فجاء البنادقة وأطلقوه عليها كما هو بقي ذلك متعارفا
عند الإفرنج الى الآن

برتسيون أو برندزيوم (Brindisium و Brintision) وكنا
نعتقد أننا نجد من وكلاء كوك فيها أعظم مساعدة فلم يتحقق
أملنا وأقول انه اذا كان جميع عماله في الجهات الأخرى من
الكسل والخمول مثل ما هم عليه في هذه الفرضة فالاحسن
للغريب أن يسترشد بكتب الدليل ويياشر شؤنه بنفسه ولعلمهم
لا يكونون كذلك في بقية المداين التي سنمر عليها وقد سمعنا عنهم
خيرا كثيرا ونحن بمصر وسنكتب عما شاهدناه منهم بعد ذلك ان
شاء الله

كان وصولنا الى ابرندس أو ابرنطس (كما سميها العرب) بعد قيام قطار
الصباح (الساعة السادسة) المتوجه الى نابولي عن الطريق القريب
فخرنا بين المقام في هذه المدينة الحقةرة (بالنسبة لأوروبا) وبين
اتباع الطريق المنحنى مع القطار الذي يقوم الساعة تسعة وخسة
وعشرين دقيقة فضلنا الرأي الثانى لى نتخلص من أخلاق أهل
برنديس وأخلاطها الذين هم أحط في المدينة من جعية مصر
وأرذل من سفهائها وأشد الخافا والحاطا من شعاذى السيدة
زينب

فتوجهنا الى المحطة وكان مع رفيق شنتان ومعى أيضا ثنتان الطريق من
نابولي الى
برندزي
نابولي
رجال المحطة الا أن يكون ارسال ثنتين منها بعد دفع الأجرة

عنهما فامتلأنا ودفعنا نحوها من ستة وثلاثين قرشا وهذا ليس
من الغرابة في شيء بل الاغرب ان أحد مستخدمي المحطة (وهو
الذي ألزمتنا بحمل متاعنا الى المخزن) جاء الينا بعد أن تبوأنا
مقعدا من القطار وطلب أن نتخفه بشيء من النقود فقلت له
عجبا منك ومن فعالك تغرنا ما ليس بواجب علينا للسكة الحديدية
ثم تجيء وتطلب منا الاحسان ولكنه أظهر المدلة والمسكنة وباء
فرحا مبتهجا حينما أتخفته بنصف فرنك ثم قام القطار فاذا
الارض حوالى ابرندس مككتسية بحلة خضراء مزينة بأشجار
ورقاء كل ذلك وهي صخرية قد أذابت الامطار قشرتها وأودعت
فيها الحصوبة والبركة بأذن الله بحيث اتساكنا نرى كثيرا من
الأشجار نابتة بين شقوق الأحجار ونرى الاراضى بارتفاع
وانخفاض واستواء وانحدار وكلها مجللة بنياض سندسية في غاية
البهاء وقد رأينا الكرم فيها وفي بعض جزائر اغيريقية (Grèce)
* (أى بلاد اليونان) لا يرتفع عن شبرين فكان منظره كنبات الخس
في مصر ولكنه يأتي بالمحصول الكثير والعنب الجيد اللذيذ على
ما بلغنا من أهل هاتيك الديار وهذا دليل على ان اتخاذ العروش
والتسكعيب لأشجار الكرم مما لا يجديها نفعا بل قد يترتب عليه
قلة المحصول لان العصارة تتصرف في ساق النبات وأغصانه بدلا

من ان تتكون ثمرا حنا ومع ذلك فالحكيم اعلم ان الساتفة يقال ان
الغيب صنفان

وبعد ان ابعدنا عن ابرندس (برندزي) رأينا الارض قاحلة فيها
نبات شائك شاهدنا القوم يحرقونه في بعض الجهات لتسميد الارض كما
يفعل بعض أهل مصر ولما تجاوزنا هذه الضواحي رأينا السهول
قاحلة ماحلة ثم مررنا على بلاد عامرة وكان مرورنا على ساحل
البحر الادرياتيكي (المعروف عند العرب بجون البنادقين) وكانت
معنا في الواور فرقة من الجنود فلما مررنا على محطة أوستوني
(Ostuni) رأينا فيها كثيرا من النساء العجائز ينتظرن من
لهن من الاقارب فكن يودعنهم ويقبلنهم يبكاء وانتحاب مثل
ما يراه الانسان ببعض محاط مصر سوى انهن لا يولون بالعويل
والصياح وما زال الواور يسير بنا بين جبال وتلال وقيعان
ووديان حتى قدمنا مدينة نابولي الراهرة الباهرة بعد ان اخترقنا
ثلاث مقاطعات في الجنوب والشرق الشمالي لجنوب ايطاليا
وكلها تستقي من مياه الامطار تخزنها في صهاريج ورأينا فيها
سواقي ونواعير وآبارا يشبه ماؤها مياه الآبار في مصر وقد علمت
ان المهندس (زنباري) قدم مصر وعما مقتضاه شق ترعة تأتي بالمياه
من نهر سيبلي (Sele) الذي يصب في خليج سالرنو (Salerno)

لترتوى منه مقاطعات فودجا وبارى ولتشي (و Bari و Foggia و Lecce وفي كتب العرب فوج وبارى وبلج) وان نفقاته تبلغ مائة مليون ليرة طليانية (والليرة الطليانية تعادل فرنكا فرنساويا فتكون مساوية لجزء من ستة وعشرين جزءاً من الجنيه المصري) قدم هذا المشروع من نحو ١٥ أو ٢٠ سنة ولكنه لم يبرز الى حين الوجود لقلّة المال وعدم تيسر الحصول عليه هذه بحالة يسيرة من أمور كثيرة علقتم بها مذكرات ومفكرات سأفصلها في الرحلة ان شاء الله

السؤال الثاني

عن رومه في يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٣١٠

(٢٢ أغسطس سنة ١٨٩٢)

لعل أكون أحزت برسالتى الأولى رضا حضرات القراء فوائدها السفر
الآباء والأفان العذر واضح لكون كتابتها كانت بعد تعب شديد وتسهيلاته
عائته من سفر ثلاثة أيام فى البحر تناولها عشر ساعات بلا انقطاع
فى باخرة البر وليس فى ذلك من غرابة لعدم العادة وإقداً كان سمى
ينبؤ من مقال القائل (بل العذاب قطعة من السفر) فلما حقق
الخبر الخبر زال عنى الاستنكاف مما كتبت أحسبه ضرباً من المجازفة
فى المبالغة خصوصاً وان أسلافنا لم يكن لهم ما أقاضه عرفان هذا
القرن (التاسع عشر) على أبنائه من تسهيل الانتقال وتأمين
الارتحال وتقليل المسافات وتناهى البخس فى النفقات بالنسبة لما
كان ينبغى صرفه فى هاتيك الأوقات وتيسير أسباب السير والنظر
والتأمل فى آثار من غير ومصنوعات من حضر وتوسيع دائرة العقل
بالاطلاع على نتائج أفكار الغير إلى ما هنالك من الفوائد والمكاسب
فى المتاجر والمصانع مما لا ينكره إلا المكابر ولذلك فانى بعد المقارنة
أحسب هذا التعب راحة وهذا الشقاء نعيماً فلم أتر بص حتى تجيئنى

الانبياء من الاصدقاء بما كان لها كورة رسائل من الشأن عند الابداء
فانى (على كل حال) أشعر فى نفسى بما يدفعنى بالرغم عنى الى
الكتابة حتى أكون كأنى بين الخلان والاخذان فقد وجدت
مجال القول ذاسعة وأفيت مقام الكتابة صالحا فاقول .

ان نابولى والحق يقال لتستحق أن يكتب عليها مجاز ضخيم
لاصفحات قليلة تتلى (أولاتلى) ثم تتطير فى الهواء وذلك لانها ضمت
الى جهاء المنظر جمال الطبيعة وقرنت بين حسن الصناعات
ونشاط السكان مما يجعلها جديرة بان تشهد اليها الرحال وينزل بها
أولوا البصائر والأبصار الايام الطوال بل الشهور بل الاعوام

والذى يضاعف حبهن فى نظر القادم اليها من الطريق التى
اتخذناها (طريق فودجا) انديوا فيها بعد أن يقطع كثيرا من الفيافي
والقفار ويسير خلال الجبال الموحشة والارض السباب وتحت الانفاق
(Tunnels) المنقورة فى الصخور وفوق القناطر المقامة على الوديان
والاغوار وبين الهاويات الخاويات وكل ذلك يجعله غير مستأنس
ولا بنفسه متوجسا خيفة من كل ما يحيط به حتى ان الخيال
(أو الحقيقة) ليصور له ان باخرة البرذاتها قد انتعشت بقوة الحياة
فتولاها الرعب وتماكها الجزع فاخذت تلمس فى مشيتها وتسير
الهُوبنا (لاعن تجتر) بعد ان كانت تسعى على عجل فينقلب

نابولى ورؤية
أول مدينة
من اوروبا

عود لوصف
الطريق الى
نابولى

البغية: الخارج من صدرها زحيرا يمازجه صوت أبح خافت يعاون على إكمال الوحشة وإبعاد الاثناس وهي في غضون ذلك تنساب فوق الوهاد وتحت النجاد كأنها الازعوان (يخرج ليكون قانلا أو مقثولا) ولا يزال هذا حال الراحل وحال مطيته حتى يصل بالسلامة الى نابلس الغرب الاوروبي وليكن (شتان بين مشرق ومغرب) فيحمد غب السرى اذ يرى نفسه في مدينة هي في الحقيقة كالخديقة الانيقة ناعم البال منشرح الفؤاد ويصدق قول من أنشا (وبضدها تميز الاشيا) وليكى أترك الاسترسال مع هذا التيار فقد ألقيت عصا التسيار وقرت العين باجتلاء محاسن هذه المدينة البانعة الرائعة الناصعة ومعاهدتها الباعرة الزاهرة الفاخرة وخدمنى حديثا وبيزا على عجلة وانتظر اذا أردت التفصيل في الرحلة

• هذه المدينة أسسها أقدم قدماء الاغريق في الزمان بحالة على نابولي العتيق وسموها بلسانهم نيبوليس (Neapolis) أى المدينة الحديثة وكان لها اسم آخر غير شائع وهو پارثنوب (Parthenope) وقد حرف الطليانيون اسمها المشهور الى نيبابولى ثم نابولى (Napoli و Naples) والفرنساوية الى نابل (Neapoli) وعرب هذا الزمان الى نابولى وقد ورد اسمها في كتب الجغرافية العربية القديمة (نابل ونابل الساحلية ونابل السكان

لكثرة هذا الصنف ومنسوجاته بها في قديم الزمان) واما نابلس (أو نابلوس) المعروفة في الشام فقد أطلق الرومان عليها هذا الاسم غصبا وألقوا اسمها القديم وهو شكيم (Sichem) الوارد في التوراة وقصص الانبياء وقد أخطأ ياقوت الرومي حيث جهل الاصل اليوناني لهذه التسمية فاتحل لها اشتقاقا من عندياته أو بقلا من غير تثبت فقال في معجمه انها مركبة من « ناب » أى سن ومن « لوس » أى التين بلسان السامرة فيكون الحاصل من معنى اسمها « ناب التين »

وليست أهمية هذه المدينة وبهجتها بسبب أقدميتها وما بقي بها من آثار أهلها السالفين فانها خلومن المخافات والاطلال التي يقصدها عادة الزوار في المدائن القديمة العهد مثل نابولي وانما هو موقعها الذي لا يزيد عليه في العالم كله سوى موقع القسطنطينية وحسبى هذا التمثيل للدلالة على انها جمعت المحاسن الطبيعية الشائقة والمناظر البهيجة الرائقة فهي على هيئة مدرج ينحدر على سفح تلال تنتهى الى البحر وفي شرقها بركان فيزوفيو (Vesuvio) المعروف عند العرب بجبل النار) وحواليها تلال ترى المنازل نازلة من أعلى قلها تترى الى منتهى سمعها فاذا ارتقى الإنسان احدها نظر الى المدينة بجملتها فرأى من شوارعها الصاعد والنازل والمنحدر

والمستوى والنحط والعالي ومع ذلك فالهواء فيها كلها جيد والحركة
مستديمة لانهم امن بهم موالي هذه الديار وأكثر مدائنهم في العمار
ويعتبرها أهل السياحة والاسفار من أجل الامصار وأجمع
مواقع الدنيا على الاطلاق وقد كان خليجها العجيب يجذب الى
نواديها الاغراب من جميع الاصقاع وما زالت الآلاف منهم تتردد
أيضا في هذا الزمان على ربوعها الغناء وحدائقها الفيحاء
للرياضة والنزاهة ومن الغريب أن حسن موقعها جعل الاجانب
يطعمون اليها كما ان رضاء العيش فيها أوجب رخاوة أهلها فلم
يذودوا عن حياضهم ولم يصدوا الفاتحين وغاراتهم فتوالى عليهم حكم
اليونان فالأوسكيين (Osques) فالرومانين فالقوط (Goths)
فالبيزنطيين (Byzantins) فالنورماندين (الذين يذكركم العرب
باسم الجوس) فالالمانيين فالاسبانيين

ومدينة نابولي المذكورة هي مدينة كبيرة ذات شوارع واسعة
ومبان شاهقة تفرجنا فيها على مربى الاسماك (Aquarium)
ورأينا معيشتها وهي في نفس ماء البحر على أشجار الصخر وفي خلاها
الاعشاب المائية بشكل غريب ومنظر معجب وتفرجنا على
القصر الملوكي وقد كان تشييده في سنة ١٦٠٠ وفيه من الصور

والرسوم والنماثيل والموائد ما يدهش الانظار ويحير أفكار أولى
الالباب ويقضى بالعجب العجاب وهو متنوع الارجاء فيه منازة فسيحة
جدا ترى فيه الاشجار منضودة على شكل الاسوار وهيئات
المثلثات والمربعات والمنحنيات وأغصانها مشتبكة محتمكة منضودة
ممدودة مقصوفة مرصوفة بحيث تتكون منها أشكال
وتراكيب على طراز غريب وترتيب عجيب ورأينا فيه مربى للطيور
ولكنه ليس بالشئ العظيم ورأينا الاشجار الباسقة والمياه الدافقة
والحضرة النظرة التي تتشذب عراها الازهان وتكحل بطلعة نورها
الاجفان فلا عجب اذا كان بنو الطليان من أجود أهل الارض في
اتقان الشعر واجادة التصوير واحكام الرسم والبلوغ في الصنائع
لمستظرفة والفنون الجميلة غاية لا تكاد تدركهم فيها أمة أخرى
فقد رأينا في هذا القصر الطائل من الرسوم والنقوش وأساليب
العمارة والتقن في النحت والاعراب في التمثيل والتخييل ما لا تفي
هذه العجالة بعشر معشار ما يستحقه من البيان ثم جلنا في شوارع
المدينة صاعدين هابطين متأملين اقتدار الاهالى وشغفهم بتجميل
أماكنهم وتزويقها بما يستوقف الانظار ويقضى على الناقد المانصف
بان يقضى لهم بسلامة الذوق وحسن الاختراع

وهنا أستعجلك أيها القارئ أن تقف معي برهة امام الجمال الخيطة في
وتؤدى له واجب الاتاوة مقرونة بالتسبيح والتهليل والتكبير (سبحان المحاسن
الله - الله الله - ماشاء الله - الله أكبر)

فاننا من عهد ابا رحننا الاسكندرية وفارقنا سان ستفانو (ماتق
الغادات الحسان وجمع الغائيات الممجيات) لم يستقر طير نظرناعلى
شئ من اغصان الملاحه سوى اتنا كنا نرى في طريقنا من برندزى
الى فودجا الى نابولى بعض أشباح ينتسبن الى حواء ولانسبة وهن
من قبج الصورة وسماجة الوجه بحيث لوراهن شيخ الابالسة اعدل
عن الوسوسة واستبدل الاغراء بالفرار والاغرب من ذلك ان
وجوههن تكون جافية واقدامهن حافية وشهورهن منتوفة
ورؤسهن مكشوفة ومع ذلك فلا بد لهن من العظامة وما يقوم
بمقامها كأن تاتزر الواحدة بالفستان وتنشج بالصدر لاطهار قد
هو أشبه بالقدر وما زلنا على هذه الحال حتى ظننا ان أوروبا انما
ترسل الى بلادنا أفضل ما فيها من العيون الناحرات الساحرات
واللحاظ الفاتئات الفاتكات فلما قدمنا هذه المدينة رأينا غير ما ظننا
ولقد كان منظرننا وخصوصا الرفيق الموافق والصدى
الصادق الشيخ محمد راشد يسترعى منهن الانظار فكان لى بذلك
فرصة اغتتمها لتعويض مافات والتأمل فى صنع ربك ذى الجلال
والاكرام فكانت الواحدة تحملق الينا فتُرسل سهامنا من فاتر

الاحباط والاخرى تستغرب من شكلنا فيفترّ فها عن درّ يأخذ
بجبات القلوب ومنهن من كانت تترك عملها الذي خرجت لاجله
من كنام او تسعي خلفنا تستغرب شكلنا بينما نحن معجبون بشكلها
ومنهن من كتن يطلان من الشبايك فيشبعن الفؤاد ولا خرج
عليهن ومنهن من كانت الخواتم بخصورهن أليق من الحياصي وغير
ذلك مما يطول شرحه ويقصر براعى عن بيانه حتى اننا لم نرحيله
للتخلص من شرلك هذه الشباك سوى التعجيل بالرحيل فقصدنا
المحطة

قوة منا في شبكة لم تكن لنا في حساب ولم تخطر لنا على
بال وذلك ان عمال السكة الحديدية أبوا الا أن يدفعونا الرسم على
ثلاث شنطات من متاعنا وابقاء شنطة واحدة تحت يدينا فأظهرنا
اهم شدة الغرابة من تنوع المعاملة في برندزى أولا وفي نابولى ثانيا
وقلنا لهم أليس القانون واحدا في ايطاليا كلها أم هل يختلف
تطبيقه بحسب الازمنة والامكنة والاشخاص فكان جوابهم لنا
(برندزى هي برندزى وأما نابولى فهي نابولى) فلم نربدا من تقدمهم
ما طلبوا ولكن حرت هذه الجلة في مذكراتى واذا لم يكن لى من
الوقت ما يكتفى للتعق في البحث عما حوته هذه الكلمة الجامعة
من دقائق المعانى وعويص الافكار آثرت أن أطرحها الآن على

ع وعذابه
سفر

حضرات علمائنا الاعلام ليجعلها موضوعا للثون والشروح
والحواشي والتقييمات والتكبيلات والتذييلات والتعليقات والاخذ
والرد والتوجيه والاعتراض والقييل والقال حتى اذا رجعت
بالسلامة ووقفت على خلاصة الابحاث أخذتها عن الثقات غنمة
باردة وزينت بها صفحات الرحلة

ثم سارت بنا باخرة البرالى رومة في طريق تحف به من الجانبين الطريق لرومه
أشجار مدت أغصانها فاشتبكت فكانت أشبه بعدارى الجان خرجن
من الجبال المحيطة وتهميان للرقص على أجمل منوال فدت كل واحدة
منهن ذراعها الى أختها ذات اليمين والى تربها ذات الشمال ووقفن
فى انتظار القطار حتى اذا اقترب منهن تحركن حركات منتظمة
معجبة بقدود مياسة وأصوات مطربة واستمر الحال على هذا
المنوال بين الجبال السماء تتخللها الحضرة الزهراء والأشجار
السماء حتى بلغنا رومة بسلام وتوجهنا الى الفندق واسترحنا

الرسالة الثالثة

رومة (١)

عن فلورانس في الثلاثاء عرصة صفر الحبر سنة ١٣١٠

(٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٢)

الادهاش
من رؤية
رومة
فامسة
رومة

بالعجب بالعجب كأنى نسيت الكتابة بلسان العرب أو كأن مقامى
بهذا البلد أضع اللب وأذهب الرشد فكيف العمل فكيف العمل
وأنا كلما حاولت التحرير أو أخذت في التحبير استعصى القلم
وحرن جواد التفكير وانها لت على المطالب انهي الالاي جعلنى أعرف
بم يجب الاستهلال ومتى يكون الختام وكيف أتخلص الى تلخيص
شئ من المذكرات الجملة والمفكرات العديدة التي اقتطفتها أو جمعتها
على هذه المدينة المختالة في حال البهاء والجمال المجللة بما أودع فيها
من آثار العظمة ومشاهد الجلال ففيها العمار الفاخرة الفاتحة
والقصور الواسعة الشاهقة والمزارات المتعددة المتنوعة والبقايا
الكثيرة مما خلفه فيها القياصرة والامبراطرة والقناصل والامراء
والاشراف والكبراء والسادات والباباوات فانها من يوم نشأت الى
الآن ما زالت عاصمة السياسة والحل والعقد وكعبة الديانة الوثنية

(١) رومية ورومية الكبرى ورومية المدائن في كتب العرب ويشقها نهر

التبر (Tevere و Tibre) المعروف عند العرب بنهر الصغر

ثم النصرانية وكل من تولى الامر فيها يسعى بما فى وسعه لتوسيع نطاقها ويذل جهده فى زخرفتها بما يوجب له الفخار ويستبقى ذكره على ممر الايام فلذلك ترى شوارعها فسيحة وميادينها أنيقة وفى كل ساحة فسقية يتدفق الماء منها وفيها باشكال معجبة وأصوات مطربة وقد نصبوا فيها كثيرا من المسلات التى استجابوها من بلادنا مع أن عاصمتنا القاهرة خلو منها بالثرة (والذى بقى عندنا من المسلات ما زال فى موضعه يندب القمدن الذى كان حوله ويتحسر على عدم العناية به مثل أمثاله فى أوروبا وأمريكا)

وللباني فى رومة منظر رائع بهيج بالوان زاهية براقعة تعجب النظار غرام أهل
وعلى جميع جدرانها وأبوابها ونوافذها ومطالاتها وشرفاتها وأفاريزها ^{بالتحليل}
ترى التماثيل من النقوش البارزة والتصاوير المختلفة والرشوم المتعددة ^{والنجيل}
كأن كل واحد من أهلها أراد أن يستوقف السائحين والجانئين
والرائحين والجانئين بل هذا غرام قام بهم وشغف لازمهم فلا
مندوحة لهم عنه لانك ترى حتى الجزائر (القصاب) يزوق حافوته بأغصان
الاشجار ويعرض اللحم على الاظان مقطعا قطعاً ملتفاً أعلاها
بقراطيس من الورق الابيض الناصع تنضم ثدياته الى بعضها فتجمعهما
زهرة من الزهر المختلف الالوان ومثله بائع الخضار فى حسن الترتيب

وجمال العرض ولا ينقص عنهما غيرهما فكل واحد يتفنن فيما
يلزم الخلائق بالاقبال عليه (والى ما يشتري يتفرج)
كنايس رومة وقد اغتتمنا فرصة مقامنا بهذا البلاد زيارة ما به من الكنائس التي
يضرب به المثل في الضخامة والفخامة والمناة والحلالة والتناهي في
الابداع واللاتناهي في الاغراب والتشييد الهائل والزخرفة التي تاهي
ولاشك المتعبدين والمتعبدات وتشغل المتسكين والمتنشكات بالنظر
اليها (والى بعضهم ما خوصا) وإن العقل ايجار في كيفية تشييدها
ويذعن باقتدار ذلك الذي صورها بالقلم على القراطاس ثم أبرزها مجسمة
على سطح البسيطة حاوية كمال التناسق وتعام التناسب وإحكام الصنع
واتقان الوضع في كل نوع من جدرانها وعمدانها وسواربها الى
عقودها الى سقوفها الى قبابها حتى انه لم يترك مقالا لقائل ولم يدع
مجالا لاستعمال ليت ولو فوق ذلك فان للقوم بحفظها عناية لا بعدها
ولا قبلها ففي كل كنيسة منها سلام للتمير والترميم والتجبير والتتميم
ومع كثرة الكنائس والبيع بها (فانها تكاد تناهز نصف الالف)
رأينا القوم مشتغلين بتشيد غيرها وأنت تعلم ما حاق في هذا الزمان
بالحكومة البابوية والسلطة الدينية من الضعف والاضمحلال في
بلاد أوروبا على العموم وإيطاليا على الخصوص

هذا وقد زرنا معرض الصور والرسوم ومصنع الفصوص بعض مشاهد
وأفسيفساء في قصر القاتيكان ورأينا من الغرائب والعجائب التي رومة
تقصر عن تفصيلها هذا الاجال ثم شاهدنا ما بالمدينة من آثار القدماء
والمتاحف والمعارض والقصر الملوكي والاطلال القديمة والسراديب
المنقورة في قلب الجبل حيث كان النصارى في مبداء أمرهم يلبثون
اليها أيلم الاضطهاد ويتقون بالاختفاء فيها شرعباد الاوثان

وقد رأينا في كل ساحاتها وباطنها وميادينها وبساتينها وفي كافة
الإرجاء من منازلها وشوارعها تماثيل كبارهم وعلمائهم الذين
قاموا بخدمة الوطن وترقية شأن البلاد وتعزيز مقام الأمة بحيث
ان ذكرهم لا يمكن أن يمحوه الزمان وبذلك عرف الالهون عالمهم
وجاهاتهم كبيرهم وحقيرهم مقدر الاجر العظيم الذي يصيبه من
ينفع الوطن من أي وجهه كان وبأي عمل كان ووقف السكان
وما على نواريح أولئك الذين استفادت منهم البلاد فائدة حسنة
أو معنوية قليلة أو جليلة واتخذوهم نموذجا لتهديب الابناء
الناشئين وتربيتهم على السير في جادتهم ومحاكاتهم في خدمة
الاطوان

وهنا ينبغي لي ان أقف قليلا كاسف الببال منخسرا على
كون أهل بلادنا يهملون تخليد ذكر من له فيهم منفعة باية وسيلة
تكون مع انه وايم الحق هو أفضل الاعمال وأجل ماتشد ذكراهم
تأسف على
عظماء مصر
واهمال

لاجله الرحال فان الذي يعلم أنه اذا خدم وطنه عرف قومه
قدره وأجلوا ذكره وشادوا له الآثار والمباني التي تضمن له عمرا
غير العمر الفاني وتستديم حياته الى كل جيل لاشك انه يضحي
النفس والنفيس ويواظب على السعي والعمل لنيل هذا الشرف
الذي ليس بعنده شرف . ألا ترى أن الكثير من علماءنا
وفضلائنا قد انقضت ذكركم بمجرد دخولهم في رمتهم اللهم
الآن يكون لهم كتاب متداول مشهور (وهم الاقلون) وهل
يصح لي أن أعرف بنى وطني الكرام بان السعي في تخليد ذكر
الامجاد الامثال الذين يخدمون الوطن هو أكبر باعث ينهض
بالنفوس ويحرك العزائم ويحيد القرائح ويوجب الاقدام على
العظام فتغتنم الامة والوطن أجل المغانم ويربحان باجتاد أفرادهما
وسعى أبنائهما من غير أن يكونا على الدوام في حاجة الى الاجنبي
والدخيل لانسير الا بمشكاة نورهما ولا نهتدى الابهدايتهما
وارشادهما أما الآن لنا أن ننظن الى هذه الحقائق ونذكر ما وراءها
من المنافع فنطرح الحسد منا لبعضنا ونسعى جميعا في وجهة
واحدة لصالح الوطن العزيز كل بقدر ما عنده ونعضد بعضنا نكون
كالبنيان المرصوص فاعل أهل بلادنا تهزم الاريحية المصرية
وتشور فيهم النخوة الوطنية والحمية الاهلية فيتشبهون بأم أوروبا
لنوال الفلاح والنجاح

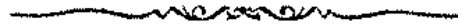
أواه . تحدثني نفسي عند كتابة هذه السطور بان الكثير من القراء لابد أن يستخف بهذا المقال ولكني أنادي من له حياة أو كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فتلك لعمر كعواطف وطنية واحساسات قومية وددت لو يشعر بها أهلي كما تتلكني

حينما رأيت الخاصة والعامة في هذه المدينة واقفين تمام الوقوف ^{خوض} على جميع ماجريات أولئك العظماء الذين أقيمت لهم التماثيل ^{اطاليا} والانصاب وتزينت بصورهم قصور الملوك وقاعات الدواوين حتى ^{في طريق} كان ذلك باعثا للامة الطليانية على مباراة الامم العظيمة ففتحت ^{التقدم} المعامل الكبيرة وألفت الشركات الجليلة وأقدمت على مهام الاعمال حفظت ثروة البلاد في البلاد وروجت الصنائع الوطنية فاكسبت أعيان اكتساب نعم لا تشكر أن الدولة الطليانية واقعة الآن في أزمة مالية وقد برك فيها جل الفقر ولكن لها عذر واضح من حيث انها في وقت قصير انشأت موانئ حربية بحرية وأنجزت كثيرا من الاعمال العظيمة ذات المنفعة العمومية لكي تضاهي الدول الكبيرة والامم المثيرة فكانت كالزراع ينفق كل ما عنده ثم ينتظر الغلة والربح وقد بدأت تجني ثمار ما غرست وأخذ الخبير يدبر عليها وأظن أنه لا يمضي عليها نحو النصف مائة حتى تنفض ما عليها من غبار الفاقة وتفوق مما حاق بها من الارتباك والاعسار

أمور ثانوية
والقيظ
بأوروبا

وكانني بك أيتها القارئ قد مللت من هذا الاستطراد ووتد مني بدل ذلك ان اكشفك بما رأيته في هذه البلاد من الامور العرضية الثانية التي قد يكون وراءها فائدة مجتهدة يمكن ادخالها في بلادنا مثل العربات والسكة الحديدية والبريد والتلغراف والبواخر والشرطة (البوايس) وما أشبه ذلك من التنظيمات من انهم يضعون اسماء الشوارع على رقع مربعة من الرخام لكي لا يتطرق اليها البلاء بسرعة كما حصل عندنا في الاخشاب التي وضعتها نظارة الاشغال في القاهرة بمصاريف باهظة ولكني أقول لك ان الحر شديد جدا واني أقاسي منه أكثر منك من عهد مبارحتي للاسكندرية الى هذا اليوم حتى كأني ذهبت الى اسوان أو السودان فعافني من ذلك الآن عافاك الله واعتقد أن الحر في هذا العام بأوروبا اشتد منه في كل عام بل لم يهد القوم له مثيلا قبل الآن ولقد ككنت أستغرب ذلك في أرض أوروبا حتى قرأت في جريدة التريونا الصادرة في يوم الاثنين ٢٢ أغسطس تلغرافا من باريس ينبئها بان اشتداد الحر فوق العادة قد أتلف صحة الجنود الذين في المناورات في جملة جهات وآخر من ويانة يقول ان القيظ مستمر فيها وان ووردت عليها الاجبار من جملة مدائن ان الحر سبب وفيات كثيرة وان سبعة من العساكر

نهقت أرواحهم من اشتداد الحر بينما كانوا في المناورات وأن
الفلاحين قد اضطروا لترك أعمالهم وإن الفاكهة قد أصابتها أضرار
بليغة فكيف لا نشفق علىّ مع ذلك كله وقد كنت أيضا بالأمس
(نويم الأحد) أترى في رومة ورأيت في منازلها من رأيت
وما رأيت وحسبك منى هذه الإشارة لانك لبيب فهيم



الرسالة الرابعة

مدينة فلورانس

تأسف لفراف رومة : لولا وجوب الوجود بلندرة في يوم موعود وهيمقات محدود لحضور احتفال مشهود والاشترالك في مؤتمر معدود لأطلت المقام برياض رومة الغناء وأكثر من التجوال في ساحاتها القيحاء ولكني تزودت من شهيم عرارها وتشبعت من محاسن آثارها فودعتها بالعين والنفس متطلعة اليها والقلب شغف بها ورددت الدعاء لدولتها بالثروة واليسار وماركبت القطار حتى بادرت فأعقبت ذلك بالدعوات الصالحات المستجابات لوطني وخلائي وأهلي ونفسي وذلك لانه خيل لي أن الدعاء مقبول في هذه الاقطار لاني ما خرجت منها الا بعد أن التزمت بالمساعدة على إغناء ماليتها (وأول ما يجني على المرء اجتهاده) فان عمال المحطة قالوا لا بد من دفع أجرة النقل على الشنطات الاربع التي مع رفيقي ومعنى فأفهمت ناظر المحطة ما وقع بيرندزي ثم بناولي من أخذ الاجر في الاولى على ثنتين ثم في الثانية على ثلاث فقال ان هذه الشنطات تزيد طولاً وعرضاً في القياس عما يبيحه القانون لافراد الناس فأخذ العجب مني كل ما أخذ اذ لم يكن لي ذلك في حساب وقايت لعل القوم لا يعرفون الهندرة وقد اتقنوا

عذاب
المتاع

المتهولية العددية من علم الحساب فتولبت الدفع في المدينة الثالثة
من ايطاليا على الشنطات الاربع ووطنت نفسى على اتباع هذه
الخطبة في كل محطة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

٠ ثم سار بنا القطار بجوب البلاد جوبا وينهب الارض نهبا الى
ان بلغ بنا مدينة فلورانس المصطلح على تسميتها عند أهائها بمدينة
فلورانس التي تكلم عليها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق وسماها
فلرنسة من غير إشباع (كما نفعل نحن اليوم تقريبا من اللفظ الافرنجي)
فتزلنا فندقا لبئنا فيه ريثما استرحنا ونقضنا غبار السفر (هذه
العبارة من باب المجاز لوجهين الاول ان سفرنا كان بالليل والثاني
ان السكة الحديدية في ايطاليا لا تشرق قط عثرا مهما كانت سرعة
القطار لان المصلحة المعنية كل الاعتناء بوضع الرلط والحصباء على
طول الطريق فهي نعمة للمسافر تتمعه بما يسدو أمامه من المناظر
من غير ان يخشى ضررا ما على النواظر) وبعد ذلك خرجنا لتروح
الروح بارواح ريحان هذه المدينة ونزها الطرف في طرفها القدمة
وطرفها الثامنة

فأخذنا عربة قلنا لسائقها ان يدانا على دليل خبير فخيرنا
بين شاب وشيخ كبير وقال لنا ان الثاني أفضل لمعرفة بالمدينة
وطول ممارسته لهذه الصناعة فاخترناه على بركة الله راجين منه
الافادة بالدلالة اللفظية والمعنوية ولكن وقار الشب كان مستوليا
بالشباب عليك

عليه أكثر من دلالة اللزوم حتى ألزمه السكوت والسكون فكان
جالسا مامنا كأنه ثالثنا بل رابعنا (بحسب العريبي) يجيل
ناظره ذات الشمال وذات اليمين يتأمل ويتفكر تشبها بالتصوفين
أو المتقلسنين ولا يجيب عن أسئلتنا المتعددة إلا بما فيه ذليل
الفائدة فأسفنا على اختيار الاختيار ورجعنا على أنفسنا باللامنة
ولات حين ندامة ولكنا تسلينا أملا بان غيرنا يكون له خير موعظة
بما جرى لنا والعاقل من اتعظ بغيره

أما المدينة فلها من الداخل منظر بعيد عن الرشاقة مجرد
من الملاحاة لانك ترى القصور القديمة فيها شاهقة متواصلة
والعمائر الجسيمة شاهقة هائلة وعليها من الرزاة جلاب وبن الجوده
والجفوة أثواب ليست قائمة من الخارج على أعمدة ولا براكي معقدة
ولا أمامها أشجار نضرة أو خضرة مزدهرة حتى تروق خاطر الخطار
وتقر ناظر النظار فهي بالعاقل والمخاصن أشبه منها بما كان
المساكن شادها سادات المدينة وأشرفها في القرون الوسطى للتمركز
بها والاتجاه إليها ولكنك إذا سرت بعيدا عن سرة المدينة سررت
برؤية الرياض الأريضة والجنات الطويلة العريضة والساحات التي
هي أكثر من أن تحصى والميادين الشائقة بما حولها من الأشجار
والإزهار التي أوجبت تسميتها بمدينة الأزهار فترى حينئذ عليها

هيئة
فلوراسة
ومحاسنها

من الجمال حلة باهية ومن المحاسن ما تختال فيه كالغادة الهيفاء
خصوصا اذا ارتقيت ربواتها أو قصدت منتزهاتها ولا سيما المنتزه
الكبير فإنه من أنزه المنازه التي رأيناها وأبهج المباحج التي عرفناها
أذ بهو من الاتساع والامتداد وجمال المنظر ورونقة الترتيب بحيث
يجيد الفكر ويحسن الذوق ويجلو صدأ العقل ويغذى الروح
ويصق القرائح فلا عجب اذا تفرد أهلها في تعشق الطبيعة وبرعوا
في الفنون الطريفة

ولابدع اذ اقلت في هذا المقام ان كل طلياني لا بد أن يخلق نابغا استعداد
بالطبع في الرسم والتصوير والنقش والنحت والتعمير أو التعبير ^{الطليانية}
والنحير أو الموسيقى والأغاني ونظم القريض والمعاني فقد ^{الفنون}
زرت معرض الصور المعروف بالرواق ورأيت فيه آثارا صناعية
جليلة وبقايا فنية جميلة مما لا تكاد تضاهيه مجموعة
في الدنيا القديمة والحديثة حتى لقد مالت من كثرة التأمل
والمشاهدة وتعبت من الاستمرار في التسيار مع تيار هذا المعرض
العريض الطويل فعدلت (لعجز بالنقص) عن اتمام مناظرة ما به
من التحف الثمينة العجيبة وعولت على الخروج منه معجبا بما فيه
قادرا اياه حق قدره ثم طقنا بالمدينة وتفرجنا على ما فيها من بدائع
الصناعة وعجائب الطبيعة مما أدخر شرحه للرحلة

عناية الافرنج
بالصغار

فرايت في منزها هرما صغيرا مبنيا بالاحجار الكبيرة
فحسبته من مصنوعات اجدادنا المصريين وقد نقل الى هذه الديار
كما نقل غيره من احاسن الآثار ووضع بجانب المنزه عناية به
وحفاوة ولكنى علمت من التساؤل أن بعض العمال ابتداءً على
نقته لاصطناع الثلج وحفظه به فعجبت من هذا التفنت في
الاتقان واستغربت من اقتدار بنى الانسان وعلى ذكر الثلج
والثمن اذكر أنى رأيت رجلاً يبيع الماء المثلج في برميل
اطيف ظريف نظيف خفيف ذى حنفتين من الخارج وأنبوبة
لوضع الثلج من الداخل يحمله على ظهره ويسعى به لبيع الماء من
غير عناء أينما شاء واحدى الحنفتين مخصصة لغسل الكاس التى
يستقى منها الناس وقيل لى ان الرجل اخترع ذلك الطراز منذ عشرة
أيام وأما غيره فلا يزال يبيع الماء المثلج فى أحواض من الاخشاب
يقف بجانبها ولا بد للظمان من الورود اليها وقد رأيت فى جميع
المحاط التى مررت عليها شبانا وفتيات بل فتيات وشباناً يحملان
ويحملون بأيديهن وأيديهم وعاء من كمان اسلاك يتقسم الى عيون
عدتها ثمان أو عشر فيها أكواب مترعة يمررن ويمرون بها على
القطارات تقديم الماء المثلج لمن شاء من المسافرين فى نظير عبادى
واحد (أكثر من مائةين بشى قليل)

ومما رأيته بهذه المدينة رجل مقعد سطح ولكنه يسعى بنفسه كما يسعى غيره بقدمه ويستمتع الاحسان من كل انسان في أى مكان فانه اتخذ عربة صغيرة بقدر ما يجلس عليها ولها أربع عجلات وبما أن الشوارع منتظمة والارض ممهدة والسير يسير في جميع أنحاء المدينة فما على صاحبنا الا أن يضغط بيده على الارض قليلا لتحريك العجلات والتقل من طريق الى طريق وقد استغنى بهذه الكيفية عن اتخاذ أعمى يحمله ويسعى به في نظير ارشاده اياه على الطريق ومما سمته ما يصيبه من الرزق ولا شك عندي أنى سأرى رفيقه الاعمى (بحسب ما جاء في حكايات شارح المقامات الشريشى الاندلسى وفلوريان الفرنساوى) يدبر له وسيلة يتوصل بها الى نوال الحسنة من غير احتياج لنظر المقعد وتكلفه حله على كتفه لان أهل هذه البلاد بلاد أوروبا أهل حركة وعزيمة وتقنن واقدام وهنا أستوقف القلم مرة ثانية بالرغم عن البواعث الكثيرة التى تجيش فى الصدر كغليان القدر فتدعوه للاندفاع فى هذا التيار وانى لأعاني هذا العناء خشية على القارئ من الملل وشفقة على نفسه

فقد برح بى التشوق الى الاوطان واشتدبى التشوق للتشوق
انى الاخوان لعدم استقرارى فى مكان وتعدراستطلاعى للوطن

الاجتهاد التي تتوق اليها النفس ويحوم حولها الفؤاد فيالله من
البعاد ويالله من غالب شعرائنا كيف يصفون وهم في
مستقرهم عواطف واحساسات لا يشعرون بها ولكنها تجيء كالمها
طبق المراد أهذا من صدق الحدس أو من سلامة الفطرة
وباليتنى كنت تخرجت في الشعر حتى كان ينفتح أمامي المجال
ويتسع لي المقال



الرسالة الخامسة

(مدينة بيزا Pisa)

لقد أبدعتم بأهل البديع في تنويع الطباق فهو لعمركم ^{تأوه على عدم} ^{رؤية مدينة} ^{البندقية} من سلامة الاختراع ولقد برعتم يا أهل المنطق والكلام في بيان التناقض والتضاد ومعاني الاجتماع والارتفاع فان وقتي على كل حال اعتبره ثمينا نفيسا ولكني أجده الآن طويلا قصيرا - أما الاول - فلكثره الشجن بالحنين الى الاهل والوطن - وأما الثاني - فلنقصه عن مساعدتي على زيارة مدينة البندقية (فيسيا) فاني كنت بفلورنسه وليس بيني وبينها سوى ست ساعات ومع ذلك لا يصح لي أن أتعجب وأقول ان المشتى قريب وما اليه وصول فان الطريق ميسر والوصول أسهل من أن يدبر والبخار مسخر والقطار حاضر ونسكن الوقت سلطان قاهر فكيف لا أتمكن من زيارة تلك المدينة التي قامت فيها الخيلجان مقام الحارات والجداول مقام الشوارع والمراكب مقام المربكات والزوارق مقام العسريات والمقاذيف والمدارى مقام الخيول الجوارى . . . ألا ان الوقت محسوب والقيام الى جنوة أمر محتوم فالبدار البدار الى دار الوفاة والعجل العجل لتأدية واجب الرسالة.

ولكنى استعصت عمافاتى بقسمة طريقى الى قسمين للوقوف فى
بيشة أكثر من ساعتين كاتانى الحقيقة أبرىك من يومين فاتخذت
دلملا من أهل الشباب معدن القوة والفتوة وأمل المستقبل
فطاف بنا المدينة وأطلعنا على محاسنها فعوض علينا ماخبرنا
بسبب اختيار الشيخ فى فلورنسه رأيت أموراً كثيرة فى هذه المدينة
الصغيرة (التي لا يتجاوز عدد سكانها) نسمة ومصرنا
القاهرة فيها نحو نفس) وانى أحيط علم حضرات
القراء بالنبا القليل من غير تفصيل

عالة على بيشة هذه المدينة تسمى فى كتب الجغرافية العربية القديمة بيش
ويشة وقد وردت باسم بيزا فى بعض كُتُب الشريف الادريسي مر
عليها حين من الدهر كانت فيه خاضعة للملك توتس فى أيام دولة
الموحدين (أو الملمين لا أتذكر الآن ذلك بالتحقيق) فانى رأيت
بدار المحفوظات فيها التي تشبهه الاقترخانة المصرية عندنا (من
غير تشبيه ولا تمثيل) صكوك كثيرة وعهوداً متنوعة وإجازات غير
قليلة وبعضها يتضمن الضمان لاهلها بالحرية التامة والامان فى
كافة المعاملات واقامة شعائر الاديان وهى صادرة اهم من أولئك
الملوك (وقد اعتنى العالم الطليانى أمارى بنشرها وترجمتها) ورأيت
اسم البلد فيها هكذا - بيشة - وقد شاهدت فى هذه الدار

أنضا غير ذلك من الاوراق الرسمية التي اتخذتها كل دولة توات عليها أو كان لها علاقة بها ورأيت فيها على صغرها كثيرا من التماثيل التي تحيي ذكر أهم رجال ايطاليا أخص منها تمثال الطبيب الإذ كرفكتور عما نويل مؤسس الدولة الطليمانية الحالية الملقب عنهم بأبي الوطن ولكنه كان كاه مغطى بالاششاب المنضودة بحيث لا يرى منه شيء ما وذلك لأنه أقيم حديثا وسيحتفل بازاحة الستار عنه قريبا بحضرة الملك والملكة والاسرة الحاكمة ورجال الدولة وأهل الحل والعقد

ثم زرت المدرسة الجامعة ومكتبتها العظيمة ورأيت فيها نظام المكتبة ومن النظام ما يوجب الاعجاب بها مثال ذلك ان الكتاب الذي يستعار منها يوضع مكانه قطعة من الخشب بحجمه وعلى شكل الكتاب وتكتب عليها نـرتة وعنوانه الى أن يرد الكتاب الى محله وفي ذلك فائدتان اولاهما حفظ نظام المكتبة وعدم ميلها على بعضها بسبب الخلو بينها مما يضيع استقامتها واعتدالها وثانيتها التنبيه على أن هذا المكان يشغله كتاب مستعار الا أن مع حفظ عنوانه ونرتة لاعلام من يريد ان يجيل ناظره على الكتب فقط ورأيت فيها أيضا صناديق من الخشب على شكل الكتب توضع فيها المجلات الدورية وأخرى لحفظ الكراريس والاجزاء التي تظهر في أوقات معينة من كتاب

واسع كبير حتى لا يتولاها التلف والضياع ومتى تمت الكراسات
والاجزاء جلدوها مع بعضها وأودعوها في المحل اللائق بها ثم زرنا
مدرسة المعلمين العليا وتفرجنا على معرض التاريخ الطبيعي
وهو وان لم يكمل لكنه حاو لكثير من التحف والطرف وفيه كثير
من الحيوانات المنادرة الغريبة من حشرات ودبابات وأطياف
وأسمالك ومعادن وأحجار ونباتات وأشجار وثمار وأزهار وغير ذلك
مما يدخل في هذه الدائرة

ثم زرنا كنائسها وبيعها وأغربها كنيسة بجانبها برج
للقوس منعزل عنها وهو شامخ في الهواء لا باعتماد بل بانحراف
فانه يميل بكليته على سطح الارض بمقدار خمسة أمتار أى انك
لو أنزلت من أعلى قته خطا عموديا على مستوى الارض لكانت
المسافة بين نقطة مسقطه وبين جدار الاساس خمسة أمتار
بالقياس ثم عدنا الى قبة التعميد وهى بناء آخر مستدير بجانب
الكنيسة من الجهة الاخرى وبيننا نحن نتأمل فى عجيب تركيبها
وبديع هندامها وحسن نظامها واتقان رسومها و... و...
و... الخ واذا بالدليل صفق بيديه مرتين تنتين فانزعجنا منهما
انزعاجا شديدا لا يخطر على البال اذ أعقبهما دوى ولا قصيف
الرعود وهزيم أين منه فرقة المدافع المتوالية فى ساحة الوغى

البرج المائل
وغرائب
الصدى

حتى ظننا أن القيامة قد قامت وأن الأرض زلزلات زلزالها
وأخرجت الأرض أثقالها وأن الجبال اندكت والسماء انقطرت
(وامؤتمراه . . . وامؤتمراه . . .) واستمر الصدى على هذا المدى
عشر ثوان فمجئنا كل الاعجاب من هذا الصنع المحكم الذي
لا يحاكيه صنع في العالم

وقد كنا رأينا شياً مثل ذلك في كنيسة رومة من حيث
تدبير الهواء في صلب البناء إذ يقف الانسان بجانب سارية من
سواريتها ويكلم صاحبه من نخرق صغير فيها فيسمع كلامه واضحاً
ظاهراً من نخرق آخر في السارية الثانية أو أن يقف بجانب
باب في أعلى القبة ويسمع صاحبه وهو يتاجيه بجانب الباب
المحاذي له على مسافة تقرب من المائتي متر ولكن ذلك كله ليس
شياً في جانب ما رأيناه في بيثة ثم أخذ الدليل يوءوء ويوهوه
على عادة الافرنج في المغنى والصدى يجييه باجل أسلوب وألطف
معنى

ثم تفرجنا على قرافة المدينة ويدعونها (كامبوسانتو) أي بحانة بيثة
الميدان المقدس أو ما أشبه ذلك فرأينا فيها رسوما كثيرة بارزة
ومجوفة وقبوراً في صلب الحيطان وتحت الاقدام ~~وايكن~~ ذلك
ليس من الغرابة في شيء بل الغريب أن في وسطها مربعاً كبيراً

طينه كاه تجلوب من أرض بيت المقدس (أورشليم) جابته من الشام ٦٦ مركبا من سفائنهم تبركا بتلك الطينة الطيبة ولكي يكون في بلادهم قطعة من الأرض المقدسة تخرج الأزهار والأعشاب الخاصة بتربتها في معدنها الأصلي وقد دعاني الدليل لأخذ شيء من تلك الأزهار على سبيل التذكار

كندسة هجة وقد رأيت أيضا بيعة صغيرة على حافة النهر لا يشعلها عن الماء شيء وهي في غاية الإبداع والجمال مبنية بقطع صغيرة من المرمر المختلف الألوان على شكل معجب وأسلوب جميل وأغرب ما فيها أن سقفها من الداخل يشبه السقف المصري العربية القديمة من حيث التطعيم بالخشب والابنوس والتلقيم بالصدف والعاج ولكنه ليس كذلك بل كانه من الحجر المركب مع بعضه على شكل الفص والفسيفساء فله منظر جميل بهيج يزيد في محاسن المنتزه الكائن على الضفة الأخرى من النهر وهو في غاية الحسن

أحسن بيثة وبودي أن أختم هذه الرسالة بذكر شيء من الجمال في بيثة فلا شك عندي انه كان أكبر شفيح لنوالها الحرية والامان من ملونه تونس أيام كانت خاضعة لهم ولا يمنعني من الأفاضة في هذا الموضوع سوى خوفا من أن تتناول على ألسنة السوء ولكني

أقطعها واستريح منها حتى لا تبقى لي بالمرصاد، فيما ربما ينساق
إليه الحديث في غير هذه المدينة مما لا يرى الكاتب بدا من ذكره
من باب الإحاطة ليس إلا فقد كان مروري عليها وقت الظهيرة
وقت القبولة وقت اشتداد الحرارة ومع ذلك رأيت الغايات
الرائجات والغادات الغاديات المشوقات المشوقات الهائفات
المهفهفات ذوات القدود والحدود والصدور والنحور والخصور
والشعور . . . وغير ذلك مما ألقى على الشعراء ذوى
الوهم والخيال ليتكفوا بشرح حقيقة الحال



الرسالة السادسة

مدينة جنوة

فراق بيشة ووصف الانفاق
لم أبارح مدينة من إيطاليا وفي جوانحي من الالهف عليها والشغف بها مثل ما حصل لي في بيشة حتى ان قلبي قد طغى على وودان لا يتكلم الا عليها ولم يكن في وسعي سوى مفارقتها ولساني يكرر على جذاني ما في وطابه من قليل الاشعار الخاصة بالغزل والنسيب والغرام والتشبيب ولكن أين ذلك كله مما كنت أشعر به ومما زاد توجعي على مفارقة محاسنها وأحاسنها أن القطار صار يسير بين الجبال وعلى حافة البحر بالتمام فبينما هو يجري تحت الجبل وفي ظلام حالك اذ ترى نوافذ منقورة في الصخر الذي يحيط بك من الجهات الست ترسل النور الى النفق والامواج الى جسر السكة والطمانينة والسكينة الى الباخرة ومن فيها فتجد فيها وفيهم عوامل القوة وتدب روح النشاط

ثم استمر الامر على هذا النهج نخرج من نفق فندخل في نفق يوصلنا الى ثالث يتبعه آخر فآخر وهكذا والمسافة بين كل واحد والذي يليه قدر الدقيقة أو أقل ترى الواور يقترب فيها من الطود الشاخر اقترابا شديدا حتى كأنه يستند عليه أو يأوي اليه ليصممه من الانزلاق في بحر الروم ولكنه متى دخل النفق

يجل السير واندفع بسرعة كانه نجاة من خطر لاقل منه أولشجاعة
أوجدتها فيه العادة بل . . . في المسافر الذي مر تحت كثير
من الاتفاق فما بقي يعبا بها أو يسأل عنها فضلا عن أن أرضها
مهدة مطهنة وليست منحدره كما في جنوبي ايطاليا والخاصة أتنا
وصلنا جنوة ونزلنا بها لتفرج عليها أولا ثم على مظاهر الاحتفال
الذي سيقام بها احياء لذكرى أحد بنينا وهو المخلد الذكر
كرستوف كولمب مكتشف قارة أمريكا

هذه المدينة تسمى جنوا (Genova) في لغة أهلها وحين (Gènes) اسم جنوة
عند الفرنسيين وورد اسمها كما رسمته في كتب الجغرافية العربية
القديمة وان كان أبناء العرب في هذا الزمان يكتبونها جنوا
أو جنوى وكثيرا ما كان اسمها موجبا للخلط بينها وبين مدينة
جنيف (Genève) في سويسرة عند بعض الذين لم يعتادوا التحقيق
والبحث بالتدقيق أما الذين وقفوا على الفرق وعرفوا وجوب التمييز
فيسمون الثانية (أى مدينة سويسرة) جنيفة أو جنيفا ولكنها
وردت في كتابه الشريف الادريسي هكذا (جنبرة) وسأين لك
تعليل هذه التسمية وكثير من أمثالها بالتفصيل في الرحلة ان شاء الله

لما منظرها ففي غاية البهجة والجمال ولا أقول مثل كتاب الافرنج منظر جنوة
أو الذين حذوا حذوهم من أبناء العرب انها على شكل نعل الفرس

أوحدهوته بل أقول انها كالنون وجوفها هوجونها ومتى خيم الليل ترى هذه النون ساطعة كالهلال بل تتلاقى من طرفيها بأضواء السفائن الراسية فيها فتكون كحلقة مفرغة قد ملئت من الانوار ثم ألقى بها في تيار البحار ولا يقرب من مشابهتها فما أعلم سوى مدينة دمياط في أيام الزينة والمواسم الكبيرة

ولما أصبح الصباح صباح نزلنا من نزلنا واتخذنا دليلا لنا (من الشبان) فشهدنا عظمة المعدات وجمال الاحتفال الذي سيكون لمن جعل العالم نوأمين وبلغنا أن الاسطول البريطاني بعد أن رسا قبل غيره على مقربة من المدينة أفلح على نية الرجوع قبل الاجل المضروب ولم يكن في المينا سوى ثلاث مراكب طليمانية وواحدة هولندية فوطنا النفس على زيارتها في عصر النهار

ثم طفنا المدينة صاعدين هابطين وشاهدنا حصونها وأبراجها وآثارها ومناخرها ثم دخلنا دار البلدية فأنستنا نظيرتها في الاسكندرية فان كل غرفة من غرفها وكل قاعة من قاعاتها مفروشة بالاثاث الفاخر ومزينة بالنقوش الاصلية البالغة في الاتقان وفيها من التماثيل والرسوم والابسطة والستائر والموائد والمعدات ما يجعلها أشبه بديار التحف منها بديار الادارة والسياسة ورأيت في احدى قاعاتها تماثيل كرسنوف كولب وتحت التماثيل صندوق من

براهين
الوطنية
في أوروبا

المهرم مغلق منيح فيه كتابات الرجل ورسائله التي كتبها بخط
يده لكنهم لا جمل أن لا يحرموا الناس من مشاهدتها وقراءتها
أخذوا صويفها بالفوتوغراف وعرضوها على الانتظار تحت ألواح
من الزجاج ثم انك ترى صور وقائعه وأسفاره واكتشافاته وكل
ما قامه في آخر أيامه مصورا محفوظا فيها بحيث انك بمجرد
الاطلاع عليها تعرف تاريخه وماجراته عن ظهر قلب وفي دار
البلدية المذكورة غير ذلك من تماثيل العظماء مما لا أرى حاجة
للإكلام عليه الآن غير أني أقول ان القصر الفاخر الذي هي فيه
كان ملكا لأحدى العائلات الكبيرة فتنازلت عنه لها وعلى
ذكر ذلك أقول أيضا ان أعظم منزله في وسط البلد كان لعائلة
غنية أخرى فتنازلت عنه للبلدية وهي جعلته منزلا للعامية
ومرني لبعض الاطيار الغريبة والازهار النادرة ومتحفا للتاريخ
الطبيعي ولقد بلغني أن إحدى السيدات تبرعت للمدينة أيام
حروبها ببغايا يوازي ٢٠٠٠٠ فرنك لتعزيز الحصون وتقوية
القلاع والمحافظة على أكبر أبواب المدينة فأقامت لها البلدية
بعد موتها التماثيل والانصاب اقرارا بفضلها على وطنها وأشهارا
لحبها لقومها وعلى ذكر ذلك أقول وأقول وأعيد وأعيد ما استراه
مفصلا في الرحلة وان غدا الناظره قريب

غير أني أسألك كلمة واحدة ثم أنتقل من هذا الموضوع وذلك
أنى قرأت تواريخ بلادى ووقفت على وقائع قومي وتحسرت لما
رأيت أنى لا تذكر شيئا يشبه ذلك أو يقرب منه فان كان على
بالك أمر من هذا القبيل أو أقل منه يقليل فانى أناشدك الوطنية
الاما أتخفتنى به لتزول عنى الغصبة وليكون فى تذكير القوم به
أعظم اسوة

المصامه
والطربوش
فى أوروبا

هل أحدثك بحديث العمامة والطربوش فى أكبر كنائس
هذه المدينة فانه يدل على أنه لم يزرها أحد قبلنا بشكنا وان
قسوسها لم يبرحوا قط منها . دخلنا هذه الكنيسة وقلنا لسائق
العربة ينتظرنا ولكنه لما رآنا دخلنا من الباب ولم نرفع عمائرنا
(العمارة فى اللغة كل ما يوضع على الرأس من طربوش وعمة وطرطور
وبرطول وقلنسوة الخ ونقابها بالفرنسوية لفظة Couver-chef
و Coiffure) أشار الينا باتباع هذه السنة فلم ألتفت اليه ولما
دخلنا بهنا الدليل الى ذلك فأضفت جهله الى جهل السائق
وأفهمته أن ذلك غير لائق وبعد خطوتين جاء الحارس يتبخر فى
ملبوسه الارجوانى وأزراره النحاسية ويتوسكأ على صوبلحانه
وقال لنا لا بد من كشف الرأس احتراماً للعبد الكاثولىكى فأفهمته
أن هذه عادتنا فى بلادنا فذهب وأحضر لنا شماساً أوشكت أن

أقنعه ولكن رأنا المطران فأقبل إلينا ووافق على ملاحظات
أوائك فقلت له ياسيدي اتنا والله الحمد نعرف واجب الادب في
كل مقا ونعتبر كشف الرأس اخلايا بالا-ترام فلاندخل قط على
عظيم أوفى مسجد الاورؤسنا ،مغطاة ولا شك أنه سيقدم اليكم
كثير من أمثالنا بناس-بة الاحتفال بمهرجان كرس-نوف كولمب
وكلهم يصنعون صنعنا

فأظهر الاقتناع ثم قال لي سلمنا بذلك لرفيقك فان شكاه شرقى
قع وأما أنت فأنك بالملابس الاوروية-ة وحيث انك قد اخترت
ملبوس الافرنج على ملبوس بلادك فافتد بالافرنج في نزع القبعة
قلت له كاذ فها هو الشكل الرسمي في بلادنا وهذا الذى على
رأسى ايس بقبعة-ة وقد زرنا قبل الآن كثيرا من الكنائس
وأهمها كنيسة مار بطرس برومة خيانا رهبانها وأكرموا مثوانا
وكلونا بالعربية-ة وأطاونونا على ذخائرنا ونفائسها وفرجوننا على
الاعمدة الرخامية التى أرسلها اليها ساكن الجنان أفندينا محمد على
باشا حينما احترقت وساعد ملك الارض على اقامتها وحينئذ
اقتنع تماما وقال للبحارس يطلعنا على ما عندهم من الذخائر القديمة
الصحيحة من سلاسل وأخشاب وغير ذلك مما لا يحتمل المقام
تفصيله .

الضرر في ثم خرجت من الكنيسة وفي نفس غصة من ما يوسى هذا الذي
تخاد الملابس الافرنجية ترتب على اتخاذه في بلادنا إمامة كثير من صنائعنا وصناعنا
واحياء بعض صناعات الافرنج السريعة العطب ومساعدة التجارة
الاجنبية على انتزاف ما بقى لنا من قليل الثروة فضلا عن أن
الحذاء الافرنجي يوجب في الارجل سقاما قد تكون سببا في
نكد العيش ومرارة الحياة اما البنطلون المحزق والصديري المضيق
والسترة أو الحكته أو السالك والرديجوت أو السموكن أو الفرانك
والقميص المكوي ورباط الرقبة المألوي وغير ذلك من الازياء
والانواع فانها ليست موافقة لطبيعة الاقليم في بلادنا بالمره وأما
الطربوش فليس فيه من مزية سوى حبس الهواء فوق المخ وعدم
تمكينه من الخروج لاحتياك أطرافه على الرأس فهو أجود وأنفع
في البلاد الباردة وليس وراه الا الضرر في البلاد الحارة وأما العمامة
وخصوصا اذا كانت مقرونة بالعذبة فانها مفيدة جدا للصحة تمنع
تأثير الشمس وأوارها عن الوجه وعمامته من الخلف خصوصا
وأن البياض أوفق الملابس في البلاد الحارة ومن جهة أخرى
فان عرب مرا كش لا يزالون الى الآن (وهم على ما هم عليه
من التمسك بالاسلام) يلبسون على ما بلغنى شيئا شديدا بالقبعة له
حواف تمنع وهج الشمس عن الوجه وعن نقيضه

هذه ملحوظات عننت لي إثر دخولي الكبيسة وقد كان شئ
شبيه بها دار في رأسي حينما رأيت ان الملبوس الشرقي أجلب
للانتظار (كما وقع في نابولي وغيرها) فكنت أود أن أكون
معا كلا لرفيقي بعمامة وقفطان وجببة مرخاة الاردان ولا أبقى
على هذه الحالة التي اختارها أهل بلادنا فكانوا أشبهه بالغراب
أراد أن يتشبهه بمشيمة طائر جميل (هو الطاووس أو غيره) فلم
يتمكن من التقليد ونسى سيرة القديم - لكن الطربوش
والحق يقال جعل لي في أوروبا مزايا كثيرة منها ان القوم
صكوا نوايف سخون لي في كل مكان واذا أقبلت على حانوت قابلوني
بالبشاشة والاكرام ولا بد أن يكون السبب في ذلك أن بعض
أغنيانا وكبرائنا يتوجهون بشكل مثل شكلي وينفقون
الدرهم والدينار من غير حساب يأخذون ما حصلوا عليه في بلادهم
بأية الوسائط وينفقونه في أوروبا من غير فائدة لهم ولا لأوطانهم
بل في قضاء أوطار باطلة وخلاعات زائلة تبقى بعدها حسرات
متواصلة والشواهد أكثر من أن تعد واني لأشكرهم مطلقا على
كونهم جعلوا أهل التجارة يرحبون بي ويوسعون لي مقاما محمودا
بل كان أولى لهم ثم أولى لهم أن يتخيروا الصرف في نفس بلادهم

بما هو أفضل لهم وأجدى لوطنهم كما رأينا في مدائن أوروبا -
هذا موضوع يدوخ منه رأس الكاتب والقارئ فأتركه لغيري
وأريح منه نفسي

ولما كانت مدينة بجنوة متفردة على غيرها باصطناع الشفتى
توجهنا الى أحد المعامل ورأينا كيفية الاصطناع من أولها الى
آخرها من أخذ الفضة وهي كتلة قاعة واصطناعها أسلاكاً
مختلفة في الحجم تتراكب مع بعضها بجميع الأشكال مما يندس
له العقل خصوصاً وان القائمين بها أطفال وطفلات تحت إدارة
معلمين ومعلمات وسأكتب عليهم بالتفصيل عند التيسير -

معامل
الشفثى

ولما خرجنا من العمل تلاقينا بغتة برجل لابس طربوشاً فوق
ووقفنا ثم تبادلنا التحية بالعربية وحصل لنا برؤيته فرح كثير إذ
لم نصادف أحداً من أبناء الشرق من يوم خروجنا من الاسكندرية
الى ٢٥ أغسطس يوم وجودنا بجنوة ثم عرفنا انه السيد محمد بن عبد
الغنى وكيل سلطان مراكش في ايطاليا وأراد أن يستضيفنا فاعتذرنا
لان الوقت لا يساعدهنا وبعد ذلك أردنا ان نزور المسائن البحرية
فأخذنا زورفاً كانت الامواج تصدهم والتيار يمنعهم الى أن أقررنا
بوجوب الرجوع وسلينا النفس باننا سنجد في انكلترا ما هو أعظم
وأكمل وكل الصيد في جوف الفرا

توروية
سلم باوروا

الرسالة السابعة

من تورينو الى مودان الى باريس

فأرقت جنوة وأنا معجب بنشاط أهلها ووطنيتهم وغريب ^{فراق جنوة} وقسرايتها ^{وقسرايتها}.
أقدامهم حتى لقد رأيتهم يزحفون الصخور ويقمون مكانها
القصور ويصعدون الى أعالي الجبل فيبنون المساكن الأنيقة والدور
الرشيقة ولقد أطلت التفكير في زخرفتهم حتى لقرافتهم التي فاقت
كل ما رأيت في غير مدنتهم بأبداع الثماثيل وكثرة العناية بحيث أنها
تعد من أحسن منازلهم وأنظفها وأجملها ولا يصح للسائح ان
لا يزورها وقد رأيت بعض العائلات تقيم لمن يتوفى من أفرادها
أثرا جليلا من المرمر الناصع بالتمثيل المحكم والانتقان التام مما
يكلفها ١٠٠٠٠٠ فرنك قنارلا واعنت البلدية بتنظيمها على هذا
النسق المعجب وقسمتها أقساما بقدر اللحد تبعها لمن يريد وهي
تتكلف بتشييد القبور واقامة الانصاب لمشاهير المدينة قديما
وحديثا

وكانت جنوة أول مدينة شعرت فيها بالبرد الخفيف وفيها
تنازل الغيث علينا مدرارا ثم قمنا منها قاصدين باريس ولكنا
التقينا في القطار برجل من أهل تورينو أشار علينا بشطر الطريق

نصفين حتى لا تفوتنا الفرصة من مشاهدة هذه المدينة الفاتحة التي
تسمى في كتب قدماء العرب طرون وطرونة واطرونة وحتى
لانتعب من طول الطريق

منظر توريينو فعملنا بنصيحته وكنا أرسلنا متاعنا الى باريس مباشرة فدخلنا
المدينة وقد أرخى الليل سداله وجر الظلام أذياله فرأينا شرارها
أنيقة تضيء الكهربائية أرجاءها فتساعد على زيادة جمال المباني
الفخيمة التي تحف بها وأمضينا بقية الليلة بثياب النهار حتى إذا أصبح
الصباح (وانتشر نور دولاخ وأشرقت الشمس على جميع البطاح
وانتعثت بنورها الارواح الخ قافية الحاء) قنا من الفندق وطلبنا
من البواب أن يهفنا بدليل من أولى الابواب فاحضر لنا (١)
(دليل عجوز) شيخا يقاد رجا درديسا مع كونه أنما دحدا جعوسا أصعل أصلع سلنطع
أصع سمع وله جفن أمرط وحاجب أطرط وجبين أبهق وصدغ أقهت
بآذان مسترخاة وبها أوبار مدلاة يبرز من وجهه أنف فيه الفطس والخنس
وفوقه ثقبان ملووزان كأنهما عينان جا حظتان يعترهما الحوص والحوص من كل
مكان وتحت ذاك الخرطوم مشفر مشوم أحلى ماعيه الهدل وأخف ماعيه الثقل
وهو محشور بنظام نخرة أو أجمار مكسة بحيرة بمثابة الاسنان في بقية بني الانسان
ولكنها بالعقم غيرت وأنواع الثعل فيها تميزت حلق شواربه للتحفيف وزين هذا الوجه

(١) أرجو القارئ قبل أن يوجه الى مهام الانتقاد والملام أن يتفضل ويصبر على
تلاوة هذا الوصف حتى يأتي على آخره ثم ينظر الى القاموس الذي وضعته في آخر هذه
الرسالة من صحيفة ١٧ الى ٨٥ ليعلم دخيلة الامر ويقف على مواطن السر

الإطيف بعارضين كالخفيف وجعل لذقه حلية بإعدام اللحية فصارت حمراء
مستبردة أشبه بشئ في الحمامة بل في القردة. وقد أقبل علينا بهذا المحيا السميم والحلق
الشتيم وهو ساهم من العبوس والهيم يرفع القدم بعد القدم ويدب متمهلا متناقلا من
الهيم فكلمني بحبسة في اللسان ورثة في البيان وأقف مع عقلة وغنمة وحمه
وحكمة وطمطممة فراعني منظره وهالني مخبره وكدت أرد من حيث أتى وأبحث
لى على فنى ما ذللا ثم دلتى من هذا الشيخ الانحس الاتس ذى الظهر المقوس والمطر
المخبس فقد أخلقت حديثه وقبحت نضرتة وأظلم ضياؤه وذهب بهاؤه ونقض
الدهر مرته وأذهب كذته وأكل عليه وشرب ونجسه حتى احدوب قد تكسرت
قواريره وساء مصيره فأصبح كالشيخ الباطل أو اطل الرائل بل العفريت
ذى الرجل المسلوخة أو الغول ذى السحنة المسوخة أو أبو خيشة أو بوغرة
المشهورين فى كل حارة أو «بركة الله والعافية» الذى يخوف به كل علام
أو الجشوم المعروف عند العوام أو البعبع وأبوزبعع أو الخبذع والخباع
والخوام أو العكنكع والكمنكع فمطرت اليه نطر المزدري ولكسى
حرت فى أمرى حينما رأيت به قد ابتقع لونه وأنتقع وأمتقع فدبت فى نفسى حينئذ
عوامل الرأفة والجمال وتحرك عندى عواطف الشفقة والاحسان وقلت
لاشك انه قد ألفتته الحاجة الى إخالق الديباجة ولعل هذا الوحل المستطار
المفقع المدقوع خلفه صبية يتضورون من الجوع الديقوع البرقوع بجاء
يهت لهم على غقة وبراض لتخفيف ما ألم بهم من الضنك والشظب والمضاض
فرئيت حينئذ لحالة هذا المتجع وتمننت عليه فأذهمت عنه الروع وآمنت
خيفته وخفضت جاشه وأنجزته حاجته وأدر كته طلبته

ثم ركبتنا عربة وهو معنا نتفرج على المدينة وما فيها من
الغرائب وكانت كلها تزيد في عيني جمالا واعتدالا وليس الفضل
في ذلك لمنظر صاحبنا فقط بل لانها في الحقيقة تحتوى بعد استكهم
(عاصمة السويد) على أجمل حدائق الدنيا وقد طفنا منازلها
وارتقينا ربواتها وأهم مرتقى صعدنا اليه هو جبل شامخ يكاد
يكون رأسيا عليه أربعة قضبان كشريط السكة الحديدية وفوق
كل اثنين منها عربة عجلائها السفلية كبيرة والعلوية صغيرة جدا
بحيث يكون الجالس على هذه العربة كأنه على الارض المنبسطة
ومتى دق الحارس الجرس الكهربائي صعدت بانتظام من غير أدنى
ارتجاج تجذبها قوة الغاز ثم ترسلها الى مكانها الاول عندما
تجىء الاشارة وسأصف لك هذه الآلة في رحاتي فقد كتبت الى
مخترعها أطلب منه البيان الشافي ولما تسننا ذروة هذه الربوة رأينا
متحنا فيه الحيوانات والاشجار والاعشاب والازهار الخاصة بالقسم
من جبال الالب المجاور للمدينة ثم صعدنا على سطح المتحف فرأينا
النظارات المقربة قد قرئت لنا الجبال حتى كأنها صارت تحت
يدالمناول وقد كل الثلج هاماتها فكانها هربت من طول العهد
إذ ترى السحب فوقها متراكمة على الدوام ولكن سفحها مازالت فيه
قوة الشبيبة والانبات فتراه مجللا بالخلل السندسية البديعة

تم هبطنا عن هذه الربوة وقصدنا متاحف المدينة ولا أذكر منها
الآن إلا القسم المصرى فقد رأيت لهم عناية تامة بحفظ الآثار
التي صرّفوا في جلبها من بلادنا الأبيض الوضاح والأصفر الرنان
ورأيت فيه مجموعة كاملة من ورق البردى المزين بالأشكال
والرسوم الباهية فيها تصوير الأحوال التي تمر على المصرى القديم
من يوم منبته إلى يوم منبته إلى يوم دينونته إلى يوم مستقره (في جنة
أوجهنم) ثم نزلنا تحت الأرض في قاعات طويلة فيها الآثار
المصرية الضخمة كالمسلة وصورة لابي الهول وهي في غاية الجمال
وإني لأعجب كيف يصح إطلاق لفظ أبى الهول على هذا التمثال
الذى وجهه وجه غارة حبشية مفرطة في الملاححة اللهم إلا أن
يقال إن حسنه يهول من يراه كما يقال في لغتنا الواسعة (لهذه
الذئابة محاسن رائعة) ولولم يكن التمثال الهائل الذى بجانب الأهرام
ما كان هذا التعبير يصح فى الأذهان ولكن قد كان ما كان فالاجدر
بنأن نحمل هوله على ما به من فرط الحسن وصبوحة الحميا
ثم خرجنا من هذا المتحف إلى غيره مما فى المدينة فشهدنا
أسواقها عامرة وحواريها مشحونة بأصناف البضائع ثم إن الفاكهة
فيها بعل فى كل ايطاليا من أجود ما يكون حتى انى رأيت
البرقوق فيها بحجم الكثرى بحيث لا يصح أن نسمى نظيره فى

بلادنا الا بالفظه بريقيق (بالتصغير) ثم خرجنا منها قاصدين بلاد
« فرانسفة الغراء » فسار القطار تجره باخرة من الامام وتدفعه
أخرى من الخلف لان الارض كانت آخذة في الارتفاع

نقق جبل
سيس

وقبل أن نصل الى مدينة مودان الفاصلة بين تخوم فرنسا
وايطاليا دخلنا نذقا منقورا في جبل يناطح السحاب فداخلى
منه خوف شديد ورعب زائد فاخرجت الساعة بنوع من
الاهام لكثرة فزعى من هذه الكتلة المتناهية في الجسامفة
والضخامة التى ستكون فوقنا وقد كنت أحسب نفسى قد
تعوتت على السير فى الاتفاق فاذا الامر ليس كذلك لان
القطار صار يسير ويتعثر فى مشيته ثم يحقف من وطأته ثم يستريح
ثم يصفر ثم يتهد ثم ينحدر فيكتم نفسه خوفا من الانزلاق على
المنحدر وينتقل على قضبان توشك ان تكون مخرسة لحفظه من
السقوط وقد استطال السير حتى كادت النفوس تنهق من انحصار
الهواء ومن الرعب الشديد الذى قد تضاعف بمرور باخرة أخرى
بجانبا ما لبثت ان بارحنا وتركت باخرتنا كالفرس أجهدها الضنى
وحضرتها ساعة الوفاة ومع ذلك لايرجها الفارس بل ينحسها
ويستنزف ما بقى فيها من حول وقوة (ولاحول ولاقوة) وكنت
وأنا تحت هذا الجبل المتعالى أخشى أن يسقط حجرواحد منه

فبينهار ويروح القطار شهيد هذا الدمار الذي ليس بعده دمار
وكنت أخشى أن يصح على السائق نص الحديث النبوي
(لأرضاً قطع ولاظهوراً أبقى) وكان الطل متساقطاً والنور في العربة
أسفرباهنا (مثل فانوس اللصوص) فتوسلت الى الله جل شأنه
أن يهبني لنا الخروج من هوة الظلمات الى فضاء النور فتقبل
الدعاء وأنعش أرواحنا بالضياء وليس هذا الوصف الحقيقياً
بجانب الحقيقة على الاطلاق وان لم تصدقني فتعال ايطاليا ومر
بهذا النفق (ولاتنس بيثثة) فانك ستعصى به ان شاء الله تعالى
أكثر من نصف ساعة وتري أكثر مما جاء في هذا البيان وليس
الخبير كالعيان

واقدم اعترفت حينئذ بصدق من قال ان الحوادث تمر على
الانسان ثم ينساها حتى كأن لم يكن منها ما كان وانه عرضة للنسيان
في كل زمان ومكان فاني بعد الخروج من هذا المسلك الحرج
افتكرت اني نسيت أمراً خطيراً وذلك اني خرجت من ايطاليا
ولم أتناول شيئاً من المكرونة أو المعكرونة أو المقرونة (طعامها
المشهور) حتى وددت لو رجعت اليها لاكل منها بالارطال أو بالامتار
(فقد بلغني وأنا بمصر انها تؤكل في بعض النواحي من هذه البلاد
بالامتار) ولكن هيئات هيئات رد مافات خصوصاً وقد خشيت

عودة المرور من ذلك الطريق في النفق المضيق ومع ذلك فقد سهل
الامر لاننى تذكرت حينئذ الجران بار (أرجوك السماح فان
المقرونة مقرونة فيه بالاتقان)

صف جنوب
فرنسا
ولما وصلنا الى مودان نزل الركب يهني بعضهم بعضا على
السلامة من ذلك الجبل المريع واستنشقنا حينئذ هواء فرنسا
وقد كانت رئاتنا فى احتياج اليه وتسلمنا عمال السكة الحديدية
الفرنسوية ثم سار بنا القطار بين جبال شامخة شماء يشقق من
أعالها الماء فيكون غدراننا وانهارا تنساب بجانب الوابور وتحت
بمنظر رائع جميل والهواء صاف عليل يروح النفس ويرد اليها
الحياة ولا أعلم لماذا اعترتني هزة الفرح ونشوة السرور وأنا أمر
بينها معجبا بهذه المحاسن الطبيعية وقد رأيت فى بعض حقولها
وفى بعض مزارع ايطاليا شادوفنا المصرى بالتمام ولولا وجود
الجبال وكون الذى يسقى الارض بالشادوف لابس القبة
والبنطلون لظننت انى فى أرباب مصر أشاهد فلاحنا المعهود

وستان بين ملاقيته فى جنوب ايطاليا مما قبض الصدر
وضيق على التلب وبين ماشاهدته فى جنوب فرنسا مما يسر
الخطير ويقر الناظر . أما المداين التى مررنا عليها فى جنوب
فرنسا فانما هى قرى خلوية ايس فيها شئ من الجمال الذى رأيناه

في مدن ايطاليا وكنت عند كل محطة أسمع القوم وخصوصا النساء يملأون الافواه عند النطق باسم باريس فيقلن (باري والا كثر يا عي بغنة ومدة فيها الترخيم الرخيم) ثم أقبل الليل فشددت حلقة في أعلى الكرسي فانقلب سريرا بل فراشا وثيرا فمت متوكلا على الله ولسان حالي يكرر ما يقوله المصريون (على قلبها لطيلون) وبعد ١٩ ساعة قضاها الوابور في السير الحديث وصلنا مدينة باريس.

وقبل أن أنتقل الى الكلام على هذه المدينة الحسناء أرى من الواجب على أن أوفي بوعد قد أخذته على نفسي وهو ذكر ما ألقىه من عمال كوك فاني لا يسعني الا أن أوفيهم هنا حقه من الثناء فقد قاموا بخدمة في جميع المدن التي نزلنا بها أحسن قيام وساعدونا في كل طلباتنا فوق المرام وأمدونا بجميع أنواع التسهيلات والايضاحات خصوصا في فلورنسة وتورينو حتى محوا الهفوة التي وقعت بيرندزي فله در كوك أحسن الله مثواه بقدر احسانه الى نفسه والى العالم كله

القاموس

اعما اخترت هذا الوصف الكريه لزيادة التكريه في بيان التشويه ولزيادة التفسير فيه حتى يشترك القارئ في جميع عواطفه وتتجسم له الحقيقة كما ينبغي وكما ينبغي وهناك ملحوظ أهم وأدق أن يبدأ أسسلفت اليه الانظار من أرباب

الاقلام والافكار وهو أننى أكره طريقة الكتابة بمثل ما نحوته في وصف ذلك
الرجل ونفورى منها أشد ولا شك من نفور القارئ منى عند مروره على ذلك الفصل
ولكننى أرجوه بناء على ذلك أن يمنع ويمتنع عن اتخاذ مثل هذا الأسلوب المعيب في
كتابه حتى لا تكون مثل ما أقدمت عليه كثيرة الالفاظ فارغة المعنى مشحونة بالحشو
مزدانة باللغو مشمولة بالعشانة مصحوبة بالرئاسة فان هذا الأسلوب المغيض
الخلف الفاسد النسيج السخيف التركيب فيه من البشاعة والشاعة ما يجعله
منهجهما لفظا مذموما مردودا ولا عروا أن التكلف والتصنع في التقيب في قعر
القاموس عن الالفاظ المستنقرة المستغربة المتوعرة المتقعرة «المجرفة» لا يكون
فيه أدنى دليل على العلم باصول اللغة والتبحر فيها بل هو دليل على سخافة ذلك المتكلف
المتصنع وجهالته وحماقته بل هو برهان قوى على ما عبر عنه العوام بالتقور والخنثوية
ونحس اليرم في عصر تعرف فيه قيمة الوقت فيا حبذا لو نطقن الابداء الى تخير الالفاظ
اللائقة وجهالهاى خدمة الامانى المطلوب التعبير عنها لا كما يفعل البعض (وخصوصا
أهل السجع) من جعل المعنى أسير اللفظ يجرى حيثما رآه لا حيثما أراد المنشى ولقد
تنبه الى ذلك نفس أئمة الاثناء فقال أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥
في كتاب الصواعق «وقد غلب الجهل على قوم فصاروا لا يستجيدون الكلام اذا لم
يقفوا على معناه بكده ويستفصونه اذا وجدوا ألفاظه كزغليظة وجائئة
غريبة فلا خير في المعانى اذا استكرهت قهرا وفي الالفاظ اذا
جرت قسرا» وقال ابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧ في المثل السائر «ان أرباب النظم
والنثر غر بلوا اللغة باعتبار الالفاظها وسروا وقسموا فاختروا الحسن من الالفاظ
فأستعملوه ونفوا القبيح فلم يستعملوه» فلما عرفوا السهل السلس المستجاد منها قالوا
بوجوب اعتباره واستعماله وأبقوا الباقي في أمهات اللغة وبطونها الرجوع اليها
بقصد تعرف كلام الاعراب في بواديهم وتفهم مقاصدهم ليس الا = هذا ولولا أننى
أردت ان القارئ يستهجن هذا الأسلوب يجيب حواسه لما سمحت لنفسى بالاعتماد
على هذه الالفاظ التى يترتب على عدم معرفتها اضاءة الوقت سدى ولذلك أضفت
هذا القاموس تلافيا للضرر وبعض الشرا هون من بعض

الالف

الانين = الكثير الانين وهو التأقوه من الالم

الباء

البراض = القليل الرهيد اليسير

ابقع = (انظر امتقع)

الابوق = ذوالبياض الرقيق في ظاهر البشرة

التاء

الاتعس = المنووم المنحوس

الشاء

الثعل = تراكب الاسنان على بعضها

الجيم

جوظ العين = عظمة المقلبة وروزها

الجدة = ضد البلى

الجعسوس والجعشوش = القصير الدميم

مَجْبِرٌ = صار مثل الجبر والجبر خطأ صوابه الحيار واسمه عبدالعرب
الصاروج أيضا واليكس بماء معرب عن اللمت الافرنجية

الحاء

الْحُسَّة = تعذر الكلام عند ارادته

أَحْدُودٌ = احقوقف أى اعوج كظهر العبير بمعنى حرج ظهره ودحل
صدره وبطنه

الْحُكْلَةُ = نقصان آلة النطق حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال

الْحَوْص = ضيق مؤخر العين حتى كأنها خيبت

الخاء

الْخَرْطُوم = الأنف

الْخَلْق = الفطرة

أَخْلَقَ = بلى وتعالى واضمحلت وتلاشى

إِخْلَاقُ الدِّيَابِجَةِ = الاطلاع على دخيلة الامر الذى يستكف من كشفه

فهو يدل ماء الوحش في السؤال على التشبيه بقولهم
«أخلق الثوب»

الْمُخْتَبِسُ = لفظ اشتقاقه اصغر وورد السجع البارد من قولهم «الخبابس» بمعنى

الذكر به المنظر والرجل الصمغ تعلو كرده أى قصر

الْبَدَنَسُ = تأخر الالف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الازنية

الْحَنِيفُ = أبدأ الكان البالي

الْحَنِيئَةُ = أن يشرب الحرف صوت الحشوم بشدة

الْحَوْضُ = عوور العين مع الضيق

الذال

الذبياجة = الوجه

الذَّحَّاحُ والذَّحْدَحَةُ والذَّحْدَاحُ والذَّحْدَاحَةُ
والذُّطَّاحُ والذَّحِيدِحَةُ والذُّوُّدَحُ
القصير والمستدير الملمم

الذَّرْدِيَّاسُ = الداهية والشيخ والعجوز العانية كأنه من الدروس

الذَّرْدِيحُ = الشيخ الهم

الذَّقْوَعُ = الرجل يذل في فتره حتى ياصق بالدعاء وهي التراب

الذَّبِقْوَعُ = الجوع الشديد كقوله (جوعٌ يَصْدَعُ مِنْهُ الرَّأْسُ دِبِقْوَعٌ)

الذَّبِيمُ = الفبيج

الراء

الرَّئَةُ = تمنع أول الكلام فإذا جاء تى منه انفصل

(٦ - رسايل)

الْبَرْقُوعُ = الجوع الشديد

السين

الاسلَعُ = دوسلة أى شجة وسلع الرجل صار أبرص

السَّانِطُ = المتعته فى كلامه كالجمون

السَّامِعُ = الرجل الصغير الرأس والمراد السكالحة فى وجه الانسان المولولة فى أثره

السَّاهِمُ = الصامر المتعبر

الشين

الشَّجَّاطُ = الهباء

الشَّتْمُ = الكريه الوجه

الشَّظْفُ = الضيق والشدة والبؤس ويُبس العيش

المُشْفَرُ = ذفة البعير وقد يستعمل للخيل والناس

الصاد

أصعل = دقيق الرأس والعنق

أصلع = الذى انحسر شعر مقدم رأسه

الضاد

الضنك = الضيق من كل شئ يقال للمذكر والمؤنث مثلا « عشة ضنك »

قَضُورٌ = تلوى من وجع الجوع
الطاء

الاطرط = الخفيف شعر الماجين
الطَّامَّة = كون الكلام شديها بكلام العجم
المُستطار = المذمور

العين

العُقْلَة = التواء اللسان عند ارادة الكلام

الغين

الغَفَّة = البلغة من العيش

الغَمَّمة = أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف

الفاء

الفَطَس = نظامن قصبه الانف وان تشارها أو نقر اش الانف في الوجه

الفَقَع = الذى تناهى سوء حاله في الفقر

الفَقَم = بروز الشنايا العليا من الاسنان الى الخارج فلا تقع على السفلى

القاف

الاقهب = الذى فيه حمرة فيها غبرة وكدورة

الكاف

الكِدْنة = النحيم واللحم

اللام

أَلْفَجِ الرجل = أفلس ودعب ماله ولرق بالارض من كرب أو حاجة اضطرر للالتجاء
الى غير أهله وذهب فؤاد فرفأ وذلا

اللَّفَف = ادخال حرف في حرف

مَلَوَّزَان = يقال ذلك للعينين المشقوقتين مثل اللوز

الميم

المِرَّة = قوَّة الحلق وشده ونقض الدهر مرته بمعنى أزالها وأعدمها

الامرط = ذو الشعر المتوف الساقط

المُضاض = الماء لا يطاق ملوحة ووجع بصيب الانسان في العين

أَمْتُقِع = (على بناء المجهول) تعير لونه واختطف من خزن أو فرغ أوربية

وكذلك أَمْتُقِع وَاَمْتُقِع وَاَمْتُقِع بالميم أجود

النون

المنجج = الذي يقصدك طبا المعروفات

الإفحس = الكثير الشؤم

تَحَلَّ = صار ناعلاً هزياً لاضئياً

اتَّقَع = (انظر امتقع)

الماء

الهدل = استرخاء الشيء أو المشفر

الهرم = بلوع أقصى الكبر

الواد

الوجل = الكثير الخوف

الياء

اليقن = الشج الكير الطاعن في السن

ذيل اقاموس

أكل الدهر عليه وشرب = اشارة الى استهانة الدهر به ونكايته به

تكسرت قواريره = اشارة الى ان عظامه صارت كالرجاج وقد تكسر
العفريت وأبورجل مسلوخة والغول } كلها أسماء خرافية خيالية
وأبوغزارة وأبوخيثة و «بركة الله والعافية» } يتخذها الامهات وبعض
والبحشوم وأبوزبعع والبعبع والخيدع } العوام لتخويف الاطفال
والخلواع والخليع والعكنكع والكعكنكع } فتترى فيهم ملكة الجن
والهلع وبئست العادة

الرسالة الثامنة

باريس

(الانهار من)
(رؤية باريس)
هذه باريس تحفة الدنيا ونزهة العالم وزهرة الكون . هذه
باريس جنة الجنائن ومدينة المدائن وعاصمة العواصم . هذه
باريس منبع البهاء والمحاسن ومرتع الأطباء الاحسن . هذه
باريس تمثل الفخامة والجلال وتخص الخفة والرقة والجمال .
هذه باريس معدن العلوم ومركز دائرة العرفان في هذا الزمان .
هذه باريس التي مهـما بالغت في الوصف والمقال فاني بعيد
عن حقيقة الحال بعيدا ليس له مثال ولا يكاد يخطر على بال
فليس لي حينئذ الا الاككتفاء بانها فردوس الافراديس

بل هي هي باريس

قدمت اليها في بكرة النهار (من يوم ٢٧ أغسطس) ورأيت
فيها من الحركة والنشاط ما هالني وراعني والزمني الاقرار بالعجز
عن التعبير والحيرة في التحرير فكيف يتسنى لي أن أوافيكم يا قوم
بما شاهدته فيها من التناهي والبلوغ الى غايات الكمال في كل
موضوع وباب وانى اذا أرخيت للفكر العنان ومكنت القلم
من الجولان في أى ميدان أملى عليكم ما يلا الاوراق ويدهش

القرءا ~~وا~~كنى أؤجـل التلخيص الى عودتى اليها بعد اتمام
المأمورية والتنقل فى بعض مدائن الانكليزلكى تكون كتابتى
عليها عن تحقيق وتدقيق فانها تملك فؤادى واستوات على لى
حتى انى فارقتها مضطرا بعد ما قضيت بها يومين وما قضيت منها
وطرا موطننا النفس على الرجوع اليها واستجلاء مشاهدنا
ومعاهدنا . وهل تكثفون بذلك منى الآن أم تريدون
أن أوافيكم بعجالة فيها نبأ له شان

أريد أن أنسلكم على أحسن نصف فى بنى الانسان أهمية المرأة
ولكنى أخاف اللوام فاسمعوا الى بالله عليكم هذه المرة ^{في الوجود} معاودة
الكلام على المرأة وأعدكم أنى لأعود وما عهدتوني انتقض
العهود ~~وك~~كيف ألام على الدخول فى هذا الموضوع الحرج
الواسع وقد كان للمرأة ولا يزال لها الشأن الاول واليد الطولى فى
الانقلابات الدولية والنظامات السياسية والترتيبات الدينية بل فى
كل شأن من شؤون العمران وفى كل عمل من أعمال الانسان فانا
اذا صرفنا النظر عن أم الامهات وتصفحنا التاريخ العام وجدنا
لها أثرا ظاهرا وعملا معروفا فى كل الاديان التى نزل بها الوحي
أوزينها الوهم واخترعها الخيال وهذه الاشارة الوجيزة تكفى من له
أقل اطلاع

ثم اذا نظرنا بوجه الاجمال الى تاريخ القدماء من مصريين
وأشوريين ويونانيين ورومانيين وغيرهم وجدنا المرأة هي دون
سواها سبب التقدم والارتقاء أو علة التدهور والانحطاط وعلى يدها
تم تشييد الدول العظيمة أو تهديد سطوتها ومحو أثرها من الوجود
وطالما اشتبك القتال وتفانى الأبطال لأجل امرأة واحدة، وكذلك
الحال في تاريخ الامم الحديثة حتى قال بعض العلماء اذا أراد
الله أن يقضى خيرا على الارض قىض له امرأة فكانت الوسيلة الى
اجرائه واذا أراد الشيطان أن يقضى شرا توصل اليه أيضا بامرأة
هذا أمر كان وكائن ويكون الى يوم تحشرون وانى أذ كر لكم
ما يحضرنى الآن من الشواهد مثال ذلك دلو كذا العجوز في التاريخ
المصرى القديم والمرأة التي كانت سببا في حروب مروادة الشهيرة ولو كريس
وقرچنيا في التاريخ الرومانى وتلك الغادة الكيمائية التي جاء في بعض
الروايات أنها كانت سببا في القبض على انبياء الافريقيق قائد قرطاجه
بعد أن أذاق الرومانيين من العذاب ما أذاقهم ثم ريني (Irène) وتيودورا
في تاريخ بوزنطيا (Byzance) وتلك الحسناء الفلسطينية التي
احتالت على ساسون الجبار فأخضعته وأوقعته في يد أعدائه بعد
أن أوقع بهم -م وعجزوا كلهم عنه بمفرده وتلك الفستن التي أثار
غبارها نساء داود عليه السلام في آخر أيامه وتوصلت احداهن
بالخيلة والدسيسة (على ما جاء في التوراة) حتى ألزمته بان يجعل
ابنها سليمان (عليه السلام) خليفة له، والبسوس والزباء في تاريخ

العرب وطوميرس ملكة المساجيت التي طلب كورش ملك فارس
أن يتزوج بها فامتنعت فأقام عليها حربا كانت عاقبتها وبالاعليه
وعلى قومه. واليضا مؤسسة قرطاجة وكايو بطرة ملكة مصر
الشهيره ودخول العرب في الاندلس وخروجهم منه كان سببه
المرأة (١) وهذه النساء في صدر الاسلام وشجرة الدر وغيرهن في
تاريخ الاسلام وفتك الرشيد بالبرامكة على ما في بعض الروايات
بسببه المرأة ولاتنس زوجة الزمخشري فانها على ما يروى عنها هي
التي أرجعته بالبرهان الفعلي لا القولي عن القول بخلق الافعال (٢)
واجنيس سوريل التي كانت سببا في سقوط الدولة الفرنسية تم
جان دارك راعية الغنم التي طردت جيوش الانكليز من أرض فرنسا
والشواهد أكثر من أن أتذكرها الآن وأنا في بلاد الانكليز

(١) فانه لما افتش ردر بق ما كان الاندلس بكارنا ثم تبوليان عامله في رالعدوة عمالا
هذا الرجل مع موسى بن نصير وقومه وسهل لهم سبيل الفتح - ولما افتزنت الملكة
ايرابل مع الملك فردينا مدقويت شوكة الاسبانيين على العرب فعلموا عليهم ولولا خرم
الملكة ايرابل ما أمكن اخراجهم من الاندلس فضلا عن كون بعض الملوك الاخيرين
من بني نصر تزوج بعض شريقات الاسبانيين بعد أسرها فكان في ذلك سبب آخر
لاضطراب الملكة في الداخل وسأشرح ذلك في الرحلة (٢) هذه المسألة لا بد أن
تكون مكذوبة ادلا يقع مثله مثل هذا البرهان مع خروجه عن نطقة النزاع بينه وبين
أهل السنة

وكان احد القضاة في أوروبا كلما نيطبه بحقيق واقعة جنائية
يقول للشرطة (ابحثوا عن المرأة) وبذلك كان يصل لاكتشاف
الحقيقة على الدوام مهما كانت وقائع الدعوى تصرف الظنون
عن وجود اصبع للمرأة فيها ولم يكن فعله هذا من ضروب النبوة
أو الاطلاع على ما وراء الحجاب وانما هو من قبيل الاستقراء
والاستنتاج ومن تمام معرفة تأثير المرأة في أعمال الناس ولقد
أحسن شاعرنا العربي اذ يقول

اذا رأيت أمورا * منها الفؤاد تفتت

فتس عليها تجدها * من النساء تأنت

وأذكر بيتين آخرين يختصان بالمرأة لأدري أيهما الاحق

بأن يقال عنده صدق . اذ لك الذي قال

ان النساء شياطين خلقن لنا * أعوذ بالله من شر الشياطين

أم تلك التي أجابته في الحال وأجادت في المقال

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتمى شم الرياحين

أما أنا فأحسكم بعد الحيرة الطويلة بأرجحية القول الثاني

وليس من شمتي أن أستبد عليك لموافقتي بل أتر كل حراً فاختر

لنفسك ما يحلو

ولاشك أن الفرنسيين نظروا الى كل هذه الملاحظات وما المرآة في فرنسا
سبها بنظر الناقد البصير والمتدبر الحكيم فاسلوا مثلًا تناقلته
واه (إن ما تريد المرآة يريد الله . Ce que femme veut Dieu veut)

لذلك كان لها عندهم الكلمة النافذة والامر المطاع فلا يقدم الرجل
منهم على أمر لا يرضاه زوجته ومتى أقدمت هي على عمل أو
تعلقت به مشيئتها وجب عليه الرضا به والاقرار بوجوبه والقول
بانه لا مندوحة عنه وهم يبالغون في اكرام المرآة والتأديب في
حقها (ولو ظاهرا) بما يفوق الوصف وفي تثقيف عقلها بجميع
أنواع العلوم والمعارف (حتى التي لا يقدم عليها الاخول الرجال)
ولذلك نبغ منهن الكاتبات المحررات الشاعرات الخطيبات
المصورات المشخصات المحاميات الطبيبات المخترعات في كل أمر ذي
بال أو غير ذي بال

الى هنا أنبه قلمي للعدول عما استطرده فيه الى ما ينتظره أحاسن
منه بعض القراء عقيب ما صدرت به الكلام من التخوف من اللوام عابئة بولونيا
باريس في

وقد تعلقت آمال ذلك البعض (إذا صح التعجب) ير بالبعض عن
الكل) بان أحدثه على فسحتي في باريس يوم الاحد الرابع
من أغسطس بعد أن أمضيت الاحد الثاني منه في سان ستيفانو
بالاسكندرية والثالث في منزله رومة وخائنها الهندسية

ولعمري انه يحق لهم ذلك الانتظار ولا يحق لى أن أبخل عليهم -م ببعض ما شاهدته اذ الاحاطة متعسرة بل متعذرة فاني أمضيت يوم السبت وصبيحة ذلك اليوم الاحد البهيج في السؤال عن كثير من العلماء الذين سبقت لى بهم معرفة بالذات أو بمحض العلاقة الادبية ولم يسعدنى الحظ بمقابلة أحد منهم على الاطلاق لانهم -م كلهم قصودوا الخجوات طالبا للرياضة والتمتع بالسكنينة والهواء السليم (وربما كان هـربا من الهواء الاصفر وقي الله بلادنا منه) ولذلك أخذتني الغيرة منهم فاحسبت أن أتشبه بهم في استنشاق النسيم وامتاع النواظر برؤية العميون المراض الصحاح ومشاهدة ما في الطبيعة والصناعة من باهى المحاسن وياهر الاحاسن وما هو الا أن حانت ساعة النزهة حتى علمت عربة تومت في سائتها الفهم والنباهة وركب على عيني رفيق الاستاذ الشيخ نجم راشد وقلنا لسائق العربة أن يغدو بنا الى حيث يخرج القوم بحجة النزهة والرياضة وترويح الفكر وإراحة البال فأرسل الخيل تعدو في شوارع منتظمة عامرة آهلة حتى اذا اقتربنا من غابة بولونيا أخذ يسير الهويينا ونحن نتمتع النواظر برؤية الوجوه النواضر واللحائظ الفسواتر والثغور البواسم والحدود النواءم والقـدود المياسة والخصور النخيلة الى ما وراء ذلك مما هو وراء

الوصف والبيان وقد كان ممن الخاطرات بالدلال والاعتدال
في حال البهاء والجمال وملبوس أنقى يزيد الملاحمة بما لا يقدر
ومشية متوازنة بحركات متجانسة همزوجة برقة و إعجاب
لا يصح أن تسمى بالتبختر وممن الراكبات في العربات وبجانبهن
أو أمامهن رجال من عائلاتهن (أو غيرها) ولكنهن لا ينتظرن اليهم
ولا هم ينتظرون اليهن بل كل من الفريقتين مشغول عن صاحبه
(الذي تمتلكه اليد) بمن يسمى أمامه أو يمر بجانبه أو يعدو خلفه
وكل واحدة من هذه الجوارى المملكات المالكات تبذل غاية
جهدها وتمنتى فتمالكى تتجلى في مظهر أنيق رشيق يسبى
ويصبي ثم لا تكفى بخطف العقول والارواح بل هي فوق ذلك فتاكة
فتانة (والفتنة أشد من التتل) وما زلنا ننقل من منظر الى أبداع
الى أروع الى أبهى الى أبهر حتى انهم-رنا واندھشنا وضاعت
مناصيغ أفعال التنضيل التي كنا حنظناها مثل هذه الفرصة
وقد كل البصر وارتد الطرف حيرا ففكرت حينئذ أن البخار
تكفل بتقريب المسافات فأغنانا عن استعارة أجنحة القطا
للطيران الى موضع الحب والهوى ولكنى في عوز زائد الى كثرة
النواظر لان العينين اللتين منحهما الى البارى لانكفيا^ن لروية
هذه المناظر التي أمامى وتأسفت على كونى لم أتزود قبيل الرحيل

بشيء من العيون التي كانت تنفعني وتتفع أصحابها في مثل هذه الحال التي ليس بعدها حال ولكن لله الحمد فان الباب ما زال مفتوحا والامر ميسورا لاني سأرجع الى باريس وأقيم بها نحو من أسبوعين أو أكثر فكل من بهزه الشوق لاستجلاء هذه المحاسن بنفسه من غير أن يتحلل عن مجلسه فليساعدني بما هو لازم (ع)
ومتى انصرفت عن هذه المدينة أرجعت اليه العين بالعين فتحده
بما رأيت وتو كدله صدق من قال وماراء كن سمعا

فلما رأيت ما رأيت من التناهي في التبرج والبهرجة والتغالي في التزويق والزبرقة والتهاك على النماكة والغندرة خطر على بالي أني لو كنت من قدماء اليونان الذين يعتقدون بتعدد الآلهة لكنت أقول ان إله الجمال بالغ في الاتقان وبذل كل مافي وسعه من حسن الصنع عند ما كان مشتغلا بالخلقة في هذه البلاد ولكني بفضل الله من المؤمنين الموحدين المسلمين الذين يقولون
تبارك الله أحسن الخالقين

وقد تذكرت حينئذ عبارة لاتينية كان القدماء يكتبونها على الساعات رمزا الى انقضاء الحياة بمرور الاوقات وهذه ترجمتها
(كلهن جارحات والاحيرة تقتل Vulmerant omnes ultima necat)
ولو كنت من الشعر بمكانة القادرين على سبكه والمجيدين بلبكه

لصغت هذا المعنى في أبيات بديعة في الكلام على النساء ولكننى
لأتصور أنه فات شعراءنا الباغاء

أقول الحق انى لم أستغرب بعد ذلك كله من تلف بعض
الشبان الذين توجهوا الى أوروبا فان المجرى والمكعب والمقعب
والمحدب والمعقد وخصوصا الشريط الذى يعقد على الخصر
ويتطاير فى الهواء من وراء المعروف عند الباريسيات بما معناه
(اتبعنى يافتى *Suivez-moi, jeune homme*) كل ذلك يجر الى
الغرور من غير شـعور ويهوى باهل الهوى الى هاوية الغواية
والشرور الا من عصم ربك وهموته الحمد كثير . وقد قال
لناسائق العربية ان ما رأيتاه ايس بالشئ الذى يذكر لان المدينة
الآن صفر من أهاليها المتصودة بالذات وأكبر القوم كلهم فى
الخلوات

وهنا أنتقل من هذا الموضوع الى موضوع آخر له تمام وجوب حجب
النساء
الارتباط وهو أنى من أهل المذهب القائل بعدم اطلاق الحرية
للنساء الى هذه الدرجة التى تجاوزت الاعتدال الى التطرف فى الافراط
فان المرأة بعد كل تعليم وتهذيب أراها ضعيفة ميالة أكثر من
الرجل لدانى الشهوات والتفانى فى الملاذ فالواجب أن تكون
الحرية لهن كالمخ فى الطعام فان التعليم ليس بقادر أن ينزع منهن

هذه الاميال وان نزع منهن انحرافات التي يثبتها في عقول
الاطفال

أقول ذلك بمناسبة ما رأيته في (نقويم ترويح النفوس
Calendrier Amusant) المكتوب باللغة الفرنسية عن
سنة ٩٣ القادمة . قال في النهر الثاني من صحيفة ٢٣
والاقل من صحيفة ٢٦ ما خلاصته : ان العلامة كستمر
(Koestner) أحد أساتذة ليبسيك وصاحب التصانيف العديدة
المشهورة نشر كتابا فيه ابحاث علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على
حركة ازدياد المواليد ونقصها في البلدان المختلفة مستندا
على الارقام وقد أدته لمحووظانه وحساباته الى اثبات النتائج
الاتية بحسب التعديل المتوسط وهي

ان المرأة الالمانية تخون زوجها ٧ مرات والبلجيكية ست مرات
وأربعة أخماس المرة (بحسب التعديل المتوسط كما قلنا) والانكليزية
خمس مرات والنمساوية أربع مرات ونصف مرة والهولندية
أربع مرات والسويدية أو اللاميركية مرتين والاطليانية مرة وخمسة
اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانية سبعة اثمان
المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة والصربية والبشناقية
والتي من الجبل الاسود والباغارية ثلثي مرة ثم التركية (ويعنون

بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشرقيات) عشر المرة
الواحدة. اهـ (١)

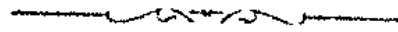
فاذا سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجته ذلك الاستاذ الالماني
رأينا أن في التجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة في صيانة
الاعراض

وبعد أن طفتنا هذا المنتزه مرتين رجعنا الى فندقنا فعملنا زيارة لسفير
بكل سرور وانشرح أن دوائل وأسعد باشا سفير الدولة العلية في
باريس حضر لزيارتنا وترك لنا ورقة الزيارة وقد كنا توجهنا الى
السفارة في صبيحة ذلك اليوم (الاحد) البهيج وحظينا بمقابلة دولته
ولبنا معه مدة انصرفنا بعدها شاكرين مالاقياه من لطفه
وبشاشته وجميل مؤانسته ولطف محادثته

ثم أمضيت الليلة وأنا أحلم أنى في غابة بولونيا وانه لا تصح
مؤاخذتى على وصف ما رأيته فيها الا بعد أن يؤخذ بهاء الدين
العاملى على وصف النساء في الارجوزة الشهيرة التي كتبها على
رحلته في بلخ وأوردها في أوائل الجزء الثماني من الكشكول

(١) هذا الحساب المحوط فيه مجموع الافراد و ليس الحصر فيه ان كل فرد يعمل هذا
العمل بل هو عبارة عما يعمله البعض قليلا كان أو كثيرا ويوزع على المجموع في الحساب
الاحصائي

وبعد ان يؤخذ الكثير من فحول العلماء وأكابر الاتقياء الذين لم
يأنفوا ورود هذا الروض الالف وهكذا الى ان أشرقت الغزاة
فحملنا أمتعننا ثم ركبنا القطار السريع قاصدين اندرة عاصمة
بلاد الانكلز التي لاتغرب الشمس عن ممالكها ومستعمراتها



الرسالة التاسعة

من باريس الى لوندرة

وحلاصة وجيرة على المؤتمر

اشتهر الانكليز عند الخاص والعام بالاختصار في الكتابة وصف محر
والكلام والهجوم على المقصود من غير تقديم مقدمة أو استفتاح الاكلمى
بفانحة وساتكلم عن أخلاقهم بالتفصيل في الرحلة وأكتفى الا ان
بجاراتهم في هذا السبيل

قت من باريس الى ديبب (Dieppe) أحد ثغور فرنسا في
الشمال الغربى وركبت الباخرة وأنا مرتجف من هول بجر المانش
وذواره اذ أنى قرأت في كل كتب السياحة انه من أشد الابحر
اضطرابا وهيجانا لانحصاره بين شطوط فرنسا وانكلترا وانذفاع
التيار فيه ولذلك كان الاوربيون بل الامريكيون أنفسهم
يعترفون بشدة هوله وبفزعون دائما من اجتيازه حتى لقد حل
ذلك بعض المهندسين من فرنسا على تقديم مشروع مقتضاه خرق
ننق تحت قاع البحر تسير فيه السكة الحديدية للسهولة والراحة
وتقريب المسافة ولكن انكلترا عارضت في إنجاز هذا المشروع
خوفا من تعدى قوة حربية برية عليها من فرنسا فجاءه كما يقول
الفرنساويون) . ولقد ازداد رعي حينما سألت أحد المسافرين

وأجابتني بأكثر مما قرأت ثم تمكن الفرع منى كل التمكن بعد أن
أندرتني القبودان نفسه بأضعاف ما أفادنى الاول فكاد يفعل بي الوهم
ما يقصر عنه دوار البحر لولا انى تجلدت واذ كنت مضطرا للسفر
وايس لى من المراكب سوى ركوب هذا المركب ولا يمكننى
الانتظار حتى تعترف انكثرة بفائدة النفق (كما اعترفت بفائدة
قنال السويس فيما بعد) فقد اعتمدت على الله وعملت بنصيحة
بعض الخبيران الذين تعرّف بهم فى باخرة البر فبادرت بطلب
الطعام قبل قيام السفينة حتى يكون فى المعدة شئ يقاوم
تأثير الدوار بادئ بدء فلا يقع على الامعاء مباشرة

جاءنى الغلام وكلمنى بالانكليزية وكنت قد نسيت اليسير الذى
تعلمته قبيل سفرى من القطر المصرى بسبب استعمالى الطليانى فى
ايطاليا والفرنساوى فى فرنسا فضلا عما فى رطانة الانكليز من
الصعوبة والدمدمة والتعقيد والهمهمة واهمال المقاطع الاخيرة من
الكلمات فلم أفهم منه شيئا المرة وليكننى تذكرت أن أحسن طعام يجيد
القوم صناعته هو الرزيبف والبفتيك (أو البكتيف بحسب رواية
البعض فى بلادنا) فذكرت اسم اللون الاول فعاد الغلام ومعه
قطعتان كبيرتان حوالهما من الدهن سواران بل سوران وبجانهما
قليل من شبه المرق فغمست لقمه فى هذا السائل ثم وضعتها فى

فكادت تحدث عندي ما هو أشد من دوار البحر ودوخة الرأس
واضطراب الأمعاء لولا أن تداركت نفسي فأهريت الى نفي بكية
عظيمة من الملح والفلفل والحردل وذلك لان الانكليز يصنعون
ما كلهم من غير ملح ويتركون تليجها للاكل بقدر ما يريد
وخلاصة القول اني أكلت كما أكلت (لاهنياً ولا مريثاً)
وأما رفيقي فقد آثر النوم على كل شيء عملاً بما اكتسبه من
التجربة في بحر الروم.

ثم اني صعدت على ظهر السفينة لأتمتع بمنظر البحر ومشاهدة
المدينة ولو أن ذلك يزيد في أعراض الدوار ولا أصف اعتدال الجوّ
وفجاء السماء وصفاء اللجة وجمال المدينة واجرافها الصخرية الشامخة
التي تتأطم الأمواج تحت أقدامها بل أقول اني كنت أستغرب من
تحسن الحال كلما تقدمت السفينة الى الامام وأنا لا أشعر بالاضطراب
ولكن القبودان كان يقول لي (بالفرنساوية) ترى بص قليلا يثما
تعارض السفينة التيار فهناك كل الهول . وما زال الحال
على هذا المنوال حتى بدت لنا شطوط انكلترا والفرح يداخني
قليلا قليلا الى أن دخلنا مينايو هافن (New Haven)
بسلامة الله تعالى وحسن معونته بعد مسير أربع ساعات ونصف
وكان عدد المسافرين ١٤٠ في الدرجة الاولى و ٨٠ في الثانية

ولم يؤثر الدوار الاعلى ستة من الستات واثنين من الخواجات وقد
أجمع الخبيريون على ان مثل هذا اليوم لايجب الا فيماندر غير اني
قلت لعل هذا من كرامات المؤتمر

دخول انكلترا ثم نزلنا في المدينة فاستقبلنا أعوان الكبرك يسألوننا هل معنا
شيء من الدخان والسجائر ثم وضعوا أمتعة المسافرين على كثرتها
في مخزن كبير بحسب ترتيب عددها في التسجيل ووضعوا النمرة
على الارض بالطباشير لكل متاع مسافر مع بيان عددهما يتبعه من
الشنطات وغيرها لكي يتوجه كل أحد بحسب تذكرته الى
موضع غمرته فيرى متاعه بدون أن يكون ازدحام أو اختلاط أو ضجة
أورجة فأعجبني هذا الترتيب وبعد التفطيش باللاطف والمجاملة
سار بنا القطار الى لوندرة فيما بين حقول خضراء ناضرة ومراع
واسعة زاهرة

وصول لوندرة فلما وصلنا المحطة المقصودة من لوندرة في مساء ١٩ أغسطس
تلقانا عامل من بيت كوك ومعه كثير من مكاتيب اخواني الذين
تركهم في مصر وصلت قبل وصولي فنظها لي عامل كوك وقد
تلقاها باشتياق زائد قبل ان انتقل خطوة واحدة وحمدت المولى
على هذه النصف مشاهدة مسرورا بها شاكر الله ذا كراماتهم
من الفضل والعناية ثم ركبنا العربة فاصدين الفندق فاذا

المدينة **كبيرة** ضخمة جسيمة هائلة لا يصح أن تسمى مدينة
أو عاصمة بل هي قطر كبير وإذا حق لي تسمية باريس (جنة

الدنيا) فلا بد لي من تسمية لوندرة موسومات العالم

وقد نزلنا في أهم فندق بأهم حتى من أحياء هذا النظر اعلاء
لشأن المأمورية وإجلالا لمقام حكومتنا السنية وهو المعروف
ب(البارل هوتيل) وهو من الطبقة الاولى ولا ينزل به أحد من
المسافرين الا بتوصية أو تقديم وكان نزلا لأعضاء العائلات
الملوكية الذين جاؤا الى هذه الديار وقد كان النور الكهربائي
فيه طوع بناني طول الليل وطول النهار وان اليراع لعاجز عن
وصف ما عليه الفندق ولكني أقول ان بذل الدنانير الوافرة أجرة
للنزول فيه كبذل الدراهم في غيره وسأصفه بما في المقدور في
الرحلة ان شاء الله تعالى

وفي صباح النهار نزلنا الى قاعة الاستقبال فرأينا ثلاثة من بعض زيارات
أبناء بلدنا قد حضروا والسلام علينا وكالات توقع أن أحدا يعرف
مكائنا في تلك الساعة فحصل لنا برؤيتهم ومكالمتهم مزيد السرور
وهم من التلامذة الذين أرسلتهم الحكومة الخديوية للتعليم
في بلاد الانكليز وقد صدر لهم أمرها بمقابلتنا وإرشادنا

ثم حضر لزيارتنا في الفندق سعادة الجنرال السير غرنفل باشا
سردار الجيش المصرى سابقا فاستقبلنا سعادته بواجب الاحترام
اللائق بمكانته من الفضل والعلم وهو الذى ساعدنا فى مأموريتنا
هذه كما سيمر على نظر القارئ ثم حضر لنا رفيقنا الثالث وهو
الدكتور فوللرس وقد رددنا هذه الزيارات بعد ذلك

أعمال المؤتمر
بغاية الاجار
فلما جاء يوم افتتاح المؤتمر أرسل لنا سعادة سردارنا
السابق عربته لتقلنا الى محل الاجتماع فلما وصلناه رأيناه
يوج بالناس ولا يجهل القارئ ان جميع من يضمه المكان هو
من مشاهير العلماء ونخبة القضاة من كل أمة ولم يحضر المؤتمر
أحد من العائلات الملوكية بل كلهم اعتذروا برسائل برقية
وغير برقية

وافتح حضرة الرئيس الاستاذ مكس ملر أعمال المؤتمر
بخطبة قد كانوا طبعوها فى ٦٣ صحيفة ووزعوها علينا وكلها
غرر ودرر وربما نلصقتها فى الرحلة أما الرئاسة الادارية فقد كانت
فى يد اللورد نورثبروك (الذى كان حاكما على الهند وقد جاء مصر
من زمن غير بعيد) ولاحظ الجميع ان الوقت المقرر قد مضى ولم
يتم العمل المحدد فى البيان الرسمى ليوم الافتتاح بل انه لم يتكلم
أحد غير الرئيس وآخر أثنى عليه وثالث تكلم بالطليلية وعلى

ذلك انفضت الجلسة الافتتاحية وفي المساء كانت مأدبة اللورد نورثبروك لاربعة وعشرين مدعوا من أهل المؤتمر لم يكن بينهم شرقي غيبي وقد اجلسوني على المائدة والى يميني الدكتور بوهلر وهو من أشهر مشاهير العلماء في أوروبا والى يساري السير غرنفل باشا وكانت المأدبة أشبهت بما آدب الملوك على ما سمعت لا ما عرفت

وفي الايام التالية كانت الاقسام تشتغل بمباحثها وفي جلستها الفرع الثاني من القسم الثاني الخاص بالساميات الذي كما فيه فلما جاء دورنا تكلم الدكتور فوللرس على رسالة كتبها في الاصوات العربية مستفيدا على مارواه ابن يعش شارح المقصل وما جاء به سيبويه للنحوي ثم تلاوته بالفرنساوية مبينا اجمال ما في الرسائل التي قدمتها للمؤتمر (١) ثم قام حضرة الاستاذ الشيخ محمد راشد وتكلم على رسالته التي كتبها في الكلام الدارج بمصر القاهرة وأورد كثيرا من أرجال العوام وألحانهم ومونجاتهم وموالياتهم وأدوارهم ثم قدم شرحا مطولا كتبه على خطبة مقامات الحريري

وفي اليوم الرابع عينوا لجنة دوائية للنظر في شؤون المؤتمر الآتي والاقرار على وقت انعقاده ومحلّه وتعينت فيها عضوا نائبا عن الديار المصرية وكان الحاضرون ٢٥ بما فيهم الرئيس فتليت الخطابات الواردة في هذا الشأن ودارت المذاكرة على

(١) انظر خلاصة الخطبة في آخر الكتاب

تعيين وقت انعقاد المؤتمر الآتى فقال الكونت داجو بيرانتى
مندوب ايطاليا ان اللازم عقده بعد ثلاث سنوات حتى يتيسر
للعلماء فى خلال هذه المدة أن يحضروا مباحث يقدمونها فيه
فقلت حينئذ (ان القاعدة التى تقررت فى أول الامر لاجل عقد
المؤتمر كل ثلاث سنوات انما كانت لقله المستشرقين وأما الآن فقد
انتشروا حتى كان لهم من أمريكا مشاركون كثيرون والواجب
علينا أن نوجد لهم فرصا كثيرة يعرضون فيها أعمالهم لئلا يزداد
الشقاق بين أجزاء هذه الجمعية فتضيع القاعدة الأولى بالكلمة
وتذهب ثمرات هذا الجمع أدراج الرياح ويصير علماء كل دولة على
عقد مؤتمر فى عاصمتها كل عام أو عامين فيتفرق العمل شذرا مذر
ولهذا فانى بمناسبة الشقاق الحاصل الآن فى لسبون أرى وجوب
الاقرار على عقد المؤتمر فى سنة ٩٤ أى بعد سنتين فقط)
فطرح الرئيس هذين الرأيين على الاعضاء وحسبت الاصوات
فاذا هى متساوية فى كل فريق ١٢ عضوا وبقي الترجيح له
فأطال الامعان ثم انحاز الى رأينا وتقرر الاجتماع فى سنة ٩٤ ثم
تقرر أن يكون مركزه مدينة جنيفا (جنبره) ببلاد السويس
ثم تقدم مشروع خاص بتنظيم أعمال المؤتمرات فى المستقبل
وجعلها تسير على وتيرة واحدة فتقرر بعد بعض تعديلات

ولما حبل اليوم المحدد لانفضاض المؤتمر اجتمع فيه خلق
أقل من الذين حضروا يوم الافتتاح ودارت المذاكرة على ماقررته
اللجنة الدولية التي سبقت الاشارة اليها ثم أعلنوا بالاختتام

وفي المساء توجهنا الى مأدبة أعدتها اللجنة لتنظيم المؤتمر لجميع
الاعضاء في قاعة (هوتيل مبروبول) وهو من أكبر فنادق لوندريه وكان
عدد الحاضرين فيها ٣٠٠ مدعو وكان السير غرندل باشا على عيني
والاستاذ الفاضل الشيخ محمد راشد على شمالي ولا يخطئ من
يشبه هذه الحفلة ببرج بابل من حيث اختلاف الالسنه الا أنها
بالغة في الكمال والابقان جعلت أصنافا كثيرة من بني آدم وانغات
متخالفة تكلم بها القوم الواحد بعد الآخر وقال رفيقي شيأ يناسب
المقام ثم تكلمت بالعربية حسب مقتضى الحال

واعلم انه أكبر هذه المدينة واتساعها لم يظهر فيها أثر ما
لانعقاد مؤتمر المستشرقين بل ولا أقل أثر لمؤتمرات غيره كانت
منعقدة في الوقت الذي انعقد مؤتمرنا فيه وهي مؤتمر للعملة (بفتح
الميم) ومؤتمر للعامل وثالث للصحة وكل هذه منزوية في غضون
جوف هذه المدينة التي تسمى عند العرب (أندرس) كما هو اسمها
الآن عند أهل اسبانيا وأما اسمها في لغة أهلها فهو لوندن (Londres)
ولكن الفرنسيون يسمونها لوندري (Londres) ويضعون في

آخرها سينالايه تطق بها فاذا أرادوا النسبة اليها رجعوا للاصل اللاتيني الذي يقرب من اللفظ الانكليزي فقالوا لندنيان (Londonien)

وفي الاسبوع الذي كان المؤتمر منعقد فيه (من ٥ الى ١٢
تسزعة على
الاسلوب
الانكليزي
سبتمبر) دعينا لما آدب كثيرة ونزه مفيدة للجسم والفكر
يسمونهارياضة رياضية وبلغتهم جاردن پارتي (Garden Party)
لكنهم ينطقون بها (جاردن پارتي) بجيم وألف مفخمتين ونون
لاتكاد تظهر وكذلك الباء الفارسية والالف في التفخيم والتاد
والياء في عدم الظهور (فهذا درس من اللسان الانكليزي وان
كنت لأعرف منه الآن الا قليلا)

ولا أذكر من هذه الرياضات الرياضية في هذا المقام سوى مأدبة
ضيافة عند
غنى انكليزي
أعدها لنا اللورد امهرست (وهو غير الذي كان حاكما على بلاد الهند)
فقد دعانا في يوم ١٣ سبتمبر الى قصره الكائن على مسافة أربع
ساعات من لوندرة فركبنا القطار ونزلنا عند وصولنا في عربات فاحرة
أرسلها لنا رب الضيافة ومنزله أشبه شئ بمدينة عاهرة فيها الرياض
الغناء والمنازه الفجاء ومن أطف ما يروق النظر فيها أما كن أعدها
لأعب فسيحة الارحاء مفروشة بالاعشاب الطبيعية وفيها الغابات
والبحيرات لصيد الطيور والاسماك ومعمل للغاز وآخر الكهربية
واخر لامصناعات العربات وترميم آلات الزراعة وخزانة للاستلحة

وعبر ذلك مما يدل على تمكن الحضارة وشمخامة الثروة واصالتها
وأذكرانه جمع في روضته هذه كثيرا من الاشجار النادرة الغريبة
من أقاصى المشرق والمغرب وله عناية بالازهار والفواكه فوق
العقل وقد رأيت عنده صنفا من العنب كبير الحجم لذيد الطعم
أيض اللون وله خاصية الرائحة الذكية فيضوع أريجيه عند
أكله

وقد اصطنع فيه زهرية على مثال بستان الازهار الذى كان
فى قصر الجراء بغرناطة أيام دولة عرب الاندلس وشكلها آخذ
بالبصر بهجة ورونقا

أما داخل القصر فحدث عنه ولا حرج وقل ماشئت ففيه دار
تحف مصرية وبابلية وعمومية ولاجل أن يتصور القارئ مقدار
التحف التى فيه وعظيم أهميتها أقول انه يوجد لديه ١٣ صندوقا
كبيرا كلها مشكونة بأثار مستخرجة فقط من تل العمارنة فى ديارنا
قريبا من ملوى بمديرية أسيوط وهو ينظر الآن فى بناء محل متسع
لعرض هذه الأثار فيه

وأما المكتبة فهى كبيرة جدا وفيها نسخ كثيرة بخط اليد من
المصاحف الشريفة وكثير من الكتب العربية والفارسية والهندية
مما له قيمة وذلك عدا الكتب الافرنجية المنسوخة بخط اليد المجلدة

بالصور والرسوم البالغة حد الاتقان والكتب التي كانت باكورة
اختراع المطبعة في أوروبا وفي انكلترة وهي الآن نادرة الوجود
وقلما توجد في المكتبات العمومية التي من الدرجة الاولى وأحسن
شيء رأيناه نسق وضعها وترتيبها المدهش للعقول وقد أعد للكتب
النادرة المثال خزائن من الحديد خشية عليها من الحريق اذا شبت
الباروان كان محتفظا على جميعها كما ينبغي

وفي المنزل غرفة ورقها من الجلد الاندلسي القديم وعليه
أشكال ورسوم صورها أحد المعالين النابغين وأما الآنية والفرش
والاثاث والاستعداد وكثرة الرسوم والطيور والحيوانات المصبرة
فذلك مما لا حد لوصفه ولا تسلسل بعد هذا عن بقية قاعات النوم
والجلوس والاكل وما تحتوي عليه من الاثاث والنور والاشكال
والاوضاع فكله من وراء مقدر اليراع وفي الدار كلها اسطوانات
عليها اعلانات تفصيلية بكيفية استعمالها بالسهولة لايجاد النار اذا
شبت في أي مكان وخلاصة القول انه اذا كان في الدنيا نعيم فهو
في منزل هذا الرجل

أما دماثة أخلاق حضرة الورد وحسن معاملته لنا هو وزوجته
وبناته الست فذلك بمقدار ثروتهم وحضارتهم وقد أحرزوا من
شكرنا بمقدار ما كان لهم من مكارم الاخلاق

ومن سائنه ثلاث أو ثنتان جنن مصر والباقيات لم يزرنها ولكنهن
يقرأن الحروف العربية ويقدرن على كتابة بعض الكلمات بخلاف
اخواتهن الاخر وقد كان بودهذه العائلة الكريمة أن تبقىنا عندها
أياماً كثيرة ولكننا مع وجود أعظم من رغبتهم عندنا اعتذرنا لان
حضرة الشيخ كان لابد من رجوعه الى مصر في يوم ۱۶ سبتمبر
فردعناهم بعد ان أخذت احدى كريماته صورتي بالفتوغراف وبعد
ان استكتبونا أسماءنا بالعربية والافرنجية

• أما زهتنا في لوندرة فلا أنكلم عليها الآن وإنما أذكر أني
شفيت الغليل برؤية شبه مدينة البندقية في إحدى ضواحيها
وهو محل متسع اسمه (Venice) فيه تياتر ورحب ومعمل للزجاج
يشبه معامل البندقية وفيه شوارع مائبة ومراكب ومراكبية
تمثل للانسان مدينة البندقية بالتمام

خدمت الله على هذه الفرصة التي جعلت لي فكرة على
هذه المدينة المائبة حتى كأنني شاهدها بالعين فما لا يدرك كله
لا يترك كله

وقد توجهنا في يوم من الايام الى معرض التاريخ الطبيعى
البريطانى وكان مرشدنا فيه حضرة وطنينا الفاضل المتفرد
بالشهرة في هذا الفن الدكتور عثمان بك غالب فاستفدنا من
معرض
التاريخ
الطبيعى

دقائق المعرض وحقائقه أشياء كثيرة وأقول الآن ان الحكومة
تنفق عليه وحده في السنة أكثر من ٤٤ ألف جنيه، انكليزي
في نظير ماهيات العلماء والعمال فقط أى خلاف المشتروات وصيانة
المكان وغير ذلك من النفقات الكثيرة التي لا يمكن أنها تقل عن
هذا المقدار وقد كان في الاول فرعا من المتحف البريطانى فلما
اتسع نطاقه وازدادت معروضاته نقلاوه الى هذا المكان المخصوص
وهو في غاية الترتيب ونهاية الكمال



الرسالة العاشرة

لوندره

بودى لو يتيسرنى أن أكتب الآن ولو كلمتين على هذه عظمة لوندره
المدینه بل على هذا القطر الواسع الذى يسمونه لوندره ولكنى وجسامتها
أقف امام هذا الموضوع الهائل شبيها بالنملة بجانب مسجد
السلطان حسن أو كالزورق الصغير فى البحر المحيط وأنى له أن
يهتمدى الى بر السلامة فعلا م أكتب وماذا أصف وفيه
أخوض فلقد اشتلت متاجرها على جميع الأصناف والمحصولات
كما أن بضائعها ومعاملها بلغت من الاتساع والاتقان فوق ما يتصوره
الادراك حتى إن مجرد الدخان الذى ينبعث منها الى سمائها
يتحد مع ضبابها ويزيد فى تكدير جوها ثم يتساقط على مبانيها
وعمارتها وتمائيلها وأنصابها فيجعل منظرها أسود قائما كئيبا
محزنا تنقبض منه النفوس ويذهب بالانشراح أذراج الرياح
وفيهما من الاقبال على الشؤون واغتنام الفرص ومعرفة قيمة
الوقت ما يحير الافكار ويهر الابصار ورجال الشرطة فيها بلغوا
من الانتظام وحسن الدراية وكمال الدربة ومعرفة الواجبات
ماليكاد يضاهيهم فيه غيرهم فى الكون بأسره حتى صار لهم مهابة

في النفوس وسيطرة حتمية على كافة الافراد بحيث ان أقل اشارة
منهم تكفي لمنع أي خلل أو اضطراب

حركة لوبدر أما استمرار الحركة في شوارعها فما لا يتصوره الانسان
الا بعد المناظرة بالعيان فاهما في أقل الايام (ماعداد يوم الاحد)
تشبه يوم مهرجان النيل أو ليلة احتفال الاجسام في العاشر من
محرم الحرام أو موسم المولد النبوي أو الاحمدى (أو كل ذلك
مجموعا الى بعضه) فترى العربات العمومية زوات العجلتين وذوات
الاربع تتقاطر وراء بعضها ويجانبها عربات الاومنيبوس شبيهة
بالمنازل والدور كسلسلة متصلة الاطراف والاس ينسج بعضهم
بعضا كأنهم يساقون الى المحشر الى غير ذلك مما يقتضى التعريف
به أن تظهر الحقيقة فوق الاغراق والغلو في المبالغة ولكن لا يصح
لي أن أعتذر بعتذر الاحاطة بأطراف هذا الموضوع عن كتابة ما شعر
به الوجدان وتأثر به الجنان واني أحاول ذكر قليل مما تيسر لي
الوقوف عليه من الاجاليات ومن أمور شتى ومنشورات متنوعة
تصور للقارئ بعضا من كل من جسامة هذه المدينة العظيمة واتساع
نطاقها وامتداد أعمالها وكيفية الحركة فيها

وابورات لوبدر فأول شئ يؤثر على عقل القادم اليها ما يراه فيها من حركة
الوابورات وسرعة مسيرها وكثرة عددها وتنوع اتجاهاتها واختلاف

أوضاعها في الارتفاع والانخفاض حتى يكاد يعتبره دوار في الرأس
يشبه ذوخة البحر ويدخله خوف شديد من امكان حصول
الاصطدام في كل لحظة أو خروج القطار عن الشريط في كل
خطوة حتى اذا وصل المحطة زادت الدهشة مما يراه فيها من الاتساع
وكثرة الارصفة وجسامة المباني وتعدد صنوف المخلوقات وتناهي
صفوف العربات مما يضيع اللب ويذهب بالرشاد ثم متى دخل
في شوارعها وسار في طرفاتها ومسالكها بهت وبلغ الاضطراب
منه منتهاه

ومهما وصفت ومهما شرحت ومهما بالغت فاني لا أبليغ
عشر معشار الحقيقة ولذلك رأيت أن الطريقة المثلى هي أن
أكتفي الآن بذكر بعض أمور متفرقة تجعل للقارئ فكرة صغيرة
عن عظمة هذه المدينة الكبيرة

ولكني أقول قبل ذلك ان الشركات والجمعيات وما بينها فوائد الشركة
من المزاخمة الممدوحة والمناظرة المحمودة هي روح هذه الحركة وأمس
هذا الارتفاع فهما نظر الانسان الى أى عمل من الاعمال رآه في يد
شركة من الشركات وليس للحكومة دخل في شئ مما سوى المراقبة
العالية والسيطرة المعنوية التي تجعل الجمهور في أمان من اغتيال هذه
الشركات وفيما عدا ذلك فان الامة قائمة بنفسها مكدة في طلب

المكاسب والمعالي بما يفيدها ويرفع شأن دوائها من غير أن تتنازل
وتقد يدها لامداد الحكومة ماديا أو معونتها معنويا حتى ان
الانسان ليتساءل بعد ما يراه من تنوع الشركات وتناولها كل شأن
من شؤون العقليات والمحسوسات كيف ان مثل البوستة
والتلغراف والكمرك والدخولية والبوليس والجليس ليس في يد
الشركات نعم فقد كانت البوستة والتلغراف خاضعين لهذا القانون
العام في هذه البلاد ببلاد التعاضد على الاعمال والتباعد عن الخمول
والاهمال ومعرفة ثمرات الاجتهاد والاتحاد والاقتدار على انهاء
المال ولقد كان فتح الهند كما لا يخفى وازادتها للدولة الانكليزية
على يد شركة تجارية وأمثال ذلك كثيرة

جتهاد الافراد وذلك لان أفراد الامة البريطانية يرون أنهم لم يخلقوا الا للعمل
أح المجموع والاكتساب ولقد باغت محبة الاستقلال فيهم مبلغا لا يكاد
يتصوره العقل حتى ان بعض البنات في العائلات الكبيرة تذهب
للرسم والتصوير أو التطريز والتديج أو التعليم والتدريس
لتكتسب بنفسها ولا تكون كالأولى عوانق أهلها مع ما هم
فيه من الثروة والرفاهية ومنهن من يؤثرن التغرب في بلاد الهند
وامتريا وكندا بصفة وصائف أولى من البقاء في منازلهن
حاليات من العمل منغمسات في البطالة والكسل وذلك شأن الشبان

أيضا حتى لقد جاء في أمثالهم أنه (لاشئ يفلح مثل الفلاح) وذلك يشبه من بعض الوجوه المثل الفرنسي (الغاية تبرر الوسطة) وهم يعتبرون الفقر عيبا بخلاف سائر الأمم ولذلك يشتغلون كلهم مثل النحل ولو كان الرجل منهم ابن غني يملك القناطير المقنطرة فلا بد له من التكسب بعرق جبينه

وحبهم لوطنهم ولا أنفسهم ولا أبناء جنسهم أمر لا يكيف استثناء
الانكليزي كل شئ
مثال ذلك أن الرجل منهم إذا كان يعرف لغة غير لغته الأصلية
فلا يتكلم بها الا عند الضرورة القصوى وإذا رأى منك أنك
تعرف من الانكليزية مبادئها أخذ يخاطبك بها ويحتمد في
منعك من مكالمته باللغة المشتركة بينك وبينه لانها غير انكليزية
وكذلك السكة فلا يتعاملون بغير النقود الاهلية مطلقا ومثلها
المقاييس والمكاييل والاوزان ومع ان العقلاء منهم يعترفون
بأفضلية الطريقة الاعشارية لكنهم لا يزالون متمسكين بطرائقهم
المتعددة المتخالفة التي ليست على أساس ثابت

ومثال ذلك أنك إذا توجهت لاي مخزن وطلبت صنفا
أو محصولا مما اشتهرت بعض البلاد الاجنبية بصناعته واتقانه
فان رب الحانوت يجيبك بأنه موجود عنده ولكنه ينصعك نصحا
مكررا بأخذ الصنف الانكليزي قائلا لك انه أجود وأفضل من
جميع الوجوه

تصور الوطنية الحقة بأوروبا وهذا الموضوع يجتري الى الاستطراد بذكر كلمة واحدة على الوطنية في بلاد أوروبا التي أتيج لي زيارتها الى الآن وهي إيطاليا وفرنسا وانكلترا فهي التي جعلت هذه البلاد ذات سطوة عظيمة وبأس شديد فانهم يتظرون الى من يخدم الوطن باعتبار أعماله العمومية المفيدة للبلاد ويجلون ذكره على الدوام من غير أن يتظروا مطلقا الى أعماله الشخصية وأموره الداخلية ومهما كان فيها من موجبات الانتقاد فان ذلك لا يمنعهم من اعتباره واحترامه ورفع صيته الى أعلى عليين ألا ترى أن (غاربالدي) الذي يهتز لاسمه قلب كل وطني طلياني قد خدم الدولة الطليانية وأوجد وحدتها فأحله أهل بلاده المحل الاول من الاعزاز والاعظام ولم يلتفتوا الى ما تناقله بعضهم عنه من الاعمال المنكرة التي ارتكبتها زوجته الفتاة وقد اتخذها بعد ان صار طاعنا في السن ومثال ذلك (غامبتا) رجل الجمهورية الفرنسية فان قصته مع عشيقته معروفة وهي التي أطلقت عليه الرصاص فنقلته الى غير هذه الدار ومع ذلك فهو موضوع الإعجاب عند الفرنسيين يلهجون بذكره ويتمدحون بما آثره ويحتجون بأقواله ويستشهدون بأعماله وقد أقاموا له في أعظم نقطة من باريس حيث كان قصر الامبراطور جهة ميدان الكاروسل تمثالا فخيمًا رفيعا اكتب الاهلون

لاقامته على أنخر مثال وهم يأتون لزيارته من كل أنحاء فرنسا
يضعون عليه الا كاليل والتيجان كأنه كعبه آمالهم

وأما لوندريه ففيها تمثال أمير البحر (الاميرال نلسن) الذي كسر
الدونانمة الفرنسية وتبعها في كل البحار وفاز بالانتصار في وقائعه
وخصوصا في الجهة من الاندلس المعروفة في كتب العرب باسم طرف
الاعر (التي حرفها الافرنج الى ترافلجار Trafalgar وقد خبط أصحابها
المرجعون في نقلها الى العربية فقالوا ترافلجار أو طرف الغار)
فقد أقاموا له تمثالا فاخرا على عمود شامخ يشرف على كل مباني
لوندريه ونظروا الى ما كتسبه منه الوطن ولم يلتفتوا بأى وجه الى
علاقاته السرية مع امرأة أخرى (كان لها بعل فيما باغنى)
حتى انه حينما أدركته الوفاة أثناء الواقعة البحرية في طرف
الاعر كان أول شيء اهتم به هو السؤال عن نتيجة القتال فلما
بلغه ان النصر لدولته سكر بخمرة الفوز وهو في سكرات الموت
ولم يلتفت بعد ذلك لشيء سوى انه أوصى باعطاء سيفه ووشاحاته
الى خليلته وقد نقشوا على قاعدة العمود كلمة ماثورة عنه كان يتمثل
بها كثيرا وهذه ترجمتها (ان انجلترا تنتظر من كل فرد من أبنائها
انه يقوم بما عليه)

ولقد يذكرني ذلك بالملكة كاترينة امراطورة الروسا فان

التاريخ ينبئنا بأنها كان لها محبوبون معلومون ولهم مرتبات
وعلاوات رسمية بهذه الصفة في ميزانية الحكومة حتى انما البست
الحداد رسميا بعد وفاة أحبهم اليها مدة سنتين ومع ذلك فلا يزال
الروس يطأطئون لذكرها الرأس ويفتخرون بها ويمجدون اسمها
لان دواتهم في أيامها وباجتهادها بلغت من التقدم وعلو المكانة
ما جعل لها جانبا مهيبا في أعين الدول الاخرى

فهكذا يكون حب الوطن وهكذا يكون السعي في تشجيع
الفضلاء على خدمته فان النظر الى السفاسف وتعقب الهفوات
التي لا يترتب عليها ضرر للامة والوطن لا يكون من ورائه الا إهباء
العزائم وتبسيط الهمم فتخدم القرائح النيرة وتنطق الافكار الوقادة
ويقعد المجتهدون وأصحاب الاماني عن الكد وراء المعالي ولا يصيب
الوطن من ذلك الا خسران رجال ربما كان له من وراء أعمالهم
فائدة جليلة

ولقد ساقني الكلام على وطنية الانكليز الى هذا الاستطراد
فأسأل القراء عفووا لاني أرى نفسي وجوارحي وقلبي وفكري
تندفع بالرغم عني الى ذكر شيء من هذا القبيل عسى أن يكون
له صدى في بلادنا فيكون من ورائه النفع العميم

وأرجع الآن الى الكلام على لوندرة التي يتعسر على احصائيات
الانسان أن يقول أين مبدؤها وأين منتهائها ومن المحتمل انه لم
يتفق لأجد أنه رأها كلها وان ذلك لن يتفق في الاستقبال لما يستوجبه لوندرة
المشروع من الصعوبة والاعتاب والحيرة والاضطراب فان
مسطحها ٣٥٠ كـمتر مربعاً من غير ضواحيها وارباضها
وقدروا أطول دائرتها ٩ كيلومترا وان طولها من الشرق الى
الغرب ٢٥ كيلومترا ومن الشمال الى الجنوب ٢١ كيلومترا
وطول طرقها ١٥٠٠ ميل وطول بالوعات ومصارفها ٢٠٠٠ ميل وكان
عدد سكانها في أول هذا القرن أي سنة ١٨٠١ عبارة عن ٣٣٠٠٠ ٨٦٤
نفسا وفي سنة ١٨٢١ صاروا ١٢٢٧٠٥٩ ولما جاءت سنة
١٨٧٠ بلغوا ٣٢٥٤٠٢٦٠ يسكنون في ٤١٧٠٧٢٧ دارا وفي
سنة ١٨٨١ أثبت الاحصاء الرسمي أنهم ٣٠٨١٤٠٥٧٠ كما في
ذلك الضواحي المتصلة بها تمام الاتصال ويتضح من التقرير
الابتدائي عن حركة السكان في سنة ١٨٩١ ان عددهم في شهر
ابريل من تلك السنة كان ٥٠٦٣٣٠٣٣٢ وعدد المنازل ٧٩٧٠٦٧٩
وعدد الاغراب المتوطنين بها ١٥٥٠٠٠٠ ولها وحدها في مجلس
البرلمان ٥٨ عضوا ينوبون عنها

ولكنك اذا نظرت الى ذلك الاتساع الهائل وتلك المسافات وسائط النقل

المساعدة الشاسعة تراها معدومة وكأنها لم تكن فان المدينة قريبة الاطراف لسهولة التنقل وكثرة الوسائط من كل نوع ففيها أكثر من ١٥٠٠٠ عربة بعجلتين وحصان واحد والسائق من خلف (واسمها هَنَسَم وهي مثل عربات الاوتوبيل كوتيننتال في القاهرة) أو بربع عجلات وحصانين لركوب هذه الخلائق المتزاجمة أما عربات الامنيبوس فلا تقل عن ٢٥٠٠ عربة تسير في ٢٠٠ خط متمايزة عن بعضها أنشأتها شركات متعددة وبلغ عدد الركاب في عربات احدى هذه الشركات (وقدرها ٨٦٠ عربة) ٦٠ مليوناً من النفوس في سنة ١٨٨٢ وفي كل عربة منها ٢٦ مقعداً ١٢ في الداخل و ١٤ على ظهرها وفي أكثرها زيادة على ذلك مكانان بجانب السائق وفي ضواحي المدينة وبعض جهاتها عربات الترامواي التي تجرها الخيل على قضبان حديدية وهي لأربع شركات ولا يمكن ادخالها في المدينة لكثرة الازدحام فان المقرر أن عربتين تسيران الى الامام وعربتين الى الخلف وقلما تكون جهة من الشارع خالية من الاربع عربات وقد أحدثت سكة حديد العاصمة (التي تسير تحت الارض) عربات الامنيبوس توصل بين المحاط وبعضها وتميز عن عربات الامنيبوس الاخرى بان السائق تكون فوق رأسه مظلة كبيرة

عليها اسم الشركة ويجوز لكل انسان صادفها في طريقه أن يركب فيها

وفيهاء أيضا عربات تسمى (ماى كوتش) تسير بالسواحين والمتفرجين الى بعض مدائن النزهة القريبة

وفيهاء شركة تتكلف بحمل الامتعة والرزم والطرود التي لا يتجاوز وزنها ١٠٠ رطل الى أية جهة من جهات لوندرة وضواحيها ولها أكثر من ١٢٠٠ مكتب فرعى متوزعة في كل أنحاء المدينة وعن النقل زهيد جدا وقد تأسست شركة أخرى لنقل البالات مثل بالات الاقطان والبراميل بأنواعها والبضائع الكبيرة الحجم وأهم هذه الشركات فيها ٧٠٠٠ مستخدم و ١٠٠٠٠ حصان وهنا أقول ان سائقي العربات في لوندرة يفوقون في صناعتهم جميع أمثالهم في سائر أنحاء الارض

وهناك أيضا شركة خيرية تألفت لمساعدة العساكر البرية والبحرية الذين قضوا مدة الخدمة فانها تكتنفهم وتقوم باحتياجاتهم وتستخدمهم في نقل الرزم والطرود الصغيرة بأجرة لا تتجاوز ١٥ ملية بحسب بعد المسافة وثقل الحمل

ويوجد بها شركات لها زوارق بخارية كثيرة العدد تجرى في نهر التيمز على الدوام لنقل هذه الجماهير الجمهرة من مكان

الى مكان وهى فى البحر بمخاضة عربات الامنيوس فى البر ويجوز
للراكب فيها أن ينتقل من الواحد للآخر بحسب الجهة التى
يقصدها من غير زيادة فى الاجرة وهى لا تتجاوز ١٥ مائما وتقوم
المركب كل خمس دقائق ويوجد شركات أخرى لها بوأخر تسير
بين لوندرة والجهات التى على نهر التيمز وتقوم كل ربع ساعة
وكل نصف ساعة (ماعدا أيام الشتاء) وفوق ذلك على النهر
مراكب كثيرة بالتنوع والمقاديف يؤجرها الناس للفسحة على
الماء أو للتنقل من جهة الى أخرى ويوجد مراكب بخارية
انشأتها بعض الشركات للسفر من لوندرة الى جميع موانى انكلترا
واسكتلندة وارلندة بل وفرنسا والجهات الأخرى من قارة أوروبا
هذا بصرف النظر عن المراكب البخارية التجارية الكبيرة
التي تخترق جميع البحار

وفى لوندرة أكثر من ٥٦٨ محطة للسكة الحديدية أقل واحدة
منها (حتى التي تحت الارض) أكثر من محطة القاهرة الحالية
انساعا وحركة وعملا ومنها ما يساوى محطة مصر والاسكندرية
وطنطا ثلاث مرات فى ثلاث مرات وقد يمر فى بعضها (مثل
محطة كلايهام) أكثر من ١٤٠٠ قطار فى اليوم من غير احتساب

قطارات البضاعة) وأنت تتخيل مما ذكر كم ينبغي أن يكون مقدارها في بلدة تجارية صناعية مثل لوندرة) وفي سنة ١٨٨١ نقلت سكة حديد العاصمة وكلها تحت الأرض ١١٠ مليون من الركاب بالتمام وقد ازداد هذا العدد الآن زيادة كلية

شأن القطارات كثيرة جدا وسريعة للغاية والعربات مفروشة وصف
بكل عناية واتقان حتى ان عربات الدرجة الثالثة هي أحسن
القطارات بلوندرة
بكثير من عربات الدرجة الثانية عندنا وفي بعض اقطار أوروبا
ولا يمكن ان يمر على الانسان لحظة واحدة وهو في القطار من غير أن
يرى قطارين أو ثلاثة تحت أقدامه ومثلها بجانبه ومثلها فوقه
بقليل ومثلها يجري على القناطر والجسور ومثلها بجذائه ذات
اليمن ومثلها الى جانب اليسار وهكذا مما يحدث الخيال وذلك كله
نتيجة المزاحمة وثمرة المناظرة فان الذي يريد أن يتوجه من لوندرة الى
مانشستر مثلا يجد أمامه خمسة طرق مختلفة في يد شركات مختلفة وكل
واحدة منها تجتهد في ان تضمن للمسافر من المزايا والفوائد
والتسهيلات ما يجعله يقبل عليها دون سواها حتى ان الطوال
الخشب المستعملة في الدرجة الثالثة أصبحت لا وجود لها بالكلية
وقد تكون عربات الدرجة الثالثة في قطارات الاكسبريس كما

ان بعض القطارات لا توجد فيها إلا الثانية وفي بعضها (وهي
السريعة) لا ترى الا الاولى

ولا يمكن أن يمضى على الانسان اذا وقف في مكانه ثلاث
دقائق من غير أن يمر عليه ما يريد من عربات الامنيبوس أو
القطارات أو الزوارق البخارية أو غير ذلك فاصبحت المسافة في
هذا البلد الطويل العريض معدومة والابعاد متقاربة لسرعة وسائط
النقل وكثرتها وسهولتها وتيسرها

وخلاصة القول أن تعدد الشركات ومنافستها لبعضها التنافس
الممدوح يجعل الانسان مهما قلب ناظره في أية جهة من جهات
المدينة على وجه الارض أو تحت الارض أو في الجوف فوق أسطح
المنازل يرى عددا هائلا من القطارات البخارية منها ما يرفع عقيرته
الى عنان السماء ومنها ما يركم نفسه في جوف الارض ويكتفي
بالانين

ومن تأمل في حركة هذه القطارات التي لا يتقطع دوتها وكلها
مركبة من ٢٠ أو ٣٠ عربة كبيرة وكلها مشحونة ببني آدم
ثم نظر الى الزوارق البخارية والى سواربها التي تجعل النهر كغابة
بالغة في الاتساع ثم نظر الى عربات الامنيبوس وهي تجدد في
السير وايس بها مقعد حال ثم نظر الى حركة الشوارع وما فيها

تختص
حركة لوندرة

من المركبات المختلفة المقادير والاحجام والاشكال والانواع وكلها غاصه بالناس وبالفضائع ثم نظر الى جانبي الطريق ورأى الاقوام تمور وتموج كالسيل المنهمر الذي لا يصدده عائق فلا شك أن يعتريه اضطراب واندهاش وتأخذ هذه الحيرة والاختبال ويحكم بان هذه المدينة كقرية النمل وليس لها من هذا القبيل نظير في العالم بأسره على الاطلاق والذي يزيد في الاعجاب والاستغراب أنه لا يسمع صوتا ولا صياحا ولا ضججة ولا اعترا كما بنسبة جزء من ألف جزء من هذه الحركة بل كل انسان صامت أو هامس مقبل على شؤنه مكذ في الذهاب الى مقصده وكل شئ يجري فيها كالساعة المنتظمة ذات الآلات الكثيرة والغايات المتنوعة حتى ان الغريب

ليحكم بانه بين قوم لا يسمعون ولا يتكلمون

ولأنه نقل من هذا الموضوع قبل أن أذكر شيأ يسيرا عن سكة حديد
سكة حديد العاصمة
العاصمة
حديد العاصمة فانها عبارة عن طريقين أولهما يدور حول السبي
City (أعنى المدينة مثل السكرية والغورية وما حواليهما من
الجهات فانها معروفة في مصر القاهرة باسم المدينة أيضا) والثاني
حول البلد كلها وهما متصلان ببعضهما في كثير من النقط
وقد بلغت نفقات الميل الواحد فيما بلغت ثلاثة ملايين من الجنيهات
لان الشركة التزمت بدفع قيمة الاراضي والمنازل وحفر الارض

وبنيان القباب والعقود وغير ذلك مما يوجب صرف المبالغ
الجسيمة وبما أن القطارات في هذه الطرق تسير تحت الارض
الا عند دخولها في المحاط (فانها ككلها مكشوفة الى السماء)
فقد رأى مهندسو الشركة أن يصنعوا الآلات البخارية محتوية
على مزيتين مقيدين جدا لمقتضى الحال فأولاهما ان الآلة
مجهزة بحيث انها تحرق الدخان المتصاعد منها فلا يكون له أدنى
تأثير وثانيتها أنها تصطنع من الفحم الذى تحرقه زيت الحجر (الغاز
أو البترول) اللازم لضاءة كافة العربات على الدوام والاستمرار
ثم ان القطار يدخل المحطة وهو فى منتهى السرعة ويقف
مرة واحدة فيحصل ارتجاج خفيف جدا لا يكاد يشعر به الانسان
والسبب فى ذلك أنهم وضعوا فى ثلاث جهات من الرصيف ثلاثة
ألواح كبيرة لتوفير الوقت ومكتوب عليها ما معناه (انتظر هنا للدرجة
الاولى أو الثانية أو الثالثة) فيقف ركاب الدرجة الاولى فى المكان
المعين وركاب الدرجة الثانية فى المحل المخصص لهم ومثلهما
أصحاب الدرجة الثالثة ثم ان العربات فى المقطر مرتبة وراء
بعضها بحسب الترتيب المعين فى رصيف المحطة فتى جاء الواور
وقف فى المكان المناسب فلا يكون على المسافرين الا أن يدخلوا
العربات من غير تعب ولا سؤال بل بتحريك القدم خطوة أو

خيلوتين بالاكثر وذلك لمنع الاختلاط فان القطار لا يقف أكثر من بعض ثوان وتجد على باب العربات من الداخل عبارة هـ هذه ترجمتها (انتظروا حتى يقف القطر) ولكنى أرى من الواجب على المسافر أن يشرع في النزول بمجرد وقوف القطر لان أقل تأخير يترتب عليه ان يساق الى المحطة الثانية ثم يرجع مع قطر آخر الى المحطة المقصودة من غير أن يلتزم بدفع أجرة تكبيلية بشرط أن لا يظهر على وجه الارض بل يستمر على رصيف المحطة وهذا أمر ينبغي تنبه الغريب اليه فان كثرة الاعلانات في المحطة تمنعه ولا شك من أن يعرف اسمها فلا جدربه والحالة هذه أن يسأل قبل النزول في القطر عن عدد المحطات التي سيكون الوقوف فيها قبل الوصول الى المحطة اللازمة أو أن يجتهد في قراءة اسم المحطة على فوائدها ودكلاء الانتظار فاتهم المحلان الوحيدان الباقيان للآن في حرزوأمان من هجمات أصحاب الاعلان

وكل انسان يركب في القطر يجوز له أن يؤمن على حياته ونفسه من العوارض والاحطار التي ربما تطرأ في أثناء السفر ففي حالة الوفاة تدفع الشركة ألف جنيه انكليزي لورثة المسافر في الدرجة الاولى الذي يكون قد آمن على حياته بدفع مبلغ يوازي ١٢ ملية زيادة على ثمن التذكرة وتدفع مبلغ ٣٠٠ جنيه لورثة المسافر في

الدرجة الثانية الذي يدفع ٨ مليمات زيادة على ثمن التذكرة
ومبلغ ٢٠٠ جنيه للمسافر في الدرجة الثالثة الذي يدفع ٤ مليمات
زيادة على ثمن التذكرة فإذا كان العارض غير الوفاة التزمت الشركة
بالتعويض بمبلغ نسبي بحسب شدة العارض وخففته
وفي هذا المقام أذكر ما رواه بعضهم من أن رجلا من الانكليز
كان يركب على الدوام في الدرجة الاولى ولا ينسى مطلقا التأمين
على حياته وفي كل مرة وصل المحطة بالسلامة أخذ في اللعن والشتم
والسباب لعدم وقوع ما كان ينتظره لعائلته من الثروة واليسار
وحقيقة فان الاخطار قليلة بل نادرة بل لاتسكا تذكري
وقد كان انشاء هذا الخط في سنة ١٨٦١ وله أكثر من
٣ محطات وقد يمتد الى بعض ضواحي لوندريه (ويكون حينئذ على
وجه الارض) وقد يسير تحت نهر التيمز في نفق هو عبارة عن انبوبة
من الحديد وفي كل خمس دقائق يقوم قطار وذلك من الساعة ستة
صباحا الى نصف الليل (ولكن القطر يقوم قبل الساعة ٨ صباحا
وبعد الساعة ٨ مساء في كل ربع ساعة) وثن التذاكر طفيف
جدا فلا يزيد على خمسة فروش صاغ
وأقول بهذه المناسبة ان تسجيل المتاع ليس من أصول السكة
الحديدية في بلاد الانكليز على العموم (لا كما في ايطاليا أو

منها أقره) بل ان المستخدمين يستغربون من الذى يطلب ذلك منهم لان القاعـدة العامة (وقد يكون لها استثناء لأعرفه الآن) ان الانسان يكتب اسمه واسم المحطة على متاعه ثم يياشر وضعه على عربة صغيرة فى الرصيف ثم فى العربة المعروفة (باسم عربة العفش) ومتى وصل الى المحطة المقصودة نزل وتوجه الى المستخدم وأعلمه عن متاعه فيسلمه فى الحال من غير أدنى تعب ولا اختلاط ونزاع أو عطل أو مماثلة

وعندى كلام كثير على السكك الحديدية وكثرتها وتقدمها فى بلاد الانجليز ولكن لايسمع لى المقام بإيراده الآن وانما لايسمعنى ان أخفى اعجابى بها من كل الوجوه حتى ان الانسان لايتصور كيف أنها لاتنقل هذه البلاد وخصوصا لوندرة الى اية جهة من أقطار المعمورة

ومن أغرب الشركات التى فى هذه المدينة شركتان ليس شركات الاستدعاء بالكهرباء لهما من عمل سوى الاستدعاء بالكهرباء وذلك أن لكل منهما مشتركين فى جميع جهات المدينة وكافة انحاءها ومنازلهم متصلة بسلك كهربائى بالمكتب الموجودة فى دائرته ويكون فى المنزل شبه منزولة عليها خمسة أزرار الاول للساعى والثانى للطيب والثالث للعربة والرابع للاستغاثة من الحريق والخامس للاستنجاد بالبوليس فاذا

ضغط المشترك على أحد هذه الأزرار عرفت الشركة مطلوبه فنبعث له في الحال ساعيا أو طبييا (وإذا كان له طبيب مخصوص يكون عنوانه معلوما عندها فتخبره بالطلب) أو عربة للركوب أو طلبات الحريق أو رجالا بواسطة إدارة البوايس لامتداده بالقوة اللازمة وهاتان الشركتان مستعدتان أيضا لخدمة غير المشتركين بهما فيجوز لهم ارسال طرودهم وأمتعتهم بواسطة ساعاتها في نظير أجرة لا تزيد عن ١٢ مليما في الساعة وفوائد هذه الشركات ظاهرة خصوصا في المدن الكبيرة

شركة حماية
الحيوانات

وهذا الحديث على الشركات يسوقني الى ذكر شئ وجيز عن شركة حماية الحيوانات وان كان اسمها معروفا في مصر فانها من أغرب الشركات وأفيدها وهذه الشركة تحت حماية البرنس دوغال ولى العهد وقد كان لها تأثير عظيم في هذه البلاد بحيث انك لا ترى القوم حتى الذين من الطبقة الدنيا يتجاسرون بأى حال ولاى سبب على اهانة الحيوان الاعجم واساءته ولها عمال كثيرون ومن أعضائهم اجم غفير من أصحاب الوجاهة والنفوذ وكل من أقدم على هذا العمل المنكر حكم عليه بالاشغال الشاقة من ستة شهور الى سنة كاملة وكثيرا ما ركبت في عربات متعددة ولا أتذكر أن السائق رفع السوط على الحصان أكثر من

مرتين بكل خفة وكثيرا ما قطعت المسافات الطويلة من غير أن
يلبس السوط جسد الحصان على الاطلاق ومنزل هذه الشركة للزوم
لها في بلادنا اذا راعينا الاحكام الشرعية المفروضة كما هو الواجب
علينا .

وقد رأيت في البلاد الافرنكية التي مررت بها قاعات شركات المطالعة
المطالعة ولكنها في لوندرة قليلة وليس للحكومة يد فيها البتة بل ^{والكتبخانات}
قد أنشأتها شركات تجارية متنوعة أو خاصة بطبع الكتب ونشرها
وقد أسست بعض الشركات كتبخانات ترسل الكتب اللازمة الى
منازل المشتركين فلا تكلفهم التوجه الى مركزها لانتقاء
الكتب التي يرغبون مطالعتها في منازلهم وقيمة الاشتراك من
جيبه واحد الى خمسة الى ستة في السنة

وفي هذه المدينة غير ذلك من الشركات التي لا تدخل تحت شركات
حصر ولو أردت أن أذكر كلمة على كل واحدة أو أكتفي بمجرد ^{التوريد}
الإشارة الى اسمها لاتسع المجال بما يوجب الملل مهما كان اصطبار
التارئ ومجاملته للكتاب ~~ولكن~~ أقول اني رأيت فيها كثيرا
من شركات التوريد التي تتعهد للمشاركين بجميع ما يطلبه من
الاصناف والمحصولات اللازمة له ولعائلته ولنزله بانحس الاثمان
ومن أجود الاصناف

النوادي
وغرابية
تنوعها

ثم أنتقل الى الكلام على النوادي (المعروفة بالكلوب) فانها كثيرة جدا وأهمها نحو المائة وكلها في قصور نفيسة شامخة باذخة بالغة النهاية في الزخرفة والاتساع والاتقان والاختواء على كل ما يطلبه الانسان من مأكول ومشروب وجرائد وكتب وغير ذلك مما يلزم للفكاهة والمساهرة وتضيئة الوقت في نعيم وسرور وكل شئ فيها من أجود نوعه وبثمن المقتطوعة (الذي يساويه فقط) وهي معدة لاجتماع الاصحاب والاصدقاء الذين من صنف واحد وأذواق متشابهة وعددها بالنسبة الى لوندرة أكثر منه في أية عاصمة أخرى من عواصم أوروبا ولا يقبل العضو فيها الا بعد اقتراع سرى دقيق جدا ورسم الدخول من خمسة جنيهات الى أربعين (والغالب ٢٥) والرسوم السنوية من ثلاثة جنيهات الى خمسة عشر هذا عدا ثمن المأكولات والمشروبات وفي بعضها يجوز للعضو أن يستضيف بعض خلائه ومنها ماهو للرجال والنساء ومنها ماهو للنساء خاصة أو للعلماء أو لحزب المحافظين أو لحزب الاحرار أو للهند الشرقية أو للضباط البرية والبحرية العاملين أو للضباط المتقاعدين أو للمستعمرات أو لتحسين نوع الكلاب أو لمدرسة اكسفورد الجامعة أو لمدرسة كبريدج الجامعة (ولا يقبل فيهما الا المتخرج منهما) أو لالعاب الكرة أو لرجال السياسة

أول للسياحة (ولا يدخل فيها إلا من ساح إلى مسافة ٥٠٠ ميل عن لوندزه) أول رجال الآداب ومن أغرب نواديها ذلك المعروف باسم النهادى المتوحش وفيه كثير من أرباب الجرائد والآداب والفنون والتشخيص ومن أعضائه البرنس دونغال ورسم الدخول فيه ٨ جنيهات والرسوم السنوية ثلاثة جنيهات ولا أغلب المدارس نوادى خاصة بتلامذتها الحاليين والسابقين وقد يزيد أعضاء بعض النوادى عن ٧٠٠٠ شخص

وكل جمعية وكل شركة وكل ناد يولم في السنة وليمة فاخرة وأهم هذه الولائم وليمة جمعية التصوير ويجتمع فيها أكبر أرباب العلم والسياسة والرياسة والجيش والبحرية وأعضاء البرلمان ورؤساء الاساقفة والافوكاتية والبرنس دونغال واخوته وكل من اشتهر في فن أو عمل وقيمة التذقات في هذه الوليمة تباع من ٤ جنيهات إلى ٨ جنيهات عن كل واحد من المدعوين

وفي هذه المدينة أكثر من سبعة آلاف مطعم (لوكلده) مطاعم لوندزه
وقهاريها
والخدمة فيها كلها منتظمة جدا ولو ان أماكنها في الغالب ليست بالغة في الزخرفة مثل نظائرها في أوروبا وكثير من هذه المطاعم على مذهب الهنود فلا تجد فيها سوى الحضارات وما تنبتة الارض وأما اللحوم فلا توجد فيها البتة لانها محترمة

وفيها نحو ألف قهوة وكأها على الطرز الانكليزي آى ان
الانسان يمكنه أن يتناول الطعام فيها بثمن بخس ولكنه اذا طلب
شيأ من المشروب وجب عليه دفع الثمن مقدما للخادم لكي
يستحضره له من الخارج (وكذلك الحال فى بعض الفنادق وفى
كثير من المطاعم) لان هذه الاماكن ليس لها رخصة فى بيع
المشروبات ثم ان القهوة عبارة عن قاعة ضيقة تنقسم الى
طوالات من الخشب منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ومنبثة
فى الحائط والارض مثل تقسيم عربات الدرجة الثانية فى السكة
الحديدية فكل الانسان فيها وهو بعزل عن جاره وفيها تجدد واما
القهوة والشاي والشكولاته والكافى والبيض والجبن

أما كمن
الاجتماع
العمومية
أشبهه يورص تجتمع فيها التجار والنواخذة (مجهز والسفن
Armateurs) وأصحاب الضمان من الحريق والغرق وسائر
الطوارق والعوارض والسمايرة وأمثالهم فيتعاقدون فيها
ويتبايعون

وفيها بعض محلات يسمونها دواوين السجائر تشبه القهاوى
التي فى أوروبا ويكون بعضها عبارة عن قاعة كبيرة فيها نجف
وثرىات وألواح فيها صور ورسوم وعند الدخول يدفع الانسان

شلتنا واحدا (ه صاع) ويكون له حق في سجارة افرنكية وفنجان
قهوة وقراءة أهم الجرائد المطبوعة في انكلترة وفي أوروبا وقد أنشأ
بعض الفرنسيين والاطليانيين قهاوى على الطراز الاوروبوى
(المتعارف في مصر) ولكن هذين الصنفين من الاماكن العمومية
لايجوز لهما بل ولا يمكنهما وضع الموائد والكراسى على برازيق (١)
الطريق

ومتى سار الانسان على برازيق الطريق رأى فيما بين الحوائت
كثيرا من مخازن الدخان فانها في لوندرة فوق العدد والاحصاء

وقد رأيت كثيرا من الحمامات فيها الماء الملح الاجاح أو العذب الحمامك
الفرات باردا أو مسخنا على درجات مختلفة وفيها حمامات على
الطرز التركي المتعارف في مصر وقد صار للانكليز الآن بها ولع
وغرام وان لم يكن القائمون بالخدمة فيها على شئ من مهارة أهل

(١) البرزق يقابل كلمة التوتوار الفرنسية (Trottoir) الشائعة الآن
راجع شرح القاموس ولسان العرب في ترجمة ب رزق تجدان معناه "القسم من
الطريق العام المخصص على جانبيه للسائرين على الاقدام" وأما كلمة افرى التي
استعملت تحاشيا من كلمة تروتوار (أوتل توار بحسب نطق العوام) فهي في غير
موضعها الا انها فارسية معربة ومعناها في كتب اللعبة "الجزء البارز من أطراف
أعلى البناء" فيقابلها لفظ كريس المعرب عن الفرنسية ومنها قول
لفرنساوين (frise) عماء

بلادنا وفي بعض الحسابات لاتزيد الاجرة عن ١٢ مليا ومع ذلك
فان الشركات القائمة بادارتها تريح ارباحا وافرة

التيارات
والملاهي
وفيهاتيارات كثيرة وأشهرها ثلاثة وثلاثون وفيها عدد عظيم
من الملاهي وقهاوى الغناء والموسيقى وأما كن عرض الصور
والبهلون وغير ذلك مما يكون فيه تشخيص الروايات أيضا

جرائدها
ودياناتها
وفيهما وحدها أكثر من ٤٠٠ جريدة منها ٥٠ للديانة على

سائر مذاهبها فان الشيع الدينية في بلاد انكلترة كثيرة متنوعة

جدا وهم يحترمون كل الاديان وكافة الاعتقادات حتى انه يصح

أن يقال ان كل انكليزي يعبد الله بحسب هواه وقد بلغ عدد

الديانات والمذاهب في بلادهم أكثر من ١٨٣ وكل واحدة من هذه

الشيع تدعى بالطبع أنها هي التي فازت باكتشاف الحقيقة وهي

تتناظر مثل مناظرة الشركات التجارية ومع ذلك ففي كل يوم تظهر

شيع جديدة وأبغض المذاهب الى هذه الامة هو المذهب الكاثوليكي

الرسولى الرومانى وبكرهون البابا كراهة التحريم وهذا التعصب

المطلق بجانب ذلك التساهل المطلق هو من باب التناقض المطلق

الكويكرز وافكارهم واعتقاداتهم وآراؤهم ومقالاتهم في غاية الغرابة

ولايسمح لى المقام الا ان يبين شئ منها ومع ذلك أقول ان

منهم طائفة تسمى الكويكرز (Quakers) لايركعون الا لالعلى

المتعالى ولا يرفعون قبعتهم لاحد ما (كما هي عادة الافرنج)
ويخاطبون الناس قاطبة بالكاف أى لا يعظمون المفرد باستعمال
الجمع كما نحو المؤلف فى أروبا فلا يقولون حضرتكم أو أنتم
أو ما أشبه ذلك بل قلت لك أنك فعلت كيت وكيت . . . الخ
وهذا النوع من التعبير يسمى عند العرب (المخاطبة بالكاف) وعند
الفرنساويين (Tutoyer) ولا يخلفون أبدا حتى أمام المحاكم
ويعتنعون من الدخول فى سلك العسكرية لانهم يعتبرون الحرب
محرمة وجنابة حتى ان جون برط السيامى الانكليزى المشهور
استعفى من وزارة غلادستون فى سنة ١٨٨٢ بسبب الحرب التى
وقعت بين انكلترة وأهل الثورة العربية فى مصر ولهم غير ذلك
من الاطوار والاخلاق

وأما جيش السلام فلا أتكلم عليه الآن وإنما أقول ان
جماعة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندرة بقصد تبويد الانكليز (اذا
صح التعبير أى جعل الانكليز كلهم على مذهب بوذه Boudha)
وبلغنى ان لهم هيكلًا تقام فيه شعائرهم الدينية فى خط وبت شابل
(White Chapel) المعمور بالوف من الخلائق وعلمت أن
أعمالهم سائرة فى طريق التقدم وأن بعضا من رجال البوليس
الانكليزين قد دخلوا فى زميرتهم

استراحة
م الأحد
انكثرة

وبمناسبة الديانة والكلام عليها أقول الآن ان أمة الانكليز انفسدت عن سائر سكان الارض بمراعاة الراحة المطلقة في يوم الأحد فهو عندهم يوم مقدس تنقطع فيه الاعمال مرة واحدة ويستعدون لذلك من ابتداء عصر السبت فترى الخلائق تتناقص والازدحام يتقل شيئاً فشيئاً والمخازن تغلق والنواقيس تدق ومتى جن الليل عادت الحركة الى منتهائها ورجع الاضطراب الى اقصاه لكن في الاسواق فقط اذ يتوجه القوم اليها من كل صوب لاختذ المؤونة والذخيرة اللازمة لذلك اليوم الذي يقف فيه دولاب الاعمال وينقطع الاخذ والعطاء والبيع والشراء حتى فيما يتعلق بالقوت اللازم لحياة النفوس ومتى أصبح الصباح رأيت المدينة فقراً بلقعا ليس فيها سوى التليل من رجال الشرطة وبعض نفر منثور في شوارعها وأما المخازن والابواب والشبايك وديارات الحف والآثار والسيارات فكلها مغلقة والعربات بجميع أنواعها يقل وجودها بالكلية وأما القهاري واللو كادات فتفتح في مواقيت الفراغ من الصلاة فقط أي من الساعة الاولى الى الساعة الثالثة بعد الظهر ومن الساعة السادسة بعده الى ما قبل نصف الليل بساعة و لكن الاغرب من ذلك كله ان البوستة مع أهميتها تعطل حركتها فلا تباشر أي عمل ما ولا توزع الخطابات الواردة اليها

ولا ترسل المكاتب الصادرة الى الخارج ومثلها التلغراف فان
أسلاكه تستريح أيضا في هذا اليوم يوم الراحة العامة إلا في
بعض المحاط الكبيرة جدا وكذلك الكرك فإنه يحجز البضائع وأمتعة
المسافرين الذين يقدمون الى هذه البلاد في هذا اليوم المشؤم فإنه
حقيقة يوم الحسرة على الغريب يضطره للاعتكاف في منزله وتضييع
يوم من حياته بلا ثمرة ولا عمل والقضبان الحديدية لا بد أيضا من استراحتها
فلا تتشى القطارات عليها أثناء القداس وفي غير هذا الوقت تقل
حركاتها الى الربع أو أقل وترى في جداول مواقيت السفر خاتمة
عمومية لايام الاسبوع وخاتمة خصوصية للانتطارات القايلة جدا التي
تقوم في يوم الاحد وتلك المحاط التي كانت بالامس عامرة آهلة
بالخلائق تصبح وهي ساكنة مطمئنة ويكون منظرها مع عظمتها
وانساعها مشوبا بشئ من الايحاش يجعلها أشبه بقبر هائل
وخلاصة القول أن المدينة كلها ينقطع منها الحس وتبارحها الحياة
فكانها سراج قد خبا نوره فجأة ولا يتصور المرء أنه مازال في تلك
المدينة المتماوجة بهذه المخلوقات بل يخطر على باله أنه دخل بلدا
جاءها النذير بقرب جيش هاجم عليها فولى أهلها الادبار وتركوا
الديار وما في الديار ملتجئين الى الخلووات والقنار وأبقوا بعضا من
الرجال يراقب حركات العدو ويعلمهم بأعماله حتى اذا أقبل المساء

ابتدأت الحياة تدب في هذه الآلة العظيمة المعروفة بلوندره فنرى
بعض الناس يبتدون في الجولان ومتى قابل الواحد منهم صاحبه
(من الرجال أو النساء) سأله هل كنت في الكنيسة فيجيبه بالاجاب
أو يعتذر بعذر قوى مقبول ولاجل ذلك ينبغى للغريب أن يغتنم
فرصة الاحد في التوجه الى الكنيسة في الصباح ثم يخرج الى
أرباض البلد لاستنشاق الهواء الصحيح فانه يكون محتاجا اليه اقلته
في لوندره بسبب الدخان ولكن أشير عليه بأن يرجع في عصر النهار
ويطوف بعض الشوارع ويمر ببعض الحدائق مثل هايدبارك وغيره

فانه يرى فيها كثيرا من الخطباء وأغلبهم من الشغالة واقفين
يخطبون في أى موضوع يدور في أذهانهم مثل الفوضى والاشتركية
والديانة بسائر أجزائها عندهم وترى الرجل منهم يخطب وحواليه
جماهير تتسكك كاعليه كتسكك كهم على ذى حنة وهو لا يقول لهم
افرنقوا بل كلما زاد عددهم رفع عقيرته مشيرا الى اليمين والى الشمال
مكثرا من القيل والقال والاغرب من ذلك ان بعضهم يقف يتكلم
بصوت مرتفع ويشير بيديه مع انه وحده وليس حوله من يستمع
له ولكنه يوالى الكلام كأنه محاط بالاقوام ويستمر بالامعاء الى
من يمرض وجودهم ذات اليمين وذات الشمال ومنهم من يبحى
في ركب جليل بالموسيقى والاعانى والانشيد وغير ذلك من

الخطباء في
هايدبارك
وعيره

المقنذمات التي تصطاد العامة وتجذبهم الى حضور مقالته ومنهم من يطوفون في الشوارع بالالغان والانغام والرايات والاعلام وقد رأيت في بعض الجرائد ذكر حادثة من أغرب ما رواه الراوون في هذا الموضوع قد حصلت بلوندره في رأس عيد السنة وكنت وقتئذ بلشبونة عاصمة البرتغال ولا أرى بأسا من ايرادها في هذا المقام لتسام المناسبة

ان واعظا من أشهر واعظ الانكليز وأبلغ خطبائهم اعان أنه عازم أن يعظ البهال الذين لا عمل لهم في كنيسة ماربولس الكبرى بلندن فتقاطر الفقراء الذين ليس لهم عمل يعيشون به الى الكنيسة ووقف رجال البوليس صفوفًا خوفًا من ان يأتوا أمرا مخلا بالنظام ولكنهم دخلوا الكنيسة أفواجا على غاية من الهدوء والانتظام وجلسوا في أما كنهم على الترتيب وعلامات الاحترام والوقار بادية على وجه كل منهم مع انه كان بينهم الفوضويون والاشتراكيون والمحركون على تكدير صفاء الراحة ثم أغاض الواعظ في كلام أثار به اعماق النفوس وحرك العواطف وأقنع العقول فاستمال اليه معظم الحضور من الذين كان يظن انهم جازا مستهزئين فخرجوا مصابين مستغفرين ولكن قوما كانوا يعارضون الواعظ من حين الى حين تارة بعدم استحسان أقواله وطورا بكلام الهزل كانهم في اجتماع عقوده في

حديقة من الحقائق العمومية وجعل المتطرفون من الفوضويين
والاشتراكيين بينهم يوزعون رسائلهم الثورية على الحاضرين
ليقرؤها ولما انتهى الواعظ خرج موكبهم متجهرا وسار زعماءهم
بالرايات الحمراء وهم ينشدون النشيد الفرنسي المعروف
بالمرسيليا

وبالاختصار ان كل واحد منهم تزين له نفسه الكلام يقف
في أى مكان ثم يتكلم بما يريد ويجتمع الناس حوله أولا يجتمعون
ويكون رجال الشرطة بجانبهم غير مباليين بتجمعهم مهما كانت
أقوال الخطيب موجهة ضد الدولة أو بالحث على احراق دور
الاعنياء وسلب المخازن الكبيرة وما أشبه ذلك فان حرية المقال في
هذه البلاد وصلت الى ما هو فوق منتهائها

وفي يوم الاحد يكثر السكر والسمرقة أيضا لان الانكليز
لا يعترفون الوسط فان بلادهم بلاد التناقض جمعت الاطراف
فاما التناهي في الغنى واما التناهي في الفقر واما التناهي في
الفضيلة والعفاف واما التناهي في الرذيلة والفجور واما التناهي
في العمل واما التناهي في الكسل الى غير ذلك من الاطراف حتى
ان المدينة اما أن تكون غاصة بالجاهل أو تكون خلوا من العالم
بالرة (في يوم الاحد) وهكذا

التناقض
بانسكترة

والكثرة اللصوص وتفمنهم فيها ينبغي بل يجب على الانسان لا تكلم من
أن لا يكلم أحدا لا يعرفه وأن يجتنب كل من يعرض عليه خدمته ^{لا تعرفه}
بلوادة وارشاداته أو يبادره بالكلام وإذا احتاج لاي أمر من الامور فلا
يسأل الارجل البوليس فانهم يبادرون بالاجابة بمصدق وفتانة أو
يدخل في بعض المخازن ويستعلم فيها عما يريد وقد اعتاد الانكليز
أنفسهم على ذلك فاذا اتفق لك من سوء الحظ أنك كملت واحدا
منهم فان كان من أصحاب الادب وأهل المجاملة أجابك بنعم أولا
من غير زيادة وكثيرا ما يعرض عن الاجابة ويلزم الصمت ويستمر
في طريقته من غير أن يلتفت اليك بالمره وان كان شرسا أعطاك
درسا أو قلع لك ضرسا

هذا وأينما سار الانسان في شوارع لوندرة رأى حوانيت
عمميات عليها صناديق للبوستة وفي كل صندوق فتحتان كبيرتان
على البريد احدهما الوضع المراسلات الخاصة بالمدينة نفسها والثانية للمراسلات
التي يرسم أقاليم انكلترة والبلاد الاجنبية وفي بعض الشوارع
المتباعدة عن هذه الحوانيت ترى على برازيق الطريق اسطوانات
كثيرة من الحديد الملون بالبوية الحمراء معدة لوضع المراسلات فيها
حتى لا ياتزم الانسان بالتوجه الى المكتب القريب منه وعن تذكرة
(- ١٠ رسائل)

لبوستة للمملكة البريطانية نصف بنس (أى ٢ مايم) وللخارج بنس واحد (أربعة مليم) وعدد مرات التوزيع فى الستى اثنتا عشرة مرة فى كل يوم واحدى عشرة فى المواضع التى حول دار البوستة المركزية على مسافة ثلاثة أميال ويتبدئ التوزيع من الساعة ٧ ونصف افرسكى صباحا وفى بعض الجهات يكون ارسال المكاتبات بالتلغراف فى قناة يفرغون منها الهواء وعلامة ساعى البوستة أن يدق على الباب دقتين عنيفتين وفيما عدا الجهات المحيطة بدار البوستة يكون التوزيع ست مرات فى اليوم الواحد ويجوز إرجاع طوابع البوستة الى مكاتبها فتخصم من قيمتها ٢ ونصف فى المائة فى نظير العمولة والاصدار واعلم أنه يوجد بهذه المدينة شوارع كثيرة لها اسم واحد وقد يبلغ عددها عن كل اسم واحد ١٠ أو ١٥ فلجل منع الاختلاط الذى يتأتى حصوله بهذا السبب قسمت ادارة البوستة المدينة الى ثمانية أقسام باعتبار الجهات الاربع الاصلية والجهات الاربع الفرعية ووضعت حرفا أو حرفين (ج ش أى جنوب شرقى مثلا) للتمييز بينها بالسهولة حتى لا يحصل عائق أو غلط فى التوزيع ولذلك ينبغى لكل من يرسل أحدا من أهل لوندرة أن يضع هذه الحروف الصغيرة بعد ذكر اسم الشارع والمدينة لسهولة التسليم وعدم التعطيل

أما التلغراف فكان قبل سنة ١٨٧١ اثلاثين شركة ثم عمومات على
أخذته الحكومة وجعلته تابعا لمصلحة البوسنة ومع أن أقل أجرة
التلغراف
لارسال أى تلغراف من لوندرة واليا هي أعلى مما في بلادنا لانها
هنا ست ينسات (أى خمسة قروش من العملة الدارجة) وهى فى
بلادنا قرشان فقط بالعمله الصاغ ولكن القوم يستخدمونه بكثرة
لا يتصورها العقل لانهم يفضلون خسارة القليل من المال واكتساب
الوقت الثمين ومع ذلك فاعمال البوسنة أيضا مازالت رائجة
واذا دفع الان ان أجرة رد التلغراف وفات الوقت المقرر للاجابة
أمكنه ان يرجع مادفعه لهذا الغرض فى ظرف ثلاثة أيام من
تاريخ الارسال ويجوز إرسال الرسالة البرقية الى جملة أشخاص
مقيمين فى مقاطعة واحدة بشرط أن يدفع المرسل ٨ مليمات على
كل نسخة غير النسخة الاصلية ويجوز أيضا إرسالها الى أشخاص
مقيمين فى جهات مختلفة بعد دفع نصف الأجرة العادية على كل
نسخة خلاف النسخة الاصلية وهذه التسهيلات المفيدة للمصلحة
والجمهور غير موجودة فى بلادنا

وبمناسبة التلغراف أذكر أنه يوجد بين باريس ولوندرة سلك
عمومات على
التلفون
تلفونى وأجرة التلغراف فيه لاى فرد من أفراد الناس مدة ثلاث

دقائق ٨ ثلثات (٤٠ قرشا صانعا) أما التلفون الخاص بلوندره
وحدها فهو في يد مجلة شركات

المدارس

ولا يسعني الا أن أؤجل الكلام على التعليم والمستشفيات
وأكتفي بأن أقول ان المدارس في هذه البلاد تعتنى عناية عظيمة
بتربية الجسد والعقل لان العقل السليم لا يكون الا في الجسد
السليم (Mens sana in corpore sano) ومن مجلة المدارس
التي زرتها مدرسة ايرلوورث المعروفة باسم (نيو برو رودكوليج)
فرايت النظام فيها بالغاحده وناظرها المستر بارنت (Barnett)
على غاية الظرف والالطف وحسن المعاملة ودمائة الاخلاق وعلمت
منه وتحققت بنفسى أن تلامذتنا المصريين فيها بلغوا من التقدم
والنجاح درجة يعجبون عليها وأنا متأكد من الآن أنهم
سيخدمون الوطن خدمة جليلة عند رجوعهم اليه بما اكتسبوه
من المعارف والآداب ويسرنى بل يجب على أن أورد أسماءهم
في هذا المقام وهم حضرات الافندية أحمد براده ومحمود يوسف
ومحمود قاسم

وقد أصدرت نظارة المعارف العمومية أمرها الى وطنينا المجتهد
الفاضل حسن افندى توفيق الذى كان فى برلين بالتوجه
الى لوندره لتعلم اللغة الانكليزية وغيرها بهذه المدرسة ورأيت

وعلمت منه بكل ارتياح وانسراح أنه ألف كتابا في التاريخ العام وأنه بعد أن يتمه قريبا يشرع في تدوين ما استفاده من أنواع العرفان ووقف عليه من شتات الفوائد التي تنفع أبناء بلاده ولعمري الحق ان هذه النتائج مما يسر مصر وكل محب لها ولاهلها وأقول مثل ذلك أيضا عن حضرات الافندية التلامذة على عمر وأحمد فهمي ومحمود اسمعيل الموجودين بمدرسة هو مرتن فاني توهمت فيهم النجابة والنطانة وتفurst أنهم عند عودتهم الى وطنهم بعد زمن قريب سيبرهنون على أنهم لم يضيعوا أوقاتهم سدى بل اكتسبوا من العلوم ما يجعلهم هم واخوانهم ان شاء الله وساعدتهم العناية في مقدمة العاملين على اتحاف أبناء بلادهم بما يفيدهم في ميدان العرفان (وان غدا لناظره قريب)

وسأشرح لك الكلام في الرحلة على التعليم وطرقه وقرب الوصول الى ثمراته في بلاد الانكليز وعلى مدرسة اكسفورد الجامعة بنوع خصوصي لاني زرتها بالتفصيل وأكتفى الآن بايراد بعض المراتب التي للاساتذة لتعلم أن مراتب أمثالهم في بلادنا أقل مما يكتسب به الواحد منهم في يوم أو بعض يوم منال ذلك أن المدرسة الجامعة في اسكتلندة تدفع لمدرس الكيمياء ٨٠

ألف فرنك في السنة أى ثلاثة آلاف ومائتى جنيهه أى مائتين وستة وستين جنيها وثلاثى جنيهه في الشهر الواحد ولمدرس التشريح ٧٥٠٠٠ فرنك ولمدرس الطب ٦٥٠٠٠ فرنك ولكل من مدرس التاريخ الطبيعى والباوتولوجيا ٢٠٠٠٠ فرنك ومدرس النباتات مرتبه السنوى ٥٥٠٠٠ فرنك ويوجد في المدرسة الجامعة بمدينة جلاسكو مدرس للتشريح ومرتبته ٥٥٠٠٠ فرنك في السنة وأما المدرسة الجامعة باكسفورد ففيها ٤٦٤ مدرسا مجموع مرتبهم السنوى أربعة ملايين من الفرنكات أى متوسط الواحد منهم ٩٥٠٠ فرنك وفي المدرسة الجامعة بكبريدج ٤٨٣ استاذا ومجموع مرتبهم السنوى ٣,٣٠٠,٠٠٠ فرنك وفي دبلين عاصمة ايرلندة مدرسة اسمها الترينتى (أى التثليث) وفيها ٥٩ مدرسا مرتبهم ٠٠ ر ٨٠٠ فرنك في السنة فهكذا تكون العناية بالتعليم والقائمين به

الاعلانات
وهولها
ومن الامور التى تدهش القادم الى لوندرة كثرة الاعلانات التى يراها على جدران المحطة وكل مكان فيها حتى لايمكنه مطلقا معرفة اسم المحطة وتمييزه عن الاعلانات ثم متى سار في الشوارع رآها كلها اعلانات واذا ركب في عربات الاومنيبوس أو غيرها رآها كلها اعلانات من الداخل والخارج والاسفل والاعلى ولقد كان صدرى

يصيق من رؤيتها وهي كأنها تهددني بوجوب قراءتها والعمل
بماتشير اليه والاستحصال على ما تدل عليه فكنت اذا قايت
طرفي يمنة أو يسرة أو رفعتة الى أعلى أو خفضته الى أسفل
أو حولته الى الخلف أو رجعت به الى الامام رأيت الاعلان واقفا
لى بالمرصاد فاذا أغمضت الطرف لاستريح منه قليلا ثم انتهت فلا
مناص لى من رؤيته على الدوام وفي كل مكان مختلف الصور
والاشكال والرسوم والالوان فاذا أخذت تذكرة للسكة الحديدية
أو عربات الاومنيبوس أو غير ذلك رأيت الاعلان مقتفيا أثرى
وأثر كل من كان فى أى مكان وأى زمان فاذا اشتريت كتاباً أو
جريدة أو تعريفه أو خريطة أو ما أشبه ذلك رأيت الاعلان هو
هو على الدوام يضطرنى لقراءته بالرغم عنى قبل أى موضوع يهمنى
فاذا مشيت على برازىق الطريق رأيت الاعلان يتماطر على من
حيث أدرى ولا أدرى فأحترق فى كيفية التخلص منه فاذا جن
الظلام رأيت الاعلان مكتوباً بالانوار على صفحات الزجاج أو
بواسطة القنوات الخاصة بنور الاستصباح وقد يكون فى ظلمات
الانفاق والسراديب مرفوماً باحرف فسفورية متألقة

وقد جرت عادة الجرائد انما تخصص صفحاتها الاولى للفصول
المهمة والمواضيع ذات الفائدة العامة ولكن الامر هنا بالعكس

لان الانجليز يعتبرون الاعلان من أهم الاشياء فترى جرائدهم كلها على اختلاف مواضيعها وتنوع مشاربها مشحونة بالاعلان خصوصا الصفحات الاولى والصفحات الاخيرة حتى ان الانسان ليحتمل قبل أن ينظر الى مواضع الاخبار والفصول السياسية اذ لابد من المرور على الاعلان مثال ذلك جريدة التيمس المعروفة بملكية الجرائد تحتوي على ١٦ صحيفة منها نحو احدى عشر صحيفة مخصصة للاعلان وقس عليها سائر رعاياها وقد علمت ورأيت أن بعض البيوت التجارية يتكبد النفقات الطائلة والمصاريف الهائلة لنشر الاعلان على صحائف حديدية في جميع المحطات ثم لا تكفي بذلك فتضع صحائف أخرى في عربات السكة الحديدية (خصوصا التي تحت الارض) ثم لا تكفي بذلك فتشره في عربات الاومنيبوس والترامواي في كافة أرجائها ثم لا تكفي بذلك فتشره في جميع الجرائد ثم لا تكفي بذلك فتشره على غطاء جميع الكتب التي تظهر حديثا وفي الصفحات الاولى والاخيرة منها ثم لا تكفي بذلك فتعلقه في جميع أنحاء المدينة ثم لا تكفي بذلك فتستخدم رجالا تلبسهم بشكل مخصوص وتضع أطواقا من الحديد على خواصرهم وأكفهم لتعليق الاعلان فيمشي الرجل منهم (ويسمونه سندويش Sandwich وهي كلمة انجليزية يراد بها شريحة دقينة

مقدودة من اللحم الضانى أو البقرى أو العجالى أو الخنزيرى أو من
الجيارى توضع مدهونة بالزبد بين شقتين رقيقتين من الخبز وفى
التسمية الاصطلاحية إشارة لطيفة الى كون الرجل محشورا بين الاعلان
أو كون الاعلان محشورا به) وامامه وخلفه وفوق رأسه ألواح من
خشب مكتوب عليها الاعلان ثم لاتسكنى بذلك فتطبع أو راقصغيرة
تضعها فى يد السندويش فيفرقها على المارة فهذا العرك هو الحصار
بغينه وكل واحد من أصحاب الاعلان يجتهد فى التفنن فى اعلانه
حتى يجعله يضطر الانظار للالتفات اليه لما فيه من الرسوم والحروف
والالوان وغـير ذلك مما يضيق الصدر ويقضى على الانسان بان
يحسد العميان

وهنا تذكرت العميان فقد سبق لى القول بأن المقعدين ^{العميان فى}
^{لوندرة} استغنوا عن خدمتهم وقلت لابد لى أن أجد طائفة العميان قد
وجدت هى أيضا طريقة تكفيها الحاجة الى أنظار المقعدين ولا
أريد أن أنكلم على التنكيا المخصصة لهم بواسطة الحكومات أو أهل
البر والاحسان فانها ليست من تفننهم وقد كنت أعرف أنهم -م
اتخذوا الكلاب للاسترشاد بها والسير خلفها ولكنى قرأت فى
بعض الجرائد أثناء مرورى على باريس أن أحد العميان جلس على
برزوق الطريق ووضع بجانبه لوحة مكتوبا عليها هذه العبارة

(القوا نظرة وصلديا الى الذي لا يمكنه أن يردهما اليكم) فكيف لا يحن قلب الانسان وتدفعه عوامل الشفقة الى امسداد صاحب ذلك الفكر الحسن ولما جئت لوندرة رأيت العميان قد تفتنوا في الاختصار لان الوقت عند الانكليز من ذهب فترى الرجل واقفا حيث تمر الالوف المؤلفة في كل لحظة وعلى صدره صندوق صغير فيه فوهة ومكتوب عليها (Blind) بآي نداء أعمى) ليس الاثمان بعضهم أراح نفسه من الوقوف أيضا فوضع صندوقا بجانب شبك التذاكر في المحطات حتى ان المسافر بعد أن يأخذ الباقي له يضع بنفسه أو بنسین أو ما يتيسر بكل سهولة من غير أن يتكاف وضع يده في جيبه واخراج الدراهم منه فان ذلك يضيع منه الزمان ويمنعه عن الاحسان . وأتذكر أني أول مرة رأيت الرجل واقفا على قنطرة لوندرة ومعه هذا الصندوق لم أفهم الكلمة التي عليه فوقفت أنظر هذا الامر ولما سألت من معي وعرفت سر المسئلة فرحت كثيرا اذ تمكنت بذلك من الايفاء بوعدى في رسالة فلورانسه

ولكني ما لبثت ان تكدرت لاني سمعت بعض المسارين بجانبى يقولون عنى إنى أمين باشا (رجل خط الاستواء وهو والدكتور شنتيزر الالماني) فقد ثارت فى المواطن الوطنيه والاحساسات القومية لاني لأرضى أن أشبهه برجل مثل هذا الذى خان حكومتى

مواطن
وطنية

وبلادى وباع أو أعطى أملاكها في خط الاستواء لدولته الاصلية
أو غيرها بعد أن رفته حكومتنا السنية الى مراتب العز والشرف
وسهلت له سبيل الثروة واليسار وحسن السمعة والاشتهار ثم
تكلفت النفقات الطائلة (وهي في احتياج اليها) لامداده وانجاده
وانقاذه فقابل ذلك المعروف وكل هذه الموااساة بالسكران وفعل
ما فعل قاتله الله (وقد فعل)

وبالاسف انى بعد ذلك سمعت اناسا آخرين يقولون هذا

القول عنى حينما يرون اممرار وجهى واحرار طربوشى

ولقد تجولت فى بعض مدن الانكليز وسأتكلم عليها وداع وسياحة

بالاختصار فى الرسالة الآتية وأتركنا لتطويل الى الرحلة ثم رجعت ^{بافراد}

الى هذه المدينة وكانت مدة مقامى فيها أولا وثانيا ثلاثة وثلاثين

يوما ولم أشرع فى السياحة الا بعد أن ودعت صديقى الفاضل عثمان

بك غالب وكأنى ودعت معه نفسى أو أودعته روحى لشدة الالم

الذى حصل لى من فراقه وليكونى بقيت بعده وحيدا (وما أردت

أن أستعين بالتملازمة المصرين حتى لأشغلهم عن الدرس والتحصيل

وحتى أتعود على السياحة بمفردى)

اخلاق
الانكليز

فإن أخلاق الانكليز التى وقفت عليها فى سياحتى فى بعض

مدائنهم المشهورة أن الجرأة والاقدام فيهم أكثر منهما فى أية أمة

أخرى فهم يقتحمون كل الاخطار التي تخطر على البال وهم مخلوقون للسياحة والتجوال ومتى خرج الواحد منهم من وطنه قاصداً أى جهة وقابلته الصعوبة والمشقات والاهوال والاطار فلا يزيد ذلك إلا ثباتاً واقداماً وعناداً لانه رسم خط سيره ولا يمكنه أن يعدله أو يرجع عنه وإذا كتب في دفتر سياحته أنه في يوم كذا وساعة كذا يكون في المحل النملاني فإذا لم تصادفه منيته في الطريق فلا شك أنه يكون فيه في الوقت المعين

وإذا سافر لأقصى أقاصى الارض فعل من غير ضجة ولا رجة ولا حيرة وذلك عنده أسهل من السفر الى القبة والمطرية لاهل القاهرة والى الرمل لاهل الاسكندرية وانما هنالك سؤال وحيد لا يمكن أن ينساه وهذا هو (هل أرجع من طريق الصين أو طريق أمريكا)

ع الانكايڤ
لرياضات
ولا بد لكل انكليزى من أبناء البيوتات الكبيرة أن يكون عارفاً بقيادة المراكب والتحليل والعربات ويتعود من نعومة أظفاره على الرياضات الجسدية فلا يعبأ بالمشى مسافة مائة ميل أو بالتقذيف فى الزورق من لوندرة الى اكسفورد (٦٩ ميلاً) وكثير منهم يذهبون من لوندرة الى ايدمبورج عاصمة اسكتلنده سعياً على الاقدام والمسافة (٤٠٤ أميال) ومنهم من سار على أقدامه ٤٠٤

مرحلة في بلاد السويد وهم يستمرون على المشى بهذه الكيفية حتى يصبحوا طاعنين في السن وترى الشيوخ الهرمين يشون في الارياف كل يوم خمسة أو ستة كيلو مترات ولا يمتنعون عن ذلك الا اذا أصابهم مرض لا بد أن تعقبه الوفاة ومعلوم أن غلادستون مازال الى الآن يقطع الاحطاب بنفسه حتى لقد اتفق له في الشهر الماضي (أغسطس) أن بقرة نطحته وكادت تبقره بينما كان مواظبا على عادته في الغابة

وفيهم كثير من الشيوخ يغتسلون بالماء البارد صباحا ومساء صيفا وشتاء ولا يتناولون فطورهم الا بعد مشى ثلاثة أو أربعة أميال.

ويوجد با كسفورد أستاذ جرت عادته أن يمضى المسامحة السنوية مع زوجته في قارب يقوم هو فيه بالتقذيف وهي بامسال الدفة (١) ويستمر على ذلك شهرا أو شهرين في كل سنة ومتى

(١) الدفة لفظة مولدة وتسمى في العربية « السكّان » قال في تاج العروس والسكان كرمان ذنب السفينة عربي صحيح وقال أبو عبيد هي الحيزرانة والكونل (مؤخر السفينة أو سكاها) وقال الازهرى ماتسكن به السفينة وتمنع به من الحركة والاضطراب وقال الليث ما به تعدل وأنشد لطرفة * كسكان بوضي بدجلة مصعد * (والبوصى ضرب من السفن وهو الزورق معرب بوزى)

اقبل المساء نزل بأحد الخانات التي على ساحل النهر وعند الصباح
يأخذ منه المئونة ثم يستمر في تجواله وقد ساح بهذه الكيفية على
أغلب أنهار أوروبا

وكثير منهم يذهبون على عجلة الاسلاك (السبكل Cycle)
من إحدى عواصم أوروبا الى الأخرى وقد جرت عادة أغلب
المتزوجين حديثا بقضاء الشهر الأول المعروف عند الأفرنج
بهلال العسل على ظهر هذه العجلة في الوديان والغابات والبراري
والجبلات متنقلين من قرية الى أخرى بدون أن يكون مع
الزوجين شخص ثالث يضايقهما

وإذا سألت الواحد من هؤلاء الاقوام عن سؤال أجابك
لحرصه على الوقت بنعم أولا فقط وفي النادر يجيبك بكلام قليل
جدا بحيث انه لا يتخلى عن عمله الذي في يديه أو قراءة جريدته
وكذلك السائل يطرح السؤال ثم يوالى عمله وفي المكاتب الخاصة
بالادارات العمومية أو بالشركات ترى هذا الاعلام (الرجا منك
أن لاتسكلم الا فيما يختص بالاشغال) وفي الكتبخانات والمحلات
العمومية ترى كلمة (صه) أو (الكلام ممنوع) مطبوعة في كل جهة
وترى طريق الدخول وطريق الخروج واضحا في كل المحطات وما
أشبهها من المحال العمومية وبجانبه اصبع يشير الى الطريق

حرصهم
الكلي على
الوقت

وما أصدق الذي قال ان الانكليز لا يشبهون أياً أمة أخرى
ولكنهم كاهم متشابهون متجانسون على منوال واحد وطرز
واحد وهم يتحاشون القول الهراء بكل ما في وسعهم فيعبرون عن
الزنا بقولهم (مساخرة جنائية) ويستبدلون هذه الجملة (ممنوع إلقاء
القاذورات وممنوع التبول الخ) بهذه (لا ترتكب أى اتسلاف)
ويسمون المبولة والمرتفق (مغسلاً) ولاجل تأييد هذه التسمية
يضعون طست الغسيل الوجه وفرشا لتنظيف الشعر والملابس ولذلك
يقول الرجل منهم (انى أريد أن أغسل يدي) بدلا من قولنا (أنا
رايح زى الناس أو رايح أزيل ضرورة أو أنقض أو أفك وضوئى)
ولا يقولون عن المرأة انها جبلى بل انها (فى طريق العائلة) أو (فى
حالة تستدعى الاهتمام) وهم يتحاشون المزاح بالمرة أمام النساء وفى
بعض المبالى العمومية يكتبون هذا الاعلام (أصلح ملابسك
و بنظفونك قبل الخروج) وهكذا

وفيهم ثقة تامة يعجب بها الغريب حتى فى الاعمال والتجارة
والصدق فيهم منتشر جدا فيكتفى الرجل منهم عند الزواج بأن
يعلن عن سنه وانه عزب أو لم يتزوج ولا يبرز أوراقا لتأييد أقواله
وإذا كذب الواحد منهم مرة فى الامور القضائية حوكم كمن
يحنث فى يمينه أو يخون عهده وإذا كذب عند أحد الافراد طرد

الثقة
والصدق

في الحال ومن ثقتهم ان عمال الكرك يسألون القادم عما معه
من الاشياء الخاضعة للرسوم ويعتمدون قوله فاذا ظهر كذبه صودرت
الاشياء المضروبة عليها الرسوم الكركية بجانب الحكومة وألزم
الكذاب بدفع قيمة الرسوم ثلاثة أضعاف

مبادئ الروح ومتى اصطحب شباب بفتاة كان له أن يعرفها بأصحابه
وينفرد بها في الفسحة والنزهة والمراقص والسيارات والحنوات
وغير ذلك وقد يبقى عقد الخطبة بينهما سنين طوالا الى أن
يتيسر للشاب القيام بما يلزم من المصروف ومتى حصلت
المفاتحة في الخطبة فلا يجوز لاحدهما أن يعدل عن الزواج
الا برضا الآخر فلو عدل الشاب طالبت الفتاة وأهلها بالعطل
والاضرار وأبرزوا في الجلسة المخاطبات والمكاتبات التي تبادلها
المحبان وتعتزف الفتاة أمام المحكمة بالاقسام التي أغلظها لها
بالبقاء على جنبها وبغير ذلك واذا كان العدول من طرف المخطوبة
لا يتأخر الفتى في اقامة القضية واكتساب مبلغ وافر من المال في
تظير العطل والاضرار ولا يُنظر الى أحدهما في هذه الحالة بعين
السخط والاستهزاء بل يرى القوم فعله أمرا طبيعيا أو حقا مكنسبا
أو واجبا لا بد من قضائه

والانكليز تمسك بشديد بعاداتهم وتقاليدهم يشبه محبتهم للغتهم شدة تمسكهم
وتفضيلهم لها على ما عداها حتى انهم يحتقرون الغريب الذي ^{بعاداتهم}
يزورهم أو يتوجه الى التياترو أو يجلس في الفندق على مائدة
الاضيفان بغير الملابس السوداء الرسمية المعتبرة عندهم في ليالي
الاحتفالات وأغلب النساء في البيوتات الكبيرة يتكلمن
بالفرنساوية جيداً ومن عاداتهم أنهن يقن عن المائدة بعد تمام
الأكل ويبقى الرجال وحدهم لشرب الدخان وغيره والمسامرة
والمحادثة ثم يتقابل الكل في قاعات الاستقبال أو غيرها وفي
النساء لدى التكلم خفة في الحركة وشم وجرأة واقدام ولولا اني
عدت بعدم الرجوع لهذا الموضوع اشرحتم الحمال وأطالت
المقال وحسبي أن أقول ان الذي يحكم عليهن بحسب العينات
التي يراها في مصر يعترف بأنه أخطأ وجازف متى جاء هذه البلاد
ومن الغرابة أن الواحدة منهن متى كانت جميلة فليس لها مثيل
على وجه الارض ومتى كانت قبيحة فلا يضارعها في السماحة
انسان وذلك لان الوسط غير موجود في بلادهم في كل الامور

ومما ينبغي تنبيه الغريب اليه أن لا يتفرد بالجلوس مع أية احد من النساء
امرأة كانت في غرفة من عربات السكة الحديدية مهما ظهرت
له في مظاهر الاحتشام والوقار والنبل والكمال فلقد تجتمع كثير

منهم (كما تجتمع الرجال واشتركوا في التجارة والصناعة) وانفقوا
على جعل القطارات ميسرة لنا لأعمالهم فمن النصابات المحتملات
النشالات الطرارات ومنهم التي تطالب بمبلغ عظيم وتهدد صاحبها
بأنه ان لم يؤد هذه الجزية عن يد وهو من الصاغرین بلغت رجال
الشرطة عنه في المحطة التالية بأنه فاتحها بما يحفل بالاداب وغير
ذلك ومنهم المتدينات المترهبات اللاتي يلازمن الرجل بدعوى أنهم
يخاصن روحه ويهدينه الى الصراط المستقيم صراط الذين اتبعوا
المذهب البروتستانتي ثم تأخذ في ايراد الدلائل والبراهين لاقتناعه
برجوب الدخول فيه وفي هذا القدر كفاية الآن

منافى لوندرة واعلم ان مباني لوندرة كلها على طرز واحد ومثال متشابه
ومنوال متجانس وكلها متسلسلة بملابس الحداد كأن أهلها يرون
مثل بني العباس ان (النور في السواد) ويظهر للتأمل فيها أنها
مبنية بالطوب الاحمر ولا تزيد عن الدورين الا في النادر ولكنها
متى تعدت هذا العدد أو تجاوزت النموذج المتبع عندهم في البناء
فيكون ذلك للطرف الاخر مرة واحدة فقد شاهدت بقض
الدور فيها ثلاث عشرة طبقة ورأيت من جمال بعض المنازل
والقصور ما جعلني أحكم بانى في احدى مدائن ايطاليا بعيدا عن
لوندرة بمراحل وكيلومترات ومثال ذلك كنيسة ماربولس تراءى على

مسافة ٣٠٠٠ متر مما حولها وفي كل المباني ترى طبقة تحت الارض يستخدمونها للطبخ والغسيل والتخزين وما أشبه من اللوازم المنزلية حتى لا يكون ذلك بجانب المساكن بل ان النزول الى هذه الطبقات يكون من سلم على برزوق الطريق فلا يدخل الفحام أو الجزار أو الخباز أو الخضري أو غيرهم من المتعهدين بالتوريد في المساكن مطلقا ودبروا النور والهواء في تلك الطبقات الارضية بما يجعلها موافقة للصحة ورأيت في بعضها قاعات للجلوس وغرفا للاستقبال في غاية الزخرفة والجمال بحيث انها تروق في عين الانسان وتسميها الى اطلالة الجلوس فيها

أما المساكن فان منظرها من الخارج عادي حقير ولكنه من الداخل محفوف بالتأنق وله من التزيين رونق يأخذ بالابصار فتري فيها المفروشات الثمينة والطرف والتحف التي لا تقدر قيمتها وتري الكراسي والمقاعد مختلفة الاصناف والاشكال وتري الامتعة والمراني في جميع النواحي مرتبة بذوق وحنق قد تجرد منها خارج المنزل بالمره وهذا أيضا من باب التناقض

المطبخ
الانكليزي

وأما مطبخهم فعادب (تافه) وفي غاية البساطة فكأنهم لا يزالون على الفطرة لان الاشكال التي يعرفونها قليلة العدد وليس لهم من تنويع أو تعديل بل ما زالوا سائرين فيها على سنة آباءهم

الاولين والكنها كلها والحق يقال صحبة نظيفة وقد فاقوا الامم
جميعا في اصطناع الروزيف فانك ترى كتلة من اللحم تزن
ثلاثين أو أربعين رطلا وكلها مسواة بالسواء من الداخل والخارج
ومن جميع الجوانب وهم لا يضعون الملح في الخبز أيضا أما الفنادق
الكبيرة وأغنياء التوم فيستخدمون طباخين فرنساويين حتى انهم
يضطرون (مع شدة محبتهم للغتهم) لكتابة وفهم أسماء الالوان
بالفرنساوية واقد أحسن قوتير حيث قال (ان الناس في بلاد
الانكليز يعبدون الله على خمسين نوعا ولكنهم لا يهتئون البقرى
والضانى الاعلى نوع واحد)

أما الممر المنازل في الشوارع والحارات فليست منتظمة كافي
مصر بطريقة الشفع والوتر بل قد ترى الجانب الايمن مبتدئا بعدد ١
ثم ٢ ثم ٣ وهكذا حتى اذا انتهى الشارع بعدد ما رجعوا بالعدد
الذى يليه من نهاية الجانب الايسر فيكون أول الشارع فيه أول
أعداد المنازل من جهة اليمين وآخرها من جهة الشمال وفي
القليل منها قد اتبع القوم طريقة الترتيب الحسنى المتعارفة في
مصر وغيرها من ديار أوروبا

تمت
المساكن

وفي جميع المحاط والمتاحف والآثار العمومية والاسواق
المهمة والميادين التي بين الشوارع ترى مرتفعات ومباول عمومية

المرتفعات
والمباول
العمومية

بعضها خاص بالنساء والباقي للرجال وكلها في غاية النظافة ونهاية الاستعداد وتضاء بالليل بالكهربائية وفيها الماء متساقط باحكام على الدوام من أحواض قدرى في بعض الاسماء المختلفة الالوان يربها الحارس في هذه البحيرة التي يتجدد ماؤها في كل لحظة وكثير من هذه المرتفعات متسع جدا وينزل اليها بدرج لانها تحت الارض (اذلافضاء اها فوقها في هذه المدينة الجسمية كلها) واذا اضطر أحد لقضاء الحاجة ولم يجد المرتفع قريبا منه فله أن يدخل في أى دكان فطاطرى ويدفع بنسا واحدا ، ملين للخادم

وقد سبق لى ذكر السنى (المدينة) وسهوت أن أقول انها وصف السنى مركز الصناعة والتجارة للوندره وحدها بل للعالم أجمع تتوارد اليها كنوز الثروة من جميع أقطار الارض وتديرها هي كيف شئت وترسلها أينما أرادت ومن نظر الى جوقها تصور أن رتيلاء هائلة جاءت ونسجت خيوطها وأرسلتها في جميع أطرافها فان الاسلاك التليفونية والتلغرافية التي فيها عدها أعسر من احصاء قطرات الامطار ومما يدل على أن الحركة في هذه الجهة من لوندرة قد وصلت الى نهايات التصور أن الرسائل الواردة عن طريق البوستة توزع فيها في كل ساعة من ساعات النهار وان عدد المكاتب التي ترد اليها في كل صباح يزيد عن الالف ألف (وهناك

مخزن واحد يرد له في اليوم أكثر من ثلاثة آلاف رسالة) وعدد سكان الستى المقيمين بها ٣٧,٦٩٤ نفسا ولكنها في ساعات الاشغال تتوافد اليها الخلائق من كل فح عيق حتى يبلغ عدد الذين بها طول النهار أكثر من ٣٠,٣٨٥ منهم ٢٩,٥٢٠ رؤساء بيوت تجارية و ٢٠٢,٢١٥ مستخدما و ٥٠,٤١٦ مستخدمة و ١٩,٢٣٥ غلاما لا يزيد سنهم عن ١٥ سنة وقد حسبوا أن في ٢٤ ساعة (في يوم ٢٧ ابريل سنة ١٨٩١) دخل الى حدود الستى ١,١٨٦,٠٩٤ شخصا و ٩٢,٣٧٢ عربية مختلفة الانواع ومتى أقبل الليل رجعت هذه الخلائق كلها وتركت الستى تعاها صفصفا حتى اذا انشق النهار رأيت هذه الاقوام تنهال عليها من كل جانب بمئات الالوف كالسيل المنهمر فهي أشبه بالبحر يحدث فيه المد والجزر

بلوندره روح
لتجارة
ومما يدل على ان روح التجارة مجموعة في العاصمة الانكليزية ان الرسائل التي توزعها البوستة في لوندرة وحدها تزيد عن ربع مجموع الرسائل التي يرسم بريطانيا العظمى ككاهها بل ان بلاد اسكتلندة (Scotland) (وتعرف عند العرب باسم سقوسية) باجمعها لا يرد لها من الرسائل نصف ما يرد للوندرة كما ان ايرلندة

(وتسمى كذلك في كتب العرب القديمة) بسائر مدائنها ومعاملها
ومتاجرها البحرية لا يرد لها الثلث من هذا القدر

فكيف لاتنهال جداول الثروة على هؤلاء القوم العاملين بالسعادة
الذين يعرفون حقيقة قيمة الوقت حتى ان الرجل منهم اذا تفكر
بالاجتهاد في أى أمر من التسهيل والتيسير وثابر عليه بقليل من الثبات
وساعدته حسن جده لا يلبث أن يصير من أغنيائهم وأشرفهم
ونبلائهم مثال ذلك رجل كان بصطنع البيرة (الجمعه) واسمه (باس)
فاتقن عملها وتفنن في طرق التعريف بها حتى انه وصل الآن
الى ثروة لا يمكن تقديرها الا لمن يعلم أنه اشترى الدار التي كان
يسكنها اللورد بيكونسفيلد وزير انكلترا الشهير ثم فرشها بالمتاع
الفاخر وبلغت نفقات الفرش وحده ٦٥ ألف جنيه تقريبا من
ذلك لوحتان فيها بعض الصور والمناظر بستمه عشر ألف جنيه
ولما وصل الى ماوصل من اليسار توصل الى ان صار من اللوردات
الكبار (اللورد برتون) وعنده الآن سبعة آلاف عامل وله ايرادات
كثيرة ودخله من البعة وحدها بين ٣٠٠ ألف و ٤٠٠ ألف
جنيه في السنة الواحدة وعرتب مدير الادارة عنده هو ٥ آلاف
جنيه انكليزي في السنة

ومثله كوك المشهور وتاريخه معلوم في مصر وقد أصبح لبيته

الا ان اقليم ومكاتب في كافة البلاد المتمدنة بل ان له في لوندرة وحدها
نحو من ثمانية مكاتب وكما تشببه بل تفوق المصالح المنتظمة
المشهود لها بالاجادة ومما يدل على انتظام ادارته وتيقظ عماله لراحة
معامله أنهم أطلعوني في لوندرة على ترجمة شكواى من وكلائهم
في برنزي أرسلها لهم وكيلاهم في القاهرة نقلا عن رسالتى الاولى
واستفهموا منى عن اللازم ووعدوني بمعاينة المقصرين حتى
لا يعودوا للاخلال بواجباتهم وسأفرد للكلام عليه في الرحلة فصلا
ان شاء الله

ومثله رجلان اسمهما سپيرز و بوند قد الزما بان ينشأ في
جميع محاط لوندرة وبريطانيا العظمى سكرانات (١) للاكسين
والشاريين من المتردين على القطارات فراجت تجارتهما وربحت
أعمالهما حتى تعديا هذا النوع الى غيره فأنشأ دكاكين بدالين
(بقالين) وخياطين وغير ذلك وعندهما من النساء المستخدمات
نحو الخمسةائة امرأة

(١) يؤخذ من كلام شفاء الغليل أن السكردان لفظ فارسي مررب ومن
شرحه له يستفاد انه يقابله في اللغة الافرنكية كلمة بوفيه (Buffet)
المستعملة الآن في اللغة العربية وحيثئذ فالرجوع الى السكردان أولى
وأفضل لانه يدل على الحزاة يحفظ فيها المأكول والمشروب

ومثلهما كثير غيرهما اتبعوا طريق الحد في أعمالهم ففازوا
وصاروا من أهل الثروة وأقبلت عليهم الخلائق وأقرت لهم
بالفصاحة والاصالة وصار لهم في النفوس مهابة وجلال حتى ان
كثيرا من المحدثين بهذه الصفة أصبحوا أعضاء في البرلمان بالنيابة
عن بعض المقاطعات بل عن بعض المدارس الجامعة وهم كثيرون
لأريد أن أطيل الرسالة بذكرهم ولكني لأرى مندوحة عن
الكلام على رجل اسمه هويتلي Whitely

هذا الرجل كان في مبدا أمره من طائفة المتسبين يبيع
بعض الاصناف على عربة يدفعها بيده أو يقف بها بجانب
البرزوق فأصبح الآن وهو صاحب مخازن واسعة في لوندرة
لا يضاهاها غيرها في كل البلاد التي رأيتها وقد علمت أنها فريدة
في العالم بأجمعه ولما دخلت هذه المخازن حرت واندهرت وضلت
عن الطريق لتشعب مسالكها وتنوع الاصناف فيها فأنك تجد
عنده كل ما يحتاجه الانسان من أى طبقة كان من يوم مولده
الى يوم ممته من جميع الاصناف وكافة الانواع من ملابس
للجسم وللرأس ولليدين وللأقدام داخلية وخارجية للرجال
والاطفال والنساء والبنات جاهزة أو مفصلة بحسب الارادة ومن
أقنعة لجميع أصناف الناس لللكية والعسكرية البرية والبحرية

ومن حرائر ومنسوجات مختلفة متعددة متنوعة ومن روائح
واعطار ومن بضائع أجنبية من جميع أقطار الدنيا من مصانع
ومجوهرات مختلفة الاقدار والاحجام والاشمان ومن دشغولات
الحديد وكافة المعادن على الاطلاق ومن أخشاب وأحطاب ومن
كتب وورق وما يقتضيه ذلك من جميع الانواع ومن فواكه
طرية وناشفة وخضراوات جافة ورطبة جنية ومن لحوم الحيوانات
والصيد ومن حيوانات حية وأطيوار وأسماك بل تجده عنده الفهم
الحجري بل الكبريت بل كل ما يتصوره الانسان يجده في هذه
الديكان وعلى الضمان

ذهب اليه في أحد الايام رجل من اللوردات وأراد أن
يربكه ويضحك عليه فقال له اني أريد فيلا أبيض (ومعلوم انه من
الندرة بمكان) فتلقاه الرجل بكل هذه وسكينة واستوصفه الفيل
اللأزم وسأومه الثمن وأخذ عنوانه ثم قال له أضرب لك موعدا
بعد ثلاثة شهور يحضر مطلقا فلما مضى الاجل المعين حتى جاء الى
صاحبنا اللورد كتاب في البوسطة يعلمه بوصول الفيل حائرا لكافة
الشرائط المطلوبة والوصاف المرغوبة وان هو يتلى مستعد لارساله
اليه في المكان الذي يعينه وبلغني ان عدد الفتيات المستخدمات
في مخازنه يقارب الخمسة آلاف وأمثال هؤلاء كثيرون

فلا يعجب الانسان حينئذ اذا اضطر القوم للاستعمار الغنى والفقر والاجتهاد في جلب الذهب الى بلادهم من كافة اقطار الارض حتى صارت مدينتهم سوق العالم كله واصبح كثير منهم يكتسبون في الدقيقة الواحدة خمسة او عشرة جنيهات أو أكثر ومنهم من ايراده السنوى يعتبر في بلاد أخرى رأس مال عظيم جداً ومنهم دوك اوف فونشير يملك من الاراضى فقط ما قيمته ثمانية آلاف ألف جنيهه ومع ذلك فان ثروته هذه ليست شيئاً يذكر بجانب دوك وستنستر التي لم يتيسر حصرها لآن

وبهذه المناسبة أقول ان الباحث المدقق لا يرى في أى نقطة فى الكون منظراً أبشع ومشهداً أشنع من الفقر الذى أناخ بكله على جانب عظيم من سكان لوندرة فان ذلك المنظر يوجب لوعة وألماً لا يضاهاهما شئ من الاحزان اقربه من تلك الثروة الطائلة وتلك النعمة الكاملة الآخذة فى النماء والازدياد بقدر اشتداد وطأة الذنافة وتناهى الاعسار فهلا يرى الناظر بعد ذلك ان هذه المدينة قد تفردت بالجمع بين الاطراف وانعدم فيها الوسط فى كل أمر من أمور الحياة حتى لقد صدق شاعرهم شبلى إذ قال مامعناه

ان جهنم المستعرة * أشبه بمدينة لوندرة

الرسالة الحادية عشرة

تجول في بعض مدائن الانكليز

وصف المطر والضبباب
قت من لوندرة في يوم الخميس ٢٢ سبتمبر وقد اكفهر وجه السماء واحتجبت بنمس الضياء وخيمت في المدينة ككتائب الضباب ثم تمزقت ضلالئع السحاب فتساقطت الامطار كالانهار وتسابقت السيول من أعالي التلؤل وتتابع الرعد القاصف بصعبه البرق الخاطف ورأيت الناس يتدؤن في ايقاد النور في الشوارع والحوانيت والدور فنزلت من العربة الى جهة مستقرية للتفرج على هذه الحركة المستغربة غير مبال بهاطل الوايل نخيل لي أني في صندوق كبير من الزجاج القائم على جدرانه شبه أشجار منضودة ومياه معدودة وطرائق ممدودة وأشباح في غدو ورواح وما وصلت الى سكة الحديد الا وقد بلغ الظلام منتهاه فأسرعت الى عربة القطار السريع ورأيت الماء ينهال من ميازيها كأنها أفواه القرب ولما استقرت بالجلوس واستأنست بالجلوس ورأيت النفوس تتنجر من هذا الجو العبوس فاتحت بعض القوم بهول هذا اليوم فقال هذا هو الضباب الاسود ولعله يقف عندهذا الحد فلا يكون طليعة لعمرهم الضباب الاصفر فانه هو الموت الاجر

فأظهرت الاشتياق لمعرفة هذا الاقتراق فأخبرني أن الضباب
عندهم قسيمان أولهما وهو الذي نشاهده الآن أكثر غرابة وأقل
ضررا للانسان فانه يجعل وقت الظهيرة البهيج كمنتصف الليل
البهيم فيسارع الناس باضاءة النبراس ومتى كان الضباب في
الطبقات العالية فليس فيه من الضرر ما يستحق أن يذكر ولكنه
على كل حال لا يوجب عطلا في دولاب التجارة وحركة الاعمال وأما
الصف الثاني فهو الاصفر يؤثر على الحلق ويهدد الخلق بالخنق
ويوجب التحفظ على الافعام بالاكام وقد اخترعوا للوقاية منه
كمات مخصوصة للتمكن من التنفس بسهولة وكل من أهمل الاحتراز
بهذا الغطاء أو بهذه الكمامة خرج الدم من فيه مع اللعاب ان
لم تنهق النفس وتذهب الى الرمس وفي الحلال يسرجون المصابيح
في الشوارع والحارات والدور والداكاكين ولكنه يستحيل
على الانسان أن يرى النور نفسه ولو كان بمقربة منه وبعضهم
يلتجئون الى العربات فيلبثون بها ساعات وتري هذه الحركة الهائلة
التي تفردت بها لوندرة تقف كلها مرة واحدة ولا يتجاسر الجري
على أن يتقدم فترا أو يتأخر شبرا خوفا من الاصطدام بشيء مما لا يراه
وهذا الصف من الضباب لا يظهر الامدة خمسة عشر يوما وأخص
الاقوات به شهر نوفمبر فقد يمر الاسبوع الكامل كأنه ليلة واحدة

قد يتخللها أحيانا شقوق جلات يزيد في الحزن والكآبة المنتشرة على أرجاء المدينة ولذلك كان الانكليز أعرف الناس بمضار الجو في مدينتهم فيبارحونها في فصل الشتاء (الا من تضطره حوائجهم وأعماله) ويفر الاعيان والاشراف والاوردات منها في هذه الاوقات لانها تكون والحق يقال غير قابلة للسكنى بما يغشاها من ركام الضباب المتوالى الذي يمزج فيها بين النور والظلام ويزيد في درجة الرطوبة الى حد لا يطاق فشكرت الرجل على هذه الافادة وأردت أن أحيطد علما باعتدال الجو في بلادنا وبهائم السماء عندنا مما يجعلها جنة تفر النواظر وتشرح الخواطر والكنى رأيتة لا يعبأ الا ببلاده ولا يلتفت الى غير ما هو في معلومه فأقفلت باب الحديث كما أخذ هو والجماعة في تدخين شباتهم القصيرة الشهيرة وتلاوة جرائدهم الكثيرة واشتغلت أنا باضافة هذه الفوائد على ما علمته من سرعة تغير الجو في لوندرة فان متوسط درجة الحرارة فيها هو ٩٤٥ من درجات سنتيجراد وقد تنزل في الشتاء الى ٣ تحت الصفر

مدينة برمنغام ولم يمض الا قليل من الزمن حتى وصلنا مدينة برمنغام (Birmingham) فنزلت بها وهي مدينة قديمة اسمها الاصلى برومويشام ثم حرفها العامة الى بروماجم واشتهرت الآن باسمها المتداول المعروف وهي مركز المعامل التي تشتغل باصطناع الحديد

في بلاد الانكليز وفيها ورش للجلود وبلستيا ولاصطناع الريش
الفولاذ التي يستعملها الافرنج في الكتابة بدل الاقلام وللصنوعات
الحديدية الخاصة بالكائنس وعلى مقربة منها ورشة لاصطناع
الزجاجات الغدسية الخاصة بالفنارات البحرية وأخرى لعل العربات
ومن أجل مبانيها دار المدينة وفيها متحف واف ومكتبة أهلية
يقوم بالتدعة فيها نساء في غاية الفطنة وفيها غرفة مخصصة
لمؤلفات شاعرهم الفيلسوف الشهير شكسبير تحتوي على مجموعة
فيها كتبه التي طبعت في جميع المطابع وفيها تراجمها الى كافة
اللغات الاوروبوية وكذلك البوستة يقوم بمباشرة أعمالها نساء
لهن حظ واف من علم الجغرافية

ثم قمت منها الى مدينة دربي (Derby) وتفرجت على مكنتها مدينة دربي
ومتحفها ولكنها ليست الا عبارة عن معامل كثيرة خالية مما يشرح
صدر الغريب أو يستميله لاطالة البقاء فيها وأهم شيء يستحق الذكر
هو أني حطت بها الرحال (أعني جعبة ملابسى وقمطر أوراقي)
مدة ٣٤ ساعة

وأسرعت بالقيام منها الى مدينة منشستر (Manchester) مدينة
منشستر
على القطار السريع فرتحت نفق اسمه بيك فورست نوتل وطوله
ميلان كاملان ولكن القطار قطعهما في دقيقتين وكانت

فيه بطرية كهربائية لاضاءة كافة العربات بالليل أو عند دخولها
نهارا في بعض الانفاق فقط ومنشستر مدينة كبيرة عامرة فيها كثير
من المعامل

وأهم شئ تفرغت له فيها مكاتبها الكثيرة المجانية التي أعدت
لتثقيف عقول الاهالي وتشجيع أذهان العمال في أوقات خلوتهم من
الاعمال وقد رأيت في أهم مكاتبها مجموعة مستوفاة لانظير لها في
أعظم مكاتب أوروبا حيث احتوت على جميع ما ألفه العلماء في فن
اختزال الكتابة (الستنوغرافيا) وفيها مجموعة كاملة لأهم جرائد
بريطانيا العظمى واعمال البرلمان وكتب قديمة نادرة ومعمل للتجليد
ورأيت فيها طابعا يؤثر على الورق من غير حبر استحدثوه حتى
لا يتمكن أحد القراء من اختلاس بعض أوراق الكتب التي
يكون فيها تصاوير ورسوم أو جداول أو غير ذلك مما يستشره
الغواة للاختصاص به واتلاف الكتاب برمته وهي طريقة لطيفة
يحسن اتباعها في المكتبخانة الخديوية حفظا لما فيها من الذخائر
والنفائس حتى ان الذي يستعير الكتاب النادر لاتسول له نفسه
تجريده من بعض الصفحات فيصبح أبتز عديم القيمة

وفيها غرفة للقراءة يجرد الانسان فيها جميع الجرائد التي تصدر
في اليوم وسأشرح الكلام بالتفصيل على مكاتبها التسعة وغرف

المطالعة المتعددة اظهارا لما جاءت به من الفوائد التي لا تقدر وعدد سكان هذه المدينة . . . ٥٠٠ ٧ نسمة بما فيها سالفور من ارباضها وهي كما لا يخفى مركز اصـنـاعة الاقطان (وفي متحفها نموذج من جميع محصولات القطن بأنواعه في كافة أقطار العالم) وايست من شئ في حسن المنظر وبهاء الرونق بل هي كسوق يتون فيه أهل المدائن التي حولها وكل هذه المدائن مختصة بغزل القطن ونسجه وبما يتبعه من الصنائع

وفيها بعض عمائر تستحق الذكر مثل دار أمانة المدينة ودار التجارة الحرة وهي معدة للاجتماعات العمومية تسع . . . ٥٠٠ نفس وفيها باستان للنبات في غاية الانتظام وفيها كثير من الاسواق والكائس المهمة وفي شوارعها وميادينها أنصاب لتخليد كرمشاهير الانكليز وقد مضى على فيها أحد الاتحاد فـكـائـنـها ولوندره قد أفرغت في قالب واحد ومما زاد في أهمية المدينة أن شركة تألفت وساقـت مياه البحر الاطلانطيقى من ليقر بول اليها في ترعة سموها قنال مانشستر لكي يتيسر للسفن أن تدخل في نفس انكثرة حتى تصل اليها بما فيها من البضائع وقد بلغت نفقات هذا القنال نحو ٦ ملايين من الجنيهات والمنظور أنهم يصرفون أيضا أربعة ملايين أخرى

(وقد ورد التلغراف في ٢ يناير سنة ١٩٤٤ وهو يوم طبع هذه الملزمة من الطبعة الثانية بان القنال قد تم وحصل الاحتفال به)

ثم قمت منها الى ليفربول (Liverpool) ونزلت
لفسبول
وفندق أدلني
بفندق أدلني وهو من أنفجر وأنفسم الفنادق التي رأيتها بأوروبا
من حيث الاتساع والاتقان وكمال المعدات حتى ان أدنى
غرفة فيه يضيئها النور الكهربائي وفيها التلفون للمخاطبة مع ادارة
الفندق وخدمه ولوكالة النازلين به مع بعضهم ومع المشتركين في
التلفون من أهل المدينة

وقد تفرجت فيها على المحاكم وعرفت أساليب التقاضي والمهامه
عندهم وزرت مكنتهم او متاحفها وشاهدت آثارها وأنصابها وواقابلت
الجمعية
الاسلامية
الانكليزية
فيها مع الشيخ عبدالله وبيليم كويليم رئيس الطائفة الاسلامية من
أبناء الانكليز ودعاني لتناول الطعام عنده وأكرم مشواي ورأيت
قائما هو وأصحابه بتأدية الفروض الدينية الشرعية بقدر اجتهادهم
في دار جعلوا فيها قبلة ومحرابا ومكانا للصلاة ومنبر للوعظ والخطابة
وفيها مدرسة اسلامية لتعليم الآداب والفنون الانكليزية على ما يوافق
النصوص الشرعية وهي الى الآن في عهد الطنولية وكاهم متوددون
لبعضهم رجاء بينهم مقبلون على تكسب أرزاقهم يتخاطبون
بالفاظ الاخاء ويحيمون بعضهم بتحية الاسلام ويزيد عددهم الآن

عن الستين بما فهم بعض النساء ولاشك انهن سيكون لهن اليد
البيضاء في تعميم نشر المبادئ الحققة واطهار مزايا الدين الخنيف
شأنهن في كل عمل أقبلن عليه في أى قطر من أقطار المسكونة
وقد ترجوا بعض السور الكريمة وتظموها في قصائد يرتلونها في
بعض الاجتماعات وعندى نسخة منها ثم انى أديت معهم فريضة

العشاء في ليلة ٢٧ - ٢٨ سبتمبر وقد اشتد الزمهرير وتنازلت الزمهرير في
الحرارة وارتفعت البرودة بما لم أعهد له مثيلا من قبل حتى
كانت جوارحى تنتفض وفرائصى ترتعد كائى العصفور بالله
القطر واستمرت أسنانى على الاصطكاك والاحتكاك حتى تحققت
أن برد العجوز فى بلادنا ليس بالشئ الذى يذكر بجانب ما سميت
برد الشاب عندهم وكانوا كلهم يقولون أين هذا من البرد الصحيح
مع أنى كنت أشعر ببرد يغير الألوان وينشف الأبدان ويجهد
الريق فى الاشداق والدمع فى الآماق لان هذا اليوم مما جد
نجره وخذجره ينقل فيه الخفيف اذا هجم ويحذف الثقيل
اذا هجر وكنت فيه بين أطباق البرد ورجم البرد وكان القوم
لايستغيثون الا بجر الراح وسورة الاقداح

وبعد أن خرجنا من المسجد صاحبنى اثنان منهم لارشادى على
الفسدق وبينما نحن فى اثناء الطريق اذا بمبادئ حريقة فى
نار السعير

مخزن خشب فوقنا نتأمل أفاعيل النار مع اشتداد هبوب الرياح ولم ترض برهة كبيرة حتى ارتفع لسان اللهب الى عنان السماء وتطاير الشرر الى جهة الشرق فأنت على المخزن وبعض البيوت المجاورة له ولم يتغلب عليها رجال المطافئ مع إقدامهم وبراعتهم الا بعد أن بلغت النفس التراقي ولولا حذاقتهم وسكون الاهالى وعدم اضطرابهم واستيلاء الهلع عليهم لكانت أحدثت اتلافا أعظم مما حدث وسأكتب عليها بالتفصيل وانما أذكر الآن ثبات الانكليز فاني لم أسمع في الجاهير التي تجمهرت الا صياحا واحدا من امرأة استغاثت بالقوم لانقاذ ولدها وألقت نفسها في مقدمتهم لاستخلاص فلذة كبدها وبعد ذلك استولى الصمت والسكون حتى في أهالى المنازل المجاورة التي كانت ألسنة النار تتناول اليها وبقى رجال المطافئ مالكين لحريتهم في العمل حتى انقضت هذه القارعة ولم يمت فيها أحد من الناس والحمد لله

عموميات وعدد أهالى ليقربول ٥١٧.٠٠٠ نفس وهى أول الموانى البريطانية بعد لوندرة بل قد تفوق عليها بما يصدر منها الى الخارج وأخص تجارتها مع بلاد امريكا اذ يجيئها منها كميات من الحبوب والاقطان وغير ذلك من المحصولات مما لا يكاد يتصوره العقل ثم تصدرها بعد اصطنائها في معاملها الى جميع أنحاء العالم وأحواضها أهم ما يوجد في أعظم موانى الدنيا تدخل اليها أكبر

السفائن في كل لحظة وهي متقاطرة صفوفا صفوفا وراء بعضها على مدى ستة أميال وزيادة بحيث ان منظرها يعتبر من عجائب العالم ولا يزالون الى الآن يشتغلون بحفر أحواض جديدة وانشاء مخازن للتجارة البحرية

ومن أهم مبانيها قاعة سنت جورج وهي عمارة نفيسة جليلة بما فيها من الرونق والبهاء وحسن النظام يجتمع فيها القوم أثناء الانتخابات أو الاحتفالات العمومية ورأيت قصر متحف الفنون والصور والرسوم وغرفة المطالعة والمكتبة الحرة والبورصة وغير ذلك من عظام الآثار التي لايسمح لي المقام بالتوسع في الكلام عليها الا آن وفيها كما في غيرها من مدائن الانكليز تلك الرياض الهندسية التي تنقى الهواء وتسرع النواذبما فيها من الخضرة والنضرة والمياه المتدفقة والاشجار القليلة حتى يتيسر للنظر أن يمتد الى منتهى الافق وفيها مدرسة جامعة وغير ذلك مما أستبقى شرحه للوقت والمكان المناسبين له

هذا وقد كنت عقدت النية على الرجوع الى لوندرة مباشرة ولكنني عدلت عن ذلك وعوّدت على زيارة بعض مدائن الغال لقربي منها ولعلمي بانه لم يسبقني أحد من أبناء جلدتي من هذا الجيل في التوجه اليها وستكون موضوع الكلام في الرسالة التالية ان شاء الله

الرسالة الثانية عشرة

تجوال في بلاد الغال

خلق الله الانسان في أحسن تقويم وبرأه على أبداع تكوين
وصوره في أجل مثال وفطره على أكل منوال ثم أودع فيه من
غرائب الغرائز وخبى الاسرار ومكنون القوى مالا يرتاب في
وجوده الحاذق الفطين أو يتخيله الدراكة الفهيم أو يحظر على
بال اللبيب الاريب ولا يزال العلم يكشف لنا في كل يوم عن قناع
هذه الخبايا ويكشفنا بما في تلك الزوايا ويطلعنا بعمق دار تقدم
العرفان على ما في الانسان العاجز من آثار الاقتمدار كلما قرن
الارادة بالعمل ووفق بين الفكر والتحقيق في مظاهر الوجود وهذه
كأها قضايا ثابتة عند من قدح زناد القرية الصحيحة وتدبر في
سلائق الخلائق وأرسل رائد التأمل الى عجائب الارتقاء العصري
وما كان من نتائج سعي العقلاء في الايام الخوالي

نظرد في
الانسان

أقول ذلك بمناسبة ما شتهر به المصريون من الركون الى
السكون والخلود الى الراحة والقناعة بالكفاف وما ذلك الا لتوفر
العيش في بلادهم البارة بأهلها وتيسر أسباب الكسب ونوال
الرزق من غير ماكد ولا كدح كما هو الشأن في الامم المتوطنة

السبب في
عدم تعرب
المصريين

بالبلاد الجبلية أو الاصقاع المجدية القاحلة أو البلاد التي ضاق
ذرعها عن القيام بأود أبنائها حتى اضطروا للنزوع عنها الى ما هو
أخصب وأبرك سعيا وراء القوت أو طلبا للرفاهية والنعيم

وليس السكون من شؤون المصريين دون من عداهم ممن
يدبون على وجه الكرة الارضية فاهم وربك إلا كسواهم من
طوائف المخلوقات الذين أفاضت عليهم يد العناية الازلية نعمها
المترافة حتى جعلت بلادهم مطمحا لانظار الغريب عنها يلتجئ
اليها على الدوام ويترع أبوابها طلبا للقوى والضيافة

ثم اتنا اذا نزلنا في سلم الكائنات الى الحيوانات رأينا هذه
النتيجة بعينها فانواع الدبابات وأصناف الحشرات وأطيوار الهواء
وأسمالك الماء خاضعة لهذا الناموس الكونى العام فما كان منها
في وسط مشحون بالحيرات تراه من طبيعته ميالا للسكينة وعدم
العنفوان وما كان بعكسه يكون من خلقه البطش والبغى
والعدوان وقد استمر الحال على هذا المنهاج حتى تاصلت هذه
الاخلاق وصارت وراثية في كل من الفريقين يتناقها الابناء عن
الآباء والاحفاد عن الاجداد ولكننا اذا قلبنا الموضوع وعكسنا
القضية كما يفعل علماء الطبيعيات ببعض الحيوانات لا تلبث
الجبال ان تتغير والسجايان ان تتحور والطبائع ان تتنوع وتتحول

والاميال أن تتبدل وتتعدل بحسب ما يقتضيه الحال ويستوجبه
المقام

لذلك كان البدو على العموم مجبولين على الترحال والضرب
في أطراف البلاد حتى اذا تمصروا أصبحوا كأهل الحضرة أقل
استعدادا للهجرة والتغريب عن الاوطان والابتعاد عن الارض
التي نبتوا بها واستقوا من مائها وتغذوا بنباتها

ولما كانت بلاد الانكليز كثيرة البعد عن ان يصدق عليها
السعي ولوع الاسكليز
بالسياحة
أنها من الخصب وتوفر الرزق بحيث تكفي لمؤنة أهلها تولد فيهم
بالضرورة حب السياحة والسعي في مناكب الارض وبذل كل
مافي وسعهم من الوسائل الحسية والوسائل المعنوية لجلب الثروة
من أقطار الارض وأطرافها الى تلك الجزيرة التي يسكنون بها
ثم لما ضاقت عنهم التزموا بالاستكثار من الاستعمار والانتشار في
سائر الاقطار مثل الفينيقيين وأبنائهم القرطاجيين ومثل الانغارة
(les Grecs) والرومانيين ومثل العرب في أول دولتهم والبرتغاليين
والاسبانيين في مبدا نشأتهم ومثل الالمايين واليونانيين وغيرهم
من أم هذا الزمان

وبعد ان كانت السياحات للانكليز من أول الحاجيات
أصبحت الآن من ضروريات الكليات لانها أصبحت في ملكاتهم

وثبتت في أخلاقهم حتى أنهم فاقوا جميع أمم الأرض في هذا
الموضوع

وبعكسهم المصريون واشباههم من الاقوام فانهم لم يحوجهم استعداد
بلادهم للخروج من حوزتها ومبارحة حومتها لكونها تكفات لهم ^{المصريين} للسياحة
بلوازم الحياة ولم ترض عليهم بما يسد رمقتهم حتى انه ما أمكن
ولا يمكن ولن يمكن أن يموت فيها أحد بسبب الجوع كما هو حاصل
في كل يوم بلوندره وغيرها من مدائن الانكليز ولا يمكن أن لا يجد
العامل فيها عالا يغنيه عن بذل ماء الوجه وإخلاق الديباچه أو
الاتجار ان كان في نفسه شئ من الشهم والشهامة وأما لوندره
وحدها فقد شهد الاستاذ كيرهاردي نفسه وأكده بأن عدد العمال
الذين لا عمل لهم هو ١٠٠٠٠٠٠٠٠ ومعلوم ان أقل تعطيل في
معامل أية مدينة من بلاد الانكليز يوجب انقطاع الخبز عن
مئات ألوف من العمال كما تشهد به التلغرافات

فلا غرابة حينئذ في أن مصر لم تخرج كثيرين من أهل
السياحة والريادة ومحبي الاستطلاع ولكن ذلك ليس برهانا على
عدم استعداد أهلها لها بل ان البارئ جل وعلا خصهم أيضا
بهذه الغريزة كما حلالهم بصفاء الفريجة وجودة الذهن وهو
المدارك وغير ذلك من المزايا العقلية التي يعترف لهم بها حتى

اعدائهم من الاجانب وانما الاعمال محك الرجال فلا يصح للعاقل
المنصف حينئذ الا أن يسخر ويستخف بأولئك السامعين الذين
جاؤا مصر و-كروا بأن أهلها ايس فيهم اقتدار على السياحة
وطلب العز في التنقل فان أول طواف حول أفريقيا كان في
عهد الفراعنة الاقدمين وعلى سفائن المصريين وبواسطة المصريين
خرجوا من بحر الروم مغربين حتى تجاوزوا بحر الزقاق (بوغاز
جبل طارق) ثم اجتازوا بحر الظلمات (المحيط الاطلانطيقي) الى أن
بلغوا ما يعرف الآن برأس عشم الخير ثم جاؤا البحر الهندي
وألقوا المراسي عند مدينة القلزم (قريبا من السويس) ومن
نظر في كتاب (مصر والجغرافيا) الذي وفقت الى اظهاره حديثنا
اذعن بأنهم قد كانت لهم اليد البيضاء في الاكتشافات الجغرافية
التي حصلت ببلاد السودان وغيرها وان كانت رسائلهم وتقاريرهم
وكتاباتهم لم تنل حقهها من الانتشار حتى تكون بهجة في عين المحب
وقدى في أعين المبغضين

الاندفاع
للسياحة

واقدم صدق الفرنسيون في المثل الذي أرسلوه حيث قالوا (ان
الشهية تحضروقت الاكل L'appétit vient en mangeant)
وأصدق منهم امامنا البوصيري فيما أتى به من الحكم (ان الطعام
يقوى شهوة النهم) فاني حينما أتيج لي مبارحة الربوع التي ألفتها

والديار التي عهدتها (وهذه هي المرة الاولى) عرفت مقدار الحنين اليها والتوجع من مفارقتها حتى لقد اشتد بي الوجد عليها وأنا بفلورانس على مقربة منها ولا يعرف الشوق الا من يكابده ولا ينكر هذه العواطف النبيلة الا من تجرد منها ولا يكتفى كذا كلما طوحت بي الاسفار استأنس الى السياحة وأرى في نفسي ما يجذبني الى رؤية بلاد كثيرة واقوام عديدة حتى اني لما كنت باثر بول شعرت بما يدفعني الى زيارة بلاد الغال وقد دارت المكالمة بيني وبين بعض الانكليز على ما عازمت عليه من التوغل في هذه البلاد فاستكبر هذا المشروع على شاب من المصريين وقال لي «انه من باب المجازفة سيما مع قلة بضاعتي في اللغة الانكليزية مع كوني لو كنت متقنا لها لما أفادتني بشيء كثير لان أهل تلك البلاد لهم لسان آخر خاص بهم وهو بعيد عن الانكليزية بعدا شاسعا» فقلت له «ولم تقدمون أتم الى بلادنا وتكتبون عليها مع عدم معرفتكم بلساننا ولا وقوفكم على أخلاقنا» فقال «انا نستعين بما كتبه اسلافنا الذين خالطوكم وأقاموا بين ظهرانيكم فضلا عن انتشار لساننا في أوطانكم وكثرة التراجمة الذين نستخدمهم في التفهم والتفهم» فأجبتة باني «لا أرى من مانع في ان أكون لقومي مثل أولئك الاسلاف الذين تشير اليهم واني

أستعين بترجمان من أهل تلك البلاد ينهمنى بالانكليزية وعلى قدر الامكان مايس في وسعي ادراكه من لغة قومها فان الانكليز والامريكيين لابد أن يكونوا قدموا اليها وحينئذ فلا شك في وجود نفر من أهلها يكلمونني بالانكليزية على قدر ما أفهم » ثم أحطت صاحبى بعشروع سياحتي في الانداس والبرتقال وانى لأفهم كلمة واحدة من اللغة الاسبانية فقال « ذلك سهل عليك لانها قريبة من الفرنسية والاطليانية ولأنك بهما إلمام » فسألت له بسداد هذا الجواب فقال لي « وهناك عوائق أخرى ربما لا تقوى على مقاومتها وهي البرد الشديد والرطوبة الزائدة ووالى الامطار في هذه البلاد الجبلية » فقلت له « وفوق ذلك فاني عازم على النزول الى مناجم الفحم الحجري » فhez رأسه وبرم شاربيه وتبسم ضاحكاً ثم قال بصوت متقطع (اذا كان الكلام سهلاً على اللسان فالعمل صعب على الانسان) فترجعت له ما قاله شعراً وأنا (أنجز حر ما وعد - وان غدا لناظره قريب) ثم ودعته بعد ان وعدته بانى أكتبه من هاتيك البلاد وركبت القطار في عصر النهار .

خول بلاد العال ولما وصلت الى مدينة شستر Chester استدعيت حمالا نقل متاعى الى قطار آخر وأعطيته جنيتها ليستحضر لى تذكرة الى لنجولتن Lengollen ويرد لى الباقي فذهب وغاب ثم رجع

مؤفيا بالمراد فأتحفته بما قدرنى الله عليه لانى فكرت أنه كان
فى وسعه عدم الرجوع ووصلت لنجوثان فى منتصف الليل أوقبله
بقليل وكان المطر متواليا عليها بما لم أعهدده فى عمري وأما الهدى
فيمكنى أن أقول أنه أهدانى بالزكام مدة أربعة أيام وسمعت للمياه
خيرا يشبه الهدير والزئير وكأنها متدفقة من سخور عالية
متأطمة على جنادل متوالية متساقطة فى جداول سافلة وبلغت
الازل كالغريق لا يخاف البلبل فأوقدوا نارا حامية اصطليت بها
واستأنست لها وما سمعت آذان الديكة فى الايكة وتسبيح الاطيوار
على أفنان الاشجار حتى وثبت الى الشبلك وألقيت نظرا متسارعا
الى ما أمامى من المناظر فاذا جبال شاهقة تكسوها خضرة راثقة
تخللها ازهار شائقة تكتنفها أشجار باسقة تنساب بينها مياه
دافقة لونها ضارب الى الاصفرار والاحمرار مثل مياه النيل المبارك
أيام الفيضان فانسلج فوادي كما انسلج جسمى وقرت عيني بياهر هذه
المناظر وجمال هذه الحال حتى عولت على اطالة الإقامة فى هذه
المدينة الصغيرة التى يبلغ عدد سكانها ٣١٣٣ نسمة فأخلدت
الى الراحة فيها وترويح البال بمراثيها بعد أن لاقيت من لفظ
المدائن الكبيرة وضجتها ومتناهى اضطرابها وحركتها ما جعلنى
محتاجا لقليل من الراحة حتى يعود لى النشاط لموالات الساحة

لنجوثان
ومساطره

ومن الغرابة أنى علمت بعد مبارحتى لها بزمان ان أهل التجوال
لا يحطون بها الرحال الا للاستراحة

فانها مدينة صغيرة واقعة على نهر الدير (ومعنى دى باللغة
الغالية الاسود وبالانكليزية بلاك) وتسمى بلسان أهلها لنجولن
وان كانوا يرسمون اسمها فى الكتابة هكذا (لنجلون) وعلى نحو
ميلين منها اطلال دارسة لدير قديم وهى أجمل مابقى من عمائر
القدماء فى شمال هذه الاراضى وعلى ميل ونصف منها بقايا
حصون منيعة قائمة بشكل مخروطى على تل مرتفع يطل على
المدينة ويصد عنها المغيرين عليها وقد زرتهما بالتحصيل وشاهدت
أعمال الحفر فيهما وكشف ما كان دارسا تحت الارض منهما
وفيما وراء هذه الحصون يمتد النظر الى مسافة أربعة أميال
تشغلها جبال طباشيرية تتخللها مروج أريجة ومراع فسيحة
ويحف بالمدينة من الشمال الى الجنوب وادبها ببحر يبلغ طوله
٢٤ ميلا ينعش الفؤاد ويشجى النفس بنوره وزهره وخضرته
وقد آثرت التوجه اليه على عربة فى طريق البر عن ركوب
القطار حتى أتمتع باجتلاء محاسنه وتسريح الطرف فى مشاهدته
ورأيت ما أبقاه فيه الدهر من آثار القصور الدارسة التى تتعلق
بما كان اها من المكنة فى الفخامة والجلال وتشهد بان الايام
خلعت عليها ما عندها من الجمال

هوميات على
لنجولن

وقد تنقلت من هنالك الى قرى كثيرة حول لنجوثلن وتحققت طماع أهل الغال
في أهل الغال بشاشة وبشرا واثمناسا ويسرا مع الطباع الكريمة
والاخلاق الفاضلة النبيلة ولهم بالغريب حفاوة وأى حفاوة فهم
يتهاكون على خدمته والاجتهاد في مرضاته من غير أن تكون
لهم غاية ما في ديناره وخالصة القول انى عهدت فيهم تلك السجيا
البدوية العربية الفاضلة التي تتجلى مظاهرها في الارياف
والخلوات أكثر منها في المدائن والامصار وهذا ما حدانى على إطالة
المكث بلنجوثلن أكثر مما تستحق في الحقيقة وخصوصا ان
التندق الذى نزلت فيه وهو (هاند هوتل Hand Hotel) قد قام
أهله بخدمتى فوق اللازم ويسروا لى جميع المطالب بما كتب
لهم على صحيفة فؤادى آيات من الشكر لا يحوها الدهر ولقد
وطنت نفسى على الذهاب الى هذه المدينة اذا ساعدتني العناية
بالقدوم الى أوروبا مرة ثانية

وقد رأيت النساء في بلاد الغال يفقن اضرابهن في بلاد نساء الغال
انجلىرة الحقيقية فيما هو من مميزات الجنس اللطيف مع ما هن
عليه من البساطة التي تستوجبها المعيشة الخلوية وبعدهن عن
التأنق الذى يضطر اليه أترابهن حينما يطلعن في سماء الامصر
والسيدات في لنجوثلن جمعة خاصة بهن في دارهى في الحقيقة

تحفة الناظرين وطرفة للقاديين فقد حوت من آثار الصناعة
وبدائع الاعمال ما لا يمكنني المقام من استيفائه الا ان فانها كلها
من الخشب القديم المشغول شغلا دقيا على يد أمهر الصناع وفيها
طرائف قديمة ومجموعات نفيسة من حلى وجواهر رمتاع فاخر
وصور ومناظر وأسلمة ونقوش وأشكال وأوان يليق بها
أن تعرض في أهم المتاحف المعتبرة وفيها رجام قبر من الرخام مكتوب
عليه عبارة باللغة التركية

معامل الصوف وفي هذه المدينة الصغيرة أكثر من اثني عشر معملا لغزل
الصوف ونسجه بديرها التيار والبخار وقد تفرجت على بعضها
ورأيت الصوف كيف يفرز ثم يتنظف ثم يغزل ثم ينسج ثم يغسل
ثم يكوى ثم يلف وكل ذلك بواسطة الآلات وتحت مراقبة
شردمة من الغلمان وثلة من البنات

منبع الدير ولا أعلم كيف استولت على الرغبة في التوجه الى منبع نهر
الدي ورؤيته وهو يخرج من البحيرة التي تتجمع فيها المياه
المتساقطة من الجبال فجهزني أهل الفندق بما يلزم وأحضر والى
ترجانا صاحبني في زهابي بالسكة الحديدية الى مدينة بالا Bala
وسرت مسافة ساعة حول بحيرتها ورأيت الجداول تنساب من
قلل الصخور القرية منها وتنهال في حياضها ثم تجرى الى الوادي
فيتكون منها نهر الدير

كُلُّ ذلك والمطر متوال لا ينقطع الامتداد خمس دقائق تطلع وصف مناجم
فيها الغزالة ثم لا تلبث ان تختبئ وراء حجاب السحاب يكتنفها الفهم الحجري
قوس قزح مزدوجا بل قد لاقه لها الامطار ريثما تختفي عن
الانظار واقد طاب لي المقام في هذه المدينة الهادئة المطمئنة مع
ما فيها من التغيرات الجوية التي لا تخطر على بال من تعود اقليمنا
ولكني ما قدمت في الحقيقة الى بلاد الغال الا طمعا في رؤية
مناجم الفحم الحجري اس الصناعة وينبوع الثروة ومحور العمران
في هذا الزمان ذلك المعدن النفيس الذي يجدر بنا أن نسميه الحجر
الكريم والاكسير الصحيح فانه فضلا عن فوائده المتعارفة قد
استخرج منه علماء الكيمياء اصباغا باهية متنوعة واعطارا اذكي
من جميع الاصناف المعروفة وسكر ايباع في الصيدليات والدرهم منه
يوازي أكثر من ثلاثين من أجود أنواع السكر المعتاد وقد أثبتوا
أن حجر الماس من الكربون وبذلك يجوز لاهل البيان أن يقولوا
ان الماس من الفحم في الحقيقة والمجاز (وسبحان من يفتق النور
من رفق الظلمات ويخرج الاحياء من الاموات) وفيه غير ذلك من
الجواهر والمنافع والمزايا التي ربما أنعرض لشرحها عند الكلام
على المنجم الذي زرته بالتدقيق والتفصيل فاني قمت من ليجونان

يصحبني ابن ربة النزل حتى وصلت الى مدينة شيرك (Chirk) على طريق يشبه السكك الزراعية في بلادنا وانعطفت منها الى منجم بقربها

وما تمكنت من زيارته الا بعد عناء شديد لان القوم حسبوني في اول الامر رائدا من طرف أصحاب المناجم الالمانية حيث أسترق أسرارهم وأقف على طرائقهم الى غير ذلك مما يخشاه أهل الفن الواحد من بعضهم ولكن المدير لما عرف صفتي ووطنى واطلع على رغبة زيارتي فتح لى الابواب ومهد أمامى الطرق وأتحفى بكافة المعلومات وأعطانى نسخا من التقارير الرسمية والرسائل الفنية لاستمعين بها على الاشباع فى هذا الموضوع ثم قام بنفسه وطاق معى جميع الاماكن وأحاطنى بكيفية العمل ثم أمر وكيله أن ينزل معى داخل المنجم بعد أن ألبسنى رداء قصيرا من الجوخ الغليظ اللثمن وسلمنى هراوة أو كاه عليها وأسنعين بها على التمس فى السير داخل هوة النفق الحالكه وأعطانى مصباحا من مصابيح الامان اهتدى به فى السير وأسنعين به على النظر ثم قدم لى شيا من المرطبات وقال لى (قد صرت الآن من عمالنا فاخضع لنواميسنا فبادر بالعمل بلامهلهل) فامتثلت وانخبت مع الوكيل فى أحد الصناديق الموضوعه على المركبة المعدة

لاخراج الفحم من جوف الارض الى وجهها فهوت بنا المصعدة (Ascenseur) وكان سطح الصندوق الاسفل يفر من تحت أقدامى بمناسبة سرعة الآلة فى النزول حتى رست بنا على بعد ثمانمائة متر عن سطح البسيطة فاستلمنا أحد العمال وقتش جيو بنا لثلا يكون معنا شئ من الدخان أو الكبريت أو المواد القابلة للانفجار ثم خفض المصباح الذى معنا (وكان الوكيل نفسه خاضعا قبلى لهذا الاختبار) وبعد ذلك سمح لنا بالمرور فسرنا من سرداب الى سرداب صاعدين هابطين مقبلين مدبرين بالتواء وانعطاف بحسب اتجاه عرق الفحم فى بطن الارض وكنا نمر على سكك حديدية عليها قطارات مختلفة الاتجاهات بحسب دفع البخار وجذبه بواسطة السلاسل الحديدية وفى الجهات المطمئنة رأينا خيولا تجر العربات مشحونة بالفحم وتتركها بجانب المصعدة وترفعها هذه الى وجه الارض ولهذا الخيول التى لاتنقص عن الثلاثين اصطبلات فى السرايب فيها كل ما تحتاجه من المؤونة والراحة وفى السرايب حنفيات للمياه وتنانير للنيرون (فى محلات مخصوصة) وآلات للبخار وفوهة كبيرة عليها آلة عظيمة تدخل الهواء بكثرة زائدة الى هذه الهاويات العميقة وهذا المنجم مركب من دورين أحدهما فوق الآخر فالاول تحت سطح الارض بمسافة ثلثمائة متر والثانى تحته

بخمسة مائة متر وقد طفت فيهما ثلاث ساعات ولم يتيسر لى أن
أسلك فى كل طرفاتهما لان ذلك يستغرق يومين أو ثلاثة

ولكننى استعصت عن ذلك بالتوجه الى أقصى ناحية وصل
اليها العمال واقتنعت بذلك ودخات الى أبعد نقطة فى كليهما
حيث رأيت العمال يقيمون الاخشاب لاسماد السقف حتى لا ينهار
عليهم ولما كنت بحكم الشرط الذى اشتراطه على مدير المنجم
أحسب فى هذه السياحة الارضية عاملا من عمال المنجم أمرنى
الوكيل بأن آخذ المعول بيدي وأشارك العمال فى قطع الفحم
فكان كذلك وأخذت ما قطعته بيدي تذكرا ثم وقفت معجبا
باقتدار الانسان واذا بفكر مظلم يولانى فاقشعر منه جسدى ووقف
له شعر رأسى اذمر على ذا كرتى كالىهم الخاطف تاريخ تلك
الكوارث والقوارع الكثيرة الوقوع فى المناجم وتذكرت أحدثها
وهوما كنت قرأته بالجرائد الافرنكية فى مصر فى شهر مارس الماضى
من الانفجار الذريع الذى حصل بأحد المعادن فى بلاد البلجيكا
حتى انه لشدة الرجة التى أحدثها جعل أهل البلاد البعيدة عن
موقع هذه الطامة بمسافة خمسة كيلومترات يتخيلون حصول زلزال
عنيف ومالبت الخبر أن انتشر حتى نوافد الناس أفواجا الى محل
الوقعة الفظيعة وأخصهم أهالى العملة وعبالهم واشتغل أهل الاقدام

والجراءة بترتيب وسائل استنقاذ الارواح من هذا الموت الزؤام
ولكن اجتهادهم ذهب ادراج الرياح وضاعت مساعيهم سدى
فقد كتب الله أن تكون هذه الظامة عامة فانهم شعروا بتزعزع جديد في
بواطن الارض أعقبه صياح رنان (النار النار) وأبصروا الشرر
يتطاير في الهواء من بئر التهوية يحيط به دخان كثيف كان يتسارع
الى وجهه الارض نذيرا باعتراك العناصر في احشائها واجتماعها
على اهلاك من فيها من العملة المساكين بشر أنواع العذاب المبين
ثم آنهار أحد جدران بئر التهوية فساعد على اشتداد النيران وقطع
حبال الرجاء في الانقاذ والفسداء وكان الناس وهم في حالة اليأس
يسمعون زئيرا شديدا يخرج من الاعماق ويشعرون باضطراب
وارتجاج وفي بعض الاحيان كانت تهب عليهم روائح خصوصية
ومهاجمهم أبخرة كبريتية فتعلمهم باشتداد الكرب وتوالى الخطب
وتنبئهم بان الحريق آخذ في الازدياد وانه لامطمع في استخلاص
ضحايا النار حتى اصفرت الوجوه وذهبت العقول وضاع الضواب
فأقبل كثير من الحاضرين وفيهم جم غفير من النساء يترامون
على البئر وقد أحاط به الجند ولم يتجهوا في صد المعتوهين عن
اللحوق بابائهم وأزواجهم وأبنائهم وأقربائهم لانقاذهم من مخالب
النار الا بعد أن أشهروا السيف البتار وتكاثفت جوعهم

فزحزحوا الناس بقوة السلاح وهم يتظرون اليهم بعيون زائغة
تنظروا لا ترى وأفواه تصطك أسنانها وقد انعقد لسانها ووجهه تولاها
الذهول واعتراها الخيال فصاروا كالاشباح بلا أرواح ولا أذكار
الآن بالضبط عدد الذين ذهبوا فريسة هذه القارعة ولكني أذكر
أنه يبلغ المائتين وهذه حادثة واحدة من كثير دونه تاريخ المناجم
وكنت أتفكر فيها كلها ولم يخرجني من هذا الحال الاتناحي العمال
بلسان الغال فأننى لو كنت من البارعين فى فن المنارقات لقلت انه
يتركب بحسب هذا البيان (أى النسخة باعتبار بعض المصرين)
قيراط

ألماني	٨
انكازى	٢
لاوندى	١٠
يونانى	٢
سريانى	١
عربى وعبرى	١

(مجرد) ٢٤ مزوجة مع بعضها بنشأ عنها اللسان الغالى
وحيث بادرت بالخروج الى وجه الارض وشكرت أفضال
المدير وأنا أرتجف من هول الخطر الذى ألقيت بنفسى فى تملكته
(صحيح)

ولكننى قات في نفسى ان الذى يجىء ببلاد الانكليز ولا يرى
معادن الفحم الجبرى فلا يصح له أن يقول انه كان فى انجلترا
أوزار هذه الجزيرة

ثم انطلقت من هذه المدينة (شيرك) الى مدينة أخرى
تفرجت فيها على معمل اصطناع الطوب المطبوخ (الآجر) بواسطة
البخار وهو معمل كبير يأخذ الطين اللازم من تل كبير مجاور له ثم
انتقلت الى مدينة أخرى قريبة منها ورأيت فيها العملة يلعبون
بعد خروجهم من المعادن بالكرة بأقدامهم (الفوت بول) وهو لعب
رياضى خاص بالانكليز ولهم فيه مهارة غريبة

ومن هنا ركبت القطار راجعا الى شتر وهي فيما بين بلاد
الغال وبلاد الانكليز ولكنها تعتبر من الثانية ومع ذلك فسأذكر
عليها الآن تفصيلا قليلا

هذه المدينة قديمة أسسها الرومانيون على مصب نهر الذى مدينة شتر
الذى يمر على لنجوثان وعدد سكانها ٣٦,٧٩٤ نفس ولا يزال
فيها كثير من بقايا الرومان وأبراجهم وأسوارهم التى هى كتوارع
معلقة فى المدينة اعتماد الاهالى على النزهة والرياضة فيها ويبلغ
طولها ميلين ومن الامور التى انفردت بها ان برازيق الطريق
يكون عليها حوانيت وخلفها مماش فيها دكا كين أخرى وفوق

الحوانيت الامامية يرتفع الدور الاول من المنازل فيكون الشارع عليه من الجانبين صفان من المخازن وخلف كل منهما ممشى فسيح مواز للشارع وعليه دكاكين أخرى وسقفه هو أرضية الطبقة الاولى من المساكن وفيها كنائس عتيقة بعضها مشيد بالطوب الاحمر وفيها ميدان فسيح تتسابق فيه الخيول في بعض أيام السنة وخلاصة القول أن لها منظرا انفردت به دون المدائن التي مررت عليها ببلاد المشرق وأوروبا وقد اشتهرت بصناعة الجبن وان لم يكن من طبيعة أهلهما فقد بيضوا صفحات تاريخهم بالذود عن حياضها أيام كانت بلاد الانكليز منقسمة الى ممالك صغيرة كثيرة في عراق مستديم وحروب مستمرة

والى هنا أستوقف اليراع عن الافاضة في شرح ما عندي من الملاحظات والمفكرات فان ما ذكرته عن بلاد الغال قليل في جانب ما استحصت عليه من الفوائد والمعلومات ولكن القليل دليل على الكثير

الرسالة الثالثة عشرة

العودة الى لوندرة

وفيها ايماء بإيجاز الى نهر التيمس وقناطره والاتفاق التي تحت الارض والحدائق
والكنائس والقصور وبنك إنجلترا ودارالضرب وبرج لوندرة ومحلات
البر والاحسان ومؤنة المدينة ومياها وتنويرها ومطافئها
وشربها ومصارفها وضواحيها (رشمندبساتينها وويلدسور
بقصر الملكة ورياضها) ومعروض « مصر
القديمة » في لوندرة والصناعة الشرقية
العربية فيه واستنهاض الهمم اليها

رجعت من بلاد الغال الزاهرة التي هي في إنجلترا بمثابة
سويسرة بما يتجلى فيها من محاسن الطبيعة ونضرة الخلوات
ونزلت ثانية بعاصمة الانكليز ورأيت فيها ما رأيت مما قصت
بعضه في رسالتي الاولى عنها وهي وان طالت بتدبر ما طالت
فليست في الحقيقة بالنسبة لهذه المدينة الا كالبعوضة بجانب
الطود الشاخر ولا يطاوعني قلمي على الانتقال منها الى غيرها
ولكنني لايتسنى لي باى حال من الاحوال أن أفيض في شرح
الكلام على التيمس وقناطره الاربع عشرة وأرصفته المنضودة
المدودة على جانبيه أوالاتفاق التي تمر تحت قاعه كأن

الآلاف المؤلفة من العربات المختلفة الأنواع وقهارات البخار
والترامواى والزوارق التى تجرى على وجه النهر كعدد النمل كلها
غير وافية بحاجات أهل هذه المدينة للانتقال من شاطئ إلى شاطئ
فقادهم ميلهم للاختصار وتوفير الزمن وتسهيل العمل إلى أحداث
هذه الأعمال الشاقة فإن أحدها (تيمز تونل) يبلغ طوله ٣٦٦
مترا وهو عبارة عن مشاتين معقودتين متصلتين بيوالت واساطين
على مسافات متساوية ويمر تحت قاع الماء بخمسة أمتار وقد
بلغت نفقته ١٥,٣٥٠,٠٠٠ فرنك وكان فى أول الأمر
مخصصا لافتراد الناس ينزلون اليه من سلم مظلم منزلق ارتفاعه
٩١ مترا ولكنه لم يحزم من الخلائق اقبالا مع كون أجرة المرور
كانت زهيدة جدا وهى بنس واحد (٤ مليمات) فاشترته شركة
خصوصية فى سنة ١٨٧٢ ومدت فيه خطوطا حديدية تجرى
عليها القطارات وتتصل بسكة حديد العاصمة وقد كان انشاؤه
فى سنة ١٨٢٥ وأما النفق الثانى فهو بجانب برج لوندرة واسمه
(نَوْر سِوِي) وهو عبارة عن قناة من حديد الزهر قطرها متران
وطولها ٣٧٥ مترا ينزل اليه من سلمين حلزونيين على ٩٦
درجة موضوعين على ككل من ضفتى النهر (واجرة المرور
نصف بنس أى مليمان) وكان البدء فيه فى شهر فبراير سنة

١٨٦٩ واتمامه في شهر ابريل سنة ١٨٧٠ ولم تزد نفقاته عن
٤٥٠,٠٠٠ فرنك

وأما الثالث فقد انشأته شركة السكة الحديدية الكهر بائية

واحتفل البرنس دوغال بافتتاحه في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٠
نعم اني خصصت هذه الرسالة لذكر بعض آثار لوندرة وعمارتها
وتحفها وضواحيها ولكني لأجد متسعاً للقول على حدائقها
العشر التي يضرب بها المثل في العالم كله ولا على بستان البنات
وما فيه من غرائب الحيوانات (وهو ملك لاحدى الشركات) ولا على
كنايسها المهمة مثل القديس بولس وديروستمينستر والهيكل والكنايس
الانكليزية والبيع المنشقة عنها والبيع الكاتوليكية والاجنبية فان
عددها في المدينة وارباضها يناهز الالف ونصف الالف لليهود فيها
٦. كنيسة الى غير ذلك من أماكن العبادة العديدة التي اقامتها
طوائف دينية لا يحصىها الا الله . وكيف يتسنى لي أو لغيري
تلخيص شئ وجيز في مثل هذه العجالة عن قصور تلك المدينة مثل
دار الندوة (البرلمان) وقصر سان چس وقصر بوكنجيم والويت
هول (وقد كان فيه اعدام الملك تشارلس الاول) وقصر مارلبورو
وقصر كنسنتن وقصر لينث (وهو مقر رئيس أساقفة الكنيسة
الانكليزية) وقد رأيت فيه مصحفاً بخط أحد سلاطين مصر

موضوعا في الكنيسة بجانب الانجيل وغير ذلك من قصور الملوك
والامراء أو المخصصة للنوادي والاجتماعات وبمثل ذلك أعترف بأنه
ليس في وسعي أن أتى بلع بسيرة عن الأماكن المدنية والعمائر
العمومية مثل جلد هول (الذي هو دار أمانة المدينة) وفي إحدى
قاعاتها ثمانان عظيمان من الخشب المجوف يمثلان بأجوج ومأجوج
وتسع هذه الناعة ٧ آلاف نرس وفيها مكتبة حرة فيها سبعون
ألف مجلد وفيها متحف للآثار والمخلفات الباقية من لوندرة القديمة
وقد عرضوا فيها امضاء شاعرهم شكسبير على صك مبايعة اشتروه
للمتحف بمبلغ لا يقل عن ١٤٥ جنيه وفي الدار تلك العربة التي
يركب عليها اللورد أمين المدينة في التاسع من شهر نوفمبر يوم
الاحتفال بتثيبتة وتبلغ التناقات اللازمة لترميمها ٢٥٠ جنيه
في كل سنة منذ انشائها في سنة ١٧٥٧ أو المنشن هوس
(هو القصر الذي يسكن فيه اللورد أمين المدينة مدة سنة انتخابه)
أو البنك (ويرد اليه في كل يوم ٥٠ ألف ورقة قيمتها مليون جنيه
فيزقون أحد أطرافها ويحفظونها مدة ١٠ سنوات ويصدرون غيرها
للتعامل وفيه مطابع كثيرة كل واحدة تخرج في اليوم الواحد ١٦
ألف ورقة مختلفة القيمة وقد بلغ عدد الورق الذي أرجع الى
البنك في يوم ٨ أكتوبر سنة ٩٢ ١٧٤٦٧ وقيمتها ٢٧٥,٠٧,١٥٠

جنيه ورأيت فيه ورقة قيمتها مائون جنيه ولا ثمانية لها ورأيت
ورقة تداولتها الايدي مدة ١١١ سنة وبلغت أرباحها المركبة
٦٠٠٠ جنيه وفيه ٤٩ مكتبا ويخفزه بالليل قره قول فيه ٣٤
عسكريا وضابط واحد وهو غير قابل للاحتراق وفيه سبائك كثيرة
من الذهب الابريز والفضة الخالصة وفيه آلات لو وزن الجنيهات تلتقى
بالجنيهات الصحيحة في مكان وبالتى نقصت بالمداولة والمعاملة في
مكان آخر وتزن في الدقيقة الواحدة ٣٣ جنيتها وفي كل يوم من
٦٠ ألف الى ٧٠ ألف جنيه وقد كان رأس مال البنك في أول
الامر ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه وصار الآن ١٤٠٥٥٣٠٠٠ جنيه
انكليزي وقد بلغ عدد الورق الذي صدره البنك في خمس سنوات
ثم عاد اليه ودفع قيمته ٧٧٠٧٤٥٠٠٠ ورقة بنك نوت تملأ
١٣٠٤٠٠ علبة واذا وضعت هذه العلب بجانب بعضها يبلغ طولها
ميلين اثنين وثلاث ميل ولو وضعت هذه الاوراق نفسها فوق بعضها
لكان ارتفاعها خمسة أميال وثلاث ميل ولو صفت الى جانب
بعضها طرفا لطرف لتكون منها شريط طولها ١٢٠٤٥٥ ميل ولو حسبنا
مسطحها لوجدناه يساوي مسطح حديقة الهايد بارك (ومعلم ان
سطحها ١٦٠ هكتار) وقد كانت قيمتها الاصلية عبارة عن

١,٧٥٠,٦٢٦,٦٠٠ جنيه انكليزي وثقلها ٩٠ طونولاطة وثلاثا
طونولاطة)

ولأذكر الآن شيئا عن البورصة وأعمالها ودار البورصة
والتلغراف والكرك ودار الضرب (ويبلغ عدد العملة التي تصنعها
في الاربعة وعشرين ساعة ٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزي) وكيف
يتسنى لي التلميح بكلمتين الى برج لوندرة وما فيه من الاسلحة
الفاخرة والحلى المجوهرية أو المتحف البريطاني وقد طار صيته في
الاتفاق بكثرة ما فيه من الذخائر والاعلاق وتنوع النفائس
واختلاف الخلفات مما يجعله في مقدمة متاحف الدنيا حتى ان
غرفة المطالعة فيه لامثيل لها في العالم كله بل ان مجرد المرور
على ما فيه من المحفوظات يستغرق نحو الاسبوع بالتمام بل ان
برنامجاته وفهارسه هي عبارة عن مجلدات ضخام ويجبى بعده
غيره من المتاحف الكثيرة المتنوعة ومعارض الصور والرسوم
والفنون والعلوم

وماذا عساني أقول الآن على نظام البلدية في هذه المدينة
الواسعة أو على ترتيب الشرطة الذين يزيد عددهم عن ١٤,٩٠٠
رجل أو على محاكمها الكثيرة العسدة المتنوعة الاختصاصات أو
على مدارس الحقوق الاربعة أو على محلات البر والاحسان

ودور النقاهاة والجمعيات الخيرية المختصة لتربية أبناء الفقراء فان عددها يتجاوز الالف ومقدار المبالغ التي تنفقها بما فيها التبرعات والهبات (والنقود التي تجمع في الكائس) تزيد عن سبعة ملايين من الجنيهات والمستشفيات فيها على أنواع فمنها ماهو عمومي ومنها ماهو مخصص لبعض الامراض مثل مداواة الطواعين والوقاية منها وعال الصدر والربو والرمد وادواء العين وغير ذلك من الآفات والعاهات ومنها ماهو للجاذيب (وعدهم في بعضها ٥٠٠ ولاغرابه) ومنها ماهو للاطفال أو للنساء أو للولادة هذا بصرف النظر عن الاجزائانات العديدة التي توزع الادوية احتسابا لوجه الله وعدد الاسرة في هذه المستشفيات يزيد عن ٩٠٠٠ ويدخل بها في السنة أكثر من ٨٠٠٠٠٠ مريض وهي توزع الادوية مجانا على أكثر من ١٠٢٣٠٠٠٠ نفس وفي بعضها مدارس للطب والتشريح أو الاقرباديين أو غير ذلك من فروع الطب وفيها كتيخانات معتبرة ومتاحف متنوعة ومعامل كيمائية وغرف للطبيعة و بساتين للنبات ومجاميع بائولوجية وغير ذلك وفيها مراب للايتام قد يزيد عددهم في بعضها عن ٤٦٠ وقد كان أحد الماهرين في صناعة الموسيقى يجيء فيها ويقرع أرغنا في غاية الاتقان أهدها له (وهو فنه الى الآن) وكانت الخلائق تتهاقت

على هذا المكان من كل فبح لسماع هذا المطرب الفريد وقد
تحصل من أجرة دخولهم مبلغ يزيد على ١٠٠.٠٠٠ جنيه خصصه
للربى ومن فيه من الايتام ولم يأخذ منه بارة واحدة

وفى لوندرة فضلا عن ذلك كثير من الاماكن الخيرية وجمعيات
البر ومساعدة العملة والسعى فى نفع بنى الانسان وفيها كثير من التكايا
التي يجبر المتكفنون على الدخول فيها والاشتغال بما هم أهل له
وفوق ذلك ترى هناك كثيرا من المستشفيات المختلفة الانواع لاجل
الجنود البرية والبحرية الذين أصابتهم العاهات

وماذا أقول على المؤنة فى مدينة يزيد عدد السكان فيها
عن الخمسة ملايين ونصف مليون وكلهم لابداهم من الطعام فيها
أربع مرات تقريبا فى كل يوم حتى ان ماتستهلكه فى العام
الواحد يبلغ هذه المقادير

٨٠٠,٠٠٠ نور

٤٠٠,٠٠٠ رأس من الضأن والعجول والخنازير

(وقد أثبت علماء الاحصاء ان متوسط ما يستهلكه

النفر الواحد من سكانها فى اليوم الواحد يزيد عن

١٤٠ جراما من اللحم)

٩٠٠,٠٠٠ من الطيور وحيوانات الصيد

(أما الاسماء مثل سمك المرجان المعروف في كتب العرب باسم طرستوج وعند اليونان طريفلا وعند عوام الاندلس المول، ثم السلباج المعروف بالارماهيح وبالنون وبالانقليس وبشعبان البحر، ثم التين (واسمه كذلك في الكتب العربية) . ثم السردين واسمه عند العرب العرم، ثم محصولات البحر من الحيوانات الرخوة مثل الجندفلي والقرقلة والاسترديا والمحار بأنواعه والسرطان الكبير وأبوجلمبو وأبوتكني والبضاليس وبراغيث البحر وبلح والحلزون والسرطان وقنفذ البحر المعروف عند أهل الاسكندرية الآن باسم رتسا ويسمى عندهم أيضا قنشد (ولاشك عندي أن هذه الالئظة معرفة عن كلمة قنفذ) وغير ذلك من الاصناف العديدة التي لا أعرف أسماءها فانها تنهال على المدينة بتنادير هائلة لا يتصورها العقل يشهد لذلك أن هناك الافاوا لافا من الزوارق والقوارب لا حرفة لها سوى نقل هذه الحيوانات الرخوة القوقعية هي والروبيان المعروف عند الفرنسيات باسم هو مار (Homard) وقال ابن البيطار (ان المصريين يسمونه فرنديس وان أهل الاندلس كانوا يسمونه قرون)

هيكترولتر من اللبن	١٠,٠٠٠,٠٠٠
بيضة	٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠
كيلوجرام من السمن والزبدة	١٠,٠٠٠,٠٠٠
كيلوجرام من الجبن	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
طونولا طه من أصناف الخضراوات المهمة ومنها	٤٥,٠٠٠
نبات الحرف فقط (وهو المعروف عند العرب أيضا	
بالرشاد وعند الفرنسيين ساوية بل كرسون Cresson)	
ما مقداره من ثمانمائة الى تسعمائة طونولا طه	
طونولا طه من أنواع الفاكهة	٥٠,٠٠٠

وغير ذلك وغير ذلك وغير ذلك *

أما السوائل التي يستعملونها فلا تقل عن ذلك بل هي أيضا بنسبة هذه المقادير الهائلة فانها تتجاوز ١٨٠ مليون لتر في الاربعة آلاف نخارة والسبعمائة ألف بيت خصص ويمن تقدير المشروبات الروحية بثمانية عشر مليونا من اللترات واذ قابلنا بين النبيذ وبين الجعة (البيرة) وجدناه شيئا لا يذكر بجانبها اذ لا يشربه الا الاواسط والاعنياء ومع ذلك فكمية استهلاكه في العام الواحد لا تقل عن ٣١ مليونا من اللترات أما الفحم الحجري فيجي منه في كل عام كميات تزيد على ١١ مليون طونولا طه

وثلاثة أزياع هذه المقادير الجسمية ترد عن طريق النهر والباقي في
السكة الحديدية

وأهم أسواقها (وهو سوق سيجيثفلد) يشغل مسطحا قدره ٣٧
ألف متر وفيها سوق آخر (اسمه سوق البهائم) قد يسع في
آن واحد ٧,٠٠٠ ثور و ٢,٠٠٠ بجل و ٣٥,٠٠٠ شاة و ٥٠,٠٠٠
خنزير وقد يكون في بعض الايام مخصصا لبيع الخيول وفيها سوق
آخر للسماك والقواقع ليس الا وآخر للاطيار فقط وآخر للخضار
والاشجار والازهار دون ماعداها وآخر للخيل وحدها الى غير ذلك
عما يطول شرحه

أما التجارة والصناعة والميناء وأحواضها ومخازنها فهي عالم
كبير مستقل بنفسه ولا أعلم ماذا أقول عنها الا ان بعد أن تحققت
أن مينائها هي أهم موانئ العالم وأكثرها محطا للسفن اذ أن
متوسط ما يرد عليها سنويا يبلغ ٧,٠٠٠ سفينة مجموع جولتها
١٢,٠٠٠,٠٠٠ طن نولاطه وقيمة ما فيها من البضائع والارزاق
يزيد على مائة وعشرين مليونا من الجنيهات الانكليزية أما
الاحواض ومخازن التجارة فن أهم مناظر لوندرة وأبدعها تجعل
للمناظر (خصوصا اذا وقف على قنطرة لوندرة - لندن بريدج -)
فكرة في أهمية العاصمة الانكليزية وجسامتها واتساع نطاقها بما

فيها من المراكب المتراكبة والبضائع المراكمة والخلائق المتزاحمة ولايسمح لى المقام بتفصيل قليل عن حركتها الهائلة
وفي المدينة ثلاث شركات متعهدة باضاءتها بالغاز وقد قدره أهل
المعرفة بمبلغ ٥٦٠ مليوناً من الامتار المكعبة وتستهلك للحصول
عليه مليونى طونولاطه من الفحم الحجرى وغاز الاستصباح ٥٠٠
يجرى فى قنوات مجموع طولها ٤ مليون كيلو متر وتزيد النفقات
السـنوية عن ٣,٦٠٠,٠٠٠ جنيه مع أن المبالغ اللازمة لسقى
المدينة بالمياه لاتصل الى نصف هذا المبلغ الجسيم وهناك شركات
كثيرة تألفت للاضاءة بالنور الكهربائى وكان قبل هذه السنة
قاصراً على منازل الافراد ومخازنهم ولكنه فى أول هذا العام صار
استخدامه فى بعض الشوارع المهمة والمبادين الاصلية
ويجربنى الكلام على التورالى الحديث على النار فقد كان
رجال المطافئ قبل سنة ١٨٢٣ تحت ادارة شركات خصوصية
تجارية أو تابعين لبعض فروع الادارة البلدية وكانت نتيجة هذا
الافتراق وقوع أضرار بالغة لانهم فى أغلب الاحيان كانوا يتركون
النار تفعل أفاعيلها وتلتهم المنازل التى لم تكن مؤمنة عندهم
أو تابعة لهم ولكن هذه الشركات اجتمعت كلها فى تلك السنة
واتحدت وامتزجت ببعضها فألفت شركة عمومية واحدة لمقاومة

الحرائق واعلم أن لعمالها مهارة لا يناظرهم فيها أحد في الكون
الاماعلمته عن رجال المطافئ في أمريكا ويستخدمون في مصلحتهم
١٨ سلكا تليفونيا و ٧٥ سلكا تليفونيا يجمع بينها وبين بعضها
٥٥ مكتبا اداريا فاذا شبت النار في بعض المواضع تيسر لهم أن
يستحضروا من الآلات والاجهزة كل ما يلزم في بضعة دقائق
وتتصل مرا كز رجال المطافئ بدواوين النظارات والمصالح العمومية
والمباحف والمعارض وغير ذلك من المباني الاميرية بواسطة ٣٨٥
مزولة استغاثة وعدد رجال المطافئ ٧٠٠ ولهم زى مخصوص
معروف وعندهم ٤٧ طلبة بخارية و ٩ طلبات بخارية عوامة
و ٢٢٤ سلم للاستنقاذ من مخالب الحريق وغير ذلك من الاجهزة
الكثيرة المتفرقة في كافة أنحاء المدينة وقد أطفؤا في سنة ١٨٩٠
حرائق بلغ عددها ٢٥٥٥ منها ١٥٣ ذات أهمية عظيمة ومات
في هذه الحرائق ٤٤ شخصا

وبعد الكلام على النار يجيء بالطبع الكلام على الماء
فاعلم أن المياه اللازمة للشرب في لوندرة ليست من نهر التيمز
بل قد تأسست شركات عديدة جلبها من غدران ونهيرات أخرى
في قنوات هائلة مرفوعة على عمدان عظيمة وقباب جسمية (مثل
الدواميد المعروفة بالعمون التي كانت تسمى بما قلعة الحبل عصر

في الزمان السابق ولا تزال آثارها باقية الى الآن) ثم تنصب المياه في أحواض واسعة ثم ترشح من قاعها بمرورها على أحجار هشة تعملها طبقات من الرمل الغليظ والحصى الدقيق وتبلغ كمية المياه الواردة الى المدينة في كل يوم بالتعديل المتوسط ٦٧١,٠٠٠,٠٠٠ لتر منها ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ يستعملها الاهالي في قضاء حوائجهم ولوازم منازلهم فيكون متوسط ما يستهلكه النفر الواحد من سكان لوندرة ١١٧ لتر من الماء في كل يوم

وأستطرد بهذه المناسبة الى الاشارة الى مصارف لوندرة وبالوعماتها فقد كانت كلها تنصب في أول الامر في نهر التيمز حتى جعلته مقرا للاقذار ومنبعا للجراثيم القتالة وأصلا في تسميم الهواء وسببا في ازدياد الامراض وإتلاف صحة السكان وقتل الموت بهم فمكاذريعا فان متوسط المواد العفنية التي كانت تنساق اليه في كل يوم يبلغ ٤٠٠,٠٠٠ متر مكعب وفي سنة ١٨٥٥ اجتهد مجلس شوري العاصمة (البلدية) بدفع هذه المضار ودرس مشروعا للمصارف بصرف عن المدينة هذه المخاوف وبلغت بهذه القادورات الى ماتحت لوندرة بستة وعشرين ميلا في النهر الى البحر بواسطة طلبات بخارية قوتها ١٠٠٠ حصان بخاري وكن هذه العملية لا تحصل الا في وقت الجزر أي عند نزول مياه النهر في

البحر فيأخذ في التيار هذه القاذورات وهذه العفونات بعيدا عن
المدينة ويذهب بأضرارها أدراج الرياح وتبلغ كمية المواد البرازية
الملقاء بهذه الكيفية في النهر ٣٢٣,٧٣٤ مترا مكعب في
كل يوم

وليس هذا كله شياً في جانب ما يمكن أن يقال على لوندرة
لكن لا بد من الانتقال الى ذكر طرف وجيز على بعض ضواحيها
مثل رشمند فانها مدينة صغيرة تختال في حلال الجمال واقعة على
الضفة اليمنى لنهر التيمز وعلى منصدر تلال بهيجة فيها غابات
ومنازل خلوية تبتهج العين برؤيتها وفيها قنطرة بديعة وآثار قصر
قديم وهي مشهورة بصناعة فطير بجن يسمونه (بنات الشرف) لان
وصائف مليكة الانكليز من اللاتي اخترعنه وأشهر ما في هذه
المدينة هو روضها الاريض الكائن على هضبة فسيحة وفي وسطه
برك كثيرة تبدو منها للناظر مشاهد تروق النواظر ويخرج القوم
الى هذا الروض للرياضة في فصل الصيف واستنشاق النسيم
الصحيح العليل وخلاصة القول ان وجودها على مقربة من لوندرة
نعمة كبرى للنازلين بها والمقيمين فيها بل برهان جديد على أن
الانكليز ينتقلون من الطرف الى الطرف ولا يعرفون الوسط
وأما وندسور فهي مدينة تبعد عن لوندرة ٢٢ ميلا تقريبا

وعدد سكانها ١٢,٢٧٨ وأهم ما فيها هو قصر الملكة المعروف
باسمها وهو عبارة عن قاعة حصينة ولا يشبه قصور الملوك الا بما
حواه من بعض الزخرفة والرسوم ولكنه في نظري لا يضاهي أقل
قصر من القصور الملوكية التي شاهدتها بايطاليا بل إن أنعم
مدخنة (وجاق) للاصطلاح فيه هي أقل من أقل مدخنة في قصور الجزيرة
والجزيرة ونحوهما مع عدم لزومها في بلادنا شدة احتياجهم لها
في إنجلترا وقد زرت الاصطبلات والعربشات الملوكية ولكني
أستغرب كيف ان نفقاتها بلغت ٧٠٠٠ ر. جنيه انكليزي نعم
انهم لم يطلعونا على عربات التشريرة الخاصة بالملكة ولكن
عربات معيها وحاشيتها يمكنني أن أقول انها أقل من نظائرها في
المعية الخديوية السنية وكذلك الخيول فانها وان كانت من الأصائل
البالغة في القوة والجمال ولكني (وان لم أكن من أهل هذا
الفن) أقدر أن أقول انها أقل من الجياد الاصائل التي عند
سعادة علي باشا شريف وأما بناء الاصطبلات نفسه فأقول
ولا أخشى تكديبا انه أقل زخرفة واتقاناً من الاصطبل الجميل
الجميل الذي ابتداه حضرة عزت بك القاضي بالمحكمة المختلطة في
سرايه التي بجانب السراي المنيرة وان كان هذا صغيرا جدا في
جانب جسامته ذلك

أما الجدائق التي في القصر وحواليه فهي من أبهى ما يراه
الإنسان وأجل منها تلك الغابة البعيدة عن مدينة وندسور قليلا
المعروفة باسم (فرچينيا ووتر) والذي يزيد في بهجتها أنها كانت
في أول الامر عبارة عن مستنقعات تبعث بالعفونة الى الهواء
وبجراثيم الامراض الى ماحولها من الجهات فحولوها وتطهروها
ودبروا تصريف الماء منها واليها حتى أصبحت جنة تسر الناظرين
وسبحان من يغير ولا يتغير تبارك الله رب العالمين

وقبل أن أختتم هذه الرسالة أرى من الواجب على ذكر
معرض أقامه بعض الافراد في مدينة لوندرة وسماه (نياجارا هول)
ولكنه يفرج الزائرين فيه الآن على مدينة منف عاصمة الفراعنة
أيام مجدها وعظمتها ولا أقدر أن أوفى صانع الرسم حقه من
المدح على تصوير الفصور والاشجار والاصنام والمعابد والنيل
والاهرام وأبي الهول والاسرائيليين حين خروجهم من مصر وغير
ذلك فانه أبدع كل الابداع حتى ان الرائي يتخيلها مجسمة للعيان
بعيدة عن بعضها كما في الطبيعة بأحسن شكل وأكمل أسلوب وكل
ذلك على قطعة كبيرة من القماش تحيط بالمكان الذي يقف فيه
المتفرج معجبا بهذه الدقة في العمل وهذا التناهي في الاتقان
وسأشرح الكلام عليها في الرحلة ان شاء الله فقد رحب بي صاحب

المكان ترحيبا خصوصا لكوني من المصريين ولكونه من اعضاء
المؤتمر وأتحفني بجميع الاستعلامات اللازمة وأطلعني على جميع
التفاصيل التي لا يطلع عليها الجمهور بما استوجب جزيل شكراني
وجليل امتناني

وأغرب ما رأيته في ملحقات هذا المكان رجل من اخواتنا
أبناء الشرق واسمه المعلم الياس ليان حلوة قد برع في أعمال النقش
على الخشب بالطرق الشرقية القديمة التي كادت تندثر في هذا
الزمان وقد رأيت له من الاعمال ما أدهشني اتقانها ونظامها وتناسقها
مما جعل أهل الفن من الاور وباوين الذين يقدمون الى هذا المكان
يعترفون له بالبراعة والاقتدار وقال لي انه يعد جميع هذه المصنوعات
لمعرض أميريكال القادم تشريفا للشرق وبنية ورأيت فيه من
العواطف القومية والاحساسات الوطنية ما زاد في إعجابي به وفوق
ذلك فهو خبير بلعب السيف والنقر على آلات الطرب وقد تأثرت
حينما رأيته محافظا على محبة ملته ودولته وعادات أهله وبلدته
ووددت لو أن أهل الشرق يفتنون لصنائعهم ويشجعون القائمين
بها لكي لا تزول وتصبح أثرا بعد عين خصوصا لما رأيت أمم الغرب
يتناخرون بصناعاتهم الخاصة بهم وبراءتهم فيها على من عداهم
وحكوماتهم تساعدهم على الارتقاء والتفنن فيها حتى يفوقوا

أمثالهم فتمكتسب بذلك أوطانهم حسا ومعنى مكاسب لا تنسدر
ووددت أيضا لو كانت ظروف الاحوال تساعدني على مساعدة
هذا الرجل وأمثاله من أهل بلادنا حتى يكون لها بهم وبأمثالهم
شأن رفيع في سوق الحضارة ومعرض العمران الذي سيقوم في
شيكاغو وعسى أن يكون لهذا النداء صدى في الاوطان المأوراء
من المنافع التي لا تنكر والله يهدي من كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد.

الرسالة الرابعة عشرة

السفر من إنجلترا الى فرنسا

عن طريق دوغرو وكالة

وذ كراميان

مبارحة لوندرة اقداحترت والله حينما اخترت الانتقال من الكلام على

لوندرة بعد الاطالة في الكتابة عليها والتوسع في القول عنها بمقدار

ما وصلت اليه يدى في الرسالتين الخصاصتين بها فاني لأزال أجدد

للشرح مجالا يستغرق رسائل ضافية الذبول بل مجلدات تملأ

المكاتب وتشحن الازدهان بالغرائب وتذكر من يتذكر بما يمكن

الانسان أن يصل اليه بالاجتهاد بمفرده أومع استعانتة ببناء

جنسه وتجلو على أبصار أولى البصائر بعض ما أودعته القدرة

الالهية في العوالم الطبيعية من القوى التي يتوصل العقل لاستكناه

خباياها واستكشاف أسرارها ولكنى أرى بالرغم عنى وجوب

الانتقال من هذا الموضوع مع ما أتيت به فيه من التقصير مضافا الى

ما فى ذهنى من القصور

على أنى لأرى لى مندوحة فى إغفال حادثة خطيرة وقعت بالمدينة

قبيل مبارحتى لها فلا بد لى من ذكرها فى هذا المقام ولولتأيد

ماقلته عن هذه الامة من ميلها للاطراف وغرامها بالتناقض فى كل

لتعصب
لنساءهل
للمطلقين

الاحوال الادبية بل المادية فقد سبق لى أثناء الكلام على
دياناتهم أنهم يحترمون جميع المذاهب والعقائد ولكنهم يبغضون
المذهب الكاثوليكي بغضا ليس له أول يعرف ولا آخر يوصف وانهم
يكرهون البابا كراهة التحريم فاسمع الآن ما حصل أثناء انتخاب
اللورد لهين المدينة

اجتمع رؤساء الطوائف وأكابر التجار لانتخاب شيخ لهم
فكان المختار هو المستر ستوارت كيل فقام البروتستانت واعرضوا
وصخبوا وبلجوا بالسخط وهاجوا وماجوا وكتبوا استرحامات كثيرة
وقع عليها الالوف والالوف من أهالى لوندرة يسألون فيها الملكة
أن لاتوافق على هذا التعيين وأن تصدر أمرها باعادة الانتخاب
فانعقدت جمعية لفصل الخلاف فقال قائل منهم ما نالت لندرة
حريتها وما تمتعت بامتيازاتها الا بعد أن أهرق البروتستانت
دماءهم في هذا السبيل فن العار على العاصمة أن يكون شيخ
مشايخها منتقيا الى الكرسي البابوي وعضده في هذا الرأي كثيرون
من المهتمين ولكن المعتدين فازوا بالغلبة بعد أن طالت
المشاحات وتعارضت المشاحنات فانهم قالوا قد امتازت انجلترا
بجب الحرية في العمل وان لوندرة مدينة الحرية الدينية وهذه
المشاجرات لاتليق بامثالهم فقد سبق أن كان شيخ مشايخ لوندرة

اسرائيليا فكيف يجوز ذلك ولا يصح في شرع المنصفين أن يكون
كاثوليكا فالزمتهم اللجنة وتقررت الرياسة للرجل ثم اذا نظرنا الى
المختار نفسه نراه أشد تعصبا من خصومه فقد قرر أنه لا يعترف
الابالبابا ثم بالملكة وهي كلمة لم يجسر على التفوه بها من قبله
انسان ولذلك رفض الحضور الى كثير من الاجتماعات الدينية
جرت العادة بان يحضرها اللورد أمين المدينة منذ القديم وقد أبي
أن يذهب بموجب وظيفته الرسمية الى الكنيسة الفلانية والمعبد
الفلاني وأصر في عدم الذهاب بنفسه وفي ارسال مندوب من
قبله فانه اشترط عليهم أن لا يكون له معاون ينوب عنه في هذه
الامور الرسمية فهلا ترى من أغرب الغرائب شدة تمسك أولئك
وعدم تنازل هذا الى هذه الدرجة حتى كان كل من الفريقين
على طرفي نقيض بحيث يكاد الانسان يشب الحق للبر وتستانت
في اعتراضهم على نصب شينج يا بي أن يسايرهم الى هذا الحد في
شعائرهم الدينية ولو حرمة للعادات القديمة والاصول المرعية

ولما كنت في باريس وافتنى الجرائد في ١٠ نوفمبر منبئة بانه
في اليوم الذي قبله تم الاحتفال بتثبيت اللورد أمين المدينة في
هذه السنة واسكون الرجل من الكاثوليكين وهذه أول مرة
انتخب فيها كاثوليكي للقيام بهذه الوظيفة المهمة عقيب الانشقاق

نات أمين
بنه لوندرة

الذي جعل للذهب البروتستانتى السيطرة فى انجلترا كان للاحتفال
أهمية خصوصية وقد بلغت أكلافه ٢٥٠٠٠ فرنك وهذا
الرجل (ستوارت كيل) من الثروة والغنى والعلم بمكان ولكنه
مهما كان أراد أن لا يـكـنه أن يقوم بالمصاريف الباهظة التى
يستوجبها مركزه اذالم تساعد بلجان الطوائف الحرفية والصناعية
فى لوندرة والدليل على ذلك أن سلفه فى السنة الماضية صرف
٣٠٠٠٠ فرنك فى أمور متنوعة وقد بلغت ولائم العشاء والعشاء
التي أقامها احتفالا باللجان الرئيسية لمدينة لوندرة ١٠٠٠٠٠
فرنك وبلغت نفقات الوايمة التي أعدها احياء اعيد الملكة
٣٧٥٠٠٠ فرنك وأما المأدبة التي أقامها ابتهاجا بنجاة البرنس
دونال من المرض فقد بلغت مبلغا يفوق حساب الحامدين فانها
أوجبت عليه صرف ٦٧٥٠٠٠ فرنك مع ان مرتب الوظيفة فى
السنة هو ١٠٠٠٠٠ جنيه انكليزى ليس الا

ولا بأس من ذكر بعض أرقام فى هذا المقام تدل على
مصاريف الانتخابات ما أنفقه القوم فى سنة ١٨٩٢ لاجل حصولهم على الانتخاب
وانتظامهم فى سلك أعضاء البرلمان فقد كان عدد المترشحين له
فى لوندرة وحدها ١٣٠٧ من الاشخاص وبلغ ما أنفقوه من
المال لاستمالة العامة ولنوال الاصوات بتقديم الماء كل والمشارب

وطبع الآراء والافتكارات ونحو ذلك مبلغ ٩٥٨٥٣٢ جنيتها
انكليزيا ولم ينتخب منهم الا ٦٧٠ فقط وقد بلغ ما أنفقه واحد
منهم ٩٠٠ جنيهه انكليزي أوصلته الى نوال ١٤٦١ صوتا
فيكون ثمن الصوت الواحد عليه ١٢ شلانا (٦٠ قرشا صاعا)
وبلغت نفقة الحصول على الصوت الواحد في بعض الجهات
٣٢٣ فرنكا (نحو ١٢٣٥ قرشا صاعا) ومع ذلك لم يفز بالانتخاب
ذلك الذي أنفق كل هذا المال . أما مشاهير القوم فلم ينتقوا
شيئا زائدا عن المعتاد بالنسبة لغيرهم فان غلادستون أنفق ٩٤٥
جنيها والسيروليم هاروكور ٤٢٥٧٥ فرنكا - وهذا كله
خلاف النفقات اللازمة لتجهيز الانتخاب فتأمل وارجع بنا الى
الموضوع

القيام من لوندرة وقت من لوندرة في مساء ١١ اكتوبر وركبت القطار
بالليل كما جرت عادتي للاستكثار من الوقت وعدم ضياع الفرص
هباء منشورا فوصلت مدينة دوفر في منتصف الليل وكان في
امكاني ركوب متن البخار والتوجه نوا الى فرنسا ولكنني
آثرت رؤية دوفر وتمضية نصف نهار بها كي أودع فيها انجلترا
بعد أن أشاهد ما خلفه الرومان في هذه المدينة الساحلية من
الآثار وما أحدثه الانكليز من موجبات التحصين والدفاع

فعمّات على النزول بها وما افتتّر ثغر الصباح حتى تجوّلت في
المدينة وطفقت انحاءها مع دليل من أهلها واليك ما وقفت عليه
فيها بالأجمال

عمومات
على دوفر
هذه المدينة لا يزيد عدد سكانها عن ٣٠٢٧٠ من النفوس
وهي ذات موقع محجّب في نهاية واد رائق وتعلوها أبحراف عالية
من الصخور تحيط بها من كل الجهات وكان أول شيء عنيت به
بعد التجوال في طرقاتها وميادينها أنني صعدت على جبل عال فوقه
قلعة حصينة ترتفع عن مستوى سطح البحر بثلاثة وتسعين مترا
ورأيت فيها كثيرا من المباني القديمة الرومانية ممتزجة بصروح
أقامها الإنكاز لتكامل وسائل الدفاع في هذه النقطة الحربية
المهمة وأقدم جزء في هذه القلعة الممتدة بغير انتظام على مسافة
١٤ هيكتارا هو البرج الروماني وارتفاعه ١٢ مترا وشكاه ثمانى
من الخارج مربع من الداخل وليس فيه سلالم تسمع بالصعود
الى قمته وقد وضعوا فيه ناقوس الكنيسة العسكرية التي الى
شرقيه وربما كان الرومان يستخدمونه في ارسال النور الى
المراكب القادمة بالليل وفي المخابرة معها برايات الاشارات حينما
يكون قدومهها بالنهار أما الكنيسة فان أسامها يدل على أنها من
صنع السكسونيين (قدماء الانجليز) وهي من أقدم العمار
(١٥ - رسايل)

الدينية التي في بلاد انجلترا وأما المباني النورماندية فهي كثيرة جدا
وأهمها صرح يرى على مسافة بعيدة في البحر وقد كانت الشمس
طالعة فتيسر لي وأنا فوقه رؤية شطوط فرنسا بارشاد الدليل قبل
منتهى الافق بقليل وقد توجهت الى ثكنة أى قشلاق هناك ورأيت
العساكر في حالة التعلم والتمرن على الحركات ولم أستنكف من زيارة
المطبخ بل انى عجبت لنظافته واثقانه وجودة المأكولات المخصصة
للعساكر الانفار مما يغبطهم أو يحسداهم عليه آلاف وآلاف من
أهل انجلترا الذين يموتون جوعا في كل يوم ثم زرت خزانة السلاح
وما فيها من المخلفات الحربية والغنائم التي أخذها الانجليز من
أعدائهم في ساحات الوغى البرية والبحرية ورأيت فيما بين المدافع
الكبيرة مدفعاطويل أرسلته احدى ملكات هولاندة (الفلمنك)
هدية لانكلترا وعليه أشعار منظومة على لسان طاله بمعنى انه يرسل
القلل الى الاعداء فيردهم على أعقابهم خاسرين ويبعث بمقدوفاته
الى القلاع والحصون فينسفها عن آخرها ثم نزلت من طوابي
هذه الروابي الى أهم ميدان في المدينة فرأيت موسيقى تصدح في
ضحى النهار وعلمت أن مجلس البلدية هو القائم بنفسقاتها لايجاد
الطرب والانشراح في المدينة على الدوام

ولكنى لم يسمح لى وقتى بتشريف آذانى الشرقية بنغماتها حال المفارق
الغربية لان القطار - حضر من لوندرة وفيه جماعة المسافرين الى ^{وطنه والقادم}
قارة أوروبا فلحقت بهم واتبعت خطواتهم حتى وصلنا السفينة ^{عليه ومن لا يزال} بعيداعنه
وتبوا القوم مقعدهم منها وأخذت أطوف جوانبها وأعلو ظهرها
لرؤية المناظر وتعهدها محوالى من المعاهد وما هو الا ان أبحرت
حتى رأيت أغلب الحاضرين قد انقسموا قسمين بقى بعضهم فى
مؤخرها وذهب الآخرون الى مقدمها وكان الفريق الاوّل
يطيل النظر الى المدينة وأطرافها وأبراجها والفريق الثانى
يحدق النظر والنظارات الى الامام والى أقاصى الافق وبقيت
أطوف ذات اليمين وذات اليسار وأدفع بخطواتى الى الامام ثم
أكرراجعا الى الخلف الى أن أدركت بعد سماع تلاغى الفريقين
أن أهل الخلف من أبناء الجزيرة يحيمون بلادهم ويتزودون منها
بنظرة أخيرة وأن أهل الامام اشتد بهم الهيام للتعجيل برؤية
بقاعهم ولكن الضباب يصعبه السحاب انتشر بأقرب من لمح البصر
فكان يحول دون ادراكهم الوطر غير انه لم يثن عزيمتهم عن التكرار
فى اطالة الانتظار وانشاد الاغانى والاشعار والترنح لقرب الوصول من
الديار ثم استمر الطرفان على هذا الشأن حتى انتصف الطريق فسيدت
صخور فرنسا وشطوطها كأنها أشباح تتظاهر فى ظلال الخيال

وحينئذ أخذ الانكليز يقتربون من أواخر السفينة بقدر ما أمكنهم
مستعينين بالآلات التقريب كأنهم يسألون تلك الجزيرة بل الام
الحنونة أن تبقى محافظة عليهم مراعية لهم في غريبتهم ناشرة لواء
حمايتها عليهم أينما حلوا وأينما ساروا وأما أنا فكنت في هذه
الحال أرسل أشعة القلب وانظار الفؤاد الى ديار ألفتها وربوع
نبتها وأقوام ترعرعت بينهم قد شبوا على المكرمات واستقوا
من نيل الكلال خبيثهم على البعاد تحية ممزوجة بخالص
الوداد والاخلاص وكافت النسيم بالتسليم على خير أمة أخرجت
للناس

مظنر المطر
في البحر
ولما اقتربنا من شطوط فرنسا رأيت في الافق شياً يشبه
الاحبال والاسلاك قد وصلت بين الارض والسماء وبعد تحقيق
النظر علمت انه المطر فبقيت أتأمل فيه وأسبح مرسله ومنشيه
حتى ألفت السفينة مرساها وقد كان باسم الله مجراها ومرساها
فان البحر كان يترابنا ولم يمسننا بأذى والحمد لله

دخول فرنسا
ولما نزلت بكاله فضلت التعرّيج بأميان (Amiens) على
التوجه الى باريس لكي أزور كنيسها الجامعة التي طارصيتها في
الاتفاق وهناك وجه آخر جاني على النزول بها فاني أردت أن
أزور هذه المدينة التي كان لاحد أبنائها يد عظيمة في أكبر المصائب

التي دمرت الانسانية ونخرت الديار وعنت الأثر فان رجلا
منها كان سببا في ايقاع أشد فتنة وقعت واستدامت مدة طويلة
بين الغرب والشرق بل بين النصرانية والاسلام وذلك الرجل
هو المعروف ببطرس الناسك أو الراهب (Pierre l'Ermite)
وأصل اسمه كوكو پتر وأصله من هذه المدينة فخرج منها طالبا
زيارة بيت المقدس فكانت هذه الزيارة سببا في حمله أهل
أوروبا على حمل السلاح ومقاتلة المسلمين بكل ما استطاعوا
فهلكت ملايين منهم في نفس بلادهم وفي أرض آسيا الصغرى
والديار المصرية ووقع في هذه الحروب الصليبية من الوفائع
ما تقشعر له الأبدان وتذوب من هوله الأبدان وسبب ذلك كله رجل
واحد أخذ في تهيج النصارى وزعمائهم وجعل يغرهم على
الايقاع بالشرقيين واهلاكهم حتى كان ما كان من الحروب
الصليبية الشنيعة التي اترك تفاصيلها للتأريخين وأرجع لموضوع
الكلام

أمضيت الليلة بأميان ولما جاءت كآثب النور كنت في طبيعتها
وطفت المدينة ومتاحفها ومكاتبها وآثارها مما لأجد مندوحة
عن الاشارة اليه بالايجاز في هذه الرسالة كما سيأتى

عميات على
أميان

هذه المدينة متقدمة في العهد بحيث لا يتيسر لاهل التاريخ
تعيين الوقت الذي ظهرت فيه ولا معرفة الذين وضعوا قواعدها
ورفعوا معالمها ولها في تاريخ فرنسا الحربى نخر أثيل وذكرجيل
رقد توجه أهلها في الزمان العتيق لمحاربة انطيوخوس ملك الشام
ورجعوا حاملين ألوية التمدن مما اكتسبوه في آسيا من العرفان
وعدد سكانها الآن ٨٣٦٤٩ نفسا وفيها جمعية للفنون الادبية
وبستان للتجارب ومدرسة زراعية عملية وفيها ادارة تلتقط الاطفال
والايتام والمعتوهين الفقراء وتقوم بلوازمهم وفيها برج قديم مظلم
اسمه بفروا قد التهمته النيران في كثير من الاحيان وهو حبس
لبلدية وفيه ريشة يقيم به على الدوام للانذار بما يقع في المدينة
من الحرائق فاذا رأى آثار النار في احدى الدياردق جرسا زنته
١١٠٠٠ كيلوجرام فيبادر رجال المطافئ لاجداد أنفاسها وتلافي
اتلافها وهم يستخدمون هذا الجرس أيضا في المواسم والاحتفالات
وفيه ساعة كبيرة جدا لتعيين الوقت بصفة رسمية وقد صعدت الى
قته ولكن ظلمته الداخلية أحدثت في انزعاجا لا يمكن أن أصفه
الآن مع ان شكله من الخارج أنيق ومنظر المدينة من أعلاه
رشيق فلهذا البرج قد جمع بين الانذار بالسرور والتبشير
بالسرور وجوفه مستودع للظلام وجسمه محفوف بالانوار

فظاهره فيه الرجة وباطنه من قبله العذاب أو كأنه من أعمال
الانكليز لاستجماعه بين الضدين

وأما المكتبة العمومية المعروفة بمكتبة الخط (بضم الخاء) فإن
أهميتها تزيد عن حاجات المدينة إذ فيها ٥٠٠ كتاب بخط اليد
وأكثر من ٨٠٠٠٠٠ مجلد مطبوع ومما يستحق الذكر فيها أن
أرملة الكونت روليسكا كير (وهو من أبناء المدينة) تبرعت للمكتبة
بجميع الكتب التي خلفها زوجها (وقدرها ١٥٠٠٠ مجلد)
مع ما يتبعها من الدوايب والادراج والتحف القديمة والصور الثمينة
وأغلبها له علاقة بالرموز النصرانية والمخلوقات الدينية العتيقة
والقسم المهم من هذه الكتب هو عبارة عن مجموعة للسياحات في
الأرض المقدسة وفي الكنيخانة تماثيل كثيرة لأهم رجال المدينة
الذين خدموها وأخص بالذكر منهم عمال الموسيو بوقيللي وسأتكلم
عليه بعد قليل ومن أعجب ما رأيته في الحديقة العمومية بهذه
المدينة جذع شجرة نخرة عليها بعض أغصان أضرة وفيها تجاويف
كما يشاهد في الأشجار العتيقة التي نزل بها البلي وما زالت فيها قوة
الحياة ولكن هذا الجذع وهذه الأغصان ليست إلا من الصاج
والاسمنت اصطنعها بعض المتفنين بناء على اختبار جعلت له
المدينة مكافأة عينتها ومن ذلك أني رأيت في دار بعض الأفراد تماثلاً

نخيمًا من المرمر الناصع يمثل وجهاء المدينة وعظماؤها الذين
فأفوا غيرهم في فنون الرسم والعمارة والتصوير اصطنعه ذلك
الرجل على نفقته بقصد وضعه في الميدان العام وليكن المجلس
البلدى رأى من المحذورات ما يمنعه عن قبول هذه الهدية النفيسة
فوضعا الرجل في داره بحيث يراها المارة

وقد رأيت فيها ملعبا للخيل والحيوانات المستأنسة (سيرك)
وكله مبنى بالآجر ولكنه مكسو بطبقات من الاسمنت بحيث تمثل
للناظر أنه مشيد كله بأحجار النحت والدستور والرخام وهو من
الاهمية بكان عظيم بنطق بما المهندسيه من المهارة والجراءة
والاقدام فانهم نظموه بحيث يمكن بسهولة وتقية تحويله الى قاعة
فسحة مثل القاعات التي في قهاوى الملاهى والمغاني وتسع ٣٥٠٠
متفرج وأما زخرفة الجدران فحدث عنها ولا حرج وأما تراكيب
الحديد المستند عليها السقف من غير ارتكاز على الارض فى قاعة
بهذا الاتساع فانها تدهش الناظر بل تخيفه وتلزمه الاقرار بابداع
الاصانع وهى مرتبة بحيث يمكن للجمهور الخروج منها فى برهة
قصيرة اذا وقع اضطراب أو حدث طارئ وهى تضاء بالليل بالنور
الكهربائى ترسله اليها آلات موضوعة تحت الارض فى غاية
النظام والاحكام

ودخلت في ملعب آخر أقامه بعض الافراد لعرض الحيوانات
المفتوسة وتسخيرها في الالعاب امام الجمهور وانما أردت به هذه
الاشارة تنبيهه الازهان الى صاحب هذا الملعب فاني سأشرح
الكلام عليه في الرحلة وأبين ماناله بالجد من المجد حتى صار شيئاً
مذكوراً ونال الرعاية من الملوك والامراء بعد أن كان فقيراً معدماً
ويتبها مهملًا

وقد استخدمت السكة الحديدية بعض الخنادق التي كانت
حول المدينة لمسير قسم من طريق القطارات فيها والبعض الآخر
نظامه سكة ودروبا سلطانية كما في باريس وأغلب مدائن
فرنسا

وتدور تجارة المدينة وصناعتها على الاقشة من جميع الاشكال
والانواع والقطيفة الخاصة باللباس وبالاثاث وغير ذلك وفيها مغازل
للكان يشتغل فيها نحو ٣٠٠٠ من العمال وأمامغازل الصوف
فيشتغل فيها ١٢٠٠ عامل وفيها غير ذلك من أنواع التجارة
وأصناف الصناعة مما لا حاجة لذكره

وفيها أماكن لتعليم الالمانية والانكليزية للرجال والنساء مجاناً التعليم بايمان
في ساعات معينة وأيضاً لتعليم الميكانيكا التطبيقية ورسم صور
الآلات وقانون التجارة وفن التشريع الصناعي وفن امسالك الدفاتر

في الصنائع والجغرافيا الصناعية والنسيج بالنظريات والنسيج العملي
وتطبيق الكيمياء على الصباغة وفن الصباغة ومعالجة الاصباغ
والموسيقى وفن تفصيل القطيفة وغير ذلك مثل الرسم الابتدائي
والتصوير بالجبس ونقش الاجار والرسم التقليدي والتشريح وتاريخ
الفنون والرسم العملي والرياضيات وفن الرسم (لأجل البنات) الخ
وليس على الطالب الا أن يشعر كاتب أسرار أمين المدينة لنوال تذكرة
يكون دخوله بمقتضاها في الاوقات المعينة - وفي المدينة مدارس
منتظمة للعلمين والمدرسين (بدرجاتها الثلاث) وللفنون الصناعية
والحرفية وفيها ١٦ مدرسة ابتدائية للصبيان و ١٧ للبنات
و ١١ مدرسة للإمهات ومدرسة لتعليم الصنائع الخاصة بالحديد
والاخشاب وأخرى للطب والصيدلية وأخرى للموسيقى وأخرى
للفنون المنزلية الخ

وهي ميان على
أميان
وفي أميان كثير من الثكيا المخصصة للطاعنين في السن من
الذكور والاناث والايام والاطفال الذين يتركهم أهلهم بعد
الولادة والمصابين بالادواء العقيمة العضالة والمعدمين من الجنسين
وكفيفي البصر أو المصابين بأمراض في عيونهم وغير ذلك
وفيها بستان للنبات يحتوي على قاعات للتاريخ الطبيعي

وعنابر لتربية نباتات البلاد الحارة وتعطى فيه دروس عمومية في علم النبات

وفي المدينة ٥ جرائد يومية و ٧ أسبوعية منها واحدة نصف أسبوعية وواحدة دينية وواحدة زراعية وفيها غير ذلك من المنشورات الدورية شئ كثير وفيها ثلاثة متاحف أحدها عام للفنون والصناعات والثاني خاص بالطيار والثالث للتاريخ الطبيعي وسأتكلم عليها في الرحلة ان شاء الله

وفي المدينة خمسون قنطرة تصل أطرافها ببعضها لان نهر السوم يشقها من أولها لاآخرها وأهمها سبعة

ومن أهم ما ينبغي ذكره ورؤيته في هذه المدينة دار المجاذيب ^{تسكية} وتسكية العميان فان المسيو بوفيللى المذكور أوصى عند موته ^{المجاذيب والعميان} بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك لتشييد البيمارستان وبمثله لانشاء تسكية للعميان يكون فيها أقسام للتزوجين وأخرى للعزاب والارامل من الجنسين ومدرسة للبنات وأخرى للصبيان وقد زرت تسكية العميان بنوع خصوصى لانتشار الرمد في بلادنا وتفقدت كل ما فيها من الترتيب والنظام بارشاد حضرة ناظرها فانه هش للقاتى ورحب بي وقدم لى كل ما طلبته منه من البيانات ولكن لايسمح لى المقام بسردها الا ان فأدخرها الى ما بعد وأتكلم على الكنيسة الجامعة وبها تكون خاتمة رسالتى هذه

الكنيسة
الجامعة بأميان

أول من أدخل الديانة النصرانية الى هذه المدينة رجل
اسمه القديس فيرمان في سنة ٣٠١ ثم حكم عليه بضرب عنقه
في سنة ٣٠٣ في قصر قديم من ببناء الرومان وبعد ذلك دفنت
جثته خارج المدينة وهو أول أساقفة أميان ثم توالت الايام
وتناسى الناس خبر ذلك الذي جاء مبشرا بالانجيل حتى ظهرت
كرامات على ما يرويه القوم وتتناقله الافواه فاستدل بها الاسقف
التاسع واسمه القديس سوق على قبر القديس فيرمان ولذلك تبرع
أهل أميان والمدن المجاورة لها بهدايا كثيرة وتحف نفيسة لبناء
كنيسة جامعة من الخشب داخل المدينة باسم القديس فيرمان
جاء الترمانيون (ويعرفون عند عرب الاندلس باسم المجوس)
في سنة ٨٨١ وأحرقوها فأعادها أهلها ثم التهمت النيران واستمر
الامر على هذا الحال من تدمير وتدمير حتى كانت سنة ١٢١٨
فاحترقت عن آخرها ولم يبق لها أثر في الوجود فلم تض سنتان
حتى شرع القوم في وضع الحجر الاول من الكنيسة الحالية
وفي سنة ١٢٥٨ حصل حريق أتلف بعض أجزائها ووقعت
الصاعقة في سنة ١٥٢٧ على ناقوسها فخطمته تحطيمها ولكن
أهلها رموا ذلك وأصلحوا ما أفسد الدهر ومسطح الارض التي
تشغلها الآن عبارة عن ٨٠٠٠ متر ومهمها يرتفع عن أعلى

نقطة من سطحها ٤ ٤ مترا ونصف متر وفوقه صليب من الحديد ارتفاعه تسعة أمتار وفيها من الداخل ١٢٦ سارية تتكئ عليها قبابها وعقودها وأما شبائك الزجاج ففيها تصاوير وألوان تدهش الانسان وكذلك الارغن والوردات الزجاجية الهائلة التي تمثل الفصول الاربعة وفيها كثير من قبور المشاهير وتماثيل القديسين وأما منبر الوعظ والخوروس فهما أعجوبة من أعاجيب الصناعة بما فيهما من التفتن في النقش على الخشب فانهما بصوران للناظر جميع ما جاء في العهد العتيق من الحكايات والوقائع تمثيلا بانقان وإحكام ومن أغرب ما رأيت في هذا الخشب الغريب ان النقاشين تركوا فيه بعض قطع طويلة متصلة به من الطرفين وهي في هيئة الاوتار فاذا نغزها الانسان باصبعه أخرجت صوتا مطربا لطيفا واذا نقر عليها الماهر في صناعة الموسيقى ربما أمكنه ابراز بعض الانغام بايقاع متناسق متناسب كما هو في الآلات المعدة لذلك وكل هذا الخشب من الجودة والمتانة بكان عظيم وقد كانت أجرة الصناع فيه من ٤ الى ٩ مليم في اليوم الواحد ويخجل للناظر اليه أن الغبار مخيم عليه وامكنه بعيد من ذلك بل انه نظيف جدا واذا لمسه الانسان لا يتلوث اصبعه بشئ من السواد وقد قال لنا الخادم ان ذلك الشئ الشده بالغمار له سبب في التاريخ

وذلك انه لما وقعت احدى الثورات بفرنسا خشي اسقف الكنيسة
على هذه المصنوعات الجميلة من أن تتناول اليها أيدي العوام
فيبددونها ويهشمونها فاحضر كثيرا من الهشيم والبرسيم فشحن به
الكنيسة من أولها الى آخرها وبقيت مخزنا بهذه الكيفية مدة
طويلة من الزمان أو جبت تداخل الغبار في جزئيات الخشب
واكتسبه هذا اللون الباهت الذي يشاهد عليها الآن وخالصة
القول ان هذه الكنيسة من أجل وأبدع وأكمل وأبرع ما رأيت
للاّن في سياحتي بل هي في هذه المدينة كدرة يتيمة تحسدها
عليها رومة وفي هذه الكلمة من مدحها ما ينفي بالمرام لمن شاهد
أو علم جمال الكائس في عاصمة النصرانية والسلام

الرسالة الخامسة عشرة

العودة الى باريس

من لي بباحث في أخلاق الانسان يكون قد وقف نفسه على
درس الحيرة والأضطراب وتحقيق تأثيرهما وتعرف تنوعاتهما
وقد حضرني حينما عولت على كتابة هذه الحروف وأعددت القلم
والقرطاس واستفتحت بتحرير ديباجة العنوان ثم أبقيت يدي
معلقة في الفضاء والقلم بين أصابعي في الهواء وأعيني شاخصة
تنظر ولا ترى وأسنانى تصطك اصطكا كما متواترا وشفاهى يتلاعب
بها الاختلاج من غير انتظام ثم تقع السهلى منهما بين الاسنان
فينبني الالم فأضع القلم وأرفع يدي الى جبيني كأنى أعصره عصرا
لأستخرج التبيان منه قسرا ثم أسكن بها فكري طورا وأرجع
لحالتى الاولى من امسالك اليراع وامسالك الذهن حتى كدت أعانى
نفسى من الخوض فى هذا الموضوع لولا سبق الوعد فى الرسالة
الثامنة بتلخيص وجيز على باريز يعرف القارئ بها ويصف له بعض
أحوالها ويقص عليه شذورا من أنبائها

وما مصدر هذه الحيرة وحققك عجز عن التسطير أو اجسام فى
ميدان التحرير والتعبير وليكن هى المواضيع انماالت على انيالا

هالتي وتراجعت تراحمًا تراخت معه عزائمي حتى أشبهت (هي)
أقواما احتشدوا في دار شبت بها النار فظننقوا يتسارعون للخروج
من باب ليس لهم سواه وصاروا يتدافعون ولا يعلمون انهم
يتمنعون وأنهم إذن عما قليل هالكون فقام فيهم شيخ فطين ونبههم
الى هذا الخطر المبين وحثهم على التؤدة والسكينة للنجاة من هذه
المصيبة العظيمة فاراعوه السمع وسلموا كلهم من الروع وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
فمن لي حينئذ أن أقتدى بهم وأذكر الحيرة في الابتداء ثم
التوصل للاهتداء بقسمة المواضيع الى مطالب أتكلم فيها على
باريس من جملة وجوه بحسب ماوصل اليه جهدي ووقفت
عليه بنفسى

كلمات على باريس

يقول أهل هذه المدينة انها الآن وستكون على مدى
الازمان حاضرة الحضارة والعمران ومدينة المدنية في كل ميدان
لايضرها اضطراب السياسة فيها أو انشقاق الاحزاب بين أهاليها
وأن الاجانب يقدون اليها وسيتقاطرون عليها اذ ليس في العالم
الاباريس واحدة (وأنت تعلم أن في احدى الواحات المصرية قرية
حقيرة تسمى باريس - فيانته من هذا التناقض) ويقولون ان من

أقصى أمانى الاغراب ان يتمتعوا أنظارهم بمجالى محاسنها ولاسيما
أهل الارياف والاقاليم فى فرنسا فاتهم يرون وجوب المجيء اليها
خصوصا بعد الزواج ليقضوا بها (هلال العسل) وليس ذلك الا لانها
تفردت عما سواها وفاقت على ما عداها بما جمعت من أسباب
اللهو ووسائل الانشراح وراحة الخاطر وتضية اوقات الصفاء
والهناء و خلاصة القول انها مركز للجذب العام وقتنة لجميع الانام
هذه المدينة يشقها نهر السين (La Seine) الى نصين يكادان
يكونان متعادلين وهى منقسمة الى ثمانين خطا (بضم الخاء) فى
عشرين قسما على رأس كل قسم رئيس يعرف بامين المدينة (شيخ
البلد) وثلاثة مساعدين وعلى رأس الجميع موظف عال لقبه
مأمور ضبطية السين وعليه القيام بوظيفة الامين العام (شيخ
قوم البلد)

وعدد سكانها ٢,٤٢٢,٦٦٩ نفس ومسطح البقعة التى
تشغلها من الارض فيما بين الحصون التى حولها عبارة عن
٨.٠٠٠ هكتار وطول محيطها ٣٤ كيلومترا والحصون عبارة
عن دائرة مزدوجة طولها ٣٤ كيلومترا و ٥٣٠ متر وفيها ٥٦
بابا للمدينة و ٩ معابر منها السكة الحديدية ومعبران لنهر
السين وآخران لترعتين . وطول الطرقات العمومية فيها هو

٨٨٨,٠٠٠ متر ومسطحها عبارة عن ١٥٢٢ هكتار وفيها
أكثر من ٨٢,٠٠٠ دار . وميزانيتها في السنة تبلغ ٢٨٠
مليون من الفرنكات

ولما كانت الكوليرة ضاربة أطنابها بها في الصيف الماضي
تكبدت المدينة نفقات باهظة في رش السوائل المطهرة في الطرق
العمومية ولغسل أماكن القاذورات والمباول في كل يوم من أيام
الوباء حتى بلغت المصاريف ٤,٣٠٠ فرنك في اليوم الواحد وقد
بلغت مصاريف التطهير وتنقية الهواء في المدارس التابعة
للمدينة ٨,٠٠٠ فرنك وقد كان مجموع المصاريف التي أنفقت
بهذا السبب في فترة اجتماع المجلس البلدي ٥٧,٠٤٦,٦٧ من
الفرنكات

٢

متاحف باريس

أول شيء تنساق إليه أقدام السائح الذي يقصد الاطلاع على
الغرائب ومشاهدة الطرائف إنما هو المتاحف وأحقها بالتقديم
هو متحف اللوفر فانه يحتوي على أكبر مجموعة في العالم من حيث
الفنون الصناعية وقد كان انشاؤه في قصر اللوفر في سنة ١٧٩١
بأمر من الجمعية الاهلية فجعلوه مقرا لجميع الاعمال الغريبة التي
كانت متفرقة في قصور الملوك ثم جاء أساتذة الفنون المتقنين وحلّوه

برسوماتهم ونقوشهم وكثر المتبرعون بفرائد الصور وذخائر الاشكال حتى أصبح من أكل وأجل متاحف الدنيا وانى أشير الآن بالاجمال الى ما فيه من الاقسام فان التفصيل يكاد يكون من المستحيل - فيه قسم للتماثيل والانصاب من الرخام (ومنها الزهرة لإلهة الجمال لميلونتها ووحدها ٦٠٠ ألف فرنك) ومن النحاس من صنع الاقدمين أو محكاة لهم وفيه نقوش دينية على المرمر وأبواب هياكل ومعابد ثم نقوش وكتابات رومانية بارزة وفي احدى قاعاته إنا آن كل واحد منهما من حجر واحد وتباعدين عن بعضهما نحو ٣٠ مترا وإذا تكلم الانسان في أحدهما سمعه صاحبه من الثانى وهذا من غرائب الصدى وليس لهما من مثل الا فى أمريكا على ماعلمت وفيه قاعات لاوانى الفخار ولوح الرسم والتصوير مما وراء العقول ولا تسانى الآن عما فيه من مخلفات قدماء المصريين والرومانيين والآشوريين والبابليين وغيرهم من أمم السلف وفيه متحف للجزائر وآسيا الصغرى و خلاصة القول أنه فى باريس كالدرة اليتيمة فى القلادة الثينة - وفى الدور الثانى منه متحف للبحرية فيه صور المراكب وجميع آلات البحر وأدواته عند جميع الامم وفيه خريطة كبيرة مجسمة من الجبس تمثل قتال السويس وأعماله ومدائنه أهداها له دولسمس وفيه متحف

صيني - أما أثمان الاعمال التي فيه وزخرفة القصر فهي من قبيل ماورد في ألف ليلة وليلة

أما متحف لكسمبرج فهو مخصص لحفظ رسوم المتفنين العصريين ونقوشهم وعلى بابيه تمثال بهيئة فرتسا وهي تقدم أكابيل الفخار الى إلهتى النقش والتصوير وفيه كثير من النقوش في الحجر والرخام والرسوم على القماش مما يقضى بالعجب العجاب

أما متحف الحمامات ودار كلوني فيمتاز عن السابقين بأنه مخصص لكثير من المجموعات المختوية على آثار الاقدمين ومخلفاتهم النفيسة من كل نوع ومن أعمال أمم مختلفة - وقصر الحمامات هو أقدم العماثر في هذه المدينة حتى انى حينما شاهدته تنكرت انى في باريس وتصورت أنى في رومة خصوصا عندما دخلت في قاعته الكبيرة الباقية الى الآن في غاية الحفظ والصيانة تحت قبها العتيقة الفسيحة ويقول بعض المؤرخين ان يوليان المرتد نودى به امبراطورا رومانيا في هذه القاعة (سنة ٣٦٠ ق م) وفي المتحف الآن أكثر من ١٢٠٠٠ قطعة معروضة على الانظار وكأها من الفائدة والاهمية بكان اذ تحتوى على كثير من أمتعة القدماء وأبسطهم ومنسوجاتهم وعلى عربات مذهبة كان يستعملها الملوك في القرون الوسطى وبعضها يجره الجياد وبعضها مما يحمله الرجال

على الاعناق ولا أظن ان في متاحف المدائن الاخرى مجموعة تعادلها وفي الدور الاوّل من هذا المتحف مجموعة من الاسلحة والدروع والدرق والمجّات والخود للمقاتلين وللخيول ومن الاواني المعدنية ثم مجموعة من الاواني الخزفية (وفيها مجموعة من صناعة رودس وأخرى أندلسية) والمينا والخشب المنقوش المحلى بالصور الباهية ومجموعة من الاقداح والاكواب والتاروزات والقارورات وفي هذا المتحف غرفة تحتوي على مجموعة من المصنوعات العبرانية أهدتها له البارونة ناتالى دوروتشيلد من ضمن ما فيها تماثيل لتابوت العهد على هيئة دولاب وشعدانات ذات سبعة فروع وثمانية وتسعة وكلها من الخشب المنقوش والفضة الخالصة والنحاس الصافي وفي المتحف خلاف ذلك من صناديق القدماء وأسرة الملوك والوانى المتخذة من خشب الابنوس وسن الفيل ورقع الشطرنج والبلور الصخرى والساعات ومقارم الدخان والمناجيح والسكردانات والمناقدوكة أرضية من نحاس مذهب والاقفال والاغلاق والمتارس (الدرايس) والمصوغات مثل تيجان الملوك القوطيين وأكايل الابريز الخالص الاصم المحلاة باحجار الصفيّر والدر العديم النظير ومذبح (من أقسام الكنيسة) من النضار الدقيق المطروق بصناعة واتقان والاساور

والخواتم وورد من الذهب وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه
وتحار الافكار من مشاهدته منضودا محفوظا كما كان وكأحسن
ما يكون

أما قصر الحمامات فقد كان بناؤه في سنة ٣٠٠ ميلادية
بامر الامبراطور الروماني كونستانس كلود ثم اتخذه ملوك فرنسا
فيما بعد سكا لهم مدة من الزمان ولما تركوه اشترى أطلاله أحد
القساوسة وبعد ذلك اشترته مدينة باريس وأحاطته بحديقة لطيفة
وجعلته مقرا للنائيل الرخامية والحجرية التي أقيمت في باريس في
العصر الذي شيد فيه القصر وأطلق عليه اسم قصر الحمامات
لإذ لم يبق من معالاه سوى قاعة الاستحمام وفي البستان كثير من
الأنصاب والعمدان أغلبها كانت في القصر أيام كان يسمى
القسيسون ومن أهم ما فيها صليب بن الحديد انتزعه الفرنسيون
من كنيسة سان والامير بمدينة سباستبول وغير ذلك

وأما متحف الآلات والفنون الصناعية (ويسمى أيضا
بالمحفظة الاهلي للفنون والصنائع) فقد أقيم في مكان كنيسة قديمة
أضيف إليها جملة قاعات كثيرة وعلى بوابته تمثالا العلم والصناعة
وفيه مكتبة تحتوي على ٣٠٠٠٠ مجلد خاصة بتطبيق العلوم
والفنون على الصناعة وفي إحدى غرفه رسم بعض المجيدين في

التصوير تمثيل الصناعة والرسم والتصوير من جهة والعلم والطبيعة والكيمياء من جهة أخرى وفيه معامل للكيمياء والطبيعة وتعطى فيه دروس ليلية في العلوم وتطبيقها على الصنائع بجانب لكل طالب يقوم بها رجال من أشهر النابغين في هذه الفروع وهو يحتوى على جميع أصناف المحارث وآلات متنوعة للتقطير وتكرير السكر ومثال معمل للعربات وأدوات الخراطة والحياطة والنسيج والغزل وبعض عينات من المنسوجات والآلات الخاصة بنظريات الحركة والانتقال وآلات تحويل الحركة وتوليدها وآلات العدد والتعريف الكهربائي وغير الكهربائي والتلفون وآلات الصوت والجلوانو بلاستيا والموازين والانتقال وآلات علم الطبيعة وأدوات استخدام حرارة الشمس وجهازات كهربائية متنوعة وآلات علم الآثار العلوية وآلات تقييد الارصاد وآلات استخراج غاز الاستصباح وجهازات الاستنشاء وآلات الورق وآلات الطباعة والنقش والتصوير الشمسي ثم المتحصلات الكيماوية وآلات طبع الالوان والاصباغ على الاقشة وتمثيل معامل حمض الكبريتيك ثم كيفية اصطناع الخزف والفخار والمينا والزجاج والبلور وغير ذلك مما تتعذر الاطاحة به ويستدعى المشاهدة وتضية الوقت النفيس وأهم ما استوقف أنظارى تمثيل

*

استخراج الفحم الحجري وأدواته وآلاته وجهازاته وآباره وسبر أغواره
والمعادن التي تخرج معه والاصبغ والروائح والاعطار التي
تستخرج منه وغير ذلك وقد رأيت في نموذجات المنسوجات قطعة
من شغل مصر أهدها الخديو الأسبق الى هذا المتحف وفيها أشعار
عربية مكتوبة بحرف من القصب ومزركشة بذوق وحدق
بحيث انها تجعل لصناعة بلادنا مقاما محمودا بين ما يجاورها من
منسوجات الامم الاخرى

وفي تياترو الاوبرا متحف ومكتبة للتشخيص والتمثيل
والروايات وفن الألمان ولكن المتحف ليس من الاهمية بحسب
ما يتصوره الذي يسمع عنه وبالعكس ذلك المكتبة

أما متحف فنون الزخرفة والتزويق فالغاية منه المساعدة على
توسيع نطاق أعمال المشتغلين بتطبيق العلوم على الصنائع اذ يرون
فيه نماذج لا تحصى من صنع الاقدمين والمحدثين فتتربي بذلك
ملكتهم ويقتدرون على الاختراع والتنويع فانها تحتوى على
مجاميع متعددة فيها تصاوير على القماش ونقوش على الاخشاب
والاحجار والمعادن ومصنوعات شرقية مثل الانسجة والعاج
والابسطة والحزف والزجاج من صنع فارس وغيرها وفيها أيضا
تصاوير بالالوان وأقمشة قديمة وحديثة وأثاث المنازل ثم طريق

التزويق بحسب العصور قديما وحديثا وغير ذلك مما يطول
شرحه

أما متحف تطبيق فن النحت فهو في قصر التروكاديرو ويحتوى
على نموذجات بالجبس من أهم أعمال المباني في مشارق الارض
ومغاربها في العصور السالفة ومن بوابات وعمدان وجدران وعقود
وقبور ونقوش بارزة في الحجر وغير ذلك مما يطلق عليه لفظة آثار
وهي مرتبة بحسب تاريخ أوقاتها وبيان الاماكن التي فيها
الآثار الاصلية وماهية الموضوع بالايجاز وأول ما يراه الانسان
فيها هو نقوش قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة حتى
ينتهى الى القرن الثامن عشر فيرى غرفة فيها أعمال من جميع
الامم كأنها فهرست للغرف التي سبقتها أو بيان اجمالى لما رآه
الانسان قبلها

وأما متحف طبائع الامم وأحوالها فهو في الدور الاول من قصر
التروكاديرو أيضا ويحتوى على ٤٠٠٠ قطعة تمثل أصناف الامم
وكيفية معيشتهم وتغذيتهم ولباسهم وسلاحهم بالاقدار الطبيعية التي
تصورهم للانسان كأنه يراهم كما هم بالتمام في أقاليم استراليا والاقيانوسية
وغيرها مثل ملبوس الرؤساء وشبال الصيادين في البحر وحبائل القنص
في البر والمساكن وصورة المتوحشين وغير ذلك مما يتعلق بامم
أفريقية وامريكا وأوروبا وآسيا ويرى الانسان فيها الزوارق

والنقوش والاكواخ والمنسوجات والاسلحة والمصنوعات الزجاجية
والفخارية والاطلال الدارسة وسارية من حجر واحد تشبه شكل
الآدمى فى تكوينها الطبيعى (واردة من بلاد المكسيك) والمحاريب
والمعابد والهيماكل وبعض موميات واردة من أمريكا وجهازات
الجنائز والاحتفالات بالاموات وكل ذلك مما يتعلق بالتقاليد المتوحشة
والبدوية والمتمدنة والحضرية سواء كانت تسكن عند القطب
الشمالى أو بجانب الخط الاستوائى أو تحته أو فيما بينهما - وفيه
غرفة مخصصة لبيان أهل فرنسا بحسب أقاليمها وتنوع معيشتهم
ومساكنهم وأخلاقهم وغير ذلك

أمام متحف التربية فيحتوى على مكتبة مركزية خاصة بالتعليم
الابتدائى فيها الكتب المؤلفة فى فن التربية وأساليب التعليم
ورسوم وأشكال وخرائط ومجاميع وكتب مطالعة وغير ذلك مما
يلزم الدارسين والمدرسين وفيه زيادة على ذلك مكتبة متنقلة تعبر
الكتب الى القاطنين بوظائف التعليم فى سائر أنحاء فرنسا وفيه
آلات التعليم وأدواته وأجهزته وجملة مجاميع للتاريخ الطبيعى
ولتعليم الرسم والتصوير فى المدارس الابتدائية والثانوية ومدارس
المعلمين وفيه تماثيل للبيانى الدراسية لبيان أوفقها للصحة والتعليم
من حيث التهوية والاضاءة وغير ذلك من المرافق - وهذا

المتحف المفيد يحتوى على قاعة كبيرة فيها كلها خرائط جغرافية فقط وغرف أخرى للرسم ومعامل للكيمياء والطبيعة والاشغال اليدوية وأخرى تحتوى على أثاث المدارس وأدوات الدراسة ونموذجات تصورات المدارس الغير فرنساوية وفي الدور الاول مكتبة التريية الفرنسية والاجنبية وأهم قسم فيها هو مكتبة للموسيو رابو تحتوى على ٦٨٤٨ مجلد خاصة بهذا الفرع من التعليم وقد اشترتها الدولة بعد وفاته باسم هذا المتحف وبعض الكتب الموجودة في هذه المجموعة قد صارت الآن أندرم من الكبريت الاجر وفيها أيضا مجموعة تحتوى على كتب التعليم في القرن السادس عشر وفي الدور الاول مجموعة علمية ومعامل للعلوم الطبيعية وأثاث مدرسية وشرائع فرنساوية وأجنبية خاصة بالمدارس - وقد ترتب على انشاء هذا المتحف فوائد كثيرة خصوصا المكتبة المتنقلة فإنه قد يتفق وجود بعض من المرشحين لوظائف التدريس أو لترقى الى وظائف سامية ولا يكون في وسعهم الاستحصال على الكتب الدراسية اللازمة لبعدهم عن المدن الكبيرة واضيق ذات يدهم فأنشأت الدولة هذا المتحف ليعيرهم الكتب اللازمة بناء على طلبهم فيرسالها لهم خالصة أجرة البريد في صناديق محكمة من الخشب مدة شهر أو شهرين

بحسب ما يريدون ولهم الحق في تمديد الاجل المحدود وسأشرح الكلام في الرحلة على هذا المتحف بنوع خصوصي لماله من المزايا الكبيرة

أما متحف جيمى أو متحف الاديان الاهلى فانه يتضمن كل ما جمعه الموسيوايميل جيمى E. Guimet أثناء سياحته في بلاد المشرق ثم انه تبرع بهذه المجموعة النفيسة التي تبلغ قيمتها أكثر من ٤ ملايين من الفرنكات لمدينة باريس لاجل افادة أبناء وطنه والغاية منها درس الاديان القديمة وعقائد المشرق بحسب الرسوم الصحيحة والتمائم والكتب والتصاویر الاصلية الصادرة عن نفس المتعبدین وهي مرتبة بحسب المذاهب والاعتقادات والاقوات واعلم أن هذا الرجل الكريم فضلا عن هذه الهبة السنية تبرع بنصف المصاريف اللازمة لبناء دار المتحف وقد بلغنى من ثقة أن رجلا من أغنياء الانكليز عرض عليه مبلغا وافرا من النقود لمشتري جزء زهيد من المجموعة فاجابه بما معناه (انما تعبت وجمعت ما ترى لافادة أبناء بلادى وللإمامة على رفع شأن وطنى وذاك أشن وأعلى مما تعرضه على الآن بما لا يقدر بأى حال) فهكذا تكون الشهامة والمروءة في محبة الوطن والسعي في اعلاء كلمته وتجييد ذكره ومن أهم ما فى هذا المتحف مكتبة تحوى على

كتب كثيرة بخط اليد و ١٤٠٠٠ مجلد في مواضيع متنوعة
و ٧٠٠٠٠ مجلد صيني و ياباني ومصرى قديم وهو يحتوى على
مصنوعات من الخزف خاصة بديانة الصين واليابان وقدماء اليونان
وايطاليا وفرنسا وقبائل افريقية والافغانوسية وآلهتهم وتعبداتهم
وهياكلهم ومعابدهم وفيه هياكل كثيرة منها هيكل يسمى بالمندره
يحتوى على ١٩ إلهة (والمندره هي المعبد الذى يجتمع فيه جميع
الآلهة عند اليابان مثل البانتيون عند اليونان والكعبة عند
الجاهلية وأقدم هذه المنادر هي مندره سين جون وكان
فيها ١٠٦٠ إله) وآلهة الهيكل المحفوظ بهذا المتحف تنقسم
الى ثلاثة أقسام لتدبير الكون وهي الكمال فى الاعتقاد البوذى
ثم التجسد لخلاص الارواح بطريق الاقناع ثم التحول بلذنب
النفوس بالوعيد والتهديد - وهناك أيضا آثار كثيرة مما يتعلق
بديانة الفراعنة وكيفية معيشتهم فى هذه الدنيا ونعيمهم فى الحياة
الآخري وفى ضمنها تماثيل آلهة وتمايم وأوراق بردى ومذابح
وهياكل وأحجار مقدسة وغير ذلك - وفى هذا المتحف غرف
للتدريس والعمل وجميع جدرانها مغطاة برسوم وأشكال تناسب
الاشياء المعروضة فى كل غرفة أوتكملها بحيث ان الناظر الدقيق
يقف تمام الوقوف على كيفية التعبد والتدين عند كل قبيلة

من هذه القبائل - وقد رأيت في فناء المتحف عنبرا لتربية النباتات المجاورة الى فرنسا من البلاد الحارة وفي أقصى الفناء قاعة يصعد اليها بسلم وفيها مجموعة من الاجار المختلفة ورجامات القبور القديمة عنى بجمعها أثناء سياحته في آسيا جناب الموسيو دومرجان (De Morgan) الذى هو مدير المتحف المصرى الآن - وقد تقرر أثناء اقامتى في باريس أن تلامذة المدارس العالية وتلامذة المدارس الحرفية في هذه العاصمة يذهبون الى هذا المتحف في كل يومين مرة بالتناوبه مع بعضهم لاجل الوقوف على كينيات اصطناع الخزف والطقوس الدينية بارشاد الموكين بحفظ المتحف أو الموسيو جيمى نفسه

أما متحف والنقش هاوى فقد سمي باسم أول من أسس مدارس العميان وهو وان كان صغيرا الآن لكنه جدير بالنظر إذ يحتوى على الآلات والادوات الخاصة باعمال العميان وعلى كثير من مصنوعاتهم في جميع البلاد - كان دليلي فيه أحدهم وهو الموسيو جيلبو أحد أساتذة مدرسة العميان فأطلعنى على جميع ما فيه قطعة قطعة بارشاد وثبات ومعرفة بموضع كل شئ حتى انبهرت من هذا الدليل الماهر فانه له معرفة بالغزل والنسيج وكثير من الصنائع اليدوية وأخص معلوماته الجغرافية والتاريخ والفنون

الادبية وقد أتحفني ببعض من مؤلفاته وفيها ديوان شعر يعبر فيه عن عواطف العميان واحساساتهم وكيف يتدرون الاشياء وله كتب أخرى كثيرة تدل على فضله وسعة اطلاعه وهو الذي سعى في تأسيس هذا المتحف على نفقته ثم أمدته الجمعيات والمدارس في البلاد لاوروبا وباروية والامريكانية بمتحف أخرى ولا يزال يدفع ايجار المنزل من ايراده

وفي باريس متاحف أخرى كثيرة لايجوز لي أن أتكلم عليها لأنني لم أزرها وقد جرت عادتي أني لا أذكر الا ما عرفتته بنفسى ولكنني أشير الى أسماء بعضها مثل متحف الطوبجية والاثاث الاهلى والطب ومقابلة التشريح والمعادن وآلات الموسيقى والرصدخانه والنقود والمحفوظات (الدفترخانه) والمتحف التاريخى لمدينة باريس (وبه مكتبة فيها نحو ٩٠٠٠٠٠ مجلد) ومتحف المجموعات الفنية لمدينة باريس ومتحف كاين وقد أسسته زوجة كاين ومتحف جاليريا ومتحف الغشاشين (ويوجد له نظير في كرك الاسكندرية) وفوق ذلك فان لاغلب المدارس والجمعيات العملية والفنية متاحف خاصة بها

٣

قصور باريس

هذه بلد القصور فخيمًا قلب الانسان ناظره رأى قصرًا
شاهقًا و بنيانا شاهجا واتقانًا زائدا ولكنى لأتكمم الآن الاعلى
بعض القصور المهمة وأترك الباقي لفرصة أخرى
فن أخرها قصر التويلرى يدل على ذلك مابقى منه بعد
الحريقة التى التهمته أثناء ثورة الكومون فى شهر مايو سنة ١٨٧١
كان بناؤه فى سنة ١٥٦٤ وقد أقيمت فى مكانه الآن حديقة
أنيقة مزدانة بأنواع الازهار تتخللها تماثيل رمزية وفساق تدفع
الماء الى حيطان بهيجة بكيفيات رشيقة تسر الناظرين
أما قصر اللوفر فقد شيد فى عام ١٥٤١ على أطلال قلعة عشر
القوم على بعض بقاياها تحت الارض فى سنة ١٨٨٣ وسكنه
كثير من ملوك فرنسا قبل أن يكمل تماما حتى جاء الامبراطور
نابليون الاول فشدد الاوامر بانتهائه ولكنه لم يساعده الزمان على
بلوغ الغاية فى هذا الامر الجليل فلما كان الامبراطور نابليون الثالث
أتمه على الوجه المرغوب واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٨٥٧ وقد
بلغت أكلافه ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية (٧٥ مليون
فرنك) وفيه رسوم ونقوش وتصاوير وتماثيل وزخرفة وتزيين
فى الجبس والحجر والرخام والخشب وعلى وجهه وعقوده وجدرانها

وموقوفه ونوافذه ومطلانه وأفنائه ورحبانه تسلب العقول وتخب
الالباب وواجهته الاصلية مركبة من عدمستندة على عدمتمثيلا
لاجل وأعظم هياكل العبادة عندقدماء اليونان وخلاصة القول
انه اليوم تحفة حوت متاحف وابعوبة جمعت عجائب

ومما يلحق بهذا التصميميدان الكاروسل (Carrousel أى
ميدان البرجاس) وهو من أجمل ميادين باريس ويتدنى بقوس نخار
هائل تحيط به البساتين الناضرة ويحف به من اليمين والشمال تماثلان
رهنزيان للحرية والشريعة ومن هذا المكان يمتد النظر الى بستان
التويلرى والمسلة المصرية وقصر الشانزلى وقوس نخار الكوكب
وينتهى الميدان المذكور بمحذاق اللوفر وفيه تجاه قوس نخار الكاروسل
عمود أثرى أقيم لتخليد ذكر غامبتا المشهور وهذا العمود يتركب من
كتلة حجرية عظيمة تحيط بها تماثيل من البرونز (الشهبان) تصور الحقيقة
والقوة والحرية والمساواة وفوق هذه القاعدة منشور هرمى من
الصوان يبرز منه تمثال الرجل واقفا ومائلا برأسه الى الخلف قليلا
وباسط ذراعه اليمين بشهامة وهو يرشد أبناء وطنه الى الواجب
والشرف وتحت أقدامه الدائرون عن حياض الوطن يرعاهم ملاك
فرنسا وقد ارتفع بأجنحته الى عنان السماء فقاموا من سقطتهم
ونفضوا ما عليهم من الغبار وجعوا أسلحتهم المتكسرة وعلى الواجبات

الآخري من المنشور رجل مقتطفة من المقالات الرنانة التي ألقاها
هذا الخطيب على قومه يدعوهم الى الدفاع عن بلادهم الى آخر
نقطة من حياتهم وغير ذلك وفوق قبة هذا الاثر تمثال رمزي
للايقراطية (أى حكومة الاهالى بأنفسهم) وقد فازت وعلت كلماتها
فامتطت صهوة غضنر ذى أجنحة - وقد أقيم هذا التمثال في
١٣ يوليوسنة ١٨٨٨ بنقود جمعها القوم من اكتاب عام
اشترك فيه أبناء فرنسا المقيون في حومتها والبعيدون عنها

وأما قصر البورصة - فهو على شكل معبد يوناني عماني واجهته
وحوله وفي داخله من السوارى والاساطين وطوله ٦٩ مترا وعرضه
٤١ وفي أركانه من الخارج تماثيل أربعة للتجارة والعدالة
القنصلية والصناعة والزراعة وفي داخله قاعة كبيرة للعمليات المالية
تسع ألفى شخص وعلى جدرانها تصاوير بالغة في الاتقان بحيث
يخالها الناظر نقوشا بارزة وهى عبارة عن الاحتفال بافتتاح
البورصة على يد شارل التاسع وفرنسا وهى تستقبل الاتاوة من
أقسام الدنيا الخمسة واتحاد التجارة والعلوم والصنائع وأهم المدائن
في فرنسا - وقد زرت هذا القصر ولكنى أعترف بأنى لم يتيسر
لى أن أدرك شيئا من أحواله أو أوقف على نزر من تفاصيل
ماجرائه حتى كنت أتحف بها القراء وغاية ما رأيته فيه جلبة

وضوضاء وصياح وسخاب وتماوج وتدافع وأيد ترفع وأرجل
تهرول وأقوام يخرجون وآخرون يدخلون وفي يد كل واحد
قرطاس وقلم من الرصاص وصكوك مختلفة الألوان ولا أدرى
كيف يتفاهمون في بابهم هذه وإن كانوا كلهم بلغة واحدة
يتخاطبون - وفي هذا القصر مكتب للتأخراف وآخر للتلفون
وبارومتر كبير وسكردان يتناولون فيه غداءهم من غير أن يتعدوا
عن الميدان

أما قصر الانواليد (العساكر السقط) - فقد شاده الملك لويز
الرابع عشر في سنة ١٦٧٠ فان هذا الملك العظيم أراد أن يضمن
حماية طيبة للعساكر الذين تترك بعض أعضائهم أو تصيبهم بعض
الاعاقات ولا يكون لهم وسيلة للتعميش بعد أن وخط الشيب رؤسهم
وهم في سلك النظام ولكن الذي نظم هذا القصر حقيقة وأجاد
ترتيبه انما هو نابليون - ومسطح الارض التي يشغلها هذا القدر
عبارة عن ١٢٦,٩٨٥ متر مربع وهو معد في الاصل لسكن
٥٠٠٠ نفس ولكنه اليوم لا يحتوى الا على ربع خمس هذا العدد
لان قدماء الجهادية في هذا الزمان يفضلون تضيئة ما بقى من عمرهم
في استقلال وحرية وانفاق المعاش الذي يحوله لهم القانون
بحسب ما يريدون - أما النازلون به فتعتنى الدولة عناية تامة

بمسكنهم ومطعمهم وملبسهم وتدفتتهم وكل ما يلزم لهم
وامام هذا القصر رحبة فسحة طولها ٥٠٠ متر وعرضها
٢٥٠ وفيها صنوف كثيرة من الاشجار
وبعد هذه الرحبة فناء خارجي تحف به الخنادق من كل
جانب ويحديق به من اليمين والشمال بطارية مدافع اغتمها الجيش
الفرنساوى فى حروبه وهى التى تستخدم فى ابناء الباريسيين
بالحوادث الكبيرة مثل الانتصارات والمواسم وغير ذلك وحول
هذه المدافع مدافع اخرى من طرازات متنوعة وعيارات مختلفة
وفى خلال صفوفها ماش يتزه فيها قدماء الجنود النازلين
بالقصر - أما واجهة هذا البناء الفخيم فتحدث فى النفس
جلالة وفى الفكر إجلالا وطولها ٢١٠ متروفيها ١٣٣
شمالا وعلى يمين الباب شمال إلى الحرب وعلى يساره إلى الحكمة
وفى الدعايز تمثيل بعض الوقائع التى انتصر فيها الفرنسيون وفى
الفناء الداخلى تماثيل كثير من قوادهم وشجعانهم وآهم ما استوقف
أنظارى فى نفس القصر هو المكتبة التى أسسها نابليون وهى
تحتوى على ٣٠ ألف مجلد تقريبا ولا يجوز الدخول والشغل
فيها الا للعساكر السقط ومن ملحقاتها قاعة تحتوى على صور
جميع مارشالات فرنسا ومديرى هذا القصر وتصغير يمثل للرائى

عمود وندوم المشهور والقنبلة التي قتلت تورين في سنة ١٦٧٥
وهو من أفرس أبطالهم ومثال من الجبس لتمثاله فوق فرسه وبعض
المخلفات التي تركها نابليون في جزيرة سنت هيلانة (محل منقاه)
جمعها بعض المغررين بمجده مثل أغصان من الشجرة التي كان
يستظل بها وقطرات من الينبوع الذي كان يستقي منه وقبضة من
التراب الذي وطئه بقدمه وقصة من شعره وقطعة من ورقه وما أشبه
ذلك وضعها بعض المجيدين في لوحة تأخذ بالابصار لما أودعه فيها من
الابداع وهناك أيضا أشياء كثيرة من التي كان يستخدمها الامبراطور
في منتهاه

وفي هذا القصر كنيسة باسم القديس سان لويس وليست
ذات أهمية بالنسبة لبنائها بل لانها مخصصة لدفن المارشالات
ومديري القصر ولانها تحتمى على كثير من الآثار التي تحمي
ذكر أبطالهم المعدودين وفي قبورها كثير من الرايات التي اغتنمها
القوم في مواقع القتال في افريقية والقرم واطاليا والصين
والمكسيك والتونكين وفي احدى بيها صورة لسيدنا عيسى عليه
السلام مرسومة على القماش ولكن الناظر اليها يخال أنها
مجسمة بكل انتظام

وخلف هذه الكنيسة قبر الامبراطور في قبة هي أجل أثر ديني
مصنوع في فرنسا بحسب الطرز اليوناني ولا يدخل القوم اليها
الا بعد أن يرفعوا قبعتهم تعظيما وتفخيما وفيها بيعة تحتوى على
بقايا جيروم شقيق الامبراطور وبقايا ابنه البكرى وبيعة أخرى فيها
قبر تورين ذلك البطل العظيم وامامها بيعة فيها عظام ووبان Vauban
وبجانها ناوس فاخر يحتوى على بقايا شقيق آخر للامبراطور
أما قبر الامبراطور نفسه فهو في ناوس من الصوان الاجر
لم ير الاون مثله في البهجة والفضامة وهو في وسط القبة في حفرة
عميقة مكشوفة للاظهار ومبلاة بالفسيفساء وهناك من التهاوير
الهائلة وقبور المخلصين لهذا الرجل وتمثيل انتصارانه وغير
ذلك مما يدهش الابصار ويقضى على الانسان بالاعظام والابكار
ويجعل خطواته مقرونة بالتحسب والهويننا ويذكره بأن هذا
العالم مصيره الفناء وان نهايات المجد الزوال ويتذكر قول
القائل ﴿أأكل شئ ما خلا الله باطل﴾ خصوصا عند ما يقرأ
هذه العبارة التي أوصى بها نابليون ﴿أتمنى أن تدفن عظامي
على ضفاف نهر السين في وسط هذه الالة التي أحببتها جميعا﴾
فيخرج المتفرج وهو يقول الملائكة والدوام لله سبحان الحى الذى
لا يموت ان الله وانا اليه راجعون

وأما قصر الفنون المستظرفة - فقد أقيم على اطلال ديروتم
تشييده في سنة ١٨٣٩ وفيه مدرسة لتعليم الرسم والنحت والعمارة
والنقش بإزاعه وذلك التعليم نظري وعملي ولهذا القصر فنا آن
وضعت في أولهما أبواب قصور قديمة وأعمدة متقنة باشكال
مختلفة وتماثيل للماهرين من الصانعين وغير ذلك وفي وسطه عمود
من المرمر الاحمر مشوب بالشب وفوقه تمثال الخصب وأما الفناء
الثاني ففيه مجاميع من تماثيل وقطع تماثيل من أيام القرون
المتوسطة الى عصرنا هذا وفي وسطه فسقية من قطعة واحدة
من الحجر كانت امام قاعة الطعام في أحد الديور لاجل غسل
الايدي وعلى الواجهة الاصلية لهذا القصر هذه الكلمات الثلاث
(رسم عمارة نحت) منقوشة بعناية واتقان وتفنن وابداع وعلى
اليمين والشمال أسماء الاساتذة الذين نبغوا في هذه الفنون وفي
دهاليز القصر وغرفه أمثلة لتماثيل قديمة ومعابد وثنية ومصنوعات
في النحاس وتصاوير رفائيل في قصر الفاتيكان وأشهر العماير في
فرنسا وغيرها وصور أعضاء جمعية الرسم والنحت وبعض أساتذة
المدرسة وفيها مكتبة تحتوي على ١٢ ألف مجلد ونحو مليون قطعة
من النقوش وفيه مجموعة للصور التي تحوز الطبقة الاولى في امتحان
رومة وهي أعلى درجة يمكن للصورة الماهر أن يتوصل اليها

وخلاصة القول انها حوت من ظرائف الفنون ما يثبت في تلامذتها
قوة التصور وابرز الافكار على القرطاس أو الاجار

أما قصر لكسمبورج - فهو الآن مستقر لجلسات السناتو
(شيوخ فرنسا) وقد زرتة أربع مرات بواسطة حضرة الفاضل
الكامل الموسيو پوليا (M. Pauliat) أحد اعضاءه الموقرين
وهو قد وقف نفسه على خدمة أبناء العرب في الجزائر ويونس
والذب عن حقوقهم ورفع الاذى عنهم وللمسلمين في قلبه محبة
شديدة وبواسطته تمكنت من الحضور في الجلسات أربع مرات
ووقفت على أساليب المذاكرة والمداولة والمناظرة والمناضلة
ولو شئت حضور الجلسات أكثر من ذلك لتمكنت بواسطته جزاء
الله خيرا - هذا التصبر أمرت بتشيدته ماري دومديس زوجة
هنري الرابع على مثال القصر الذي تربت فيه في فلورانس ثم
تقلبت عليه الاحوال فبعد ان كان سكا للملك أصبح سجننا في أيام
الثورة الفرنسية ثم مقرا لمجلس المشيخة ثم للقنصلية ثم للسناو
ثم لنبله فرنسا ثم لمحافظة السين (دارأمانة المدينة) ثم للسناو
في هذا الزمان وفيه مكتبة تحتوي على أكثر من ٥٠٠٠٠٠ مجلد
وفوقها قبة مغطاة باشكال ناضرة فاخرة - وفي القصر تماثيل
نصفية لبارت فرنسا (Pairs de France) وشيوخها قديما

وهو من أجل القصور وأكثرها زخرفة وتزويقا وقاعة الجلسات فيه
عبارة عن نصفي دائرة متقابلين يجلس الاعضاء باحزابهم وانشقاقاتهم
وتنوعاتهم - في النصف الاكبر وأما الرئيس والجنة الادارة ففي
النصف الآخر وعند ما تفتح الجلسة لا يتم الانتظام بل يستمر
الاعضاء الذين يدخلون على التسامر فيما بينهم وعدم الالتفات
للخطباء ولا للرئيس وترى الموكلين بالخدمة يتصايحون بهذه
العبارة (صه أيها السادات) ويرددونها بجملة مررات فتذهب في
الهواء تتردد من جدار يدفعها الى جدار من غير أن يكون لها
تأثير على الحضر وترى بعض القوم يخرجون وآخرون يدخلون
والرئيس يدق الجرس في كل نفس فلا يؤثر أكثر من صياح
الجرس حتى اذا جاءت مواضيع المذاكرة الحقيقية وقام الخطيب
الذي عليه الدور أخذ الانتظام حده وصار القوم يرمقونه
ويتفهمون كلامه ومنهم من يجيبه بالنقيد وآخر يؤيده التأكيد
وفريق يصفق له استحسانا وآخرون يهزون الاكتاف استهجانا
وبعضهم يقاطعه في الكلام وغيرهم يساعده على الاتمام
والرئيس يدعو الجميع الى ملازمة النظام وهكذا حتى ينتهي
الخطيب مما نذب نفسه اليه فيحتل مكانه أحد المتحزبين له
أو عليه ويصعد الوزير لتأييد سياسة الحكومة وتزكية مساعيها

أول بيان ما يطلبه الاعضاء من الافصاح عن حالة البلاد في الداخل
أو الخارج ولا يزال القوم في أخذ وعطاء وبيع وشراء واستفهام عن
اهام وافصاح بقول صراح حتى تنقض الجلسة ويفيض الاعضاء
من حيث أفاض الناس ولا يصبح الصباح الا وقد طبعت أعمال الجلسة
وما قيل فيها كلمة كلمة وحرفا حرفا بالتمام والكمال اذ في خدمة المجلس
كتاب مختزلون (Sténographes) يتقنون بالاشارات المختصرة كل
ما يلقيه الخطيب من البيانات أو يرد عليه من الاعتراضات أو يقع
من الاضطرابات أو يظهر من الاشارات ثم يرسلونها للطبعة بعد كل
عشر دقائق وهناك يصير نقلها أو ترجمتها للكتابة العادية وجمعها
واعدادها للطبع فلا يجيء نصف الليل الا وقد تم طبع الجريدة
الرقمية وفيها حوادث الجلسة بالتفصيل الذي ليس بعده تفصيل
مع ان الجلسة لا تفتح الا في الساعة الثالثة ونصف من بعد الظهر
وقد تنتهي فيما بين الساعة الخامسة والسادسة أو بعد هذه
بقليل

وأما قصر بوربون - فهو مقر مجلس النواب وله واجهتان
احدهما تطل على نهر السين والاخرى على ميدان باسك القصر
والاولى هي الواجهة الاصلية وفوق عمدانها نقوش ورسوم تمثل فرنسا
وفي يدها الدستور وحواليها تماثيل الحرية والسلام والحرب والفنون

والنصاحة والصناعة والتجارة وقاعة الجلسات كلها من المرمر
وحواها عمدان منضودة وهي على شكل نصف دائرة تسع ٥٨٤
نائب ونظام الجلسات فيها يشبه في السننات سوى ان اللفظ فيها
أكثر والعراك أظهر والخصام أقرب من جبل الوريد والدعوة الى
المبارزة ليست بالامر الجديد بل قد تحصل في كل لحظة عقيب
أقل لفظة وقد رأيت في كلا المجلسين ان بعض الخطباء لا يوفق
الى نوال التبول من عموم الحاضرين فيعطف بمناسبة حينما اتفق
الى ذكر الوطن وشرفه ومجده ونفخه ووجوب التفاني في اعلاء
مقامه وبذل المهج لاعزازه ثم يحيي القائم بنصرته الذائدين عن
حومته ويترحم على وفاة من وفاه حقه وعرف واجبه، وهكذا
من الاساليب الخطابية فيجلب الالباب ويسحر العقول ويستجذب
القبول فيجاوبه السامعون بالتصفيق وعلامات الاستحسان وكلمات
الاعجاب خصوصا اذا كان مقولا سيالا وخطيبا مصقعا يعرف
كيف يقرن الاشارات بالكلمات وكيف يكون توقيع الالفاظ
ليكون لها وقع في الفؤاد - وقد اتفق في الجلسة التي حضرتها
في مجلس النواب حصول مطر بغير سحاب استبدات فيه الامواه
بالاوراق فكانت تتناثر على الاعضاء من غير افتراق وذلك ان رجلا
اسمه الكساندرو هولييه تربص فرصة مناسبة فقذف عليهم

بكراريس مطبوعة عنواتها (هتك سترالطرارين) ولكن الجنود قبضوا عليه في الحال وأودعوه السجن تحت المحاكمة . قالت بعض الجرائد انه يعنى بذلك مسألة بناما فكتب الرجل الى الجرائد انه لم يحم حول هذا المقصد ولا أعلم الا ان ماذا تم في أمره

وأما قصر الصناعة - فهو معد للمعارض السنوية والجزئية أقيم في سنة ١٨٥٥ بمناسبة المعرض العام من مال شركة مؤلفة من كثير من المساهمين ثم اشترته الدولة وله فناء مستطيل طوله ٢٥٠ متر وعرضه ١١٠ متر ومسطحة ٣٢٠٠٠ متر وعلى يابه تمثال كبير يمثل فرنسا وهي توزع أكاليل الفخار من الذهب النضار على الصناعة والفنون وهما جالستان تحت أقدامها وعلى الجدران المحيطة بالقصر أسماء الذين برعوا في العلوم والفنون والصناعة مرقومة بحروف من الابريز وقد جعلوه بعد سنة ١٨٥٥ مقرا للمعارض السنوية للرسم والنحت والعمل والصناعة وفن الحدائق ومعارض الخيول والحيوانات والاطيار الخ وكان فيه أثناء مقامي بباريس معرض أشغال النساء فكان فيه جميع أصناف ملبوساتهن بحسب الازياء وتنوعها في كل عصر وعند كل أمة قديمة أو حديثة نسقوها على شكل معجب مطرب وخصوصا فبعتهن وأشكالها المختلفة وتفنتهن فيها بما يجذب

الابصار ويسلب الالباب وليس هذا مقام الشرح عليها فترك
وصفها الى فرصة أخرى

وخلف هذا التصر بناء من الحديد والابن يسمى كسك مدينة
باريس وهو معد لجملة معارض متنوعة وكان به أيام مقامي في
هذا البلاد معرض الصنائع المتعلقة بلحم الخنزير وكانت الدولة
ترسل اليه الموسيقى العسكرية تصدح فيه بالخطاب الشجية
واختم الكلام في هذا الموضوع الطويل العريض بملخصة
قصيرة على قصر التروكاديرو فقد بنى على راية بمناسبة المعرض
العام الذي أقيم في سنة ١٨٧٨ واشتركت فيه حكومتنا
المصرية وأصابت حظا وافرا من الفضل والفخار وهو يشتمل على
أحسن أساليب البناء وطرقات العمارة وفوقه تمثال الشهرة وفيها
برق تنفخ فيه وفيه قاعة المواسم والاحتفالات من خرفة بنقوش
وتصاوير وفي هذه القاعة مكان للموسيقين يسع ٤٠٠ نفر منهم
بالآلاتهم وأما القاعة نفسها فيمكن ان يجلس بها ٥٠٠٠ متفرج
باراحة وتحتها مربي لاسماك المياه العذبة موضوعة في مغارات
فسحة تتجدد فيها المياه على الدوام ومنظر هذا القصر وعمداته
وابراجحه وأروقته وأجنحته وحديقته وفسقيته مما يفتن العقول
ويستغرق الزمان في التأمل والامعان

وفي باريس غير ذلك عدد كثير من التصور العمومية والخصوصية
ولأنكم عليها لاني لم أدخلها

٤

معامل باريس

مثل هذه المدينة العظيمة لا يخلو من المعامل المتناهية في
الانقان والكنى لأتكمم الآن الا على معامل الجبلين (بضم الجيم
وسكون الباء وكسر اللام) ومعامل الدخان
فأما الاوّل فقد كان انشاؤه في سنة ١٦٠٣ على يد الملك
هنري الرابع وبعد أن دار الشغل فيه نحو خمسين عاما اشتراه
لويز الرابع عشر وجعله مملا للامتعة والاثانات الملوكية بناء على
اشارة وزيره كوابير فكان يشتغل العمال فيه بالطنافس والستائر
المشهورة التي لانظير لها في الكون وباشغال النص والفسيفساء
وبتلقيم العاج وتطعيم الابنوس وبصياغة الحلي والجواهر وباصطناع
التمائيل المخصصة لقصر فرساي وبعد حكم هذا الملك
اقتصر العمل على اصطناع الطنافس والستائر وفي ٢٥ مايو سنة
١٨٧١ أحرق ثوار الكومون بفرنسا جزءا منه فالتهمت النار
كثيرا من نفائس الطنافس وسائر الستائر وقد أبدع هذا المعمل في
تقليد الرسم وألوانه بالنسيج في انواله على منواله مع الدقة والرقّة

حتى أن الملوك والامراء ليزخرفون قصورهم ومناخفهم بمصنوعاته
اتى سارت بنحس-نمها الركان وفيه متحف حوى شياً كثيراً من
غرائب منسوجاته ومنسوجات الامم الاخرى وقد رأيت قباطى
مصر المشهورة فى كتب العرب مع انى من بلادها ولم أرها فيها
وربما تكلمت على هذا المعمل الجليل بما يستحقه من التفصيل
اذا ساعدت العناية فى فرصة أخرى

وأما المعمل الثانى أى معمل الدخان فهو فى بناء كبير يبلغ
مسطحه هكتاران ونصف وله خمسة أدوار ويشتغل فيه ١٩٠٠
عامل أكثرهم من النساء ورأيت فيه من جميع أصناف
الدخان وكيفية تهيئته بعد عرضه لعمليات متعددة وإعداده سبحانه
سائغة للشاربين ويبلغ مقدار الدخان الذى يبيعه فى السنة
الواحدة ٧,٦٥٠,٠٠٠ كيلوجرام وقد علمت من مديره أن قيمة
الربح الصافى الذى يصيب الخزينة من معامل الدخان فى السنة
هو ٣٥٠ مليون فرنك (١٤ مليون جنيه انكليزى) مع أن
جميع المستخدمين به لهم معاش كامل من غير أن يخصم منهم
يوم احتياطى

ولوجود هذه المعامل فى كل أوروبا منفعة أخرى أهم وأهم وهى
ان الذين يشربون الدخان فى هذه البلاد موقنون بجودة الصنف

وانه ليس مشوبا بورق الخس والقلقاس وخوص النخل وغير ذلك مما تتولد منه بعض الامراض الصدرية التي لا يشفى منها صاحبها كما أنه يتعذر أو يتعسر شفاؤه من معاقرة هذا النوع من الشراب ولما كانت هذه المسئلة ذات أهمية عومية عظيمة فقد انتقت مع حضرة المديز المشار اليه على ان يتحفي بما يلزم من المعلومات والبيانات لانشرها بين قومي عسى أن يكون لها بعض الفائدة وقد بلغ مجموع استهلاك الدخان في فرنسا في سنة ١٨٩١ ٣٥,٨١٣,٨٥٤ كيلو جراما منها ٢٩,١١٠,٠٩٢ كيلو جراما من الدخان المعد للتدخين و٥,٧٠٣,٧٦٢ من الدخان المعد لانشوق و١,٢٤٦,٣٤٩ من الدخان المعد للضغ واليك جدول الاستهلاك بالكيلو جرام في جملة سنين لمعرفة زيادة انتشار هذه العادة أوالآفة

سنة	دخان التدخين	دخان الشوق	دخان المضع	مجموع الكميات المائة
١٨١٩	٢٢,٦١٩,٠٧٩	٨,١٦٨,٤٥٠	١,٢٤٥,٢٢٩	٣٢,٠٣٢,٧٥٨
١٨٧٤	٢١,٣٤٨,٣٢٢	٦,٥٧٣,٦٤٤	٠,٩٦٢,٥٩٥	٢٨,٨٨٤,٥٦١
١٨٧٩	٢٤,٣٠٣,٩٤٢	٦,٨٢٧,٦١٤	١,١٦٥,٦٨٢	٣٢,٢٩٧,٢٣٨
١٨٨٤	٢٨,٠٥١,٠٩٩	٦,٧٠٢,٦٥٩	١,١٨٠,٩٥٧	٣٥,٩٣٤,٧١٥
١٨٨٩	٢٨,٧٨٤,٦٦٠	٥,٨٣٤,٣٩٠	١,٢٠٠,٤٦٢	٣٥,٨١٩,٥١٢
١٨٩١	٢٩,١١٠,٠٩٢	٥,٧٠٣,٧٦٢	١,٢٤٦,٣٤٩	٣٥,٨١٣,٨٥٤

ولأجل أن تكون المقارنة صحيحة ينبغي التنبيه على وجوب
تنزيل نحو مليوني كيلوجرام من المقادير الخاصة بسنة ١٨٦٩ وذلك
في نظير استهلاك أهل مقاطعة الازاس والاورين فانهما انفصلتا
من فرنسا بعد حرب السبعين ومن هذا الجدول يتضح أن مجموع
استهلاك الدخان لم يتغير تغيرا محسوسا منذ سنة ١٨٨٤ وان
استهلاك دخان التدخين قد ازداد بالتدريج بنحو مليون من
الكيلوجرامات ومثله دخان المضغ ولكن النشوق أخذ في النزول
بنسبة ٣٠ في المائة

وقد بلغت كميات الدخان المستهلك في مقاطعة السين وحدها
(وهي التي بندورها باريس) في سنة ١٨٩١ نحو ١٦٤,٧٩٠ كيلوجرام
(منها ٣,٥٣٧,٧٧٨ للتدخين و ٥٣٧,١٥٧ للنشوق و ٨٩,٨٥٥
للمضغ) يقابلها في سنة ١٨٧٩ ٣,٦٩٨,٠٠٠ (منها ٣,٣٧٧,٨٥٠
للتدخين و ٧٥٣,٠٢٨ للنشوق و ٩٤,٨٣٥ للمضغ)

٥

خزان الكتب بباريس

اشتهرت هذه المدينة بالفوقان على غيرها في ميدان الخلاء
والجسد فانها مقر الملاحى والبسوع والابتدعات ومركز المعارف
والمعالى والمخترعات فلا يخلو أقل بيت فيها من خزانة كتب بحسب
حالة صاحبه وذوقه فكل أهاليها يقرؤون ويكتبون حتى ان سائق

(١٨ - رسايل)

العربية بل والكناس اذالم يكونا مشغولين بالسوق والكتابة يكونان منكبين على القراءة والدراسة وبهذه النسبة يقاس ولوع القوم بتثقيف العقول وتنوير الازهان كلما صعدنا في سلم الارتقاء الى أعلى الطبقات ولا أدعى الاقتدار على استيفاء الكلام في هذا المطلب عن خزائن الكتب في باريس ولكني أذكر لها يسيرة عنها بغاية الإيجاز حتى يتصور القارئ ماهيتها فيتمكن من الحكم عليها

وذلك لان وجود الكتبخانات من أهمي الدلائل على ارتقاء المدنية وضحامة العمران ومن اوجب الأعمال لتخليد الذكروحسب الاحدوثه حتى لقد سعى الملوك في جميع الاعصار في جمع الكتب والعناية بها لينوه التاريخ بذكورهم في جملة المساعدين على نشر المعارف وتوسيع دائرة العلوم أما الآن وقد اتسع نطاق العرفان وسأغت موارد التعليم للطالبين فقد صارت العناية بالكتب فرض عين على جميع الحكومات المتقدمة

المكتبة الاهلية - هذه المكتبة يكاد لا يكون لها مثيل في العالم وأول من عني بتأسيسها شارل الخامس ملك فرنسا في سنة ١٣٨٥ فانه جمع ١٢ ألف مجلد وجعلها بقصر اللوفر ثم انها نقلت منه فيما بعد الى جهات أخرى لاحاجه لبيانها

ولما جاء الملك فرنسوا الاول اهتم بها اهتماما خصوصا وازاد في عددها انعامه بالمعارف وولوعه بالعلوم حتى انه نقلها الى قصره في فوتيبيلو لتكون على مقربة منه ثم ان الملك شارل التاسع أعادها الى باريس ولكن ازديادها في كل يوم كان يوجب نقلها من مكان الى آخر على انها مع كل هذه العناية لم تزد عن خمسة عشر ألف مجلد في أول عهد الملك لويز الرابع عشر فاهتم حينئذ وزيراه كولبير ولوفوا بشأنها وتقدمها اهتماما لا يزال مستمرا الى يومنا هذا ثم نوات عليها الهدايا والعطايا والوصايا من كتب بخط اليد ومداليات وأحجار منقوشة ونقود ومبصومات وغير ذلك ولقد بلغت المطبوعات فيها في سنة ١٧٨٩ ثلثمائة ألف مجلد (٣٠٠.٠٠٠) ثم ازداد هذا العدد زيادة كلية في أيام الثورة الفرنسية بما نوارد عليها من الكتب التي انتزعت من الاديار ومن قصور المهاجرين حتى صار من المستحيل عمل فهرست أو برنامج للمكتبة واكتفى القوم بوضع الكتب المستجدة في أقسامها الخاصة بها باعتبار الحروف الهجائية لاسم المؤلف وما يستحق الذكر أنها صارت في دفعتين عرضة لمصيبة من أعظم المصائب ولم تنج منها الا بما بذله مستخدموها من شدة العناية وصادق الاخلاص فان البروسيين لما حاصروا باريس في سنة ١٨٧٠ كانت المكتبة مهددة بالحريق في كل لحظة اذلو

وقعت عليها قبيلة لكانت أعدمت هذه الكنوز الثمينة الى أبد
الآبدن فلذلك كان أغلب مستخدميها يذهبون بالنهار الى الحصون
والقلاع للدفاع عن المدينة ومتى جئ الليل يرجعون الى المكتبة
ويطوفون حواها خفراء عايبا وبعضهم يصعد على أسطحها للوقاية
من هذا العـدو المبين وهو النار ولما دخل البروسيانيون باريس
اجتهد عمال المكتبة في اخفاء أهم ما فيها من الكتب التي بخط
اليد حتى لا تطمح اليها أنظار الفاتحين

ولما تم عقد الصلح وعادت السكينة الى ربوع فرنسا جاء خطر جديد
لم يكن في الحسبان وهو ثورة الكومون وذلك انه لما زحف
الناثرون من فرساي على باريس ودخلوها كانت النار تتهدد
الكتبخانة من كل جانب وليكن الله سلم

ولما عادت المياه الى مجاريها واشتغل الناس بالعلوم والمعارف
اكتسبت المكتبة أهمية فوق العادة حتى بلغ عدد الكتب
التي وردت اليها في سنة ١٨٩٠ وحدها ٧٠.٠٠٠ مجلد

وعدد ما فيها من الكتب الآن يبلغ مليونين ونصف مليون
وإذا أضفنا الى ذلك العددا هنالك من المجاميع والكتب المكررة
لباغ العدد ثلاثة ملايين بالتقريب

ولا شك ان هذه الكنوز المتعددة نستوجب تحرير فهرست

وَأف بيان محتوياتها وقد راعت ذلك الجمعية التشريعية فأصدرت
بهذا المعنى أمرا عاليا في ٢ يناير سنة ١٧٩٢
ولكن كثرة الوارد حالت دون كل نظام غير أن عمالها قد
ابتدؤا في سنة ١٨٥٢ بتحرير أوراق منعزلة بالبيان الكافي عن كل
كتاب وُرد للكتبخانة وقد كاد القهرست العموي يتم اليوم واعلم
ان المبلغ المخصص للطبع هو قليل جدا بالنسبة لجسامة العمل
فانه عبارة عن ١٠ آلاف أو ١٢ ألف فرنك فقط مع ان المتحف
البريطاني بلوندره يتفق في مثل هذا السبيل ٢٠٦,١٢٥ فرنك
وفي غرفة المطالعة ٧٥٠٠٠ مجلد ويقابلها في مثلها في المتحف
البريطاني ٥٠٠,٠٠٠ ولكن المانع الوحيد هو ضيق المحل في باريس
وكانت المكتبة متصلة بمائترو مساكن لبعض الافراد فقرر البرلمان
مبلغ ٦٦,٥٠٠ فرنك لهزلها عنها فاجتهدت الدولة حينئذ حتى
اشترت هذه المباني وازادتها الى المكتبة لتوسيع نطاقها وعزلها عما
يجاورها بحيث أصبحت في سنة ١٨٨٢ بجزيرة تحيط بها شوارع أربعة
من الجهات الاربع وتلك العناية بقصد الوقاية من اتصال الحريق
اليها مما يجاورها ولزيادة التحفظ وضعوا فيها مركزا لرجال المطافئ
وهي على أربعة أقسام أوأها قسم المطبوعات والحرائط والمجموعات
الجغرافية وثانيها قسم الكتب المخطوطة (التي بخط اليد) والنظامات

السياسية والاجازات أى الدبلومات وثالثها قسم الميداليات والاحجار
المنقوشة والقديمة ورابعها قسم المصنوعات. وفي الخزانة غرفة للمطالعة
تفتح فى كل يوم من الاسبوع حتى فى أيام الاحد من الساعة التاسعة
صباحا الى الساعة الرابعة او الخامسة أو السادسة الافرنكية من
المساء بحسب اختلاف الفصول وفيها غرفة أخرى للاشتغال
بالكتب ومراجعتها

فأما قسم المطبوعات فهو فريد فى أوروبا يزيد على جميع
مكاتبها بكثرة ما فيه من الكتب النادرة المهدومة فإنه وحده
يحتوى على ٢٥٠٠٠٠٠ مجلد من ضمنها الكتب التى ظهرت
أيام نشأة المطبعة أو التى طبعت فى أشهر المطابع القديمة

وأما غرفة المطالعة ففيها طاولات عظيمة يجلس حوالها
١٠٠ مطالع بالراحة وفيها نحو ٢٥٠٠٠٠ مجلد من مجموعات
دورية وعلمية وموسوعات ومعاجم وأشهر الكتب المتداولة فى
الآداب والعلوم والصنائع وغير ذلك وعلى عقود هذه الغرفة اسماء
أشهر الطباعين والمشتغلين بفن الكتب

وأما غرفة الشغل فساحتها ١٠٥٠ متر مربع ويمكن أن
يجلس فيها ٣٤٤ شخص بكل الساعة والراحة وسقفها عبارة
عن ٩ قباب مغطاة من الداخل بالقيشانى ومتكئة على أسانيد

مقربصة من الحديد قائمة على ١٦ عمودا من الحديد الزهر ارتفاع كل عمود منها ١٠ أمتار وحوالى هذه الغرفة دواليب فيها نحو ١٠٠٠٠ مجلد من معاجم ومجاميع وغير ذلك، وهى متصلة بمخزنة الكتب الخاصة بها وفيها أكثر من ٢٠٠٠٠٠ مجلد ويتصل بهذا القسم المجموعة الجغرافية ولا تظيرها فى أوروبا كلها اذ جعلت فيها الدولة الفرنسية خرائط جغرافية للممالك والبقاع والبلدان وأغلبها مصنوع بالجبس وفيه خرائط فرنسوية وأجنبية من جميع اللغات ويبلغ عددها ٢٥٠٠٠٠ خريطة

أما القسم الثانى ففيه أوراق وكتب من جميع اللغات ومجموعها ١١٩٠٠٠ مجلد منها نحو ٨٠٠٠٠ مزينة بأشكال وتصاور وحروف مذهبة ومزوقة ويتبعه مجموعة من أوراق البردى المصرى والاغريقى واللاتينى وتعليمات شارلمان والعهود والعقود من سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٤٣٥ ومنشوران من البابا على ورق من البردى تاريخه سنة ٩٩٩ وغير ذلك وفيه حجرة قد وضعت فيها جميع مؤلفات فولتير فيلسوفهم وشاعرهم وأديبهم ومؤرخهم المشهور وفيه أيضا صناديق مغطاة بالواح من الزجاج تحتوى على أندراما يوجد من المطبوعات والمخطوطات ذات القيمة العالية تدل على أصول المطبعة والتجديد وغير ذلك وفيها كتب بخط اليد يونانية وشرقية وأمريكانية وكتب كانت مائكا للولوك

والسلاطين وتجليد عجيب بالعاج والباغية وأوراق بردي ورق
غزال وغيره وخطوط بعض المشاهير

أما القسم الثالث فاؤل من أسسه لوز الرابع عشر وهو
من أهم المجموعات المماثلة له في العالم فإنه يحتوى على أكثر من
٢٠٠,٠٠٠ ميدالية وفي الدهليز الموصل إليه منطقتة فلك
البروج التي كانت ببندره ومجلس أجداد نحو خمس الثالث وكلاهما
مما أنى به فرنساوية من مدينة طيبة بالصعيد ويوجد به أيضاً ألواح
قديمة من أجار متنوعة عليها نقوش بلغات شتى مهجورة وفيها
أجار دقيقة كريمة منقوشة أو محنورة بالتجويف أو بالتبريز ونقود
اسلامية وغير اسلامية وغير ذلك مما يطول شرحه

وأما القسم الرابع فنيه أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ قطعة
مجموعة في ١٤,٠٠٠ مجلد و ٤٠٠ لوح من الورق المتين
المعروف بالـكـرتون وفيها مبصومات تدل على تاريخ الفنون
في فرنسا من ابتداء القرن الخامس عشر الى عصرنا هذا وغير ذلك
ونعنى بالمبصومات تلك الرسوم المصنوعة بأر يشة أو بالقلم الرصاص
لكي تكون قاعدة في الطبع وهي بالنسبة لالواح الصور الزيتية
كالترجمة للاصل

وانتكام الآن على ميزانيتها اظهارا لمزيد أهميتها فقد كانت في سنة
٩٢ ٧٨٨,٠٠٠ فرنك منها ٦٦ ٤٣ ألف للمستخدمين و ٢٧٢ ألف

للادوات والمهمات و ٨٠٠٠٠٠ فرنك للفهرست والمخصص للمشتري من هذه المبالغ هو ٨٠ ألف فرنك وللتجليد ٢٥٠٠٠٠ فرنك أما ميزانية المتحف البريطاني فانها تزيد على ٥٠ ألف جنيه أى ٢٥٠٠٠٠٠ فرنك نصفها للماهيات والنصف الآخر لمشتري الكتب وتجليدها وغير ذلك نعم ان المتحف البريطاني فيه كثير من المجموع العلمية غير الكتب والآثار والمخلفات القديمة ولذلك ينبغي لنا المقابلة بين قسم المطبوعات في كل منهما فقط

ففي باريس ٦٠ مستخدما وعاملا وفي مثله في لوندرة ٢٢ مستخدم وعامل مرتبهم ٤٩٦٠٠٠ فرنك وهذا جدول مقابلة الماهيات (مكتبة باريس)

١	مدير عام	١٥٠٠٠	فرنك
١	سكرتير وصراف	٧٠٠٠	»
٤	امناء	١٠٠٠٠	»
٦	مساعدو امناء	٧٠٠٠	»
٥٠	كتبة نجفي ووكلاء وتحت التمرين	١٨٠٠ الى ٦٠٠٠	»

وغيرهم من أصحاب اليومية والكتبة

(المتحف البريطاني)

١	حافظ	١٨٧٥٠	فرنك
٤	مساعدون	١٢٥٠٠	من الى ٥٠٠٠

١١٢٥٠	»	٦٢٥٠	»	١٣	معاون درجة أولى
١٠٢٥٠	»	٢٧٥٠	»	٢٢	» » ثانية
٣٠٠٠	»	٢٧٥٠	»	٣٦	» » ثالثة
٢٥٠٠	»	١٥٠٠	»	٤٦	فراش

وكانت ميزانية المكتبة الاهلية في أيام لويز الخامس عشر عبارة عن ٦٨٠٠٠ ليره أى فرنك منها ٤٦٤٦٩ للمستخدمين و ٢١٥٣١ لشترى الكتب والادوات. وفي سنة ١٧٧٨ بلغت ٧٣٠٠٠ ليره ثم ازدادت في أواخر حكم الملك لويز السادس عشر حتى بلغت مبلغاً جسيماً جداً بالنسبة لذلك الوقت وهو ١٦٩,٢٢٠ ليره وعشرة صلادى منها ٦٣,٠٠٠ للشتروات

كتبخانة سنت جنيفياف (بفائين فارسيتين) - تحتوى على ٢٠٠ ألف مجلد منها أربعة آلاف بخط اليد وفيها زيادة على ذلك ٢٥ ألف لوحة مزدانة بنقوش بديعة وفيها خرائط قديمة كثيرة ومبصومات وفيها غرفة مطالعة خصوصية تحتوى على أغرب ما فيها من مجاميع وكتب بخط اليد ومطبوعة ونقوش وفيها تمثال أولر مش جيرنج أول من أدخل فن الطباعة الى باريس في سنة ١٤٧٠ وغيره من المشاهير وفيها غرفة مطالعة عمومية تسع ٤٢٠ شخص وحواليها ستائر من صنع الجبلين تمثل المطالعة

٤

TAPESTRY WORK

وقد دهمها الليل وهو رمز الى الشغل الهارى والليلي في هذه
الغرفة

كتبخانة بـمازارين - وهى فى جمعية المعارف وفيها ٢٥ ألف
مجلد منها ٦ آلاف بخط اليد

هذه هى أشهر المكاتب العمومية وفى المدينة مما يقاربها
مكتبة متحف الفنون والصناعات وقد قلنا انها تحتوى على ٣٠
ألف مجلد ومكتبة مدرسة فرنسا الجامعة وفيها ٤٣ ألف مجلد
ومكتبة مدرسة الفنون المستظرفة وقد قلنا ان عدد كتبها ١٢
ألف ومكتبة المجموعات التاريخية لمدينة باريس وفيها ٩٠ ألف
مجلد و ٧٠ ألف مبصوم ومكتبة مدرسة المعادن وفيها ٦ آلاف
مجلد ومكتبة بستان النبات وفيها ٨٠٠٠٠ مجلد ومكتبة الاوبرا
وفيها ١٥ ألف مجلد وكراسة و ٦٠ ألف مبصوم وفيها كثير
من الرسوم والتصاوير والتماثيل الخاصة بفن التشخيص والموسيقى
والقيان والقيانات وقد ذكرنا كتبناات أخرى فى الفصل
المتقدم

واعلم أن لكل جمعية مهما كانت غايتها ومذهبها ومشرها
فى السياسة والصناعة والعلوم مكتبة خاصة بها تعدد المجلدات
فيها بالالوف وعشرات الالوف وكذلك الشركات والمدارس

والمكاتب العمومية ولاغلب الكتبخانات فترة معينة في السنة
تقفل فيها

٦

العمائر الدينية في باريس

يوجد بهذه المدينة ٧٠ كنيسة (جامعة ذات أبرشية) غير
البيع الصغيرة التي قد لا يخلو بعضها من الأهمية وكل سائح يريد
أن يقف على الدقائق وأن يكون له بعض احاطة عمومية بأحوال
البلاد التي يجوبها لا يصح له أن يغض الطرف عنها ولا يمكن
أقتصر في هذه الخلاصة على بعض اشارات خفيفة وأقوال وجيزة
كنيسة نوتردام - كان البدء في بنائها سنة ١١٦٥ ثم واصل
عليها التدمير والترميم والتكميل والتحويل والتبديل حتى استقرت
على ما هي عليه الآن منذ سنة ١٨٤٥ وطولها ١٣٣ متر
وعرضها ٤٨ وارتفاعها ٣٣,٧٧ مترا في المتوسط ولم يحصل
تدشينها (١) الا في سنة ١٨٦٤ وهي من أجمل العمائر التي في فرنسا

(١) قال في القاموس في مادة د ش ن مانصه « الدشن يعنون به الثوب الجديد
لم يلبس والدار الجديدة لم تسكن » وجاء اللسان بعبارة أوضح وهي « الداشن معرب
من الدشن وهو كلام عراقي وليس من كلام اهل البادية كأنهم يعنون به الثوب الجديد
لم يلبس أو الدار الجديدة لم تسكن ولا استعملت » اه وعندى ان التدشين اقرب
الالفاظ العربية واولاها الترجمة Inauguration التي شاعت ترجمتها
بلفظة « افتتاح » او « احتفال » لان معناها الابتداء للمرة الاولى في عرض =

على الطرز القوطي المتفرد بالشكل البيضاوي ويحرف بواجهتها
برجان ضخمان وفيها كثير من تماثيل القديسين والقديسات
وغيرهم وملوك وأمراء وفيها جرس زنته ١٣ ألف كيلو جرام وجرس
مأخوذ من سباستبول حينما تحالف الفرنسيات والانكليز
وسراذنيا مع الدولة العلية أيدها الله على الروسية وغلبوا
الروس على سباستبول وفيها وردة من الزجاج عرضها ٩ أمتار
و ٦٠ سنتي تمثل بأشكالها وألوانها الحوار بين الاثني عشر وهم
مجمعون في مكان واحد وفوقها سهم من خشب البلوط مغشى
بالرصاص من كبر من ثلاثة أدوار أفرغ صانعه جهده في تسيقها
وتزويقها وهذه الأدوار على شكل هرمي ويرتفع السهم عن الارض
بخمسة وتسعين مترا وثقله ٧٥,٠٠٠ كيلو جرام منها ٥٠,٠٠٠

== ائرس الاتار و عمارة او محل مهمما كان نوعه على الانطار مثل تماثيل او ترعة أو
خط حديدي أو عمود او مدرسة أو غير ذلك و اباحته لاستعمال العامة وفي ذلك قرب نام
لدارا الجديد لم تسكر ولا استعملت . وقد يستعمل المسيحيون لفظة «تكريس» فيما
يتعلق بالكنائس والمعابد وما شبهها وهي مقبولة من كلمة امركية Sacre اي
تقدیس و ربما كان لها اصل في اللغة العربية قال في القاموس « والتكريس تأسيس
البناء » وقال في اللسان « وتكريس أس البناء صلب واشتد اجعل
لهذا الحائط كرسيا اي اجعل له ما يمدد ويمسكه وكل ما جمع بعضه
فوق بعض فقد كرس وتكرس »

من الخشب و ٢٥٠٠٠ من الرصاص وفي داخل الكنيسة
٣٧ بيعة ومنابر متناهية في الجمال يعظ فيها القساوسة الناس
وفي الخوروس أشغال في الخشب تبهرا الانظار خصوصا التراكيب
والترايبيع المعروفة بالعربية التي هي عبارة عن خطوط مشتبكة
متداخلة في بعضها على طريقة أهل المشرق والاندلس
وفيه أرغن من أكبر أمثاله في فرنسا وأكملها يحتوي على ٦٠٠٠
قصة لإخراج الهواء وتوقيع الانغام - وأهم ما فيها بصرف النظر
عن ضخامة البناء واتساع الأرجاء وانتظام العقود وارتفاع القباب
انما هو خزينة الذخائر فانها تحتوي على مخلفات ثمينة مصنوعة من
الفضة الخالصة والذهب الصافي ومرصعة بالاجار الكريمة وآنية
مقدسة ومباخر مفتخرة والعبادة التي تردي بها نابليون حينما كرسه البابا
امبراطورا على فرنسا والتحف النفيسة التي أهداها الامبراطرة والمملوك
والملكة مارية انطوانيت وتمثال من الفضة للسيدة مريم عليها
السلام وصور وتمائيل رؤساء الاساقفة في باريس ومجموعة من
الاجار الكريمة محفورا فيها صور جميع الباباوات الماضين وجملة
صلبان وكؤوس وجامات وشمعدانات وغير ذلك من الحلى والملابس
المزركشة المرصعة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية الكبيرة
وفي بعض الايام يعرضون على الجماعات المتقاطرة الى الكنيسة

صندوقاً فيه إكليل الشوك وبعض المسامير التي يقال إنها استخدمت في صلب كلمة الله (عليه السلام) ويعرضون قطعة من خشب الصليب أحضرها هي والاكاييل والمسامير القديس لويس من بلاد المشرق أيام الحروب الصليبية

وخلف هذه الكنيسة منتزه بديع يفضى الى مكان مربع تنقبض له النفوس وتضم من ذكره الاذان وهو المعروف عندهم بالمورج تعرض الحكومة فيه الاموات الذين لا يعرف أهلهم حتى اذا استدل عليهم أحد من العموم أرشد جهات الادارة عنهم وقد زرته ورأيتهم يحفظون العرقى والمقتولين والمشتوقين وغيرهم مع العناية المتناهية والاحتراسات الواقية فلا تخرج منهم رائحة مطلقا وليس منظرهم بشعا مشوها بل تراهم كأنهم نيام لابسون ملابس لائقة ولا يظهر منهم الاوجوههم

البيعة المقدسة - بنيت في سنة ١٢٤٢ وتمت بعد ذلك بخمس سنين وهي في باريس كالدرة اليتيمة في العقد النفيس خصوصا سهمها الذي لم ير الراؤن ابداع منه في الحسن والجمال وهي أقدم وأجل مافي باريس من العمائر القوطية بناها الملك لويس التاسع القديس ليضع بها الاكاييل الشوكى والمسامير وقطعة الخشب التي سبق لنا الكلام عليها بعد أن اشترها من بودوين الثانى

ملك القسطنطينية وقد استخدمت حينما من الذهب كاستودج
للحفوظات القضائية ولكنهم رموها الآن كما ينبغي واقتضت
العمارة فيها ثلاثين سنة من الزمان وبظاهر واجهتها شمال الملك
لويس وشقيقه لويس الاسقف وفوقهما شمال العذراء عليها
السلام والبيعة من الداخل تلاً بالزخرفة الفاتنة والنقوش
المذهبة وهي على شكل بيعتين احدهما فوق الاخرى فأما
السفلى فلا تستعمل الآن في تعبداتهم الدينية وأما العليا فيحصل
فيها القداس في يوم ١٦ اكتوبر وقد كان القضاة بالمحاكم ملزمين
بمحضوره قبل هذا الزمان ويجانب سوارها تماثيل الحوار بين
الاثني عشر وفيها من الشبايك ما يهر الابصار وتحار فيه الافكار
من انسجام ألوان الزجاج وتناهي بهائه وصفائه مع الاحكام في
التنسيق والاجادة في التزييق وفوق البوابة وردة من قطع الزجاج
تقر لرويتها العيون وتعترف بجمالها العقول

كنيسة سنت أوستاش - أحسن الأوقات لزيارة هذه
الكنيسة المتناهية في الضخامة يوم الاحد اذ يكون فيها تلحين
الآلات الموسيقية وتوقيع النغمات الصوتية بكيفية تطرب لها
الاسماع وهي شبيهة ببعض القصور العربية من أن خارجها لا يبيء
بشيء عما في داخلها من الزخرفة والاتقان فان واجهتها ووجهاتها

من الخاريج حقيرة بالنسبة لما يكنه داخلها من متانة الصناعة
وجسامسة المقادير وضخامة الاجرار وارتفاع العقود ارتفاعا منطاولا
واتساع الاقواس اتساعا هائلا حتى ان الانسان ليخيل له انها
أعدت للتحضن والاعتقال وكان البدء في تشييدها في سنة ١٥٣٢
وقمت في سنة ١٦٤١ ولذلك لم تجيء على مثال واحد أو من
طرز متجانس من الطرازات المتعارفة في فن العمارة ولكنها من
أجل كئاس باريس وأكثرها زخرفة وتزويقا وطالما مررت عليها
ولم تكن نفسى تحسني بضياء الوقت في الدخول اليها ولما
شاهدتها رأيت أنها بعكس خضراء الدمن ظاهر قبيح وبالغن مليم
ولا أرى من حاجة للكلام الآن على ما فيها من المصنوعات
والتحف والنقوش في الرخام والمعادن والاجرار أو البيع الكثرية
المشحونة بالزخارف والطرائف أوزجاج الشبايك أو منابر الوعظ
أو مفاتيح العقود التي تربط الاقواس والحنايا وليكني أقول ان
الضياء فيها أكثر منه في أمثالها كما أن هواها أجود وأخف على
الروح وقد دفن بها كثير من مشاهير الفرنسيات مثل كولبير
وزير لوزير الرابع عشر والقصى لافونتين الطائر الصيت المخلد
الذكر وغيرهما من كبراء رجال السيف والقلم والحل والعقد والادب
والحسب

كنيسة سنت جرمان لو كسروا - هي في ميدان اللوفر بنيت

في القرن السادس للميلاد وكان ملكاً فرنسياً يحضرون إقداس فيها
ثم توالت عليها الايام واتفق أن النور ماندين اعتقلوا بها في سنة
٨٨٥ ثم جعلوا عاليها سافلها فاقام القوم بناءها في أوائل القرن
الحادى عشر ثم شرعوا في تجديد معالمها وتغيير أوضاعها ولم يتم
تشييدها في هذه المرة الثالثة الا بعد مضى ثلاثة قرون من
الزمان وانما ذكرت هذه الكنيسة لشهرتها في التاريخ اذ أنه في
ليلة ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ (وهو اليوم المشهور بواقعة
سنت بارتلمى التي قتل فيها الكاثوليكيون البروتستانتين قتلاً ذريعاً
شنيعاً فظيماً) انفق المخالعون المتماثون على ان يتسدوا في العمل
حينما يدق ناقوس هذه الكنيسة للايدان بقداس الصباح وفي
يوم ١٣ فبراير سنة ١٨٣١ أقيم فيها احتفال جنازى عن نفس
دولت دوبرى ولكن احزاب الثورة التي حصلت في يوليو أولوا هذا
الاحتفال تاويلافاسدا واتخذوا ذلك ذريعة للتشجيع على الكنيسة
فباغتوا العوام والطعام ونهبوا كل ما فيها من النفائس والاعلاق ثم
أقفلت الكنيسة وجعلت مقراً لدار أمانة المدينة مدة سبع سنين
وفي ١٣ مايو سنة ١٨٢٧ أعيدت الى وظيفتها الاولى
أما داخلها ويبيعها مثل الكائس الاخرى ولكن احدى هذه
البيع تمتاز بكثرة الزخرفة على الطراز القوطى وفيها بيعة أخرى
تحاكى برسومها وزجاجها البيعة المقدسة التي ذكرناها
كنيسة سان سولپيس - هي عبارة عن عمارة بالغة في

الجمال متناهية في الاتساع كان وضع الحجر الاول فيها بحضور الملكة
انه دوتريش (Anne d'Autriche) في سنة ١٦٤٦ وواجهتها
عبارة عن سوار قائمة على بعضها بشكل يروق الاطار فيما بين
البرجين الشائخين وفي دائرها من الداخل بوابك واسعة تعلوها أساطين
متقنة وبيع متعددة تزيد في بهجتها وفوقها قبة مزخرفة بصور
ونقوش من صنع بعض الماهرين في هذه الفنون وفي وسط محورها
مسلة من المرمر على ما حظ من النحاس للدلالة على الاتجاه الشمالي
وفيه منبر للوعظ في غاية ما يكون من الحسن أمر بصنعه المارشال
ريشليو وفيها عدا ذلك أشياء كثيرة لا تستحق الذكر الآن سوى
الارغن فانه من أكل وأجل ما يوجد من هذا القبيل والقوفعتين
العظيمتين اللتين يوضع فيهما الماء المقدس وهما هدية من جمهورية
البندقية الى فرانسوا الاول وسبيل فاخر محاط بتماثيل بوسوييه
وقتلون وما سيليون وفائشييه وهم من أهم وعاظ الكنيسة وأدباء
الفرنساوية في عصر لويز الرابع عشر

الپانتيون - مجرد ذكر هذا الاسم يشعر بالعظمة والجلال
ويبعث في النفس هيبة ووقارا وفي الفؤاد اجلالا واكارا كيف
لا وهو مستودع لبقايا الذين خدموا العلوم والهنون وسعوا في تعزيز
وطنهم وترقية بلادهم حتى جعلوا لها بين الامم مقاما محمودا وفضلا
مشهودا ولا يدخله انسان الا وتداخله السكينة والتؤدة فيسير

فيه على أطراف الأقدام ملازما الصمت التام بل تكاد تخرج
من فيه ألفاظ التحية والسلام على عظام هؤلاء العظام
والپانتيون كلمة يونانية من پاس أى جميع وشيرس أى إله
ومعناها المعبود المخصص لجميع الآلهة مثل الكعبة في أيام
الجاهلية فإن كل قبيلة كانت تتخذ لها معبودا مخصوصا وتضعه فيها
وبقى ذلك إلى أن بطل بمجيئ الدين الإسلامى الحنيف وكثيرا
ما تستعمل لفظة پانتيون للدلالة على التعظيم والاجلال اللذين يقوم
بهما الخلق في حق المشاهير وأهل الفضل فيقولون ان فلانا له
مقام معين في پانتيون التاريخ وهكذا

*

بنى هذا المكان في سنة ١٧٦٤ وجعل كنيسة باسم القديسة
سنت چنثياف (بجيم وفاهين فارسيتين) راعية باريس وحاميتها
ثم جاءت الحكومة الاتفاقية في سنة ١٧٩١ فغيرت ما وضع له
ومنعت العبادة منه وأطلقت عليه اسم پانتيون وكتبت على
واجهته هذه العبارة الوجيزة في الكلمات البليغة في المعانى والدلالات

اعظام الرجال شكر الاوطان

(Aux grands hommes, la patrie reconnaissante)

فلما آل الامر والسلطان لعائلة بوربون ورجعت الحكومة الملكية
أعيد پانتيون إلى أصله حتى كانت الثورة في سنة ١٨٣٠ فسمى

الپانتيون مرة ثانية واستمر كذلك مدة ٣١ سنة الى أن جاء الامبراطور نابليون الثالث فأصدر تقليدا ملوكيا يقضى باعادته للديانة باسم سنت حنفياف ولكن الحكومة الجمهورية الحالية أصدرت أمرا عاليا في يوم ٣٢ مايو سنة ١٨٨٥ أعقب وفاة فيكتور هوغو مباشرة باعادة اسم الپانتيون للمرة الثالثة وبعد صدور هذا الامر بأيام قليلة احتفل الفرنسيون قاطبة بنقل جثة هذا الشاعر العظيم الى الپانتيون ودفنوها بجانب مقبرة جان جاك روسو وفواتير وميرابو وكان هذا الاحتفال بالغيا في العظمة بحيث لم يسبق له مثال واشتركت فيه الدولة بصفة رسمية والامة باجمعها من في فرنسا وفي الخارج

واعلم أن واجهة هذا الهيكل قائمة على اثنتين وعشرين اسطوانة وفوقها نقوش بارزة تمثل الوطن واقفا بين الحرية والتاريخ وهو يوزع أكاليل المجد وشارات الفخار على عظماء الرجال مثل بونابرت من جهة اليمين ومن جهة اليسار روسو وفولتير وميرابو ودافيد وغيرهم من رجال فرنسا المعدودين

وطول هذه العمارة الفخيمة ١١٣ متر وعرضها ٨٥ مترا وفوقها قبة قطرها ٨٣ مترا

أما داخله ففيه كثير من التماثيل والصور الدينية والتاريخية

التي لها علاقة بالمدينة ولا حاجة لتفصيلها الآن أما القبة فهي عبارة عن ثلاث قباب فوق بعضها وفيها كلها نقوش لا يستحق الذكر منها الا ما يستجلب الانظار في القبة الثانية من الرسوم التي تصور الموت والوطن والعدل والمجد وعلى العمدان التي تستند عليها القبة يرى الانسان ألواحاً مزدانة بأسماء أبناء الوطن الذين ماتوا في سبيل الدفاع عن القوانين والحرية في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ يوليو سنة ١٨٣١ وسأترككم عليهم بمناسبة العمود الذي أقيم لأحياء ذكرهم

وما ينبغي تنبيه الشرقى اليه من الرسوم الكثيرة المزدانة بها جدران هذا الهيكل الصورة التي تمثل الامبراطور شارلمان وهو يعيد العلوم والآداب بعد اندراسها ويفتح المدارس ويؤسس المكاتب ويستقبل وفود الخليفة هرون الرشيد ومعهم من قبل أمير المؤمنين مفاتيح القبر المقدس هدية منه لهذا الملك العظيم الشأن وهناك طننستان من ستائر الجبلين قيمتهما ١٠٠٠٠ فرنك (أربعة آلاف جنيه انكليزي تقريباً)

ومن صعد الى أعلى قمة القبة رأى أبهى المناظر وأحسن المرائى اذ يكون مشرفاً على باريس وطرقاتها وقصورها وحركتها أما الدور الذي نحت الارض فهو عبارة عن جلة مغارات

منقسمة إلى أروقة منتظمة يتردد فيها الصدى بكيفية تقرب مما رأته بل سمعته في رومة وبيشة وكنيسة القديس بواس بلوندره وفي الأوفر ومحفظ القانون والصنائع بباريس وغير ذلك وفيه قبور كثير من عظماء فرنسا الذين يتناخر بهم أبناؤها إذا جمعهم المحافل .

وقد كان رجوعى إلى باريس عقيب وفاة رنان (Renan) بيضعة أيام وكانت الجرائد ورجال السياسة مشتغلين بمسئلة فذله إلى البانتيون وكثر حديث القوم بهذا الشأن إلى درجة لا يمكن تصورها وجزت مسئلة رنان إلى النصدث بنقل غيره من مشاهيرهم أيضا فقدم وزير المعارف مشروع قانون لمجلس النواب لكي يصادق عليه حتى يكون نقل بقايا رنان بمقتضاه وقد قال الوزير في تقريره مامعناه (ان حكومة الجمهورية تقترح على المجلس اشراك ميشليه وكينيه مع رنان في هذا الاجلال والتعظيم فانهم وان اختلفت ملكاتهم وتباينت أفكارهم ومصنعاتهم فلا تزال بينهم رابطة لا يجوزها مرور الزمان اذ كانوا كلهم أساتذة في مدرسة فرنسا وقد أنشأها مؤسسها لخدمة المعارف الحرة وهم كلهم قد جاهدوا لتأييد الاستقلال فيما يتعلق بأبداء الافكار وكلهم احتملوا الشدائد وقاسوا المصاعب في هذا السبيل)

ولكن الجرائد وبعض أعضاء مجلس النواب شطوا في الطلب
وتغالوا في نقل عظام بعض المشاهير الى الباتيون وكثير منهم
أخذ في التزىء والتهكم وفريق آخر في نحت كلمات مستنفرة
من انظة باتيون وهكذا مما هو شأن الجرائد في هذه البلاد عند
حلول أى حادث يستلقت الانظار فقام جماعة بطلب نقل عظام
بعض البارعين في توقييع الانعام وآخرون منتصرون لنقل بعض
المؤرخين أو رجال السياسة أو المعارف أو النظم أو الادب أو
التصوير أو الطب أو نشر الكتب أو الكيمياء أو الاقتصاد أو اللغات
أو أعضاء مجلس النواب أو غير ذلك وقام بعض النواب بطلب نقل
بقايا تيارس المشهور فردت عليه أخت زوجته بكتاب أرسلته الى
كافة الجرائد ترجوه فيه العدول عن هذا الطلب لان زوج شقيقها
كان على الدوام يعرب عن رغبته في أن تدفن عظامه بجانب أهله
وقالت له في ختامه (انى أسألك أن تتكرم بالكف عن اقتراحك
وأن تترك الموسيو تيارس بعيدا عن اضطرابات السياسة في مكان
الراحة والسلام الذى اختاره أهله له) وبمثل ذلك أجاب بعض
ورثة الشاعر المشهور لامرئين والمؤرخ ميشليه برفض نقلهما
الى الباتيون وغيرهما وغيرهما ورأيت كثيرا من الجرائد المعتبرة
والثانوية اتخذت هذه الحوادث فرصة لاستعمال ألفاظ الطيش
والحننة فيقولون

﴿ عقود البائتيون الباردة - خباياه المظلمة - زواياه المحزنة
- هيكल الملل - مدفن عظماء الرجال الذين يؤدى لهم الوطن
ما عليه من دين الشكر ان بشح وتقدير - ان هذه العمارة التي اجترمها
يدا فلان (كأن اشاء هذا البائتيون جريئة لاتعترف) أراها لاتحتوى
على شئ من الاجلال الذى يتصور القوم اتحاف عظام العظاما به
بعد وفاتهم - ان دانتى الشاعر الطليانى الذى كتب على الجيم
لواطع على هذه الاروقة الصاقعة لجمالها فى سقر وبئس المستقر ﴿
وأمثال ذلك من عبارات السخرية التي لاتذكرها ولاأذكرها

وبمناسبة هذا البائتيون أذكر خلاصة موجزة على العجائب المشاكلة
له فى بعض البلاد التي مررت عليها فانتى رأيت فى معظم الكنائس
التي تفرجت عليها ان لم أقل كلها قبورا لمشاهير أبناء الوطن
ومن أهم ما يستوقف أنظار المتسوح فى أور وبا عند قدومه الى
ايطاليا البائتيون الرومانى القديم وفيه الاآن قبر الطيب الذكر
فيكتور عما نويل وفى كل سنة يتقاطر الطليانيون الذين اشربت
قلوبهم بحب الوطن الى هذا المكان ويزورون هذا القبر بغاية
التجليل والتوقير وبجانب الملك قبر رفائيل الرسام المشهور وغيره
من النابغين فى الفنون المستظرفة وفى فلورانس مكان يسمى
سنتا كروتشى (الصليب المقدس) ويسمى بانتيون ايطاليا لانه

يحتوى على كثير من تمائيل عظمائها فى كل فن ونوع من التصوير
والادب والفلسفة والموسيقى والنحت والنقش والسياسة والدولة
والعلم الطبيعى وبعض أعضاء العائلة الملوكية وغيرهم ممن كان
يتدرس ذكراهم لولم يكن لهم منقوشا على الرخام ومعروضا
لائطار العامة والخاصة على الدوام ولا أطيل الكلام بذكر ما فى
المدائن الاخرى وأذكر ما فى لوندرة فكل الصيد فى جوف الفرا
فان دير ويستمينستر هو أحق هذه العماثر باسم البانتيون أى الاثر
الذى يقمه الوطن الشاكر لابنائه فضاهم العارف لهم حق خدمتهم
وذلك لان من يريد أن يقف حقيقة على عظمة الامة الانجليزية
ومجدها فى التاريخ ينبغى له أن يذهب الى هذا الدير الذى يحتوى
على أكثر من ثلثمائة أثر أقامها الوطن لعظماء الرجال فى
السياسة والعلم والموسيقى والفلسفة والشعر والسياسة والملاحاة
والاستكشاف والاستنباط وتشخيص الروايات وأعضاء العائلة
الملوكية وكل من عاون على اعزاز انجلترا ورفع منارها بآية كيفية
من الكيفيات ولا شك ان الرجل من أبناء بريطانيا العظمى حينما
يدخل الى هذا المكان ويطوفه ويقرأ ما فيه من الاسماء يكبر فى
عين نفسه ويرى من الواجب عليه ان يبذل كل جهده ليكون
جديرا بالانتساب الى هؤلاء الاجداد ولا يكتفى بان يقول كان أبى
أو صنع قومى

٧

جبانات باريس

كانت المدافن في هذه المدينة بجوار الكنائس فأفصتها الدولة الى مارواء المساكن حفظا للصحة وتوسيعا لنطاق البلد و يبلغ عددها الآن ٥٩ جبانة منها ١٣ داخلية في حومة باريس والباقي خارجها وأجدرها بزيارة الغريب ثلاثة فقط وأهمها وأكبرها مقبرة الاب لاشيز ولذلك توجهت اليها ثلاث مرات في ثلاثة أيام لانتظامها واحتوائها على كثير من عظام الرجال هذه المقبرة كائنة على رابية ذات انحدار خفيف و يبلغ مسطحها ١٣ هيكتارا وكانت ملكا لرجل من اليسوعيين اسمه الاب لاشيز (كان أمين سر الاعتراف للملك لويز الرابع عشر) ولهذه المقبرة ذكر متواتر في روايات الفرنسيين وأقاصيصهم مما يتعلق بالغرام ولكن أشهر ما وقع فيها انما هو المقاتلة العنيفة بل المذبحة الشنيعة التي حصلت في ثورة الكومون

كان انشاء هذه الجبانة وهدستها في سنة ١٨٠٤ ثم أخذت بعد ذلك في الاتساع والامتداد من جهة المشرق حتى أصبحت الآن عبارة عن ٤٣ هيكتارا أو ٩٤٠٠٠ متر و عدد سكان قبورها وحدها ٣ مليون أي أكثر من الاحياء في باريس كلها وفيها

١٥٠ طريق ويمر تحتها نفق اسكة حديد الحزام Chemin de fer de ceinture التي تمر حول المدينة فيكون الاحياء تحت الاموات وفوقهم وليس فيها شئ مما يقبض النفوس ويرجع الناظرين بل يعتبرها كل من زارها كأنها من أحمد المنتزهات البديعة وخصوصا حينما يتجول فيها الانسان تاركا نفسه مع تيار الافكار متأملا في هذه الحياة الدنيا ثم يقف من غير قصد فيقرأ الاسماء التي على القبور ويرى بينها بالصدفة اسم رجل عظيم أفاد الوطن أو الانسانية بكاباته أو أعماله فاني كنت في هذه الحالة يحصل لي انشراح عظيم كأنني أكتشفت أمرا جليلا أو وقفت على سر نافع وتعرفت بالرجل ذاتيا خصوصا وان قبور العظماء ليست كلها على حافة الطرقات أو في المواضع التي تستوقف الانظار فترى العالم بجانب الزارع وبعدهما صانع يخالفه شاعر يتلوه مؤرخ فناجر فرجل حينما تنفق فتائد كبير أو أمير شهير أو فليسوف نابغ أو محسن فاضل الى غير ذلك من جميع أصناف الناس وطبقاتهم وأذكر الآن بعض الذين وقفت أمام قبورهم وتذكرت أعمالهم وما استندته من تأليفهم أو الذين سمعت بشهرتهم مكتفيا بذكر الاسماء لعدم الاطالة واعدت نفسي بالإشارة في الرحلة الى أعمالهم مثال ذلك فيسكوني وروسيني والفريديدومسيه ولونوار وقاوين ومادام بلان وإرازو وقوليني وقبيرون واوربانو ومادام هواردو

وما دام ماري روير ومورل ووالسكي ولارارجو ورنياتللى والاثر
المقام للعساكر الفرنسية الذين قتلوا في الدفاع عن وطنهم في حرب
سنة ١٨٧٠ المشهورة والاثر المقام للحرس الاهلئ الذين قتلوا في
الحرب المذكورة وقبر ميشليه وآدم والكوتس داجولت ودوسيز
وسوليه فكاموس وبرجيه والاثر المقام لتيارس المشهور ومنه يرى
الناظر أمامه قبة البانتيون ثم قبر لانكى وبيار ومد موارد الوتر
ومدموارد دوچمليس ولاپلاس وعرسية ومولير بجانب لافونتين
وجى لوساك ومقبرتهو حوسان سيمون وبيامين كوستان وماكدونلد
والجمرال فوا وبيرانجيه وبومارشيه وسكريب وفوانى وجرامون ولوبل
والمقبرة التى أعدها سارة برنار لنفسها وهى تتعهدا بنفسها فى
أوقات كثيرة وقبر أبدي والمقبرة المخصصة للمسلمين الذين يتوفاهم
الله فى باريس وقبر مد موارد دوشسوا وتاليران ولافيت ومقبرة
لدولس وأندريو ورسباى ومونج وكازمير پيريه وفونتان وديو
ومقبرة الاسرائيليين وفيها ميشل ليفى (لاوى) وروتشليد ومادام
فولد وراشل (راجيل) المشخصة المشهورة وغيرهم ثم قبور باچيس
وجيريكو وبلينى ودنون ودلامبر
ورأيت أثر ايشبه ضريحاً مكتوباً عليه ما هذه ترجمته
(مقبرة الاب الابدئ) وأقول انهم يعنون بالاب الابدئ المولى
الواحد الاحد الذى لم يلد ولم يولد تعالى الله عما يصفون

وانما ذكرت هذه العبارة من باب الغرابة والعلم بالشيء وناقض الكفر ليس بكافر

وبعد أن استغفرت الله تنزهت صغباته وتقدست أسمائه
مررت كعادتي فسرأيت قبر شينيه وكوفيه ومنتون ولدروروين
وكوسين ومالهرب وأوير وأراجو ومدموازل لونورمان الكاهنة
العرافة المعروفة التي أنبأت نابليون بجميع وقائعه في المستقبل
بواسطة ورق الكتشفنة بغاية الضبط وتمام التدقيق وكان كما
قالت من غير تحريف أو تبديل وقد اتفق انما حوكت جملة
مرار وكانت على الدوام تقول للقضاة انكم انما تتعبون أنفسكم
سدى وتضيعون أوقاتكم عبثا فاني لا أموت الا بعد سبعين
سنة (أو عدد آخر لا أتذكره الآن) وبالفعل كانت
وقاتها في الوقت الذي أخبرت به وقبور بولبودرى ولويس دافيد
وكسافيه بيشا ولافوازييه وبرناردان دوسان بيير وشيرويني
والمارشال فيكتور والاثر المقام للذين ذهبوا فريسة الحوادث في
شهر يونيو سنة ١٨٣٢ وقبر نيلاون وشامپوليون وكلرمان
وجوفوان سانسير والجنرال جوير ودوبويترن ولافاليه وسوشيه
ودافيدانجيه وبود والمارشال لوفغر وماسينا وبيسكو والمارشال
مورتييه والمارشالني والمارشال لوبو وراسين وجوفرواسنت
هيلير ورميدوف وپراديه ودروچيه واللان كاردك والشخصه

دجارت وبالزك و اوچين دولا كروا وقبر العلامتين كروسي سينتلى
وسيقل وقد ماتا شهيدين فى سيل المعارف حينما صعدا فى
الجو بالقبة الطيارة الى طبقة عالية جدا وحقاً أمورا كثيرة مفيدة
ثم سقطت بهما فلم تقم لهما بعدها قائمة وقبر الكونتس داجو
صاحبة النا ليف المشهورة التى أخفت فيها اسمها حيث اتسمت
بدانيل سترن وغيرهم من المشاهير الذين يطول ذكرهم فى هذه
الورقات وهنا أنبئه القارئ الى أن بعض الاكابر الذين ذكرت
أسماءهم يوجدون مدفونين فى جهات أخرى من باريس أو فى مدائن
غيرها ولكن الحكومة جعلت لهم قبورا فى هذه الجبانة احياء
لذكرهم وتنشيطا للاقتداء بهم وليس فى هذا شئ من الغرابة
بالنسبة لعناية هذه البلاد بعظماؤها

بل الاغرب والاعجب أتى رأيت ضريحاً نخبياً عليه تمثال رجل
وامرأة بجانب بعضهما وفوقهما قبة لطيفة على عمد رشيقة تحف بها
أشجار صغيرة وأزهار نضرة وقرأت عليهما هذين الاسمين (هيلويدس
وأبيلا) وصار اسمهما على المحبة الزوجية الصادقة الحقيقية وقد
أحضر هذان التمثالان الى باريس وعظمت الدولة بوضعهما فى هذه
المقبرة فى مكان لطيف وعلمت انه متى اصطبغت فى بفتاة وتبادلا
عهود المودة الحقة والالفة الصادقة وشرعاً فى عقد الزواج باتيان

الى هذا المكان في كثير من الاحيان في اوقات خلوا المقبرة من الناس،
ويضعان الازهار والا كليل على هذا الضريح تيمنا بنبات الوداد وتعاؤلا
بتبادل الصداقة من الطرفين ولهذين الاسمين قصة أرى من الواجب
ذكرها هنا لزيادة الايضاح بل لزيادة الاستغراب وذلك ان هذا
الرجل من مشاهير الفلاسفة واسمه ورد به هذه الاختلافات
Abaalarz, Abailard, Abélar, Abeillard, Belar-
dus, Abailardus, Abaulardus, Abaielardus,
بل و Bailart وهو من كبار الفلاسفة اللاهوتيين المعلمين وله
مذهب مشهور في الفلسفة وابتكارات ومصنفات مفيدة في الموسيقى
وكان يعيش في منزل شماس له حفيذة من أشرف فرنسا بارعة في الجمان
واسمها هيلوييس فكلفه أن يتم تعليمها ويؤدبها فكلف بها ابيه لارحتى
لقد كتب في هذا المعنى يقول «ما كان لنا سوى بيت واحد فالبنتنا
ان صار لنا فؤاد واحد» وبعد زمن قليل أحست الفتاة بالحبل
فكاشفت أستاذها (أو خليلها) بذلك فهرب به اذات ليلة وأخفاها
في شمال فرنسا عند أخته فوضعت ولدا سمته بطرس اسطراب
وحينئذ أراد الرجل أن يتزوج عشيقته ولكنها رفضت قائلة بان
ذلك وخيم العواقب على محبوب قلبها وقد كتبت له (ان أصحاب
المدارك ونوابغ الرجال لا يصح لهم أن يربكوا أنفسهم بالعائلة
ومشاغلها) وأيدت رأيها بنصوص من أقوال اللاهوتيين من

اللاتينيين واليونان ويقال انها اجابته الى طلبه في آخر الامر، بعد كثرة
الطماحه ولما اطلع الشمس على هذا السر شرع في الاقتصاص من
الفيلسوف فارشى خادمه ودخل عليه بالليل ومعه نفر من ذوى قرابته
وصحابته ثم اوثقوا كتاف ابي-لار وجبوا خصاه فألح الفيلسوف
اللاهوتى المخصى على خلياته أو زوجته بان تترهب فأجابت ثم لحق
بها فى الدير وأسس دير الراهبات وما زال يمارس التعاليم والتدريس بما
ينطبق تارة على أفكار اللاهوتيين ويخالفهم أخرى وهو يوالى وداده
لصاحبته التى بقيت أصدق الناس على ولائه حتى فارق الحياة
وقد رأيت أيضا عمودا أقامته الحكومة كأنه قبر لكل من
يموت غريبا فيعتبره أهل الميت قبرا له ولذلك تترك عليه الا كاليل
فى بعض المواسم بما يفوق العد والوصف

واعلم أنه وافق وقوع مولد جميع القديسين أيام مقامى بباريس
فاغتمت هذه النرصنة وتوجهت لهذه المقبرة لكي أقابل ما أراه
فيها بما هو جار عندنا وهذا اليوم يسمونه عيد الاموات وقد نزل
المطر رذاذا طول النهار ولكنه لم يمنع أهل باريس من التوجه الى
مقابر أهلهم وذويهم ووضع الا كاليل والازهار عليها كما هى عادة
الافرنج ولا أذكر شيئا عن تراحم الجماهير فى هذه المقبرة التى زرتها
حينئذ وأكتفى بذكر العدد وقدره . ٤٨٣١٠ ومع ذلك فقد قالى

الثقات ان الازدحام كان أقل مما في الاعوام الماضية وبلغ عدد الذين توجهوا الى جميع الجبانات (بما فيها الاب لاشيز) ٢٦٧,١٩١ ولوفرضنا ان نصف هذا العدد كان حاملا لباقيات أزهار ثمنها في المتوسط فرنك واحد لتحصل عندنا ٥٣,٤٢٤ جنيه انكليزي (منها نحو ٢,٠٠٠ لعمود الغرقى الذى ذكرته) وهو أقل مما يمكن تقديره لان الفقير منهم يقتر على نفسه و يقتصد من مأكاه ومشر به عند اقتراب هذا الموسم لكي يتمكن من شراء الكليل يهديه الى فقيدة العزيز المحبوب فان عادة اهداء الا كليل متمكنة عندهم الى درجة لا يتصورها العقل حتى انه كثيرا ما يتفق ان الرجل أو المرأة يموت جوعا واذا طلب من أصحابه وأصدقائه شيئا يستعين به على سد رمقه أجابوه بالرفض فاذا مات فى عصر النهار أو فى اليوم الثانى بادرت الجماعة التى ينتمى اليها (مصوّرين حدادين نجارين طحانيين أو أعلى أو أدنى من ذلك) بفتح قائمة اكتاب تبلغ قيمتها مئات من الفرنكات فيشترون بها رجاما يضعونه على قبره واما كليل يحتفلون بايداعه عقب دفنه

وأذكر بمناسبة الاحتفال بالاموات ان الفرنساوية أشد الامم الذين رأيتهم اعتبار الميت حتى انه متى مرى بالجنائز يبادر الرقيع قبل الوضيع برفع قبعته اجلالا واعظاما مهما كانت درجة الذى فارق الحياة الدنيا وهو شبيه بما تقي عند بعض المصريين المتمسكين بعبادتهم الشرقية الجميدة فانك تراهم عند مرور النعش أمامهم يقفون

لإجلالها ويتشهدون ويقرؤون شيأمن القرآن الكريم مع بعض كلمات
مؤثرة ماثورة فياحبذا هذه العادة وياحبذا الاحتفاظ بها
وقرأت في الجرائد بمناسبة عيد الاموات ان جميع الفرنسيات
الذين في برلين توجهوا بصحبة أعضاء جمعية محبة الانسانية وموظفي
سفارة الحكومة الجمهورية الى قبر العساكر الفرنسيات الذين قتلوا
في برلين اثناء حرب سنة ١٨٧٠ وان وفدا حضر من فرنسا الى
هذه العاصمة لهذه الغاية وكذلك جرت جماعة الفرنسيات المتوطنين
في بروسل Bruxelles عاصمة البلجيكا على عاداتهم فتوجهوا في
احتفال عظيم الى الاثر المقام لاحياء ذكر الجنود الذين ماتوا في
خدمة وطنهم وكان السابق في هذه المطاهرة المليمة القومية
اعضاء غرفة التجارة فانهم وضعوا على الاثر اكليل جيللا عليه
هذه العبارة (من أعضاء غرفة التجارة الفرنسيات ببروسل الى
مواطنيهم الذين ماتوا في سبيل الوطن - أول نوفمبر سنة ١٨٩٢) ثم
جاءت جمعية التعاون الفرنسيات ووضعت اكليللا في غاية الاتقان
مصنوعا من الحديد المطروق وعليه هذه الكلمات (الى الجنود
الفرنسيات الذين ماتوا لاجل الوطن في سنة ١٨٧٠ وسنة
١٨٧١ - من جمعية التعاون الفرنسيات ببروسل سنة ١٨٩٢)
ثم وقف الرئيس على سطح الاثر وألقى خطابا لابأس من تعرييه في
هذا المقام وهو

أقيمت الآتار وشيدت الانصاب في كل مكان سقطت فيه
العساكر اثناء دفاعها عن الوطن في سنتي ٧٠ و ٧١ فسواء في
ذلك المدائن الكبيرة والكفور الحقيرة

وقد اختار النزلاء الفرنسيون منذ بضعة سنين هذا اليوم
أول نوفمبر لتمجيد سيرة أولئك الشجعان الذين أثنى عليهم الجراح
وفقدوا بعض الاطراف والاعضاء فلاذوا بهذه الارض أرض
بليجكا لقضاء ما بقى من أيامهم فيها

ومن الامور المستعذبة الموجبة للتسليمه الباعثة على العزاء أنهم
مع بعدهم عن مسقط رأسهم وأرض اجدادهم قد صادفوا هنا عناية
أخوية جديرة بالمدح والثناء - ان بليجكا أكرمت مشواهم
وعاملتهم بالحسنى - فهذه العبارة الجميلة المنقوشة بحروف من
الذهب على هذا القبر العام الذي ضم بقاياهم يكون فيها ذكرى
للأجيال الحاضرة والآتية بما اصطنعته بليجكا من العمل المدوح
المحمود واليد المشكورة المبرورة

ولما الهنأنا نحن اعضاء جمعية التعاون الفرنسيون على مجيئنا
الى هذا المكان ننشر فيه على قبور هؤلاء العزاز تلك الراية المثلثة
التي كانوا يسحبون تحت ظلها في ميادين القتال - فلتحي بليجكا
ولتحي فرنسا انتى

وقد أصغى جميع الحاضرين الى هذا المقال بغاية الرعاية

والاجلال وعند ما أتم الرئيس كلامه أبدوا كلهم علامات الاقرار
والاستحسان

٨

بعض الاعمدة والبوابات
والفساق وبرح ايفل

ان الاعمدة الاثرية في باريس هي ثلاثة اولها وأقلها أهمية عمود
سواسون وهو الاثر الوحيد الذي بقي من القصر المعروف بهذا
الاسم وارتفاعه ٣٠ مترا ويقال انه كان مرصدا لمنجم الملكة
كاترينة دو مدسيس كان يراقب فيه حركات الافلاك واقتران
الكواكب ليتمكن من اخبارها بالكائنات قبل كينونتها وفي
داخله سلم يوصل الى قته وفي أعلاه منزلة شمسية

والثاني هو عمود فاندوم في الميدان الجميل البهيج المعروف
بهذا الاسم وهو مسبوك من برونز ١٢٠٠ مدفع اعتمتها الجيوش
الفرنساوية في الوقائع الحربية وقت اقامته في سنة ١٨١٠
وارتفاعه ٤٤ مترا و ٣ سنتيمترا وقطره ٤ أمتار وفي منتهاه
تمثال نابليون متشحا بجلايس امبراطور روماني وعلى هذا العمود
نقوش وكتابات تخلد انتصارات فرنساوية في أوائل هذا القرن
والعمود الثالث هو المعروف بعمود يوليو وهو في وسط ميدان

الباستيل أقدم تخليد للذكر الحرية في نفس المكان الذي كانت فيه قلعة الباستيل معدن الجور والحيف والاستبداد وعليه بحروف من الذهب أسماء الذين استماتوا في اعلاء كلمة الحرية ونشر رايتها على ديار فرنسا في سنة ١٧٨٩ وفي سنة ١٨٣٠ وفي أسفله مقابر أولئك الابطال محطا للاعجاب والاجلال ومن صعد الى قمة هذا العمود الذي يبلغ ارتفاعه ٤٧ متر رأى باريس كلها تحت أقدامه وأمتع ناظره بما رأى جميل ومعجب وفوق هذا العمود تمثال من البرونزا المذهب يمثل ملاك الحرية وفي يده مصباح يرسل النور منه الى جميع أطراف العالم

وبمناسبة العيدان نذكر المسلة المصرية المعروفة بمسلة كيلوبطرة التي هي أجمل حلية في أجمل ميدان في أجمل مدينة قد أهداها الخلد الذكر محي مصر المغفور له أفندينا الكبير الحاج محمد علي باشا الى فرنسا فوضعتها في ميدان الكونكوردي (الائتلاف) الذي تحف به تماثيل كثيرة تمثل مدائن فرنسا التي خدمت الوطن برجالها وأعمالها وهذه المسلة من حجر واحد من الصوان الوردى وعليها كثير من النقوش البربائية وطولها ٢٢ مترا و ٨٣ سنتيمترا ووزنها ٢٥٠,٠٠٠ كيلوجرام وفي أسفلها ترى نقوشا بالذهب تمثل كيفية اقامتها ورفعها بمقتضى علم الاثقال وكان ذلك في سنة ١٨٣١ على يد المهندس الماهر الموسيولبا

أما البوابات والاقواس فهى كثيرة نذكر منها باب القديس
دنيس (وهو الذى بعد أن قطعت رأسه فى أيام الاضطهاد رفعه
من الارض بين يديه وهو مخرج بالدماء) وهو أثر جميل قد توالى
عليه العمارة والترميم وكانت اقامته فى سنة ١٦٧٢ تجميدا
لذكر لويز الرابع عشر وتذكارا لفتوحاته فى بلاد الالمان

وكذلك باب القديس مارتين على مقربة من الباب السابق
تذكارا لفتح اقليم فرانش كونتى وهزيمة الالمان على يد لويز الرابع
عشر وفيه نقوش بارزة متقنة

وقوس الكوكب وهو أكبر بوابات القوز والانتصار
الموجودة فى باريس فان مجموع ارتفاعه ٤٥ مترا و ٣٣ سنتيمترا
وعرضه ٤٤ر٨٢ مترا وأول من ابتداء فى تشييده هو نابليون
فى سنة ١٨٠٦ لاجل تخليد فتوحات الجيوش الفرنسية و احياء
ماثرها ولكنه لم يتم الا فى عهد الملك لويز فيليب

وبلغت نفقاته ٩٠٥١١٥ من الفرنكات (قريبا من
٣٦١٣٢١ جنيه) وهو كاه مغشى بنقوش فى الحجر مناسبة لمقتضى
الحال وحول أركانه الاربع تماثيل ضخمة تصور هيئة السفر والمقاومة
والقوز وعقد الصلح وفى بعض أعاليه رسوم بعضها يصور واقعة

أبي قبر وأخرى تمثل استيلاء الفرنسيين على الاسكندرية - وقد
تقصده نوار الكرمون في سنة ١٨٧١ فوجهوا قنابلهم نحوه ووالوا
اطلاق المدافع عليه ثلاثة أسابيع متوالية كان عدد المقذوفات
التي أصابته في كل يوم بالمتوسط ٩٠ فيكون مجموع ما أصابه
من القتل ٢٠٠٠ بالتمام ولكن القوم أعادوا ترميمه واصلاحه
بعد أن انطقت نار هذه الثورة الشنيعة

وفي يوم ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ عرضت الدولة الفرنسية
تحت هذا القوس التابوت المحتوي على جسد الطيب المذكور
هوجو باحتفال جليل استمر ٢٤ ساعة

وقد صعدت الى أعلى هذا القوس فاستغرق ذلك من وقتي
٨ دقائق ورأيت من فوقه منظرا بهيجا جدا إذ أتى كنت في
ميدان يصب فيه ١٢ دربا سلطانيا محتوية على صفيين من
الاشجار وخلفها المباني الضخيمة أو البساتين البديعة

وقد سبق لي كلام وجيز على قوس نخار الكاروسل فلا
موجب لاعادته في هذا المقام وإنما أستعيضه بذكر برج القديس
جك فانه في وسط حديقة أنيقة في مركز ميدان الشاتليه
وهو من أطرف الآثار القديمة الباقية في باريس وفي أسفله
جولة ٤-٤ في وسطها تمثل العلامة المحقق پاسكال وفي قتمه

تمثال القديس المذكور - وارتفاع هذا البرج ٥٢ مترا وفيه
بعض آلات فلكية خاصة بعلوم الآثار العلوية وفيه غرفة
يحضر اليها التلامذة لتعلم الرصد وما يتعلق به وقد تناقل القوم
ان العلامة باسكال جدد فيه تجاربه المتعلقة بمعرفة مقادير ضغط
الهواء على البارومتر

وأما الفساقى فهي كثيرة في باريس منها ❀ فسقية كوفييه
العالم بالتاريخ الطبيعى صاحب الاكتشافات الكثيرة ومخترع علم
الكائنات الحفرية وفوق هذه الفسقية تمثال من الحجر للتاريخ
الطبيعى ❀ ثم فسقية الشاتليه في مكان سجن كان هنالك قديما
وهي في وسط الميدان المعروف بهذا الاسم الآن وعليها تماثيل
للأمانة والقوة والقانون واليقظ وينسفع الماء الى حوضها من
أفواه أسفنكسات (أبو الهول) وفوق الفسقية تمثال الانتصار
وفي يده إكليل الفخار ❀ ثم فسقية جرينل وفيها تمثال باريس وهي
جالسة في سفينة وتحت قدمها نهر السين والمارن وحواليها
تماثيل الفصول الأربعة والسفينتان اللتان هما شعارها ❀ ثم
فسقية الأبرياء تحيط بها حديقة زهرية وهي من أجل الآثار
التي يفصدها الزوار وعليها نقوش تمثل جنيات الماء في غاية
الابداع وقد كانت أولا في سوق الفواكه ثم نقلوها الى محلها

الآن حجرا حجرا ❀ ثم فسقية لوفوا وهي بناء أنيق أمام المكتبة،
الاهلية وتحتوى على تماثيل متقنة تمثل الأنهار الأربعة التي في
فرنسا تحمل الحوض العلوى الذى ينحدر منه الماء في الفسقية
❀ ثم فسقية مولير من الرخام الناصع أقيمت بواسطة اكتباب أهلى
وفى أعلاها تمثال هذا الشاعر الجيد وعلى يمينه ويساره تمثال
الكوميديا الجديدة والكوميديا الهزلية ومعنى الكوميديا
التشخيص المضحك وهذه الفسقية أقيمت أمام البيت الذى مات
فيه الرجل ❀ وفسقية الرصدخانة وهى عبارة عن حوض فيه ثمانية
أفراس بحرية وكها من البرونز وفى وسطها تمثال أقسام الدنيا الأربعة
تعلوه كرة أرضية ❀ ثم فسقية القديس جرجس وفيها تمثال الايمان
والرجاء والاحسان فى المرمر ❀ ثم فسقية سان سولپيس فى وسط
الميدان الكائن امام الكنيسة المعروفة بهذا الاسم وحول هذه
الفسقية تماثيل بوسوييه وفنلون وماسيلون وفليشييه وهم من
أكبر وعاظ الكنيسة وأشهر كتاب الفرنساوية ❀ ثم فسقية الانتصار
مزدانة بتماثيل الايمان واليقظ والقانون والقوة وفوق الجميع
تمثال الانتصار بموه بقاء الذهب

وفى باريس فساق أخرى مثل اللتين يزدان بهما ميدان
الكونكورد (الانتلاف) واحدهما رمز للملاحاة فى النهر
والثانية للملاحاة فى البحر ومثل اللتين فى ميدان التياترو الفرنساوى

وفسقية مديس ونوتردام والقديس ميشل (وقد كانت العمارة
جارية فيها أثناء وجودي بباريس)

أما بريم ايغل فقد طار خبره وعرف أمره وقدره بحيث كان
الواجب أن يهمل ذكره ولكنني أتحف القارئ بمعلومات جديدة
وأقص عليه شيئاً من التأثير الذي حصل لي أثناء ارتقائه في المصعدة
(Ascenseur) والنزول منه على درج السلام ولا حاجة للاحاطة بأنه
أعلى جميع الآثار التي شاهدتها الإنسان في جميع الأزمان فوق
سطح هذه الكرة الأرضية وأنه يحترق كبداً للسحاب (من غير مجاز)
بارتفاعه البالغ ٣٠٠ متر وطالما كان المطر يتهاطل على أسفله
وحواليه من غير أن يصيب الذين قد ارتقوا إلى ذروته بحيث
انه لو كان فيهم ممدوح لصح لشاعره أن يقول انه علا حقيقة
على السحاب مثل ذلك الذي قيل فيه انه علا في الحياة وفي
المات وعدوا له ذلك من المعجزات

وفوق قمة هذا البرج قبة عليها فناري يعث الضياء فيبدد حجب
الظلام بما يرسله من مختلف الألوان بحسب ألواح الزجاج ويمتد
شعاع النور إلى مسافة قاصية وبعرض واسع وأول ما رأيت الفنار وأنا
فوق إحدى قناطر السين رأيت مناشيره أشبه شيئاً بأجنحة طاحونة
عظيمة يديرها الهواء بسرعة وأما البرج فهو أشبه شيئاً بشمعدان

هائل خصوصا مع وجود النور في أعلاه وهذا الشعبدان مرتكز
على أربع قوائم مسافة الانفراج بين كل قائمة والثانية عند القاعدة
١٠٠ متر وكنت أثناء اقامتي بباريس أتربص في كل صباح
فرصة الصعود الى هذا البرج الفريد لا أتمتع بما حوله من المناظر
الرائقة ولكن نوالى احتجاب الشمس في أغلب الايام كان يحول
دون هذا المرام حتى خشيت تعذر الحصول على هذه الامنية
لاقترب ميعاد اقفاله ولكن الله يسر لي يوما طلعت فيه الشمس
بهبجتها وأرسلت صافى أشعتها فبادرت اليه مسرعا وأنا لأصدق
نفسى من شدة النرح وكنت كلما صعدت في طبقة أرى المدينة
تنضم الى بعضها وتتقارب أبعادها وتتصاغر مسافاتهما وتتلاقى
أطرافها فتبدو بكل جمالها فرجة للناظرين وبينها نهر السين
كقناة طويلة يتصور الانسان أنه يكفيه أقل وثوب للانتقال
من أحد شطبيها الى الآخر وعليها القناطر العديدة أشبه بخطوط
كثيرة مستطيلة كأنها شريط رفيع من البناء أو سلك رقيق من
الحديد وكانت برك الماء كدموع من ما آتى المشتاق وبعض بني
الانسان أشبه بالازهار أو بتلك العرائس الصغيرة التى يتلاعب بها
الصبايا والبعض الآخر كأنهم من قوم يأجوج وما جوج أو من
أوائك الاقزام العائشين فى أواسط افريقية وكانت باريس بازدهامها

بكقرية النمل أو خلاية النحل وكنت كلما ارتقيت ازدادت أممي
بمجة الرياض الانيقة والقصور الرشيقة المجاورة للبرج مثل
قصر التروكلادير ووحديقة الشان دومارس وفسقيته البديعة وقبة
القصر المركزي وفوقها تمثال الشهرة ثم قبة رواق الآلات وقبة
الانقاليد والباتيون ثم تياترو الاوبرا وقصر الصناعة وعمود
فاندوم و برج كنيسة فوتردام وفي أثناء ذلك كنت أسمع اعتراض
الرياح في الصبا والجنوب وتضارب تياراتها في القبول والدبور
فتمدث لها قرعة كاشد ما يكون من تلاطم الامواج في البحر
العجاج وبينما أنا غارق في هذه الاحوال نهني بعض الذين سعدوا
الى صحيفة يكتب عليها الزائر اسمه أو أى عبارة تحظرياله فأخذت
القلم ورفقت ماأملت به على القرية ته درك يايفل لقد
برعت فيما أبدعت ونبتت بما اخترعت فعلوت بعثك
على سائر أبناء عصرك كما ارفع برجت الى عنان السماء فانقا
جميع الآثار الشماء منصحا بكل لسان عن فصل الالة الفرنسية
في ميدان العرفان

ثم نرات متمهلا متأملا وقد كبر الرجل في عيني أكثر مما
كنت تصورته خصوصا بعد أن علمت ان الموسيو ايفل اذا جلس

على كرسية امام مكتبته يكون ضغطه على الارض أكثر من ضغط هذا البرج الهائل وذلك أن قوة الضغط التي تحدث على الارض اذا جلس على الكرسي (هو أو أى انسان آخر) تكون باعتبار ثلاثة أو أربعة كيلوجرامات بالاقبل عن كل سنتيمتر مربع بخلاف البرج فان تأثيره على الارض هو باعتبار كيلوجرامين اثنين فقط مع أن ثقل البوية التي على جدرانها قد قدرها العلماء بنحو ٣٠ طونولاطة وقرروا أن مجموع وزنه (من غير البوية) يعادل ٧ مليون كيلوجرام وقالوا ان الهواء الموجود في قصر الآلات يزن ربع هذا المقدار مع لطافته فيا للعجب العجاب من غرائب الاحصاء والحساب

ومما يجمل بناذكره في هذا المقام أنهم استخدموا هذا البرج لأمور كثيرة مثل الأكل والشرب والتصوير والبيع ونحو ذلك وانهم وضعوا فيه منذ سنة ١٨٩١ مانومترًا بقياس تقياس عدد البخار هو أكبر وأجسم ما ظهر في الوجود الى هذا الزمان وقد أعدوا في الصيف الماضي تيارو في إحدى طيقات هذا البرج وكانوا يشخصون فيه رواية عنوانها (باريس في الهواء) ومن المعلوم ان رجال الافرنج يرفعون قبعاتهم أثناء التشخيص ولكنه اتفق في بعض المرات وجود رجل لم يتبع هذه السنة بل أبقى عمارته على رأسه فتذمر

الحاضرون واعتبروا ذلك اهانة منه وخروجا عن حد الادب ثم طالبوه برفع القبعة فأبى فجاء اليه مدير التياترو وأظهر له وجوب الامتثال فما ازداد الرجل الاعنادا وادمرارا بحيث لم يكن للمدير من واسطة سوى استدعاء رجال الشرطة واخراج الرجل بالقوة ولكنه تدبر وتمهل ثم ذهب بجانب رئيس الموسيقي فهمس في اذنه بكلمة واحدة أجابه عليها صاحبه بعلامات الامتثال ثم رفع عصاه فلحنت جوقة الموسيقي السلام الروسى فكان الرجل أول من وقف ورفع قبعته اجلالا وتعظيما ثم قال (ان هـذا خبث منك وكيد عظيم . اننى أخشى تيار الهواء فى مثل هـذا المكان وأفضل الانصراف على هـذا الاضطرار) ثم خرج وشكر الناس حذق المدير وفطانتة فى صرف هـذا الحادث الذى أوجب لغطا كثيرا واضطرابا شديدا وذلك لان التقرب فى هـذه الايام شديد وثيق فيما بين فرنسا والروسية ومتى سمع أحد الفرنساويين النشيد الروسى الوطنى قابله بالاجلال فى الحال وكذلك الروس يكشفون الرؤس عند ما يسمعون النشيد الفرنساوى حتى ان رجلا من محررى الجرائد فى بطرسبرج واسمه برتوف حضر الى باريس أثناء اقامتى بها ساعيا على أقدامه ليس الا فى كل هذه المسافة التى يبلغ طولها ٩٠٠٠ كيلومترا فقط وكان يعيش فى اليوم الواحد ٣٠ أو ٤٠ كيلومترا وقد استغرقت هذه النزهة

منه نحو ٨ شهور ونصف ولما حلّ بيّاريس كان آلاف كثيرة من
الناس في انتظاره فحياهم وحيوه ورجبوا به كثيرا وأطنبت الجرائد
بمدحه

وقد ظهرت في هذه الايام الاخيرة جريدة اسمها (برج ايتل)

٩

بستان البسات

كان تأسيس هذا البستان في سنة ١٦٢٦ وافتتاحه للجمهور في
عام ١٦٥٠ وهو ينقسم الى أربعة أقسام أولها البستان وثانيها
مربي الحيوانات وثالثها متحف التاريخ الطبيعي ورابعها الانبار
(العنابر) الزجاجية المعدة لتربية نباتات البلاد الحارة ومما يليق
ذكرة أن الانسان اذا دخل من أكبر أبواب هذا البستان يرى أمامه
ممشين من الصفصاف غرسهما العلامة بوفون المشهور وفي منتهى
البستان توجد الدار التي مات فيها الرجل المذكور في يوم ١٦
ابريل سنة ١٧٨٨ وفي هذا البستان مدرسة لشجيرات الزخرفة
ومدرستان لاشجار الفاكهة احدهما مخصصة للفاكهة ذات
النواة وأما الثانية فلاشجار الفاكهة ذات البزر وفيها ١٨٠٠
نوع من أشجار الكثرى وهناك مجموعة أشجار مثمرة تحت الدرس

والمطالعة ويدرسة لعالم النبات تحتوى على أكثر من ١٣٠٠٠٠
نوع من النبات

وأما عربى الحيوانات ففيه ٢٢ مقصورة عليها أبواب من
قضايا الحديد تسرح فيها الحيوانات الضارية والوحوش الكاسرة
والطيور الجارحة كالأسد والنهد والبير والفرائق والنمر والذئب
والنسر والعقاب والرخ والكندور وغير ذلك وفيها أصناف لا تحصى
من الحيوانات المعروفة فى بلادنا والمجهولة لنا مثل الأيائل والوعول
والاروية وتيوس الجبل والأثوار والابقار والاعنم والماعز
والجاموس ذى السنام والكنجورو والذئاب والضباع والحلايف
وبنات آوى والعقبان والنسور وغير ذلك مما لا يمكن الاطاقة به مع
تعدد أصناف النوع الواحد وهناك قطعة مستديرة مغطاة بأسلاك
الحديد تسمى قصر القردة فيه منها أجناس كثيرة بين كبيرة وصغيرة
وأمام هذا القصر مستدير كبير ترى فيه الأفيال وأفراس البحر
والكركدن وأصناف الهجين وهناك تمر قناة من الماء تسبح فيها
خلائق كثيرة من الطيور المائية وبالقرب منها ترى حيوانات
بحرية تسمى آساد الماء وبجانبها أبراج لانواع كثيرة من الطيور
ومرابٍ لاطيار الصيد المرغوبة مثل الصقور والبواشق والشواهين
وغير ذلك وهناك أصناف من الأيائل الخنزيرية التى توجد فى بلاد

الهند وبالقرب من هذا المكان مربى أطيار الدج والقطا والمجل
والقواخت والورق والورشان والشفاتن والطياهيح وغيرها والطيور
المفردة وأنواع البيغاء والطواويس - وقد رأيت في كشك الزواحف
أصنافا كثيرة من الثعابين السامة وغير السامة وعددا عظيما من
السلحفا والورل والضفادع والعلاجيم وأصناف التمساح التي اشتهر
بها بلنا السعيد وحرّم من رؤيتها المصريون فلا بد لهم من الحجى الى
باريس لرؤية هذا الحيوان المشهور حيا يرزق لأمعلاقا على بعض
البيوت لفائدة لم أقف عليها مع كثرة السؤال عنها (١) وفي هذا الكشك
أيضا أصناف كثيرة من أسماك المياه العذبة

ولابد لنا من ذكر كلمتين أيضا على رواق تطبيق التشریح
وعلم الانسان (الانترولوجيا) فإنه يحتوى على ٢٤٠٠٠ تجهيز
وأكثر من ١٣٠٠٠ نموذج يختص أكثرها بدرس السلائل
البشرية القديمة والحالية و ٣٠٠٠ جمجمة و ٢٠٠ هيكل
عظمى ووجهه قطع تتعلق بالانسان الحفرى (الذى وجد في
الكائنات الحفرية) - وفي الدور الاول من هذا الرواق مجموعة

(١) ربما كان ذلك من باب التمسك بحصول الحصب والبركة كما هو الشأن في نهر النيل
بالنسبة لقطر مصر السعيد فإن التمساح أخص حيوانات النيل المبارك لأنه امتاز به
على سائر الانهار تقريبا و به يرمز اليه عند أرباب الصنائع والفقهاء من القدماء
والمحدثين - وربما كانت هذه العادة بقية من آثار الجاهلية المصرية والفراعنة
الاولين فان هذا الحيوان كان من أقدس المعبودات في قسم كبير من وادى النيل

وافرة من هياكل جميع الحيوانات وغرف كثيرة مخصصة لدرس التشریح الانسانی وفيها صور جميع الاجناس بحيث يتمكن الباحث من مقابلتها ببعضها وهناك مجموعة كاملة من رؤس مصنوعة من الجبس يمكن لاهل علم الفراسة أن يطبقوا معارفهم عليها أوزيدوا في معلوماتهم بواسطتها وخصوصا أن القوم اعتنوا بتمثيل رؤس بعض المشاهير في ارتكاب الجرائم واقتراف الجنايات - وأمام باب هذا الرواق حوت هائل طوله أربعة عشر مترا (من الصنف المعروف بالهائشة) وهيكل عظمي وجاجم من أفراد هذا النوع وسمعت أنه يوجد متحف لما قبل الطوفان غير أني لم يتيسر لي رؤيته مع كوني توجهت الى هذا البستان ثلاث مرات في ثلاثة أيام ولكن اتساعه وكثرة ما فيه من الغرائب حالا بيني وبين رؤيته بجميع أجزائه وتفصيله وقد رأيت هناك شيوخ البحر تسبح في برك من الماء وأها صيحة مزججة ورأيت أشجارا لا تنارقيها الخضرة على الدوام ولا حاجة لذكر العناية الزائدة التي تلاميها نباتات البلاد الحارة في عنابر هذا البستان فأنها فوق الوصف ولكن القوم لم يتمكنوا الى الآن من تربية النخل المثمر وان كانوا توصلوا الى حفظ كثير من أصناف النخيل الخاصة ببلاد الهند وأواسط أفريقيا

وأما متحف التاريخ الطبيعي فيحتوي على شئ جسيم وعدد عظيم من الحيوانات الشدية السكرية وهما كل الحمتان (الهوائش)

والآساد والاعمار والدباب والقروود والزواحف والطيور والاسماك
والحيوانات الرخوة والحشرات كل ذلك بهندام ونظام لا يمكنني
ان أصوره للقارئ باى حال فان وصف ما في هذا المتحف يستغرق
مجلدات كثيرة وحيثا علماء عديدين قد وقف كل واحد منهم نفسه
على درس فرع صغير من فروع هذه الفنون

وهناك أيضا رواق كبير فيه مجموعات مشتبكة من الاججار
الضالة والنيازل والشهب الساقطة من السماء ومجموعة فيها أنواع
الطبقات التي تتركب منها قشرة الكرة الارضية وصخور ومعادن
وأجار كريمة ثم رواق النباتات وفيه تماثيل الفطر والكافة
(بنات الرعد) بالجبس ومجموعة من النواكه الجافة والفواكه
اللحمية والازهار محفوظة في الكؤل ومن النباتات ٢٠٠٠٠
نوع وأكثر من ٥٠٠٠٠ عينة وكثير من أصناف النباتات
الخشبية

١٠

المدارس والمحلات الخيرية والاعانات

رأيت كثيرا من المدارس ووقفت على بعض أساليب التعليم
وأحطت بوسائل التقديم وأرى الآن وجوب الاكتفاء بالكلام
على مدرسة المنظمات السياسية ومدرسة العميان ومدرسة الخرس
عسى أن يكون لشرحى فائدة في بلادى

أمام مدرسة النظمات السياسية (Ecole des chartes) فيتلقي مدرسة
الطلبة فيها كثيرا من الفنون أخصها علم أصول اللغة الرومانية السام
واشتقاقاتها وعلم الكتب وتنظيم خزائنها وعلم السياسة وتاريخ
النظمات السياسية والترتيبات الادارية والقضائية في ديار فرنسا
ثم عيون التاريخ الفرنساوى وفن تنظيم أوراق المحفوظات وتاريخ
القانون المدنى والكائسى فى القرون الوسطى وعلم الآثار
(الاركيولوجيا) فى القرون الوسطى - وتفتح قاعات الدروس للطلبة
من الساعة التاسعة الافرنكية صباحا الى الساعة الرابعة أو الخامسة
بعد الظهر بحسب اختلاف الفصول ولا يتجاوز عددهم فى السنة
الواحدة ٢٠ تلميذا وينبغى أن يكونوا من الفرنساويين الحائزين
شهادة البكالورية فى العلوم البالغين من العمر ٢٥ سنة كاملة
بالاقل ويلزم امتحانهم فى الترجمة من والى اللغة اللاتينية من غير
استعانة باى معجم أو قاموس وفى تاريخ فرنسا وجغرافيتها قبل
أول القرن التاسع عشر ومن يكون منهم عارفا بالألمانية أو
الانجليزية أو الاسبانية أو الطليانية يكون له فضل السابق على
غيره عند تساوى الدرجات وقد ترتب على احداث هذه المدرسة
فوائدجة أو جل تفصيلها الى الرحلة ان شاء الله

مدرسة العيمان فتنظروا لفوائدها الجمة خصوصا في قطرنا
العيمان المصرى يجب على أن أتوسع في القول عليها قليلا مدخرا الاشباع
الى الرحلة

يوجد في فرنسا ٣٢,٠٠٠ أعمى لهم من المدارس الخاصة
٣٣٠ نحو ٦٠ مدرسة وأهم هذه المدارس وأكملها مدرسة شبان
العيمان الاهلية Ecole Nationale des Jeunes aveugles
الكائنة في باريس بدرب الانفاليد وقد كان تأسيسها على يد
الفرنساوى فالنتين هاوى في سنة ١٧٨٤ وهى أول مدرسة
ظهرت في الوجود من هذا القبيل وربما كانت أفضل من
رس المماثلة لها وأحسنها نظاما وترتيبا وفيها الآن
١٥٥ غلام و ٨٠ فتاة ومدة التدريس عشر سنوات تكون
بين سن ١٠ و ٢١ سنة ويتلقون فيها علوما عقلية وفنوننا
حرفية

فأما التعليم العقلى فهو ابتدائى وعال وقاعدة القراءة والكتابة
فيها جارية على الاسلوب الذى ابتدعه الاعمى الفرنساوى براى
في سنة ١٨٢٦ وهو عبارة عن رسم الحروف بنقط بارزة لاتزيد
عن ستة عن أى حرف

وأما التعليم الحرفى فيشمل الغزل والحراطة وعمل الكراسى

وأشغال الأبرة والنسيج والموسيقى والالمان (وهذان الثمان قد بلغا الدرجة القصوى والمكانة العظمى حتى لقد فاق تلميذان وتلميذة من المتخرجين بهذه المدرسة في امتحانات عمومية على كثيرين من المتمتعين بنور الباصرة)

ومساحة الأرض التي تشغلها هذه المدرسة هي ١١٨٠٠ متر منها ٣,٥٠٠ مشغولة بالمباني وفي فناءها تمثال مؤسسها وهو يحاول تعليم الأعمى وللفتيات قسم منعزل تمام الانعزال عن قسم الفتيان وللإساتذة غرف لسكنهم بالمدرسة فيها كل ما يحتاجون إليه وهناك سقينة كبيرة يتنزه التلاميذ تحتها ويتفرغون للعب والرياضات أثناء اشتداد الأهوية ونزول المطر وتغير حالة الجو - أما نظام التهوية وتدبير التدفئة ففي غاية من الكمال والموافقة في الغرف والفصول والمكاتب والورش والمآكل والعياب (الانبار) وفيها بيعة صغيرة للطقوس الدينية وحمامات فيها ٣ قسم وفي كل قسم منها جهيزات الدوش (صب الماء رشاشا لانعاش كافة الجسد) بحيث يستعمل كل تلميذ وتلميذة مرة واحدة في كل خمسة عشر يوما بالاقبل وفي المدرسة ورش للتعمير والتصليح والترميم خاصة بالألات الموسيقية التي يستعملها التلاميذ ولذلك غابتان أولاهما الاقتصاد فلا تكلف المدرسة نفقة ذلك في

الخارج والثانية تمرين التلامذة على اصلاح الالتمهم بانفسهم
واضافة ما ينقصها وتعرف مواقع الخلل فيها حينما يسقط مسمار
أو يتقطع وتر وفي المدرسة مطبعة خاصة بها يطبع فيها التلامذة
كتبا كثيرة في فنون الآداب والموسيقى مما يحتاج اليه العميان
وقد رأيت أيضا مكتبة فيها ٢٥٠ مجلد بانقظ البارزة
و ١٦٠٠ من الكتب المطبوعة بالكيفية الاعتيادية وهناك
واعظ يقوم بالقاء الدروس الدينية وأما التلامذة الذين لا يدينون
بالمذهب الكاثوليكي بل بمذهب آخر معتبر في الحكومة فتعليمهم
يكون بحسب ديانتهم بعد الاتفاق على ذلك بين المدرسة وبين
أهاليهم وشؤون الصحة منوطة بطبيب وحكيم أسنان موظفين في
المدرسة (وعند الاحتياج يستشار حكماء آخرون) وطبيب عيون
وجراح ولا يقبل التلامذة الا فيما بين السنة العاشرة والثالثة -
عشرة وقد خرج منها كثير من النابغين الذين أعلا قدرها وشرفوا
ذكرها بما اكتسبوه من حسن الاحدوثة وما قاموا به من الخدم
الجليلة فمنهم برأي الذي أشرنا اليه قبلا ورود نباخ الذي كان
أمينا لاحدى مدائن البلجيكا ونائبا عن الامة في مجلس النواب
البلجيكي من سنة ١٨٣٢ الى يوم وفاته في سنة ١٨٣٩ وبنجون
الذي كان مدرسا للعلوم الرياضية في مدرسة أنجي الشهيرة وحائزا

لوسام اللجبون دونور من درجة شقالييه ثم فوكو ذلك الميكانيكى
البارع الذى اخترع جهازات كثيرة لتسهيل الكتابة بين العميان
والمبصرين وجوتبية وروسل ولوبل وهم من أساتذة المدرسة قد
صنفوا ثلاثين موسيقية دينية وعمومية لها عند العارفين قيمة
عظيمة وغير هؤلاء عدد عظيم يضيق عن سرده المقام ويوجد في
فرنسا الآن أكثر من ٢٠٠ أعمى ينالون ربحا واسعا ورزقا حللا
طيبا من صناعة البيانو بل ان بعضهم يديرون مخازن يبيع آلات
البيانو أو اصطناعها

وقد تأسست شركة مهمة لاستخدامهم ومعاونتهم والاهتمام
بكل ما يتعلق بهم حسا ومعنى وبسط لواء حمايتهم ورعايتهم عليهم في
جميع الاحوال وفي طول حياتهم ثم ولا تطلب منهم في نظير ذلك
سوى السير المحمود والاقبال على العمل بقدر ما تسمح لهم به
حالتهم وبلغت ايراداتها في آخر ديسمبر سنة ١٨٩١ ٣٢,٣٣٥ من
الفرنكات (نحو ١٢٩٣ جنيه ونصف تقريبا) ومصروفاتها
٢١,٥٧٩ من الفرنكات (نحو ٨٦٣ جنيه وربع تقريبا)
والباقي في صندوقها ١٠,٧٥٥ من الفرنكات (أى قريبا من
٤٣٠ جنيه وربع) وأما رأس مالها فهو عبارة عن ١٨٥٤٩٦
من الفرنكات وقد اتسع نطاقها وكثر عدد المشتركين فيها بالاقساط

والتبرعات حتى بلغ عـ ردهم ٨٥٠ شخص منهم ٢٨ من أكابر سيدات فرنسا جعلت الجمعية تحت حمايتهم و ١٧٨ من السيدات و ١٥٢ من العـ زارى و ١١٤ من التلامذة الموجودين فيها لتلقى الدرس منهم ٤٠ فتاة

وقد تأسست جمعية أخرى باسم فالنتين هاوى غايتها تعليم العميان الذين يعلمون وتشغيل العميان الذين لا يعلمون ولها ثلاث جرائد خاصة بالعميان الاولى (فالنتين هاوى) وهى مجلة عمومية تبحث فى جميع المسائل المتعلقة بالعميان والثانية (لوبس براى) وهى جريدة تطبع بالحروف البارزة لكي يقرأها العميان والثالثة (مجلة براى) مثل التى قبلها وتظهر فى كل يوم أحد مشحونة بالمسائل الادبية والعلمية والموسيقية ولهذه الجمعية قاعة للخطابة يتباحثون فيها فى كل ما يهم العميان وتتبعها أيضا مكتبة متنقلة تعبر العميان الكتب المطبوعة بالحروف البارزة ليقرأوها فى بيوتهم ويستفيدوا منها فى أوقات فراغهم - ومن ملحقاتها المتحف وقد تكلمت عليه بمفاته الكفاية واللهولى المحسنين

مدرسة أنجرس أما مدرسة أنجرس فلا يدخلها غير الذكور ومدة التعليم أنجرس ثمان سنوات فيتعلمون فيها زيادة عن المعارف الابتدائية أحد الفنون الآتية وهى طبع الحجر (مع الكتابة والنقش على الحجر)

ونقش الخشب وطبع الحروف والنجارة واصطناع الاحذية وفن
النسائين وأما التعليم الدينى فيقال عنه فيها كما قيل فى مدرسة
العميان - والغذاء مرتب بكيفية توافق الصم الخرس ولهم جامات
بجهازات ايدروليكية وحوض للسباحة ومروج واسعة وصحون
فسيحة يلعبون فيها الجباز ويتعودون على الرياضات الجسدية
وخلاصة القول ان المدرسة تعتنى عناية كامة بتقوية أبدانهم
وأمنجتهم وفيها طبيب ومساعدان له وحكيم عميون وجراح عارف
بفن الاسنان ومستشفى يقوم بالخدمة فيه ممرضات حائزات للدبلومة
وقد شاهدت التعليم حينما يجيىء الطفل فيها أول سنة ويترقى
شياً فشيأ بكيفية تدهش العقول فانهم منعوا استعمال
الاشارات بالاصابع مرة واحدة ولا يتجاور أحد من الاساتذة
أو التلامذة على ابداء أية اشارة ظاهرة أو خفية وكل التعليم جار
فيها (وفى جميع مدارس أوروبا وأمريكا كما علمته) بواسطة النطق
بالاصوات ولذلك يجتهدون فى تعليم الاخرس مخارج الحروف
بغاية الدقة ونهاية الاعتناء وقد تكلمت مع بعض الخرس فكانوا
يجيبوننى بالجواب المناسب غير أننى فى أول الامر رفعت صوتى
كثيراً فلم يفهمنى الاخرس مطلقاً مع أننى رأيتهم يفهم ناظر المدرسة
كأسرع ما يمكن بالنسبة لحالته فتمكرت الامر وحينئذ ندعانى

الناظر لان أخفض صوتي (لاني مهم بالفت في رفعه فان يسمعي
أبدا) وان أكله وجهها لوجه حتى يتظر حركات شفتي ولساني
فعلت بما رسم وأجابني الآخرس على الوجهه المرغوب ثم اتى
أملت على جملة من التلامذة عبارة فرنساوية فكذبوها بالضبط
الا واحد منهم أخطأ في حرف واحد تشابه المخارج ثم كتبوا اسمي
واسم بلدي على التختة ولم يهملوا الا حرف II المقابل للحاء في
لنظة (أحمد) لعدم امكان النطق به في الفرنسية
وأما الفنون الحرفية والصنائع اليدوية وحرث الارض وغرسها
ففي درجة من التقدم يغبطهم عليها أكثر الناطقين بالضاد وبغير
الضاد وفي المدرسة متحف جليل يحتوي على جميع الطارق التي
تؤدي لتعليم الآخرس ورسوم ونقوش وتصاوير كثيرة من صنع
الخرس وقد كان لبعضها فوقان عند العارفين على ما صنعه كثير
من الناطقين ويقال ان هذا المتحف لا نظيره في البلاد الاخرى
فان الابدولوي (وهو أول من عني بتعليمهم) له أكثر من ١٠٠ قطعة
تراه فيها مصورا في جميع أحواله وهناك عدد عظيم من المتحف
المتنوعة التي برع في إحداثها كثير من الصم البكم الذين نبغوا
في جميع أنحاء العالم ومما ينبغي ذكره بوجه الايجاز ان هذا المتحف
يحتوي على رسوم الاماكن التي استقرت بها هذه المدرسة قديما

وحدثنا ومناظر تصور هيئة أهم مدارس الخرس في فرنسا وفي
الخارج وصور الاب سيكار ومعلمي الخرس من الفرنسيين
والاجانب وكثير من أعظم العالم الذين لهم دخل في تاريخ تعليم
الخرس من مؤسسي المدارس ونظارها والمحسنين ومشاهير الكتاب
ورجال الحكومات وأهل السياسة ثم أعمال الخرس في جميع
العصور وعند جميع الأمم من مصورين ونقاشين ونحاتين ورسامين
وطبايعين وفوتوغرافيين ومهندسين ثم صور كثير من مشاهير أرباب
الفنون الخرس ثم ميداليات ومسكوكات وكتابات بخط اليد وأشياء
نادرة وغير ذلك مما يتعلق بهذه الطائفة

وقد تألفت جمعية لتعظيم الخرس ووافق أنها اثناء اقامتي
في باريس أولت وليمة فاخرة احتفالاً بحلول السنة المتممة للمائة
وثمانين من يوم ميلاد الاب دولوبي نعم اني لم أحضر هذه الحفلة
الغريية الشائقة ولكني لأرى بأساً من افادة القارئ بما علمته
عنها من الجرائد وذلك ان المدعوين كانوا كثيرين وكانت
الحفلة تحت رياسة الموسيو كوشفر وهو من المهندسين الذين
تخرجوا بهذه المدرسة وبعد انقضاء الطعام وقف حضرة الرئيس
يخطب في القوم يلاغه باهرة مستعينا بالاعياء والاشارة
فانه ألم أحسن للمام بذكر حياة الاب دولوبي وسرد ما آثره التي

أفاضت الخيرات على جزء عظيم من بنى الانسان ثم شكر الجمهورانية
الفرنساوية على مساعدتها في تحسين حال أمثاله ثم ختم مقاله
باهداء ميدالية الى أحد النقاشين البارعين من انجرس وقدمها
له باسم وزير التجارة والصناعة ثم تلاه كثير من الخطباء انجرس
وكانوا كلهم يفيدون الحاضرين باشارات ظاهرة مفهومة

أما أماكن البر والاحسان واصطناع المعروف وانعانة
الملهوف فهي أكثر من أن تعد ولها شؤون كثيرة وفائدة عظيمة
فمنها ما تساعد الامهات لتمكينهن من ارضاع أطفالهن أو فقراء
المعتوهين الناقهين بعد خروجهم من البيمارستانات أو تلتقط
اليتامى اناثا أو ذكورا وتكفل بتعليمهم وتربيتهم في طريق الشرف
والاستقامة أو تعاون فقراء الازاسيين واللورانيين الذين تركوا
وطنهم وآثروا الفقر مع بقاء الجنسية الفرنسية الفرنسية لهم على الدخول
تحت أحكام المانيا أو تضم الامهات الفقيرات أو تضيف النساء
والرجال الذين لا مأوى لهم بالليل أو تتكفل بالفقراء من الرجال
أو النساء الى أن يجدوا لهم خدمة يعيشون منها أو بالنساء
الجبالي فقط أو الطاعنين في السن دون سواهم أو لوصف الادوية
أو لتقديم الدواء أو للوالدات بعد الولادة وهن في دور النقاهة
أو للفتيات بعد مرضهن أو لتقديم الاشغال للخياطات اللاتي

اماكن البر
والاحسان

ليس لهن بخدمه أو للتكفل بالابناء حين اشتغال والديهم عنهم
بسبب كسب القوت أو لتطبيب الاطفال على العموم أو المصابين
بداء مخصوص مثل الخنازيرى والكلب أو الادواء العضالة وغيرها
أو لاستخدام العذارى فى مخازن التجارة أو لاستخدام النعلة والعملة
من الجنسين والكتاب والحساب وغيرها أولتعلم الزراعة أولتبني
الاولاد ووضعهم فى مرابى الايتام أو لاستخدام اليتامى والاولاد
الذين تركهم أهلهم أو لمساعدة العائلات أولتعلم الاطفال الفقراء
حرفة الصياغة والجواهر والساعات وغير ذلك من الفنون الحرفية
أو للاغراب الامريكانيين أو الانجليز أو النمساويين أو المجرين أو
الاطليانيين أو البولونيين (اللاهيين) أو السويسريين أو البلجيكيين
أو جميع الامم أولتقديم الخبز أو لتقديم صنف من الطعام أو
لفقراء المرضى أو لتعصيد التكايا أو لقبول المعلمات اللاتي ليس
لهن وظيفة يتعيشن منها أو لفقراء الاسرائيليين أولتقديم
الجهازات اللازمة لمن تقطع بعض أعضائهم أو للولادة أولتسهيل
الزواج بحسب قواعد الدين واجراء المسامحة اللازمة بين الطرفين
أو لتسهيل الزواج بالطريقة المدنية من غير توسط القسيس
وتقديم كل مايلزم من الصكوك والاوراق مجاناً والتكفل
بأثبات نسب الاولاد وجعلهم شرعيين أو لحماية الجنود البرية

والبحرية الذين أحرزوا نشانات في وقائع التونسيين أو لمساعدة
بحري الجنود (وهذه الجمعية مركبة من النساء) أو للذين كانوا
في سلك الجندية وحازوا وسامات اللجيمون دونور أو الذين سبقت
لهم الخدمة في الجيش أو لمساعدة عائلات وأرامل ضباط
البرية والبحرية أو عمال الحكومة الذين تشابه وظائفهم وظائف
الضباط أو لترتيب معاشات للعسكرية أو لحماية الذين يتطوعون
في الخدمة العسكرية أو لتخديم الشبان الذين يتخرجون ببعض
المدارس أو لاقراض عائلات العمالة المبالغ اللازمة (من غير
فائدة) لاستخلاص الأشياء التي وضعوها في بنك الرهونات ثم جاء
الاجل ولم يتيسر لهم المال المطلوب أو لدفع ايجار مساكن
الفقراء أو لاعادة الفقراء والمرضى الى أوطانهم أو لمساعدة المحتاجين
من المستغلين بحرفة سبائك الخيول أو لبذل الاعانة اللازمة في
الحال أو لمساعدة الذين يروحون شهداء تادية الواجب (وقد أرسلت
هذه الجمعية في شهر اكتوبر الماضي ٤٠٠ فرنك لشيخ احدى
البلاد اموصلها الارملة رئيس المحطة وقد دهسه الواور بينما
كان يجتهد في انقاذ امرأة ارتبكت على الشريط وقد ألقى الواور
و. . ٣ فرنك لعائلة رجل مستخدم بالدخولية دهسته العربات
بينما كان يمانع تهريب بعض الاصناف و. . ٢ فرنك لرجل

من بوليس باريس أصابته جراح بايغة بينما كان يحاول توقيف
خيول حرونة - وقد وردت لها في الشهر المذكور وصية من زوجة
أحد القضاة بمبلغ ١٥٠.٠٠٠ فرنك ووصية أخرى قدرها خمسون
ألف فرنك من أحد النقاشين وثلاثة من إحدى العذارى وقدرها
٥٠٠٠ فرنك) وهناك أيضا جمعيات لا تدخل تحت حصر قاني عددت
الجمعيات التي وقفت على اسمائها وعنواناتها وبيان أعمالها فإذا
هي ٢٤٥ جمعية بعضها له فرعان وخمسة وعشرون بل خمسة
وعشرون وبعضها خاص بطائفة من الناس أو بدين مخصوص
أو بجنسية واحدة أو بسن معين أو ببني الانسان على العموم
وفضلا عن ذلك فان الاكتابات تراعى في كل جرائدهم
لاقل حادثة مثال ذلك أني رأيت اعلانات من دار أمانة القسم
الاول من باريس تدعوفيه أهل الخير لمزيد المساعدة اليها بالتعاون
الفقراء على احتمال البرد وشدائده وتقول فيه انها أنفقت في السنة
الماضية الاعانات التي جمعتها من أرباب اليسار وقدرها ٢٠٠.٠٠٠
فرنك وأنت تعلم ان باريس تحتوى على ٢٠ قسما ولا بد انها
كلها سارية على هذا المنوال ومثال ذلك انه لما أضرب العمال في
مناجم الفحم الحجري بكارمو Carmaux عن العمل فتحت جريدة
الاترانسيبان اكتتابا اشترك فيه كثير من الناس وكنت أرى
(٢٢ - رسايل)

في أعمدها ان فلانا وفلانا وفلانا من النعلة في كذا تبرعوا
بمبلغ فرنك واحد ولكنني ما كنت أستخف بذلك مثل أولئك
الذين يحتقرون صغائر الاشياء ولا يعلمون انها أس الاجتماع
ومنبع العمران ودليلي على ذلك ان الاترانسيچان جمع من هذا
الاكتاب مبلغا يزيد على ١٨,٠٠٠ فرنك ثم ان المجلس البلدى
في باريس أرسل لهؤلاء العملة مبلغ ١٠,٠٠٠ فرنك صفقة
واحدة وقد تواردت عليهم الاعانات من جميع الجهات وهن جميع
الطوائف ولا بد أن القارئ وقف في الجرائد السياسية على تفاصيل هذه
الحادثة الهائلة التي اضطربت لها أساطين السياسة في فرنسا وشغلت
العالم بأسره فلذلك لا أرى وجهها للخوض فيها فضلا عن أن
شرحها يحتاج لوقت طويل ومثال ذلك أيضا الاعانات التي بادر
أهل فرنسا على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم بإرسالها الى الجرحى
من جنودهم في غزوة داهوماى فمن ذلك ما قرأته حينئذ في
الجرائد أن المحفل الماسونى (الزاس ولورين) قد أرسل لهم ٢٠٠
فرنك على يد وكيل وزارة المستعمرات وأرسلت لهم جمعية نساء
فرنسا وللجنود التي في التونكين ٣٧ صندوقا فيها أصناف كثيرة
من المأكولات والملبوسات وغير ذلك واقتدت بهاطوائف كثيرة في
هذا السعى الحميد ولكن جريدة الفيجارو فاقت الجميع فانها كتبت

في يوم ٧ نوفمبر تستحث أهل البر وخصوصا كهراء التجار على المساعدة في اكتاب بلنود داهوماى وقالت انها تفتحه في ثانى يوم وتقفله في اليوم الثالث وان ذلك يستوجب التجميل ولم يرد اليوم الثالث وهو ٩ نوفمبر حتى كتبت تقول «لقد أجيب نداؤنا بأكثر من جميع اماننا فقد اجتمع في مكتب الفيجارو في أقل من يومين ٢٢٠.٠٠ زجاجية من نبيذ بوردو والشامبانيا والمياه المعدنية و ٢٥٠٠ علبه من المربيات وأصناف المأكولات المحفوظة و ٢٩٥٠ قطعة من مربعات الشكولاته و ٢٣,٤٥٠ سجارة فرنكية و ٣,٠٠٠ سجارة مصرية وأكثر من ١٠,٠٠٠ صنف من الاصناف المتنوعة مثل شراب الروم والشارتروز ومثل التايوكا وغير ذلك مما سبق لنا سرده في العدد الماضى وكان مبلغ النقود التى وردت لنا ٤٣,٥٠٠ فرنك ونصف (١٧٢٠) جنيه تقريبا في يومين اثنين خلاف الاصناف الاخرى) وقد أقفلنا باب الاكتاب» ثم أوردت بيان الاصناف وأسماء المتبرعين ولا فائدة في احاطة القراء بذلك فان هذا الاقبال يغنى عن الشرح والبيان وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون - ومثل ذلك اهتمامهم بعائلات الذين ماتوا في حادثة انفجار الديناميت في شارع بوزانقان أثناء اقامتى في باريس فكان رئيس الجمهورية أول من اهتم بشأنها وقد

أرسل مندوباً من قبله ذهب الى منزل كل واحدة من الارامل
وأعطاهما اعانات من جيب رئيس الجمهورية الخصوصي وأعلمها
بانه مشارك لها في أحرانها ثم توجه الموسيولوبي رئيس الوزراء
حينئذ فزار كل واحدة منهم في مسكها وقدم لها مساعداته
شخصياً ووعدهن بان الحكومة تتكفل بالارامل وتعهدهن
بتربية اليتامى ثم جاء محافظ المدينة ووزع عليهن ٧٠٠٠ فرنك
ثم تعهدهن مرة ثانية وقدم لهن ما ورد اليه برسمهن من لجنة
مصانع الحديد في فرنسا ولجنة مناجم الفحم الحجري وقدم لهن
أيضا مبالغ جمعت في احدى الولاة وقد علمت ان متدار ما أرسلته
لجنة مناجم الفحم ٥٠٠٠ فرنك ووردت المساعدات من
جميع أنحاء فرنسا بما يضيف عنه المقام ثم تقرر ترتيب معاش
لعائلات المصابين الذين كانوا في خدمة الحكومة يكون نصفه
من ميزانية الحكومة والنصف الآخر من ميزانية مدينة باريس
وكان فيهم رجل من خدامي القومبانية (التي قصد أصحاب
الديناميت تدميرها) فلذلك تقرر صرف المعاش لارملته وأولاده
باحساب النصف على الحكومة والنصف الآخر على القومبانية
المذكورة وهي قومبانية معادن الفحم الحجري في كارمو -
وخلاصة القول ان تفتنهم في وسائل الاعانة واقبالهم عليها أمر

يستغرق شرحه مجلدات ضافية الذبول يدل على ذلك ما قدره
أهل المعرفة من ان مبلغ الاعانات التي يبذلها أفراد الناس في
باريس على حدتهم يزيد على ٢٥ مليوناً من الفرنكات في كل
سنة (انظر جريدة الطان عدد ١١٥٤٨ من هذه السنة) ومع
كل هذا الاجتهاد فلا يزال بعض الناس يموتون فيها جوعاً وان
كانت النسبة أقل بكثير مما في لوندرة فقد رأيت في العدد
٣٧٥٠ من جريدة الغولوا جملة طويلة على الفاقة والخلو من
العمل في باريس اقتطف منها بعض شذرات جديرة بالاعتبار

قالت انه بحسب البيانات الرسمية والاستعلامات المؤكدة
التي استحصلت عليها يتضح أن عدد العملة الذين منعتم شدة
الشتاء ووقوف حركة الأشغال من كسب القوت يقرب من
خمين ألفاً وان طلبات الاعانة قد تواردت على مكاتب الاحسان
العام بمقادير جسيمة تزيد من المعتاد وان هذه المكاتب قد ساعدت
المساعدة نحو ٩٢ أو ٩٣ ألفاً من المحتاجين وانها تقوم بمعالجة
نحو ٩٠ ألف مريض و ١٩ ألف والدة في منازلهم وان عدد
الملهوفين بحسب التعديل المتوسط سيزيد في هذا العام زيادة
تذكر - أما الملاجئ الليلية التي يلوذ بها الفقراء عديمو السكن
فقد بلغ عدد الوارد على أحدها في كل يوم بالتوسط ٢٠٠

رجل مع انه لا يسع الا ١٥٠ وكان عدد النساء أكثر بكثير مما
قدر لهن فان الوارد منهن في اليوم الواحد بالمتوسط نحو ٥٠ مع
انه لا يسع الا ١٥ وان استمر الشتاء على شدته وكبله كما هو
المنظور يزداد عدد دهن أكثر من ذلك وقد بلغ عدد النساء
والاطفال الذين لجؤا اليه في العام الماضي ٣,٦١٧ مضوا
به ٩٦٥٧ ليلة وفي جملتهن الخدامات والمعلمات والابكار
والارامل وامثالهن وغير ذلك والمقرر في هذا الملجأ اعطاء
الرجال كسرة من الخبز في الليل وورقة للخباز لاخذ رغيف
وقليل من المرق بالنهار وأما النساء فلهن الخبز والمرق في نفس
الملجأ نعم ان هذه الكسرة وهذا القليل من المرق أمر زهيد جدا
لا يعتد به ولكنه في الجملة تصل قيمته الى ٢٥ ألف فرنك هذا
فضلا عن كون بعض معامل الصناعة في باريس تعهد بتقديم
٥٠٠٠ كيلو من الخبز في كل شتاء الى هذا الملجأ احتسابا لوجه
الله تعالى ومعاونة له على أعماله الخيرية وهذا الملجأ يوزع على
أضيافه في كل عام من ٢٠ الى ٢٤ ألف كسرة وقيص
وجوراب وصنادير وفتان وحذاء وغير ذلك واني لأرى بعد
ذلك كله حاجة للشرح والبيان بل أجد الله على حالة بلادنا
وأهلها

التيارات والملاهي والمنزهات

أصبح التشخيص في باريس من الكماليات الحماجية التي لاغنى لاهلها عنها حتى ان الرجل ليقصد من مصروفه الضروري لتمضية الليلة في أحد التيارات وكثيرا ماتكبد بعض العائلات نفقة باهظة جدا لقصر احدى المقصورات بواسطة الاشتراك (وخصوصا مقصورات الاوبرا) ليقال عنها ان لها مكانا معينافي هذا التياترو أو في ذلك المرحح ولذلك لايندر ان يحل موسم افتتاح التيارات الكبيرة وليس فيها محل خال للايجار والاعظم من ذلك ان الاوبرا يؤثر أما كنهه بالسمة شهور بل بالسمة الكاملة ويخيل لي ان أغلب نساء هذه العائلات انما يحضرن هذه الملاهي لعرض ملابسهن وابداعهن في زخرفتها وزركشتها ولاستجلاب العيون والعوينات نحوهن لاقصد سماع الاغاني والالخان أو شهود التشخيص والتمثيل اذ أنهن يكن غالبا في اثنا ذلك مشتغلات باصلاح الفستان وهندمة دوائره ومستديرانه وتعديل الصدر وتنميق الوشاح والمخاية بالمرابح ذات الالوان التي تأخذ بالابصار وتراهن عند ما يستقر بهن المجلس يتدنر بعد هذه الهندمات الضرورية لهن باستعمال النظارات المقربا

المكبرة المجسمة لمراقبة بعضهم بعضا واستيقاف رائد الطرف نحو
التي تجلت في جبابب الطرف وفاقت بحسن الشكل وبرعت
بجمال المنظر ثم يرسن اللحاظ الفاترة في بعض الفترات لرؤية
الرجال وهم يرمقونهم على الدوام حتى اذا جاءت نساء التشخيص
التفت هؤلاء اليه واقبل اولئك على شؤون الاولى من اصلاح
الملابس والاتقان في التبرج والاغراب في الهرجة مع توالي النظر
في المرايا أو المسامرة مع بعضهم ومبادلة أفكارهن فيما يتعلق
بهن.

تلك يا صاح حالة التيارات على العموم والاورا على الخصوص
وصفتها كما رأيتها - قمتديا بعمر وبن العاص ذلك الصحابي الجليل
الذي مع قرب عهده بالبداوة لم يتحاش من قول الحق في رسالته
المشهورة التي بعث بها الى امام المسلمين وأمير المؤمنين الخليفة
عرب بن الخطاب رضى الله عنهما وأرضاهما حيث قال في عرض
وصنه لمصر وأهلها (ونساؤنا طرب) ولم يؤاخذ الخليفة الراشد
المشهور بالصرامة والجد والصلابة في الحق الى آخر حد

وقد اقتديت أيضا بطارق بن زياد فاتح الاندلس فانه قد
وصف نساءها حينما خطب في قومه يحرضهم على قتال رذريق
ملك الاندلس وأطنب في ذكر محاسنهن وجمالهن وغير ذلك مما

تراه في خطبته التي أوردها صاحب نفع الطيب وجميع مؤرخي
الاندلس وقد ترجت الى أغلب اللغات الافرنجية

وقد بنحوت أيضا نحو ذلك الرحلة المشهور بابن جبيرة فانه
وصف نساء الافرنج في صقلية وصفا مدققا كما يعلمه من له اطلاع
على كتابه المطبوع المتداول وذلك لان وظيفة السائح تقرير الحقائق
كما هي وذكر الوقائع كما حدثت

وفي أول ليلة توجهت الى الاوبرا ورأيت مقصورات الطرف
في متناصيرهن كأنهم من كواكب السماء قد انتشرت أو أزهار
البهاء قد انتشرت حدثني المنس بان أصعد بعد تشخيص الفصل
الاول الى بهو الاستراحة البهيج للاسترق السمع ولكن لأسترق
البصر فرأيتن كاهن يصدق عليهن قول كعب بن زهير في قصيدته
التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

هيفاء مقبلة بمجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول

ومعلوم ان خاتم الانبياء الذي بعث لتميم مكارم الاخلاق
أعجب بهذه القصيدة اعجابا لا مزيد عليه ولم يعب على قائلها وجود
مثل هذا البيت فيها بل نظر الى مجموعها وما اشتملت عليه من
الحكم الباهرات حتى انه لم يكتف بحقن دم الشاعر بعد أن كان

أهدره بل خلع عليه بردته الشريفة ولا عجب اذا حق للغريب،
المتاصص في هذه الحال أن ينشد قول من قال

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * انابك يوما أنعبت المناظر
رأيت الذي لا كلة أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والذي جرأني على الاتيان بهذا الوصف القليل هو ماجريت
عليه من الاحاطة ببعض أحوال باريس وان لكل مقام مقالا
فان من أراد أن يلم بشئ على التيارات في هذه البلاد لا يجوز
له أن يضرب صفحا عن ذكر النساء فيها لانهن حياتها وروحها
ولولاهن لما كان لها ذكر ولا قامت لها قائمة بل ان الرجل
ليعتبر نفسه من أسعد السعداء اذا أصبح ورأى في الجرائد ان
زوجته أو أخته أو ابنته أو من تنسب اليه هي التي كانت محط
الانظار ومحل الإعجاب والاستحسان فهذه هي عاداتهم وهذه هي
أخلاقهم يشاركون فيها عامة الاور وباوين تقريرا ولم أر مندوحة
عن الامناع اليها

أما التيارات في حد نفسها فاهمها الاوبرا وقد كان الاحتفال
بافتتاحه في ١٧ يناير سنة ١٨٧٥ بعد أن استمرت العمارة فيه
مدة ١٥ سنة وبلغت نفقته ٦٥ مليوناً من الفرنكات
وبه والمتفرجين يسع ٣٢٠٠ شخص أما ما فيه من المباني

الجسيمة الفاخرة والرسوم الباهية الباهرة والصور الجميلة الجميلة
والتماثيل المتقنة المحكمة والنقوش المزخرفة والسلاالم والقباب
والثريات وغير ذلك من الامتعة الغالية العالية فذلك بمقدار مبلغ
النفقات وفي ذلك ما يغنى عن الافاضة

وينجى بعده التياترو الفرنساوى أو الكوميديا الفرنساوية
وقد كان تشييده في سنة ١٧٨٢ ويحتوى على كثير من آثار
الفنون المستظرفة ويعتبره الفرنساوية فخرا قائما لهم وان
الروايات التي تشخص به مسبوكة في أحسن قالب وأكل ذوق
ولكن الرواية التي شهدتها لا تشهد بذلك وان كان مؤلفها من
أكبر أكارهم وهو ابن الكساندر دومارو من أعضاء الاكاديمية
الفرنساوية فانها عبارة عن امرأة تحققت خيانة زوجها لها
فاستعملت كل الوسائل في ارجاعه عن جهله ولم تنجح فاضطرت
ذات ليلة لاقتناء أثره في البالوش في المواخير وقلدته في جميع
أعماله ثم أخبرته بذلك بتفصيل وتدقيق أثبتت له حضورها في
المكان الذي كان فيه متخذة لها صاحبها حينما اتفق من الشبان
الى غير ذلك مما لا يساعدنى القلم على كتابته وان كانت في آخر
الامر أثبتت براءتها بقولها عن الشاب المذكور (لقد كذب) فانها
طلبت من زوجها أن يستعلم منه بطريقة خفية فأخبره بما يؤكده

الظن والريية وانى أدع الآن تفصيل أفكارى فى هذا الموضوع الى
الرحلة وانما أقول ان أغلب الروايات التى تشخص فى فرنسا بل وفى
أوروبا يكاد يكون الغرض منها تعليم النساء الخيل والمكايد مع انهن
بنات مجدها وماقيم البراهين على ذلك بتلخيص بعض الروايات التى
يزدحم عليها القوم ولا ازدحام الجباع على التصاع

وكذلك أقول عن جميع التيارات التى زرتها ما عدا الاو برا
فى قليل من الاحيان وتيارو الشانليه غالباً فانه مخصص للقطع
التاريخية ومما يستحق الذكر فى هذا التيارو الاخير أن عدد
الرافعات فيه يبلغ ٢٠٠ عدا المشخصات والمشخصين

واعلم أنه يوجد فى بعض التيارات نظارات موضوعة فى ظهور
الكرايسى بكيفية ميكانيكية لطيفة بحيث ان غطاها ينفتح بمجرد
وضع نصف فرنك فى فتحة فيها وبعد تمام التشخيص يعيدها
المتفرج لمكانها

ومن أغرب ما يتعلق بالتيارات تلك الآلة الكهربائيه المسماة
بالتياروفون (أى سماعة التيارو) وبيان ذلك أن لاغلب الجرائد
المهمة قاعات فسيحة يسمونها قاعة التاخرافات ولكنها أشبه
شىء بمعرض للصور والرسوم وبعض المصنوعات الدقيقه اللطيفة
وغير ذلك من مستظرف الآلات ومستحدث البدع فتوجهت

إلى كثير منها ورأيت فيها شياً شبيهاً بالتلفون وفيه فوهة مخصوصة يضع الإنسان فيها نصف فرنك أو فرنكاً بحسب المدة التي يريدتها ثم يضع السماعات على أذنيه فيسمع التشخيص بغاية الوضاحة كأنه حاضر في أنحس محل بالسياترو ويسمع الغناء بصوت صريح ويقف على جميع الأقوال التي يتبادلها المشخصون أثناء التمثيل مما قد لا يسمعه إذا كان جالساً في الصف الخامس من المتفرجين ولكن هذه الآلة لا يمكن المستمع بها من سماع التصفيق أو الموسيقى أو غير ذلك مما لا يتعلق بالتشخيص مباشرة لأنها مدبرة بحيث تنقل كل صوت يقع في نفس المرحح الذي يقف عليه المشخصون دون سواه وقد حضرت به هذه الكيفية قطعاً كثيرة من بعض الروايات التي أعرفها إذ كنت كل ليلة أتوجه إلى قاعة التفرغات في جريدة غير قاعة جريدة الامس

أما قهاوى المغاني وأما كن الرقص وما يشابهها مما يدخل في هذا الموضوع فهي أكثر من أن يتصورها الإنسان وكلها في كل ليلة تكون غاصة بالجماهير المجهرة والعوالم المتقاطرة أما المنتزهات والمسابقات على الخيول والعربات والاقدام والعجيلات المنردة والثنائيه والثلاثية (السيكات والبيسكل والتريسكل) وقبقات الزحلقة على الثلج الطبيعي والصناعي والسباحة

والملاحة والصيد والقنص والرماية ومراتى العالم (صندوق الدنيا
أو البانوراما) فقد تفننوا وتمنقوا فيها الى درجة قاصية حتى ان
جراندهم تخصص لذلك كله أعمدت طويلا في كل يوم بل ان لكل نوع
منها جريدة أو أكثر خاصة به ومنتدى (كلوب) يجمع أهله - وكثيرا
ما تكون مسابقاتهم على الاقدام أو العجلات المفردة من مدينة
الى مدينة أخرى بعيدتين عن بعضهما بمسافات كبيرة وقد
يشاركهم كثير من النساء في هذه المسابقات ويفزن في غالب
الاحوال بقصبة السبق في هذه المضامير المتنوعة المتعددة

ومن شدة غرامهم بالرحلقة على الثلج أحدثوا في الصيف الماضي
قبل رجوعى الى باريس بقليل مكانا سموه (القطب الشمالى) وأحضروا
له من آلات التبريد والتثلج (مثل الآلات المعروفة في مصر
المعدة لاصطناع الثلج) ما فيه الكفاية لتجميد الماء وإيجاد الثلج
الصناعى بكية وافرة وحجم سميك يمكن المولعين بهذا النوع من
الرياضة من قضاء ما آربهم في غير فصل الشتاء وقد نال هذا المحل
اقبالا عظيما جدا مع ارتفاع أثمان الدخول وتأجير القبقاب
وتناول المشروبات وغير ذلك وهذا أكبر دليل على أن القوم
لم يقدروا على كتمان اشتياقهم لهذه المسابقة الى أن يحل أوانها
حتى اننى لم أربدا من زيارته في بعض الليالى حبا للاستطلاع

والوقوف على حركته وكيفية ادارته فتوجهت أولا الى الحمام
التركي (وهو على طرز الحمامات العمومية في مصر لا يفترق عنها
الابسطرط نظافته ووجود المرشات الباردة وبرك السباحة وكال
المعدات) وقد رأيت في مجلة المكبسين الافرنج الذين به رجلا من
الاسم كندر بين اسمه حسن قد فارق ديار مصر مع عائلة
أمريكانية منذ ١٨ سنة ثم انفصل من هذه العائلة واستقر في
باريس يكسب قوته بكده وسعيه وبعد الحمام انتقلت الى القطب
الشمالي فاذا هو مكان فسيح جدا فيه محاور ورسوم تصور هيئة
القطب الشمالي وثلوجه ونباتاته وسحبه وكواكبه وغير ذلك ورأيت
الآلات وكيفية ادارتها ووقفت على سير هذه المصلحة المستجدة
بالتفصيل وعرفت أسرارها مما سأخلاه بالبيان الشافي في الرحلة
ان شاء الله وقد هزني الشوق الى مجاراتهم ووطء الثلج بتلك
الاقدام المصرية التي لم يتح لها قط فرصة مثل هذه في وادي
النيل السعيد فاتخذت أستاذنا يسندني وكنت أحس بالبرد في
أقدامي والنجس في نفسي من رؤية الغلمان والفتيان والبنات
والعداري يتسابقون كالريح الهبوب ويرقصون على هذه المرأة
الصقيلة رقصا موزونا مع نغمات الموسيقى وإيقاعاتها ومنهم من كان
يرسم دوائر كبيرة ثم صغيرة فأصغر وهكذا حتى يصل الى نقطة المركز

وهم من كان يقع على قطبه الجنوبي في هذا
القطب الشمالي وأنا في خلال ذلك أنقل رجلاً بعد أن
أتحقق من ثبات الأخرى مع التوثق من استنادى على أستاذى
كأننى طفل قد ابتدأ فى التخطى أوفيل جسيم يسير بكن تودة على
حافة هاوية عميقة أو على شفاجر ف هار وفي أثناء ذلك أخبرنى
الأستاذ بان جماعة من الأفرنج عزموا على إيجاد محل نظير القطب
الشمالى فى مصر القاهرة بدلا من المكان المصفع بالقار والاسفلت
المعروف باسم (كيروسكيتنج رنك) فقلت فى نفسى لقد صدق من
قال ان هؤلاء القوم لا يمتنع عليهم شئ من مستصعبات الطبيعة
(لان عقولهم فى كهم)

١٢

المائيل والميادين والرهبات المربعة (الاسكوير)
والارصة والمعاطر

تحت مدينة باريس مثل أكثر المدائن الأورباوية تمائيل
كثيرة لأعظم رجالها ولأ ذكر الآن ما فى داخل القصور والنظارات
والمصالح العمومية الاميرية وديار البلدية والمتاحف وغرف الجمعيات
العلمية والصناعية والتجارية وغير ذلك من دور العامة والخاصة
وانما أذكر ما رأيت فى بعض الشوارع والميادين فن ذلك تمثال
الجمهورية وتحت أقدامها غصن فرىحمى كأس الانتخابات العمومية

وعلى قاعدة التمثال رسوم بارزة تمثل أهم أعمال الجمهورية الاولى والثانية والثالثة في فرنسا وتماثيل الحرية والمساواة والاخاء وارتفاع هذا الأثر ٢١ متراً ثم تمثال الملك هنري الرابع وتاريخه مشهور خصوصاً في توطئه للامة وتقر به من الاهالي حتى انه حينما كان غائباً عن باريس وتردد عليه أهلها ورفعوا لواء العصيان لبعض أمور دينية رجع اليهم وحاصرهم وضيق عليهم الحصار ولما علم بشدة الضنك الذي صاروا اليه أخذ يرسل اليهم الخبز من فوق الاسوار مع استمراره على الحصار وكان يقول اني لا أريد أن أملكهم بالجوع فذلك مما تأباه الشهامة والفروسية (١) ثم تمثال

(١) الابغ من ذلك في الشهامة والكرامة توالد وعاء الاسانية بما سبق اليه العرب أهل الخوة والتجد قبل هذا الملك الفرنساوي بسنين وتروى فتدروى ثقات المؤرخين عن قبليتي الاوس والمخزرج (الانصار فيما بعد) وهم أعرالما من أنفس وأسرهم همما لم يؤدوا اناؤة عظ الى أحد من الملوك أن تمعالا كبر المعروف باني كرب كما هم يستدعيهم الى طاءه ويرعدهم ان لم يفعلوا أن عزوهم فكتبوا اليه

المبدتبعكم يريدقتانا

انا ناس لا يمام بأضنا * عض الرسول بطراً المرسل

فغزاهم أبو كرب فكانوا يحارون به بالهار ويقرونه بالليل فقال أبو كرب ما رأيت قوماً كرم من هؤلاء يحاروننا بالهار ويخرجون انما العشاء بالليل ارتحلوا عنهم (انظر صحيفة ٥٥ من الجزء الثاني من العقدانقر يدلان عدد به طبعة نوناق

سنة ١٢٩٣

وأبلغ من هذا وذلك ما وقع من رجل وحده الكتيبة تحار به فقد جا في الانباء

الجمهورية أمام قصر جمعية المعارف وتمثال الفتاة جان دارك المشهورة
بإخراج الانكليز من فرنسا وتمثال لويز الرابع عشر ملك فرنسا
المشهور وتمثالين لقواتير وتمثال لكود برنار و آخر لدانتى الشاعر
الطاباينى المخلد الذكر ولوين بلان الكاتب الطائر الهيت خصوصا
بتوار يخه على ثورات فرنسا وشارلمان الملك وديدروين أكبر
فلاسفتهم ورأس المؤلفين للوهومات الفرنسية وبيرانجية صاحب
التلاحين والاتحافى التى يكاد يحفظها كل فرد منهم والكساندر
دوماس صاحب الروايات العديدة المترجم بعضها الى اللغة العربية
وجان جاك روسو ذلك الفيلسوف العظيم الذى كان له يدطولى فى

الصادقة ان تبع الاخير وهو أوكرب بن حسان أسعد الحميرى خرج من اليمن يريد
المشرق كما كانت النباغة فعل فر بالمدينة وحلف بها اناله ثم ذهب الى الشام
واعراق وهماث باعه فقتل ابيه عيلة بالمدينة ففكر راجعا وقد أقسم بحراب المدينة
وقطع نخلهما واستئصال أهلها وبى الدرية ثم أرسل الى أشرف المدينة وفيهم
أخيه من الجلاح (والأخيه فى الامة العيط وحرز العلم والجلاح السيل الجراف) فلما
تدائل الجماعة مع الملك لم يفتن أحد منهم لما صدده السيئة منهم سوى أخيه
فذهب وتحصن فى حصن له وأرسل الملك بالليل فقتل الزوم كلهم ووجد كتبيته من
خيله اطلبه فحاصر و ثلاثا كان بان لهم يرميهم بالنبل والمخار سهارا ويرميهم بالمر
ليلا فلما مضت الثلاث رجعوا الى تبع فتالوا له تبعنا الى رجل يقاتلنا بالنهار ويضيفنا
بالليل فتركهم وأمرهم أن يجرقوا نخله

(انظر حديث الرجل فى صحيفة ١١٩ من الجزء الثالث عشر من كتاب الاعانى
المطبوع فى بولاق سنة ١٢٨٥ وفى صحيفة ٢٣ من الجزء الثانى من خزانه
الادب للبغدادى المطبوعه فى بولاق سنة ١٢٩٩

تثقيف عقول الأمة وتنوير الأذهان وشا كسبير شاعر الانكليز
وفيلسوفهم صاحب رواية كياو بطرة ملكة مصر وقد بلغ فيها نهاية
الاجادة ولايمرتين ذلك الشاعر المفلق والكاتب المجيد وكثيرا
ما كتب على المشرق ومصر والدولة العلية خصوصا كتابات تسحر
العقول وتخلب الالباب وقد تولى رئاسة الجمهورية وتمثال دانتون
المشهور الذي حرك ساكن الوطنية في قلوب قومه بخطبه الرنانة
ومقالاته الماثورة ومن أهم كلماته قوله (لكي تهرعدو الوطن
يلزمنا الاقدام ثم الاقدام وعلى الدوام الاستدام) وهي بلغتهم في
نهايات الفصاحة مع بساطة الشكل كالسهل الممتنع عندنا
وتمثال الاب دولوي (ذى الحسام) وهو أول من عني بتعليم
الحرس وقد سبق لنا ذكره ثم تمثال الرياننى المحقق والطبيعى
المدقق العلامة پاسكال وقد أشرنا اليه فيما سبق وهناك تمثيل
كثيرة لعظماهم يضيق عن سردها المقام والذي يستحق
التخصيص الآن هو تمثال رجل كان جاو يشا فى غزوة التونكين
واسمه الجاويش بويلاو وايس فى فرنسا كلها تمثال لصف ضابط
سواه وسبب عناية القوم به لهذه الدرجة واكتتابهم فى جميع
أطراف فرنسا لجمع المال اللازم لتشييد هذا الاثر أن الجنود
الفرنساوية حاصرههم أهل التونكين فى غابة كثيفة وأوشكوا

على إبادتهم عن آخرهم لولا وجود هذا الرجل فإنه تعرض لهم
وفدى قومه بنفسه إذ شاغل التونسيين بثبات جاش وجراة
حتى تيسر لقومه وجود مخرج من هذه الورطة وقد قتل الرجل
في هذه الواقعة بعد أن أبلى في أعدائه بلاء حسنا وبهذه المناسبة
أذكر ما رأيته في تورينو والشئ بالشئ يذكر رأيت في أحسن
ميادينها تمثال رجل من افراد العساكر (نفر) لم يحرز أدنى رتبة
فتعجبت من هذه المغاوة به واستفهمت عن السبب فقيل لي انه
أنقذ المدينة بأسرها من أعدائها وفدى بلاده بنفسه وذلك أنه لما
كانت الحرب بين النمساويين واليطاليين اتفق أن أهل أوستريا
فازوا على أهل تورينو وألزموا جنودهم الفرار واحتلوا قلعتهم فلما
ينتقم هذا الجندي من أعدائه ويأخذ بثار وطنه اختبأ في
مخزن البارود (الجحانة) ثم أوقع فيه النار فطارت القلعة بمن
فيها وهلك هو وجميع الجنود النمساويين وقد كانوا اعتمدوا بها
وكان الرجل أول من مات ولكنه أنقذ حياة بني وطنه أجمعين

أما الميادين في باريس فكلها في غاية الجمال ونهاية النظافة
تحف بها المباني الخطيرة والقصور الجسيمة ويبلغ عددها نحو
الستين ولكني بالمقابلة وحفظ النسبة أقول ان الميادين العمومية
في فلورنسة أكثر منها في باريس وقد رأيت أيضا كثيرا من

الزهريات المربعة (واسمها بالافرنجية سكوير لفظ انكليزي لانها من خصوصيات المدائن الانكليزية) ولها في مصر نظائر مثل التي في رحبة عابدين والعتبة الخضراء وميدان الاوبرا وغير ذلك وكلها مزودة بالتماثيل والفساقى والازهار والشجيرات الغريبة والاعشاب النضيرة وهي محط العناية التامة من ديوان البلدية لانها تساعد مثل الميادين على اصلاح الهواء وترويح النفوس وعددها ٢٥ زهرية

أما الارصفة والقناطر التي على نهر السين فهي من أهم المنتزهات وجميع الارصفة مبنية بحجر الدستور ولها برازيق ودرابزونات عليها كثير من صنابير الخشب هي مخازن لماءى الكتب القديمة ومتسوقى كتب (اللاقطه) ولقد استغرقت منى هذه الارصفة ساعات طويلة فى أغلب أيامى واشترت منها كتباً كثيرة باثمان زهيدة وعدد الارصفة ٣٦ وأغلبها عليه أشجار ظليلة وأما القناطر فعدتها ٢٨ ومنها ما هو مبنى بالحجر ومنها ما هو مركب من الحديد وعلى بعضها تماثيل فوق سطحها أو على أساطينها ومن المعلوم ان نهر السين يخرق باريس كهيئة قوس يبلغ طوله ١٢,٠٠٠ متر إلا قليلا فتسكون المسافة المتوسطة بين كل قنطرة والثانية نحو ٤٦٧ متر تقريبا وأحسن وقت لرؤية هذه القناطر

هو الليل اذ تكون مضاءة هي والارض صفة بالمصابيح المختلفة
الالوان وترسل النور على صفحات النهر فتكون كذهب الاصيل
على بحين الماء

١٣

المطبعة الاهلية من فراسا و نزل الرهونات

لا يمكن زيارة هذه المطبعة الا في يوم الخميس الساعة ٦ بعد
الظهر بالضبط بعد الاستحمام على تذكرة خصوصية من المدير
و اذا حضر الزائر بعد الميعات المحدد لا يجوز له الدخول وقد طفتها
ورأيت أعمالها الجسيمة وعمالها العبيدين الذين يزيدون على
٢٠٠ ذكورا وانا انا يقومون بكافة ما تستلزمه صناعات الكتب
من سبك الحروف الى تجليد الكتب ونقش الفوتوغرافيه والرسوم
على الاجار وفي المطبعة ٢٨٨ نوع من الحروف منها ١٥٣
خاصة باللغات الاجنبية وبواسطتها يتيسر لها طبع كتب بثمانية
وخمسين لسانا شرقيا وقد ظهر فيها من الكتب والرسائل العربية
أصلا وترجمة ما يكاد يكون مجهولا في بلادنا وفي قنائها شمال
لجوتنبرج مخترع الطبع

أما بنك فرنسا فيكاد يضارع مثيله في انكلترا ولقراطيسه
ثقة عامة في جميع أنحاء المسكونة وقد تزيد قيمتها في بلاد كنسيرة

من أوروبا وأمريكا ومن أهم ما يستوقف الانتظار به هو الذهب وهو عبارة عن قاعة طويلة مزخرفة بنقوش مذهبة وأخشاب مصنوعة باتقان واجادة وقد كانت بانقصر الذي هو فيه الآن أيام كان سكا لبعض أفراد العائلة الملكية فابقاها لبنك على حالها بل أجري فيها ترميمات تزيد نفقتها عن المليونين من الفرنكات وهي معدة لاجتماع المساهمين في بعض أيام من السنة فقط أما بنك الرهونات فتعريب اسمه الفرنسي هو (جبل التقوى) وله فروع ونظائر في جميع أقطار الارض وفي اسمه العربي دلالة كافية على ما يماطاه من الاعمال وفي كل سنة يباشر جردا عموميا على الامتعة والجوهر والسندات والقراطيس المالية المرهونة فيه منذ سنوات عديدة وفي هذه السنة حصت هذه العملية المهمة ومن جملة الغرائب التي تدون في قاعة الجرد ستارة مضى عليها فيه اثنتان وعشرون سنة وصاحبها يجدد الرهن في كل سنة وهذا الامر ليس في شئ من الغرابة بجانب مطرية مرهونة فيه منذ سنة ١٨٤٩ على مبلغ ٦ فرنكات وقد أربت فوائد هذا المبلغ على ثلاثين فرنكا فتأمل

الاسواق والمطاعم ومرض الصناعة
والرعاية ونحو ذلك

أسواق المؤنة المركزية في هذه المدينة تشغل مسطعا من
الارض قدره ٧٠٠٠٠ متر مربع وقد كان وضع أول حجر منها
في سنة ١٨٥١ وهي عبارة عن كشكات من الحديد ليس الا
يعلوها سطح من التوتيا وتحتها سراديب فيها مخازن وسكة حديدية
ستصل عما قليل بسكة حزام العاصمة وفي كل كشك ٥٢٠ دكان
وعدد الكشكات الموجودة الآن ١٠ وقد قدروا نفقات هذا
العمل الجسيم بستين مليوناً من الفرنكات واستخدموا
الكهرباء في اضاءتها بالليل منذ سنة ١٨٩١ ويوجد في
جميع أقسام باريس أسواق مؤنة ثانوية منظمة على نسق
الاسواق المركزية وأحسن وقت لزيارتها ورؤية حركتها هو وقت
التمون أى في بكرة النهار قبل طلوع الشمس وضمف الى ذلك
أسواق الأزهار وهي تزيد على الخمسة وأسواق الاطيار وسوق
الكلاب وسوق الخلود وسوق الخيول وسوق العلف وسوق البهائم
(وله اتصال بالمذابح) وسوق التميل (الهيكل) وهو في يد قوم بانيسة
ومسطحه ١٤١١٠ متر وفيه ٢٤٠٠ دكان تباع فيها جميع
الاصناف

أما المطاعم المعروفة باللوكندات فهي كثيرة جدا ومنها

ما يكون الاكل فيه بثمن محدود أو بحسب قيمة كل صنف على حدته ومنها ما قد تباع الغدوة والعشوة فيه ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة فرنك ومنها ما لا تتجاوز الاكلة فيه ثلاث فرنكات أو اثنين بل أقل من ذلك وأغلبها مزخرفة مضادة بالكهرباء وفي كثير منها خلايات بمنعزلة خصوصية ومنها ما هو مخصص لصنف واحد من المأكولات وبعضها يكون مفتوحا طول الليل وغير ذلك وأغلب القهاوى ومشارب الجمعة (البيرايات) والحارات تقدم الزاد لمن أراد والذي ينبغي ذكره بنوع التخصيص في هذا الباب هو مطاعم دو قال فقد بلغنى أن هذا الرجل كان قصابا (جزارا) ثم كانت تتأخر عنده اللحوم فيبيدها بأجنس الاثمان أو لا يجد لتصرفها من سبيل فخطر على باله أن يتخذ مطعما يشوى فيه هذه اللحوم ويبيدها بثمن بخس لئلا يكين فشرع في العمل وأقبل عليه الدهر فتموسع في هذا الموضوع حتى صارت مطاعمه مقصودة من العامة والخاصة يتقاطر عليها الاكابر والاصاغر وذلك لبخس الاثمان وزيادة العناية وجودة المأكولات مع زخرفة الاماكن وازديادها بالكهرباء وادارة هذه المطاعم الآن في يد قوم بانية من المساهمين وقد بلغ عددها في أول يناير سنة ١٨٩٢ ٢٦ خلاف فندقين كبيرين وخلاف المخازن العمومية ومعمل الفطير والمغسل ومخازن الانبذة وعددها أربعة منها واحد في بورديو وخلاف دكاكين الجزائر في ثلاثة شوارع واذا توجه

الانسان الى مطعم من هذه المطاعم في وقت الظهر أو بعد المغرب
وأى منظرا غريبا اذ يرى كئائب الخائمين مسرعين مهرولين
وجيوش الآكسين متشدقين ماضغين بالعين مع المواظبة على
الشرب الحلال والحرام والداخين أكثر من الخارجين ويكون
المكان بهذه الخلائق المتموجة أشبهه بأحد شوارع لوندرة وعلى
ذكر لوندرة أقول اننى أتعجب كل العجب من عدم مجي هذه الفكرة
لرجل من أبناء بريطانيا العظمى فانها أشبهه بما صنعه كوك
وهو يتلى وغيرهما والاغرب من ذلك أنه لم يقم لادن رجل من الانكليز
بعمل يضارع هذه المطاعم فى «موسوعات الدنيا» بل قد نسجت
قومبانية باريسية أخرى على منوال دوغال وأنشأت أربعة مطاعم
وقد فاقتهوه ومطعم فى أهم شوارع باريس ودرو بها وهى وان
كانت فى درجة من الرفاهية وحسن الحال لكنها لانضاهى نجاح
مطاعم دوغال - والعادة فى هذا النوع من المطاعم أن يعطى
للانسان عند دخوله قائمة مطبوعة فيها الاثمان فقط ومتى طلب
صنفا أشر الخاتم أمام الثمن المقرر له حتى اذا فرغ الاكل توجه
بهذه القائمة الى أمين الصندوق ونقده المطلوب ثم ردها عند
الخروج للعامل الذى أعطاهاله عند الدخول

أما معارض الصناعة فلها فيما أرى غايتان أولاهما تنشيط

الإصناع ووجههم على التفنن والاختراع وثانيتها تعريف الأهل بما
ينجم عن ذلك من الفائدة والاقتصاد والحصول على أمور قد تطلبها
النفس من غير أن يقدر اللسان على التعبير عنها لعدم سابقة
العلم بها ولذلك أنشأت مدينة باريس كشكا على حافة نهر السين
يعرف بانها وتأتى الجمعيات الحرفية والطوائف الصناعية لعرض
مصنوعاتها فيه والمباراة لحيازة شهادات الشرف ووسامات الافتخار
من أعضاء مجلس المحلنين الخبيرين المعينين لكل نوع - واتفق
انه في أثناء وجودى بباريس كان الدور لمتعاطى صناعة لحم
الخنزير فتوجهت الى الكشك حبا للاستطلاع ورأيت فيه
الموسيقى العسكرية تصدح بألحانها المطربة وأعمال الصناع
معروضة على الأنظار بتائق وتجميل بحيث كانت تستوجب إعجاب
القوم وتستدعى شهيتهم فينظرون اليها نظرا متواليا ويبلعون
ريقهم ثم يقصدون الحانات فيتعاطون المشروبات فكأنهم
حينما أطربتهم نغمات الموسيقى تصوروا أنهم أكلوا من هذا
الصنف المستطاب لهم ورأوا من الواجب اتمام القصف بمعاقرة
بنت الكرم وسأتلهم فيما بعد على هذا المعرض بتفصيل يشفى
الغليل - ثم جاء الدور للطعانيين فافتتح مؤتمرهم باحتفال عظيم
كان رئيسه وزير التجارة ومعه كثير من كبار الموظفين فى نظارته

ورئيس جمعية الطحانين بفرنسا - ثم معرض جمعية المشتغلين
بتربية الازهار ثم معرض دولى للاطيار ثم غير ذلك من المعارض
التي لايسعنى سردعا الا آن وكلها تتجدد فى كل عام مع زيادة فى
التفنن والاغراب - وكل واحد من هذه المعارض يتبدئ
باحفالات باهرة وينتهى بولائم فاخرة

١٥

صواحي باريس

لا تخلو عاصمة من ضواح يقصدها أهل الثروة وطالبوا النزهة
لترويح النفس من ضوضاء المدائن الكبيرة ولكنى لم أزر من
ضواحي باريس سوى فنسن وفرساوى فأما مدينة فنسن (وسكانها
٢٢٢,٢٧٨) فما تستحق الذكر لولا الغابة الجميلة التي بها والقلعة
المهمة المنبوعة المعروفة باسمها وقد زرت هذه القلعة بتصريح
خصوصى ورأيت غرف التعذيب وآلات العذاب والمكان الشاهق
الذى هرب منه الدوك دوفور وقناة السين التي كانت ترمى بها
جثة المعذب بعد أن يسقى كأس الحمام وغرفة سجن بها أحد
القساوسة ٧ سنوات وأخرى اعتقل فيها أحد الكرادلة ٧
شهور ولكن ذلك كله أصبح أثرا بعد عين وصار كأداة ملغاة
لا عمل لها حتى انهم سدوا فوهة البئر الموصل لقناة السين وقد

يبلغ غناظ الجناظ في أعالي هذه القلعة ثلاثة أمتار ورأيت خزان
السلاح ولكنها ليست شياً مذكورا بجانب ما رأيت في برج لوندرة
وحصن دوفر من أعمال انكلترة وأما الغابة ومنزهاتها وبحيراتها
وجزائرها وخلافيها فسأتكلم عليها في الرحلة مع اللماع بشئ الى
غابة بولونيا والبوت شومون وغير ذلك

أما قصر فرساي فقد كان مقر ملك فرنسا وهو في منتهى الجمالة
والفخامة بحيث لا يكاد يعادله شئ مما رأيت وقد حوى صور جميع
ملك فرنسا ومشاهيرها على الجدران والرخام والقباش وغير ذلك بغاية
الابداع ونهاية الاتقان ومن أراد أن يقف على تاريخ فرنسا في
سويغات قليلة فما عليه الا أن ينظر الرسوم التي ازدانت بها غرفه
فانه يرى فيها جميع وقائعها وأعمالها وكل ما يتعلق بتواريخها ومما
استوقف انظارى بنوع خصوصى صورة الشيخ السادات والسيد
البكرى والشيخ الشرفاوى وغيرهم من أكابر مصر أيام دخلها
بونابرت وقد رأيت أسرة ملك فرنسا وأثباتهم وأمتعتهم الخاصة
بشؤونهم الداخلية ورسوما تمثل الحروب الصليبية وحروب افريقية
والقرم وابطاليا وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر وأحفظ لنفسى
حق الكلام عليه وعلى الروض الانقى والفساقى البديعة وعربات

الملاك التي بقصر آخر بجواره يعرف: (الترينتون) وغير ذلك مما
يضيق عنه نطاق هذه الاوراق

١٦

اهل باريس

أف لآيباريس وألف أف فقد أعيانى فيك الوصف واضطرتني
كثرة ما فيك من المآثر والمفاخر وتعدد المشاهد والمعاهد للاطالة
في المقالة بما ربما يوجب الملالة والكلاله مع أني لم أغترف للقارئ
الاقطرة من بحرک ولم أروحه الابنفحة من زهرک ولا يزال مجال
الكتابة واسعا أما هي فسيجا بلولان أقلامي ولكنني لأرى مندوحة
عن اقفاله الآن لافتتاحه بعد القبول الى الاوطان وأختتم هذه
الرسالة بذكر كلمات عن أهلك وأخلاقهم وحركتهم ونشاطهم -م
وأفكارهم وآرائهم فقد آن لي أن أقدمهم الى بني مصر بناء على
ما حققته بالاختبار وعرفته بعد بعض المعاشرة حتى اني لأرى
وصفا يصدق عليهم أكثر مما قاله أحدولاة قرطبة في أيام الاسلام
بعد أن تحلى عن ادارتها فانه وصف أهلها بالقيام على الملوك
والنشيع على الولاة وقلة الرضا بامورهم كالجمل ان خفقت عنه
الجمل صحاح وان أثقلت به صحاح فلا يدري أين رضاه وفي ذلك
دليل على ان أفراد الانسان مهما كانت بلادهم قاصية وعاداتهم

مقبالية وطبائعهم متخالفة وأفكارهم متنوعة ومعتقداتهم متباينة
فلا تزال في أفكارهم وحدة تجمعهم وفي نفوسهم حاجات مشتركة
بينهم . . .

وأهل باريس أكثر من رأيهم من الأمم نظراً في الفرق الحاصل
بين أفراد الهيئة الاجتماعية فإنهم يرون الوضعين كثيرين والرفيعين
قليلين والواصلين إلى ذروة النعيم عددهم أقل من القليل
فيقولون لهذا الاختلاف ونحن كنا متساوون وأبناء نوع واحد
تجمعنا راية الجمهورية وقد كتبت عليها هذه الكلمات (حرية
- مساواة - إخاء) ولما انتشر التعليم فيما بينهم ونفذت
أشعته بين لنيف المتساوين الحرف الذئبة منهم تصور هؤلاء
الأفراد أنهم يعرفون أكثر مما يعلمون وصاروا لا يقبلون أنفسهم
بمن هو أعلم منهم بل ينظرون إلى من هم أحط في الدرجة فداخلهم
الاعجاب بنفوسهم حتى خيات لهم الخيلاء أنهم أهل الكلام في
كل موضوع وأن لهم الحق في الحل والعقد في جميع المسائل
على اختلاف طبقاتها وأخذوا يجاهرون باللوم والتأنيب ويقولون
إنهم لو كانت الأمور بأيديهم لكانت مساعيتهم أجد عاقبة وأعمالهم
أتم فائدة ولذلك تشعبت أفكارهم وكثرت مقالاتهم في حل المسئلة
الاجتماعية وترتب نظام الجمعية البشرية على أسلوب بني مجمع

الحاجات فيقول فريق منهم (اننا لا نطلب شيئاً ما من أحدنا ولا حاجة لنا بكائن من كان فلماذا لا يتركنا الغير نعيش ممنوعين بالحرية راتعين في مجبوحه الاستقلال . أليس من المستغربات الزامنا بدفع الضرائب والغرامات من المال الذي جمعناه بكدنا وسعينا بحجة القيام بنفقات يسهونها عمومية وهي لاتهمنا ولا تعيننا . أليس أن مانكسبه بعرق جبيننا ملك حلال لنا فلماذا يضطرننا الغير لبذله في إغناء الغير) ويقوم فريق آخر يعضده ويقول (ليت شعري هل كتب علينا التعب والنصب لاجل أن نحمل ثمة اتعابنا الى مأمور التخصص لاجناء المميزين وهم عدد قليل لعمرى انه لا حاجة لنا في أن يتحلى رئيس الشرطة وصاحب العسس باشرطة من النصب والذهب أو أن يكون لحضرة المدير عربات تجرها الجياد الصافنات) فيقوم فريق آخر ويقول (اننى لا أكثر النصب على المال فإنه لامراء أن رئيس الشرطة وصاحب العسس لا يمكنهما ان يتفرغا للزراعة والصناعة بينهما آخذان في تعقب اللصوص وقطع دابر قطاع الطريق ولذلك فإنه ينبغي لنا ان نكسوهم ومن رأيي أن شرائط النصب والذهب ليست من الزيادات والتوافل لانها تحدث الهيبة والألوم المدير على اتخاذ الجبول فإنه يجب عليه قطع المسافات الطويلة لتفقد

أحوال مديريته ولكن الذى لا يمكننى ان أتحملة وأرضى به هو أن
القوم يقدون علينا فى كل عام ويتزعون منازهرة الشبان ليدخلوهم
فى سلك الإجناد والاعوان الله أليس من أشنع الامور
وأبشع الاعمال سوق أوائك النسيان الى سوق المذبحه الذى يسمونه
بالحرب فلماذا نحارب ولماذا نضارب أليس أن الاولى ان نلبث فى
ديارنا بسلام وأمان منقطعين لحرث الارض وحمل المحصول الى
السوق ومعاملة كافة الناس بالتى هى أحسن) فيقوم فريق آخر
ويقول (نمت هذه الافكار وياجبنا هذا الرأى لو كانت الناس
كلهم عقلاء وقائمين برفع منار العدل فيما بينهم . قولوا الحق
أفلا اعتدى جاركم على قيراط من أرضكم أما تقوم القيامة . لعمرى
انكم تشرعون الاسنة وتشهرون السيف البتار وتفضى بكم الحال
الى اهراق الدماء . ألا نمت الحرفة حرفة الجندي يزود عن حياض
وطنه ويحمى أهل بلده فان ذلك من أوجب الواجبات اذ من
المنازعات ما لا يجدى فيها المكالمه بل الملاكمة ومنها ما لا ينجح فيها
المدافع الا اذا صاح بافواه المدافع) ثم تتشعب أفكار كل فريق
ويستحسن بعضهم ما يقبحه الآخر ويأتى هذا ببعض التعديل وذلك
بشئ من التبديل

ولهم مثل ذلك فيما يتعلق بالنواب عن البلاد فيقول بعضهم

(اننى لا أرى الفائدة التى تعود علينا من اختيار رجل يذهب الى مجلس النواب لينوب عنا ويستغل بمصالح البلاد وذلك لوجوه أقلها أننا نجري فى هذا الانتخاب كالعيمان الذين لا يهتمون الى الطريق فإن القوم بقولون لنا هذا الرجل يصلح وبذلك الرجل لا يصلح ونحن نجهل حقيقة الاثنين فى أغلب الاحوال وكل منهما يشنف أسماعنا بما يخرج من وطابه من مستعذب المقال ويعدنا بأنه يوصلنا الى تمام السعادة ولكن أين منا الماهر الذى يقدر على تمييز البواطن من الظواهر وتعرف الخبيث من الطيب فانى اذا توجهت الى السوق أقدر على تمييز الجيوب الجيدة والامثار الصالحة ولكننى أقول الحق اننى فى اختيار النائب لأعرف ماذا أنا صانع ولا أقدر أن أحكم عليه مثل حكى على غيره من الاشياء التى لى بها تمام الخبرة فان حضرة شيخ البلد « أمين المدينة » يوزع علينا قوائم الانتخاب ويقول لنا ان فلانا هو الحائز لكافة الاوصاف اللازمة وينبغى انتخابه فمن رأى ان يتفرد أمناء المدن بعملية الانتخاب لأن رأيهم هو الغالب وحينئذ يتم هذا الامر فى وقت قصير وفى اختصار الزمن فائدة عظيمة) فية قول فريق آخر (متى عجز الانسان لاي سبب من الاسباب عن مباشرة شؤنه بنفسه فالواجب عليه أن ينيط واحدا غيره يختاره لها فاذا لم يكن

عنده من المعلومات ما يكتفى لهذا الانتخاب يجب عليه الاسترشاد
برأى حكيم ناصح يثق بقوله ويعول على رأيه وحينئذ يكون له يد
في ادارة احوال بلاده ويدخله السرور بأن له كلمة معدودة وصوتا
معتبراً) فيقول فريق آخر (كل ذلك حسن ولكنى أرى أن أمور
البلاد وادارة شؤونها تصلح كثيرا اذا كانت في يد رجل واحد يحكمها
بحسب ما أوتى من الحكمة فإنه متى كان الحاكم واحدا كانت
مصالحته الشخصية أكبر قاض عليه في ادارة الامة على أكمل
منوال حتى يتقرب منها ويتجرب اليها ومن المقرر الذى لا يختلف
فيه اثنان غرق السفينة التى فيها ريسان وقد رأيت فى بعض
الايام عربية يجرها ستة من الافراس ارتبكت فى طريق كثير
وحله ووعته فتقدم لانقاذها كثير من الناس فكان بعضهم يدفع
العربة ذات اليمين وآخر ذات اليسار وبعضهم يشدها من الخلف
بينما نفر يجرونها من الامام ويحجى جماعة فيفوقون السياط على
الخيول وهى لاتزداد الاحزنا وتعاصيا وفى أثناء ذلك تزداد العربة
غوصا فى الوحل وارتطاما ولما رأى سائق العربة هذه الحالة
أبعد جميع هؤلاء الناصحين الغير ناصحين ورفض خيوله بجانب بعضها
ثم استوى على كرسيه وهمهم على الخيل من غير أن يرفع عليها
سوطه فعرفت صوته وجهت قواها ثم نهضت بحملها الثقيل نهضة

واحدة استخلصت العربية من الاحوال وسارت تركض بها في
أحسن حال فهكذا تكون ادارة الاعمال) فيقوم فريق آخر ويقول
(انما أفلح سائق العربية لمهارته وحسن ادارته ومعرفته بمهنته
ولان خيوله كانت قادرة على جرحها والافساح فوق طاقتها
لما قدرت أن تقوم به أبدا ولكن الرجل لو كان غير كفء لوظيفة
لاشك انه كان يعتبر نفسه سعيدا من وجود ناصحين له صادقين في
خدمته يعاونونه على الخروج من مثل هذه الورطة بسلام بل ربما كان
يشكر العناية الصمدانية اذا كانت تقيض له في مثل هذه الحال
رجلا أقدر منه على قيادة العربية وخيولها حتى يلقي اليه بالزمام
ويتعلم منه كيف تكون الادارة في المسالك الحرجة والمواقف
الوعرة ولو كانت خيوله لا قبل لها بجبر العربية فهل كان يرفض
نصيحة العقلاء الذين يشيرون عليه بتخفيف الحمل أو تهديد الطريق
امام العجلات وازالة ما يعترضها من الاجار والموانع الاخرى فلذلك
لا ينبغي الاستخفاف بالمشورة فان من انفرد برأيه زل ومن استغنى
بعقله ضل وما خاب من استخار ولا ندم من استشار)

هذا مثال من ألف مثال مما رأيت من حركة الافكار
ولأود الاطالة بشرح أفكار القوم في المسئلة الاجتماعية وهيجاتهم
الى درجة لا يتصورها العقل وما شرح ذلك في الرحلة بالتفصيل
وأطلع قومي على غرائب هؤلاء الافوام والله المستعان

الرسالة السادسة عشرة

وهي الاخيرة من الرسائل المؤتتية

وداع باريز

وذكر الانداس والبرتقال

بوجه الاجمال

من غرناطة في يوم الاثنين المبارك ٥ رجب الفرد سنة ١٣١٠

٢٣ يابسة ٩٣

قضت فواميس الكون الانساني ونظامات الوجود العمراني وداع باريز
بان دوام الحال من المحال وانه لا بد من الفراق مهما طال التلاق
وان لكل اجتماع انقطاعا ولكل اتصال انفصالا تلك سنة الله في
خاقه جيلا فجيلا ولن تجد لسنة الله تبديلا
أضلت المقام في باريز الى ما بعد الميقات الذي كنت ضربه
لمبارحتن بابا يام كثيرة فاني كنت كلما عزمت على السفر رأيت وجوب
التأجيل لمناظرة بعض الاشرار أو اشهد أنواع من الاحتفال أو غير
ذلك مما يستوقف الراحل ويستغرق الاوقات ويحبس السائر
عن عدوه ويخرس الطائر المفصح بشدوه فكلم فيها من مسارح

تنضح بها الجوائح ومحاسن يشغل بها عن وكره الساخج ومطارح
نطرح ذكر الوطن من ذاكرة الساخج حتى اعتراني الكلال
والملال من كثرة مارأيت وما سمعت وصرت أترب القصرص
لتيسر الخروج من هذه الدار كما دخلتها بسلام فيسير الله الاسباب
وفتح الابواب فودعتها في منتصف ليلة ١٩ الى ٢٠ نوفمبر سنة ٩٢
ورحلت عن هذه الارزاء المتألمة والروح بها وعن فيها متعلقة
ثم سار القطار ينهب الارض نهبا ويقطع الفيافي فدفا فدفا
ومر على كثير من مدائن فرنسا العامرة مثل تور (Tours) وهي
مشهورة باعتدال اللسان الفرنسي وصفاء اللغة حتى ان أكثر
الطالبين لا بد لهم من الإقامة فيها شهورا طويلة لترسخ فيهم ملكته
التي لا تشوبها أدنى شائبة ومثل انجوليم (Angoulême) المذكورة
في كتب العرب باسم انقلزم ومثل بوردو (Bordeaux) المشهورة
بمخمرها شهرة تغنى عن وصفها وقد سماها العرب بحسب التسمية
اللاتينية برديل وبردال (وبالذال المعجمة في كلتا اللفظتين)

وكان بودي أن أقف بكل من هذه المدائن الثلاث بضعة أيام
ولكن وقتي لم يكن يسمح لي بانالة نفسي هذه الاماني ولم أصل
الى تخوم اسبانيا (١) الا بعد أن أمضيت في القطار مدة أربع

(١) وقد ورد اسمها في كتب العرب اسبانيا وفي كتاب مختصر الدول لابي الفرج اسفانيا

وعشرين ساعة لم تكتمل فيها عيني بأمد الكرى حتى أجهدي
السير وأضناني السرى ولكنني تجددت في القوى حينما شممت
عبر الأندلس واستنشقت نفعاته وتمتعت بالنظر الى صافي سمائه
وقد ترصغت بالدرارى كما هو الشأن في بلادى وأرض مهادى
بخلاف ما كنت قد اعتدت عليه في انكلترا وباريز من كدورة
البحر وقمة السماء وتوالى الغيوم وتعاقب الامطار فصرت اسامر
بدر الظلام واطارح الكواكب الحديث واشكو اليها ملاقيته في
غربتي واطيل النظر اليها حتى لقد كان

يخيل لى ان سمر الشهب فى الدجى * وشدت باهدابى اليهن اجفانى

وحيث شطحت مع تيار الافكار ولكننى ما لبثت ان انقبض ^{التحسر على}
صدري وعلتنى الكآبة وتولانى الازعاج اذ احاطت بى جيوش ^{الاندلس}
من اللوعة والاسف والحسرة واللهف لاننى تفكرت ماناله الاسلام
من العز والافتدار فى هاتيك الديار أيام كانت تحقق فوق الأندلس
اعلامه وتجول فيه أقوامه ناشرة ألوية الفخار والحضارة رافعة
رايات الجمد والكرامة أيام كانت المآذن قائمة على أعاليه
وروايته تشق أكباد السحاب ويرتفع منها صوت المؤذن
الى عنان السماء فتحشع القلوب وتعنو الوجوه لذكر الحى القيوم
أيام كانت المساجد عامرة بجماعات الموحدين القانتين وربوع

العلم زاهرة زاهية بالدارسين والمدرسين أيام كان التمدن العربي
بأسطابساطه من اطرافه الى اطرافه والمروعة والشهامة ساريتين
في جسماته أيام كانت خلافة المغرب تفوق مناظرها في المشرق
بما احتاطت به من أسباب البذخ والعظمة والعرفان حتى كانت
ملوك أوروبا تتزلف الى الخلفاء وتلتبس رعائهم وحمايتهم أيام نبغ
العلماء والمخترعون والمكتشفون الذين أفادوا العالم بأجمعه ورفعوا
كلمة الاسلام وجاؤا بأقوم برهان على ان الدين الحنيف يساعد
بكلياته وجزئياته على البحث في اسرار الطبيعة وانه يحض على
اقتناء ثمرات المعارف بجميع أنواعها ومطالبها (١)

وقد اشتد بي الوجد والوله حتى عدت التعبير وغاب عقلي وما
أبصرت نفسي الا لسانى يندفع بترديد بعض أبيات من القصيدة
المشهورة التي نظمها أبو البقاء الرندي في رثاء الاندلس وترجت
نثرا ونظما الى اللغة الألمانية والفرنساوية والاسبانية وغيرها
وكنت أكثر من ذكرى هذه الايات بحسب ورودها على لساني
واني أوردتها الآن بنصها (٢)

(١) ومازلا الى الآن نقبس أنوار الهدى من مؤلفاتهم القليلة التي استبقته يد

الصدفة فحجت من التبديد والتريق وسأشير الى بعضها في الرحلة

(٢) ان العلامة الفرنسية جرنجورد ديلاجرنج (Grangeret de la)

(Grangier) طبع في باريس سنة ١٨٢٣ كتابا سماه «نخب الارهاق في منتخب

لكل شيء إذا ماتم نقصان * فلا يغتر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساعته ازمان
وهذه الدار لا تبقى على احد * ولا يدوم على حال لها شان
يزق الدهر حتما كل سابعة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوكة ذوو التيجان من عين * وأين منهم أ كاليل وتيجان
وأين ماشاده (١) شداد في إرم * وأين ماساسه في الفرس ساسان
وأين ما حازه فارون من ذهب * وأين عادوش—دادو قحطان
أنى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضاوا فكان القوم ما كانوا

الاشعار وأذكى الرياحين من أسنى الدواوين» جمع فيه كثير من مستجاد شعر
المتنبي بشرح الواحدى له وشعرا من الفارض وشرحه والصفدى ومن عمود الشام
للواعدى ولجملة شعراء متعددين ثم ترجم ذلك كله الى الفرساوية وعلق
عليه كثيرا من الحواشى الادبية والانتقادية واوردى حملتها قصيدة أبى البقاء
هذه نقلا عن نسخة من رفح الطيب فى مكتبة باريس وهى مترجمة بناية الدقة
والضبط ولما كان الماقل أخطأ فى نقل بعض الكلمات فى ترتيب على ذلك ان ترجمة

بعض الابيات جاءت مختلفة فأحببت التنبيه على هذه الابيات ههنا لكمال الفائدة
(١) نقلها العلامة لاجرائح المذكور هكذا (سادس شداد) بالسين المهملة وترجم
بمعناه السيادة ولا معنى لذلك اذا المقصود المبانى والآثار التى أقامها شدادى فى إرم
المشهوره بمبانىها الفاخرة

وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف و سنان
دار الزمان على دارا وقائمه * وأم كسرى فما آواه ابوان
كانما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع متنوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللعوادم سلوان يسهلها * وما ملأ حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لاعزائه * هوى له أحد وانهم تهم لان
أصابها العين في الاسلام فارتأت (١) * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شان مرسيمة * وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكلم * من عالم قد سما فيم باله شان
وأين حص وما تحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملا آن
قواعد كتن أركان البلاد فما * عسى البقاء اذا لم تبق أركان
تبكى الحنيفة البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالصة * قد أفقرت ولها (٢) بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كائنس ما * فيمن الانواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكى وهي جامدة * حتى المنابر ترثى وهي عيبدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة * ان كنت في سنة فالدهر يقظان

(١) أوردتها العلامة المذكور (فانتحنت) وهي بالبناء المجهول والمعنى واحد

(٢) (وبها بالكفر الخ) وهي غلط في الطبع

وما شيا من حيا يهيبه موطنه * أبعد حص لعز (١) المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ماتقدمها * وما لها مع طول الدهر نسيان
يارا كين عتاق الخيل ضامرة * كأنها في مجال السبق (٢) عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها في ظلام (٣) النقع نيران
ورائعين وراء البحر في دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس * فقد سرى بحديث القوم ربكان
كم يستغيث بنو المستضعفين وهم * اسرى وقتلى فما بهت زانسان
ماذا التقاطع في الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
ألا تقوس أيات لها هم * أما على الخير انصار واعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم * أحال حالهم جور وطغيان
بالامس كانوا لو كافي منازلهم * واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لادليهم * عليهم من ثياب الذل ألوان

(١) وفي رواية أخرى (نعم المرء أوطان) وفي استحسن قوله (لعمري) أي الأندلسي

لأنه صار لا وطن له

(٢) استبدل العلامة ديلاجرانج لفظة (السبق) بقوله (السيوف) وترجم بهذا المعنى

وهو غلط واضح

(٣) وفي رواية أخرى (في مشار النقع) والمعنى صحيح لكن الظلام أنسب لظهور النيران

فيه بوضوح أكثر

ولورأيت بكاهم حين (١) بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب أم وطنل حيل (٢) بينهما * كما تنسرق أرواح وأبدان
..... *

..... *

لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان في القلب اسلام وایمان

وصرت أردده هذه الايات وغيرها حتى وصلت مدينة ارون
Iran أول تخوم اسبانيا من الشمال فنزلت بها وقد انتصف الليل وما
صدقت الوصول الى الفندق حتى اضطجعت على الفراش طلبا
للراحة الضرورية ولبثت به على خلاف عادتي الى أن قرب الظهر

استمرار
الحسرة

(١) اورد العلامة ديلاجرايخ (عبد بيعهم) وهو واحد عبرانه قدم هذا البيت على الذي
قبله وهو غلط يدل عليه سياق الكلام وانسجام المعاني

(٢) اورد العلامة ديلاجرايخ الشطر الاول من هذا البيت هكذا (يارب ام وطعل
جبل بينهما) وترجم بما معناه (يا الله هل يلزم ان جبلا يوضع بين الام واولادها وان
الارواح تفصل عن الاحساد) وهو غلط مبين لانه تصور ان رب بضم الراء هي رب
نفتحها واللفظة اثمانية من أسماء تعالي وأما الاولى بمعنى ربة ورتماور بما من
حروف الجر للتقليل في المشهور والتكثير وقيل بل انهما يستفادان من سياق الكلام
ثم انه أخطأ في قراءة (حيل) فوزع المقطعين على الحرفين فرأى (جبل) وهي قراءة
يترب عليها هديبت الشعر وكان الرجل عارفا بحوره وأوزانه كما يستدل عليه
من شرحه للقصائده التي في كتابه

ولم أستيقظ الاعلى جلبة الاطفال وصياحهم في لعبهم واهوهم
بترنيمات تكاد تنطبق على وزان هذين البيتين

شرد الترم عن جفونك وانظر * حكمة توقف النفوس النياما

فخرام على امرئ لم يشاهد * حكمة الله ان يذوق المناما

فهمت فزعا مرعوبا وأنا أقول «أين هذه الحكمة ولماذا ورد هذا
البيت على خاطري مع ان القصائد التي من بحره كثيرة» ثم تذكرت
ان السبب في ذلك ما كنت فيه بالامس فهرعت الى الخروج لانظر
البلاد وما فيه وما حواليه فرأيت المباني والنوافذ والاسطحة تشبه
ما عهدته طول عري في مصر وكذلك الحارات والزقاق وغيرها
وقد كنت وأنا في باريز درست نحو اللغة الاسبانية للاستعانة على
مخاطبة القوم ومبادلة أفكارى معهم مباشرة ولكنى لما حضرت
ايرون وتكلمت مع أصحاب الفندق وخصوصا مع الدليل تحقق لي
ان درس النحو شئ ومعرفة اللسان شئ آخر وحينئذ زال ما كنت
أجده من الغرابة من كون بعض الناس يقضون سنين طويلة
مديدة في درس النحو بجميع فروعه ثم هم لا يعرفون من العربية
سوى هذه الآلة

وأقول الحق اننى لما رأيت اضطرارى لمخاطبة القوم ساعة اشتباك الحيرة
بالاطالة وتارة بالفرنساوية وغالبا باللغة الاشارة التي يفهمها والهوس بالوطن

جميع أصناف بني آدم تراخت عزمي وثبتت همتي وهممت
بالرجوع من حيث أتيت وخصوصا لما كان يقوم بفكري
من ان أهل الاندلس الآن أشد أهل الارض تعصبا على المسلمين
وكراهة للعرب وجفوة للغريب مع ما هم فيه من الهرج الدائم
على حكومتهم مما كنت قرأته حديثا في التلغرافات وانا في باريز
فضلا عما رأيته في كتب السياحات من التشنيع عليهم وتخويف
الغريب من الدخول الى ديارهم ولما كان حب البقاء طبيعة في
الانسان وكانت الحياة غالية خصوصا عندوشك الوقوع في الخطر مع
اشتداد الحنين بل الوله بالرجوع الى الوطن بعد طول الغيبة
كادت هذه الافكار وانسراها تفوز على ما عندي من الشوق
لرؤية هذه البلاد الجميلة وتعهده بقايا العرب فيها فتذكرت حينئذ
المثل السائر (من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب) وانشدت
على نفسي لاجياء مائت قوتي قول الشاعر

التعلب على
الصعوبة

ان كنت تطلب عزافا تدرع تعباً * أوفارض بالذل واخترراحة البدن
فتجددت في عوامل القوى وانبعثت في جسماني روح النشاط
وتذكرت اني أكون أول من زار جميع الاندلس من المسلمين
والمصريين خصوصا من ابناء هذا الجيل وكتب مارآه فيها وقارن
بين حالتها وفي ذلك نخر عظيم

ومن يجد الطريق الى المعالي * فلا يذرمطى بلا سنام
ولذلك توكلت على الله وقت من ابرون الى فنترايا (Fontarabia) زيارة بعض
الى سان سيستيان (San Sebastian) الى بنباونة (Pamplona) المدن
وتسمى في قليل من كتابات العرب بفلونة وقد حكها المسلمون اثنتي عشرة
سنة فقط وهي أنظف مدينة رأيت وأوجيع شوارعها وحاراتها وأزقتها تضاء
بالنور الكهربائي

ثم قمت الى سرقسطة (Zoragoza (Saragosse) وقد (مدينه)
زلنا بها في المقام ثلاثة * فطابت لنا حتى أقتابها عشر (سرقسطة)
(والجمعية العلمية) فاني الفيت بها من كرم أهلها وحسن مجاملتهم وكريم توددهم
ما كاد ينسني الاخوان واطلعت فيها على كتب عربية نادرة
جدا وتعلمت فيها الكلام الاسباني

ثم ان جمعية العلوم الشرعية والادبية - Academia Juridico-literaria
عينتني عضوا افتخاريا بها واحتفلت بي احتفالا فائقا
وعقدت جلسة مخصوصة لاستقبالى بغاية التكريم والترحيب فحجت
ان ادخل بينهم خالي اليدين لا أقدم لهم موضوعا في هذا الحفلة المهمة
واللهمني الله ان أكتب لهم خطبة باللغة الفرنسية على مد يدهم
في أيام العرب فاستغنت ببعض الكتب القليلة التي وجدت عند
المستغلين بالعربية من اساتذتها وبعض ما عن بالخاطر وقدمت لهم

خطبة في ١٥ صحيفة من الورق الكبير المعروف بالفولسكاب المستعمل في الدواوين وقد راقى لديهم حتى طنطنت الجرائد بها وذكرت هذا الاحتفال بالفاظ التمجيل والاجلال (١) وترجم كثر منها خطبتي الى اللغة الاسبانية على ما علمته بعد قيامي من سرقسطة وان الجمعية شرعت في طبعتها في مجموعتها وقد أتحفني أكثر المؤلفين والعلماء بكتب كثيرة من تأليفهم وخالصة القول ان هذا اليوم كان من أسعد أوقاتي واني أجد الله على هذا التوفيق الذي مكنتني من تشريف اسم بلادى وقد أجابوا على خطبتي بالاسبانية والفرنساوية والعربية والاطليانية

والسبب في ذلك انه اتفق في بعض الأيام انعقاد جلسة الجمعية الشهرية فدعاني حضرة رئيسها الافتخاري وهو العلامة پابلو خيل D. Pablo Gil مقدم الاساتذة في المدرسة العالية للفلسفة والآداب لان أزورها فتوجهت بصحبته وأجلسني عن يمينه وبعد ان تمت أعمال الجمعية قدمني اليها ثم دعاني لان أخطب عليهم بشئ مما يفتح الله به على واذ لم يكن لي سابقة علم بهذا الامر وقفت فيهم وحميتهم بالعربية ليهدأ روعي وأستجمع أفكارى ثم خاطبتهم بالفرنساوية بكلام طويل ولما جلست طابوا مني أن

(١) أرسلت في ذلك الوقت نسخاً من هذه الجرائد الى العاصمة لبعض اصداقائي

أتكلم بالطلايانية فنذعت وحينئذ قام الرئيس الاصيل وطلب من الجمعية تعييني عضوا افتخاريا بها فاجبت بالاجماع ثم عينوا جلسة غير اعتيادية لاستقبالى وحينئذ أشار على الرئيس الافتخارى بان أشكر الجمعية باللغة الاسبانية فامتثلت مع قلة البضاعة وكنت حينها لأجد اللفظ المطلوب أضع مكانه كلمة طليانية أو فرنسوية ولو شئت ترجمة ما ذكرته الجرائد عن هذا الاحتفال لاستغرق رسالة أكبر من هذه الرسالة

فأما الخطبة التي أجاب بها بالاسبانية الاستاذ المتضلع العلامة خوليان ريبيرا D. Julian Ribera فكانت كلها دررا وغررا تشهد بمزيد اطلاعه على العلاقات العلمية الادبية التي كانت بين المشاركة وخصوصا المصريين وبين أهل الاندلس وسأورد ترجمتها في فرصة أخرى ويحق لى أن أورد هنا الخطبة العربية التي ألقاها أثناء الاحتفال أحد أعضاء الجمعية وهو الدون سان پيو D. San Pio الذي تلقيت عليه اللغة الاسبانية وها هي بنصها الفائق

« بالنيابة عن جميع اخوانى سلام عليك يا أيها العلامة المصرى »
« أحمد زكى أفندى بوى أن ألقى الآن خطبة ولكنى مثل »
« أيوب قد ازدجت على الافكار وقد دعانى اخوانى أن أقول شيأ »

« بلغتك الفصحى فأقتصر على إيراد بعض جميل من الكتاب المقدس »
« يخرجك الرب إلى مصر في سفن وإذ كر ما لاقيته في هذه »
« المدينة والقادر الكافي ببارك لك في السفر والأقامة والسلام »

اللغة
الأعجمية
الاندلسية

وقد اطلعت في مكتبة الدون پابلو خيل المذكور على كتب عربية كثيرة وأغلبها باللغة التي يسمونها الخميادو (Aljamiado) وذلك لان العرب لما انقرضت دولتهم بالاندلس وبقي بعضهم فيها حافظوا على دينهم مع شدة الاضطهاد ولكنهم نسوا أو ألزموا بإهمال اللغة العربية وصارت اللغة القشتالية أي الاسبانية ملكة متوارثة فيهم فكتبوا علومهم بها لكن بحروف عربية وقد رأيت في سرقسطة ومدريد عددا عظيما من هذه الكتب في أنواع العلوم العقلية والعقلية ورأيت كثيرا من المصاحف الشريفة مكتوبة بهذه اللغة ترجها إلى الاسبانية بقايا الاعراب المسابن وهذه اللغة تعرف بـ (الألجاميادو) ووجه هذه التسمية ان العرب يسمون كل ما ليس بعربي أعجميا وجرى على منوالهم الاندلسيون فكانوا يسمون اللغة القشتالية أي الاسبانية باسم (الأعجمية) ثم انتقلت هذه اللفظة إلى اللغة الاسبانية بغير حرف العين لعدم وجود ما يقابله في اللغات الافرنكية فصارت الكلمة مقابل هذا الصوت (أالجاميا) وما كان أهل اسبانيا يلقبون أغلب الجيمات خات كاسنينيه قالوا (أالجاميا) أو (ألخمييا) ورسومها بحروفهم هكذا بعد ان

بـ **ك**نوا حركة اللام (Aljamia) وعلامة النسبة عندهم do
توضع في آخر الكلمة فلذلك قالوا (Aljamiado) اي «الاجمعي»
واليك الشواهد على قلبهم الجيم خاء فانهم يقولون في الخيام تحريف
«الفاخي» وفي علم الجبر «الخبرا» وفي الجص «الخيد» ^{الكلمات}
وفي الجبب بمعنى الصهرج والجاوية «الجيبي» وفي الحاجة ^{العربية}
بمعنى أمتعة البيت «الهاخا» وفي الجعبة «الخابا» وفي الجفنة
«الخفنا» وفي الجرس «الخرد» وفي البرتقال «نارنخا»
من قول العرب نارنج وفي محمل سجن النصارى عند عرب
الاندلس «ساخينا» من قول العرب سجن وفي الترنجة «ترنخا»
وفي الجوهر «الخوفر» وفي الجبسة «الخوبا» وفي المنجنيق
«المنخيكى» وللجيفة «خيفا» وتاريخ الهجرة «هخيرا»
ولخزير الجبل أو الخلوف «خبلى» من قول العرب جبلى * هذه
بعض ألفاظ عاقتها أثناء تلقى اللغة حتى انى لاحظت دوران هذا
الحرف في غالب كلماتهم الا فرنجية التي يكون فيها شين أو جيم
أوسين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المزاح لاستخ من القارئ
السماح وقال ان لغة القوم تدور على حرف الخاء

ولقد سمعتهم في بعض الاحيان يقولون الخيرا (Aljecira) فسالت
عن ذلك فاعلموني بانها الجزيرة الخضراء وحينئذ تشوفت لان أعرف

كيف يسمون بلاد الجزائر فان الفرنسية يقولون الجيرى (Algérie) والاطليانية الجريا (Algeria) ولكننى حمدت الله حينما رأيتهم قد قابوا فيها وضع الحروف فجعلوا الراء مكان اللام وقالوا أرخليا (Argelia) ولم يقولوا غير ذلك . . .

وقد لاحظت بعض ألفاظ تنافى هذه القاعدة فيقولون في الخزانة « الاثينا » بمعنى الخزانة المنقورة في حائط البيت وفي الخروع « نشرقا » وفي طيران الخطاف « فانكسا » وفي المسجد « مسكيتا » ومنها قول الفرنسية ساوية موسكى (Mosquée) وفي الخراز « المفريز » بياء مماله وفي الخذة « الموهادا » وفي تصغيرها « الموهاديدا » وفي الخناع « الموكاتى » من قول العرب الملح وفي الخبازى « الهبازى » وفي البطيخة « البوديجا والبوديكما وباديهما وباديا » وفي الخرشوف « الكتشوفا والكرتشوفا » وفي البخور « البافور » وفي الخروب « الجروبا » وفي الخزامى « الهونما » وفي المخزن « المائن » وهو اللفظ الشائع ويقولون فيه أيضا « المنجان والمارتن ومجانن » (ومنها انتقلت الى كافة اللغات الافرنكية بهذه الصورة ثم ان أهل مصر نقلوها عنهم وتناسوا أصلها فنتالوا « مغازة » للمخزن الكبير) والسحرة بمعنى العونة « اذوفرا » والزرنج « اذرنجى » بياءين مماالتين والرخ في لعب الشطرنج « روكى » وفي الشيخ « كسيكى » بياءين مماالتين وفي الخزأى الحرير « التشر » وفي الخياط « القميات » هذا بهض ملاحظته وسألم فى الرحلة بشئ كثير من قواعد التحريف عندهم فهلا من المستغرب بعد ذلك انهم يقولون ان كلام العرب كله يشبه هذه الاصوات « خبط خبط خبط »

وقد زرت جميع آثار سرقسطة العربية وغير العربية وصعدت الى قمة البرج المبائل الذي يشبه برج كنيسة بيثية وهو من صنع الاعراب المرتدين وقد شرع القوم في تقويض دعائمه خوفاً من سقوطه ثم خرجت منها شاكراً أفضل أهلها مردداً ثنائياً عليهم وعلى أخلاقهم الزكية

وزرت قسطنطين (Castejon) وميرندا (Miranda) تجول في

ثم برغش (Burgos) وكنائسها المشهورة وقد رأيت في أحدها بعض المدن لواء في غاية الإبداع والجمال أخذته الأسبانيون من العرب في واقعة العقاب التي سأذكر عنها شيئاً يسيراً في هذه الرحلة ثم

زرت آبله Avila ثم مدريد Madrid (وتسمى في كتب العرب (مدريد ومقابلة) القديمة مجريط) (١) وقد رأيت جميع ما فيه من المتاحف والمعارض (سفير الدولة) (العليه)

(١) مجريط نفتح الميم كما ضبطه ياقوت في معجم البلدان وقد عقد العلامة أحمد فارس المشهور مصلافي كتاب «الجاسوس على القاموس» أشار فيه الى بعض انتقادات جغرافية على الفيروز آبادي بمناسبة ذكره لبعض بلدان الأندلس في قاموسه ولكن وقع صاحب الجاسوس نفسه في وهم أرى من الواجب إصلاحه في هذا المقام وبيان ذلك ان المجد ذكر بلداً اسمه البرة وقال انه من عمل ماردة بخاء صاحب الجاسوس (صحيفة ٣٠) معقباً بهذا العبارة بالتفسير قائلاً (أى مدريد) وأقول ان ماردة Meridu بلد ومدن يبدلها آخر ماردة في الجنوب العربي بقرب بطليوس Badajos على تخوم البرة قال ومدريد في الوسط وماردة كانت بلداً مشهوراً جداً في أيام العرب ولا يزال فيه الى الآن آثار جليلية تشهد بفخامته بخلاف مدريد فإنها عند العرب مجريط وكانت في أيامهم عبارة عن حصن ليس الا

ولاقيت علماءها وكبراءها ووزراءها واجتمعت بصاحب العظوفة
طرخان بك سفير الدولة العلية الذي كان واليا على جلة ولايات
مهمة من قبل مولانا الخليفة الاعظم اُدام الله نصره ورفع كلمته
وقد رأيت منه رجلا عالما بالسياسة والقوانين والنظامات وفيه
من الوطنية وحب الاسلام مالم أجده في غيره الى الآن ويسرنى
أن أقول ان له مقاما كبيرا في نفوس كبراء اسبانيا والاسرة المالكة
باسرها وله تمام الاطلاع على اللغة التركية والفارسية واليونانية
والفرنساوية والاسبانية وله المام عظيم بالالمانية والارمنية وبعض
العربية وانى أتمنى من صميم فؤادى ان يكون جميع نواب الدولة
العية أيدها الله في جميع الممالك الاوروبية على شاكته فانما
تعلو الدول بنوابها وتعرف قيمتها بمندوبيها وقد أكرت في مدريد
من زيارة المعرض الاوربي الاسبانى الذى أقيم احتفالا بمهرجان
كرستوف كولب وذلك لاننى رأيت فيه كثيرا من الآثار العربية
الاندلسية التى تبعث فى النفس فخارا وفى القلب أحزاناً ورأيت لواء
عربيا يشبه لواء برغش تمام المشابهة وبجانبه لواء آخر مما أخذه
الاسبانيون من العرب وقد رأيت فى القسم المخصص للطوبجية
المدافع التى سبق الى اختراعها أهل غرناطة لصدد عدوهم عنهم
ورأيت غير ذلك مما لا يمكن الاحاطة به الآن وكنت أكثر من

أعرض

زيارة التيارات في كل ليلة لاتقان اللغة ولاتها في مدريد مدرسة
حقيقية لاخلاق القوم وعاداتهم حتى اتى أثناء التشخيص كنت
أنتصّر نفسي في بعض الشوارع أوفى احدى القرى ثم زرت
طليطلة Tolède (١) فإذاهى مدينة عربية محضة لم يعتورها الى
الآن أدنى تغيير ولا أتذكر أن مدينة في مصر حفظت هذا الشكل
العربي المعهود كما بقى فيها الى الآن مع نوالى الازمان وتبدل
الاحوال فلا تزال شوارعها وأزقتها حجوج أى متعرجة ملتوية
ملتفة صاعدة نازلة حتى يخالها الانسان أشبه شئ بتلك الحشرة
المعروفة بام أربعة وأربعين وقد رأيت فيها من آثار العرب ما ينطق
بفضلهم ويخرس كل متعصب عليهم

ثم رجعت الى مدريد وتفرجت فيها ثلاث مرات على
مقابلة الأثوار المعروفة عند الفرنسية باسم Course
des Taureaux و Combat des Taureaux وعند الاسبانية
باسم Corrida de los Toros وقد عرفت جميع تفاصيلها

(١) تسمى عند العرب مدينة الاملاك أى الملوك لكون اللاتينيين كانوا يسمونها
بذلك أيضا (Urbs Regia) وكانت تسمى عند الرومانيين كذلك
(Toletum) وبالتصغير (Toletula) ومنه الاسم العربي طليطلة
وقد ورد اسمها في قليل من كتابات العرب توليطه مثل التسمية الاسبانية
ويقول مؤرخو العرب ان معنى توليطه بلسان قبصر «انت فارح»

وقوانينها وشهدت غرام الاسبانيين رجلا ونساءها الى الدرجة التي لا يكاد يتصورها العقل بحيث ان المقاتلين يعتبرون من أهم رجالهم ومن أحب الناس الى الامة التي تجل ذكرهم الى حد يحسد عليهم سراوات القوم وأمائل الاماجد واني أؤخر شرح ذلك الى فرصة أخرى لما يستوجبه من زيادة البيان مع ما فيه من الطلاوة والمباحث الرائقة وانما أقول الآن ان عرب الاندلس كانوا مولعين بهذا القتال أيضا وكانوا يضارعون الاسبانيين وربما كانوا يفوقونهم

دخول مملكة ^{البرتغال} وبعدها أن أطلت الإقامة في مدريد كبت قطارا لا كسبريس الدولي ^{وذكر لشبونة} متوجها الى بلاد البرتغال (Portugal) (١) وزرت عاصمتها ^{وشنترة} المعروفة بالاسبون (Lisbonne (Lisboa) (٢) وقد بدأت بزيارة حضرة قنصل جنرال الدولة العلمية وويس قنصلها ورأيت آثارها العربية وغير العربية وفي ثاني يوم من وصولي وردت لي تذاكر من الجمعية الجغرافية الملكية بالتحية والسلام وبوضع مكنتها ومتاحفها ومعروضاتها وغرفة السلاح والنشان والبياردو وغير ذلك تحت تصرفي فزرتهم وشكرتهم واستفدت

(١) هذا هو اسمها في كتب العرب لابورنغال أو بورتغال أو بغيرها وفيهما

(٢) يذكرها العرب باسم لشبونة واشبونة والاشبونة

كثيرا من لقائهم وقد زرت المكتبة الاهلية ومدرسة المهندسخانة
ومعرض التاريخ الطبيعى وكل ما قدرت عليه ورأيت من أهلها
حفاوة تحلوا بهم للثناء على صفحات الفؤاد ثم زرت مدينة شنتره
Cintra ورأيت حصون العرب على قم الجبال وبجانب بعضها
مسجد بأقية آثاره للآن وعلى مقربة منه قبر دفن فيه القوم
عظاما وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين أو للنصارى فوضعوا على
رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال ثم رجعت الى لشبونة
وزرت فيها القسم الذى كانت تسكنه العرب وكان يعرف عندهم
باسم الحجة « بتشديد الميم » ويسميه البرتغاليون الآن من باب
التعريف « الفاما »

وقد تشرفت بمقابلة جلالة الملك فأكرم وفادتي وأحسن لقائي
ولبنت مع جلالاته مدة طويلة ثم خرجت شاكرًا جليل رعايته وهذه
المدينة لها موقع من أجل مواقع الدنيا يشبه أو يفوق موقع جنوة ونابولي
ويقرب من القسطنطينية على ما سمعت ومنظرها يشبه المدائن الشرقية

ومما يحسن ذكره من باب الفكاهة اننى خرجت ذات يوم
فى بكرة النهار لا تفرج على حركة المدينة فى مبدئها فن جملة
ما رأيت فيها كثيرا من النساء يسارعن فى حركاتهن وهن حفاة
الأقدام وعلى وسطهن حزام كبير بارز بروزا شديدا عن بقية

التشرف
بمقابلة
جلالة الملك

الفسول
المدمس
بأوروبا

الجسم بخلاف سائر الافرنجيات فانهم يبذلون غاية جهدهن في تحمیل الخصر وترفيعه ومما امتاز به هؤلاء النساء في البرتقال انهن يضعن في أعناقهن قبطانا يتدلى الى حد ثنيات البطن وينتهي بصليب كبير من النحاس وفوق رؤسهن قطعة من القماش ملتفة على بعضها مثل الحواية ويحمان عليها شياً شبيهاً بطست نحاسي مفرطح جدرانه مرتفعة قليلاً ورأيت احدها تنصيح بكلام لأفهمه فتشرفت لاستوقفها وأعرف مامعها فسألت الدليل ذلك ولكنها لما نظرت الى حالتنا وهيئتنا توسمت أننا من لا يشتري مامعها فهمت بمغادرتنا فأظهرت لها قطعة من الورق قيمتها نحو قرش صاغ فوقفنا وأخذت اثم فرجعتني على ما في الطست واذا به الفول المدمس ففرحت به كثيراً ووطنت نفسي على أكلة مصرية في بلاد أوروبا ثم استفهمت عن الاسم فاذا هو (Fava Rica) أي الفول الغني ولما رجعت الفندق أوصيت صاحبه أن يستحضر لي في صباح اليوم الثاني مقدارا من هذا الفول الغني وقد كان غير أني أردت أن تكون الأكلة مصرية محضة وعلى الاسلوب المتبع عند عموم المصريين فلبثت في غرفة النوم وأقفلتها إقفالا محكما بعد أن استحضرت البصل حتى لا أكون مثل بني اسرائيل حينما خرجوا من مصر ولم يجدوا البصل في التيه فتأسفوا عليه

وتلهفوا ثم انى تمتعت بهذا الفطور والحق يقال أكثر من جميع أيام سياحتى فى أوروبا

ثم قمت من الاشبونة الى مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة بمدينة قلمرية
فى كتب العرب باسم قلمرية وهى الآن دار العلم ومحط المعارف وبرتقال
فى بلاد البرتقال وقد رأيت مدارسها الجامعة ومتاحفها وبستان
النبات البديع فيها وبعده ان طفت على معظم آثارها قمت
الى مدينة پورتو (Porto) واسمها فى كتب العرب برتقال
وبها يسمى هذا القطر برتقال كما نقول نحن الآن طرابلس
وحاضرتها طرابلس وتونس وحاضرتها تونس وكما نقول بنى سويف
وبندرهما بنى سويف والفيوم وبندرهما الفيوم والمنيا وبندرهما المنيا
وهكذا فى سيوط وقنا وكما كان الشأن فى القليوبية وجرجا والمنوفية
قبل أن ينتقل مركز المديرية الى بنها وسوهاج (المعروفة عند
العرب بسوهاى) وشبين الكوم وساورد فى الرحلة نصوصا عربية
معتبرة تكاد تكون مجهولة للدلالة على صحة هذا الاسم (برتقال)

رأيت فى مدينة البرتقال هذه آثارا كثيرة ولكن العرب لم
يخلفوا فيها شيا يذكر لانهم كانوا يجيئونها فاتحين ثم يجوزونها الى
غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم غير انى رأيت دار البورصة
فيها وهى من الفخامة والجلالة بمكان قد تألف التجار على انشائها

على الطراز العربي ونقشوا أكبرهم وفيها بحسب الاسلوب العربي،
وزينوه بالزخارف وكتبوا في ضمن رسومها البيديعة أشعار عربية
سأوردها في الرحلة وفي جميع الطرازات هذه العبارة ﴿عز لانا
السلطانة مريم﴾ يريدون عز لولائنا السلطانة مريم الثانية

إشكال
على الفول
المدس

وقد عن لي وأنا في هذه المدينة أن أمتع نفسي بأكلة
ثانية من الفول الغني فأوصيت صاحب الفندق أن يستحضر لي
جانبا من هذا الطعام اللذيذ حتى أتغدى به في وقت الظهر
وأوصيته أيضا باستحضار الزبد والبصل فنظر الى نظر المستغرب
وقال كيف يمكن الغداء بالفول الغني والبصل والزبد فقطاعته
وقلت له هذه ارادتي وما عليك الا الاجابة فامتثل غير قادر على
اخفاء زيادة الاستغراب ثم توجهت لزيارة الآثار وغير ذلك حتى
جاء وقت الظهر فأسرعت الى الفندق وأنا أتلذذ مقعدما بأكلة
الفول الغني التي أعددت نفسي لها في هذا اليوم السعيد حتى انني
لم أتناول شيئا من الزاد في الصباح وقد صعدت في الحال الى غرفة نومي
فوجدت صينية عليها شيء كثير من من من الخروب
فدقت الجرس بعنف وشدة لكثرة ما اعتراني من الغيظ والحنق
فحضر الخادم فقلت له ما هذا الذي فعلت أيديكم فقال انما أجبنا
أمرك وأحضرنا الفول الغني فكررت الاستفهام فقال لي هذا

هو الفول الغني بعينه فتزات لصاحب الفندق وباحشته في هذا الموضوع وأعلمته بمقصودي الذي رأيت به بكل انشراح في مدينة الاشبونة فأدرك السر وقال لي ﴿يا سيدي أهل بورتو يسمون الخروب فولاً غنياً ولا يعرفون ذلك الصنف الموجود في أشبونة بل انهم يتمكون على الاشبونيين لكونهم يسمون الفول المصنوع بهذه الكيفية فولاً غنياً مع انه هو الخروب للمشابهة بين قرن الخروب وقرن الفول ولما كان في الخروب مميزة على الفول دعوها بالفول الغني ولهم الحق (١) وهذا مادعاني للاستغراب حينما طلبت مني في الصباح أن أحضر لك غداءك من الفول الغني مع الزبد والبصل ﴿فانشرحت من هذا الشرح مع اني انقبضت للعربان من أكتي المصرية والاضطرار للاكل على المائدة العمومية بالطريقة الافرنكية وليكن هي السياحة يرى فيها الانسان ما يسوء وما يسر

ثم خرجت منها قاصداً سلمنقة (٢) Salamanca من بلاد لغة البرتقال اسبانيا ولم أتعرض لتعلم اللغة البرتغالية خوفاً من الاختلاط وليكني فيها

(١) ليتنبه القارئ الى أنه منهم فلذلك هو بصواب رأيهم
(٢) هذا هو اسمها الحقيقي في كتب الجغرافية العربية القديمة وابن الاثير في حوادث سنة ١٤٠٠ في الجزء الخامس وعد وهم صاحب دائرة المعارف حيث سماها سلمنقة بالسين المهملة ثم خلط بينها وبين بلد أخرى اسمها طلمسكة فقلنا به اسمها في بعض كتابات العرب والصواب عبر ذلك وان طلمسكة Talamanca بلدية في ولاية مدريد في وسط الابللس كانت من أعمال طلمسكة في أيام العرب وأما سلمنقة فهي في الشمال من ولاية جليقية التي قد يسميها العرب غليسية Galicie

لاحظت كثرة تردد الفاء والشين والراء فيها فمثال الفاء الخروب
يسمونه الفروب والبحيرة يسمونها البفيرة والصحريج يسمونه زفريش
ويسمون نوعا من الاغطية والفراء يعرف عند العرب بالخبيل بقولهم
«الفامار» وهذه الكلمة الحديثة الا ان مأخوذة من الكلمة
البرتغالية المهجورة المحرفة عن العربية مباشرة وهى «ألفبر»
ويسمون الخس «ألفس» والهدية «الفدية» والجرمل وهو
السذاب البرى «الفرما» وفى الخلاوة «الفلوا» ويقولون فى الحة
«الفاما» والخياط يسمونه «الفيات» وأمثال ذلك كثيرة لأطيل بها
الا ان وأما الشين فان معظم السيدات التى فى اللغات الافرنجية يقبلونها
شينا ولعل ذلك هو السبب فى ان العرب نطقوا باسماء البلدان التى
فيها سين بالشين والامثلة كثيرة يعرفها من له أقل اطلاع على جغرافية
هذه البلاد فى كتب العرب وأما الراء فهى كثيرة جدا خصوصا مع
الشين حتى تكاد لغتهم بسببها تشبه اللغة النمساوية ولكن الخاء
معدومة بالكلمة

ذكر القود
باسبانيا
والبرتغال
وهنا أذكر أمرا غريبا وهوانى لما كنت فى سرقطة
توجهت فى صباح يوم وصولى الى أجل دكان للزينة فيها وبعد
ان حلقت ذقنى وأصلحت شعر رأسى وضعخته بانواع الخساق

المستعملة عندهم سألت الرجل عن الاجرة فقال لي ٣ ريالات
فبهت في قلبي وأسفت على مجيئي اليه ولكنني تجلدت وأظهرت (مثل
الكثير من الناس) تعارف الجاهل بعكس أهل البديع الذين يظهرون
تجاهل العارف ثم قلت وهو كذلك ودفعت اليه ورقة قيمتها ٢٥
فرنكا فردت لي ٢٤ فرنكا وربعا فعلت بكل سرور ان الريال عند
أهل اسبانيا يساوي جزءاً من عشرين منه عند أهل بلادنا بل هو
أقل من القرش الصاغ بقليل ولكنني حينما جئت الى بلاد البرتغال
ونزلت في لشبونة اكثرت عربة أوصلتني الى الفندق
ولما نزلت منها سألت ترجان الفندق عن الاجرة فقال لي ٦٠٠
ريال فقلت في نفسي هذه هي الطامة الكبرى وكيف أنظاها
الآن بتعارف الجاهل وليس معي ورقة تساوي هذه الثروة
الجسمية ومع ذلك تجلدت وصبرت على ماض الايام واتقيت
الله له يسهل لي سبيل الخلاص من هذه الورطة فقلت له بصوت
أجمع « وهو كذلك خذ النقود من صاحب الفندق » وصعدت
الى غرفتي أضرب أخجاسا لاسداس ولما أصبح الصباح كان أول
شيء طلبته هو الحساب فجاءني بعشرات الالاف فقلت وأنا
خائف واجم وكم يساوي هذا كله من الفرنكات فقيل لي

ان الفرنك ما تاريا ل فكدت آخر لله ساجدا وصرفت الغلام
لا تضرع بالشكر منفردا وقد قاسيت كثيرا من اشتداد الازمة
المالية على هذه البلاد حتى اني كدت أصرف الفرنك الصحيح
المعتبر بمائتي ريال ومائة وتسعين ومائة وثمانين ومائة وسبعين
بل مائة وستين في قلمرية وعرفت حينئذ ان هؤلاء القوم يلزمهم عدد
كبير لقيمة قليلة

العودة الى الاندلس
ولما نوات هذه الحسائر المالية استخرت الله في الرجوع الى
الاندلس ووصلت شلمنقة ورأيت آثارها ومدارسها فانها في اسبانيا
مثل قلمرية في البرتغال وأكسفورد وكبير في انكلترة ورجعت منها
الى مدريد فأصابني النزلة الوافدة واشتدت علي وطأتها حتى كدت
أياس من الحياة لولا مداركة كثير من أصحابي وأصدقائي وعناية
الاطباء بشأني

مقابلة
جلالة الملكة
الاندلس
وقد كان صاحب السعادة طرخان بك طلب من البطانة الملوكية
تشرفي بمقابلة جلالة الملكة وأجيب السؤل ولكن المرض كاد يحول
يني وبين هذا الشرف الاسنى غير ان الله سبحانه وتعالى رأف بي فخفف
النزلة عني وبذلك تيسر لي مقابلة جلالة الملكة فلا طفتني وتعطفت
علي كثيرا وتكلمت معي في اشياء العلوم والادبيات حتى بهرتني
من كثرة اطلاعها ودار الحديث مليا على اللغة العربية وآثار
العرب باسبانيا وبغيرها واستطالت المقابلة مدة تنيف علي

العشرين دقيقة وكان معي حضرة السيد المفضل والامير الكريم
طرخان بك وسأذكر في الرحلة مدار بيننا من الحديث ثم خرجت
من بين يديها شاكرا افضالها على هذه المقابلة الجميلة وقد
أخبرتني كثير من أهل البطانة وخصوصا صاحب العطوفة طرخان
بك بانها أكثر من المعتاد بكثير فشكرت الله ثم لبثت بمدر يديها
تعافيت قليلا من النزلة الوافدة التي ضربت فيها أطناها الآن
وفتكت بالاهالي فتكا ذريعا فمات بها كثير من الشيوخ وزاد
عدد الوفيات بها وبغيرها من الامراض في مدريد حتى بلغ
سنا وستين وفاة يوميا وكان معدل عددها قبلا احدى وأربعين
في اليوم

ولاجل ذلك أمرني الاطباء بالتوجه الى بعض البلاد الحارة
في جنوب الاندلس والعبور منها مباشرة الى مصر مستي ظهرت
آثار الصحة وعاودتني العافية

فقدت الى اشبيلية (Sevilla) التي كانت تسمى أيضا بمحمص وزرت
جميع آناها وداراللقطاء فيها وكناؤها وصعدت الى قمة المنارة
الاسلامية الفخيمة البديعة التي كانت بجانب أحد المساجد وكانت
مستعملة عند العرب لرصد الافلاك فأصبحت الآن مقر للناقوس
وزرت القصر Alcazar الذي أنشأه الاسلاميون فأنساني
كل ما رأيته من العمار الجميلة والآثار الجميلة التي رأيتهما في
(٢٦ - رسايل)

أعظم مدائن أوروبا وقد وقفت فيه متلهفا وكنت كذلك الشاعر
الذى قال

قلت يوما لدار قوم تفانوا * أين سكانك العزاز علينا
فاجابت هنا أقاموا قليلا * ثم ساروا ولست أعلم أيننا

ومن غريب ما في اشبيلية ان جميع دورها وقصورها لها في
وسطها فناء في غاية الاتقان مغروس بزاهر الاشجار ومحفوف بفائق
العمدان وفوقه رواق مثل ما هو معروف في الاسكندرية باسم
الخير وعليه عمدان وحنايا وقواصر مثل التي في الفناء ولقد تحسنت
صحتي باعتلال هوائها حتى صدقت من أنشأ مشيما بها
هوؤها في جميع الدهر معتدل * طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ن يالى الذى يحتمل ساجتها * بالسعد أن لا تحل الشمس بالحل
ولا غرو فقد اشتهرت باعتدال الهواء وحسن المبانى وهى
واقعة على النهر الشهير المعروف بالوادى الكبير Guadalquivir
يصلد المذ فيه ٧٢ ميلا ثم ينحسر ولذلك قال شاعرهم

شق النسيم عليه جيب قيصره * فانساب من شطيه يطالب ثاره
فتضا حكت ورق الحمام بدوحها * هـ زافض من الحياء ازاره
ولقد صدقت حينما حلت فيها قول بعض واصفها

ان شرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح

وهذا الشرف المذكور هو اقليم من أعمالها كائن على تل عال من التراب الأحمر ومسافته . ٤ ميلا في مثلها يمشى بها السائر في ظل البتين والزيتون واعلم ان الاسبانيين والافرنج يسمون اسم هذه البقعة هكذا Axarafe و Aljarafe وهو الآن في الجغرافية الجديدة لتلك الاقطار عبارة عن البلاد التي في قسم سان لو كارلامايور أي سان لو كار الكبير San Lucar la Mayor وبعض القرى التابعة لمدينة اشيلية

ثم خرجت من هذه المدينة الجميلة قاصدا غرناطة (Grenade) Granada وأنا أردد قول الشاعر فيها

ذكرتك يا حصن ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيتـه
كأنك والشمس عند الغرو * بعروس من الحسن منحوتـه
غدا النهر عقدك والطود تاجـك * والشمس أعلاه ياقوتـه

وصرت أثناء الطريق أمر على بلاد وقرى كثيرة تذكروني ما عهدته مدينة غرناط في بلاد المشرق وخصوصا المنارات التي كانت قائمة بجانب الجوامع وقصر الحمرا فصارت مجاورة للصوامع وما آذن المساجد التي أصبحت نواقيس للعباد وصرت أتذكر مجد العرب وعظم دولتهم حتى قدمت الى غرناطة المعروفة قليلا باسم اغرناطة ويسمىها العرب دمشق من باب التشبيه واسمها معرب عن الاسبانية ومعناه الرمانة

وصلت هذه المدينة الى مالم تكده تصل اليه مدينة ما فانها حينها
استولى الافرنج على معظم بلاد الاندلس انتقلت اليها بقايا المسلمين
فصارت المصر المقصود والمعقل الذي تنصوي اليه العساكر والجنود
حتى بلغ عدد فرسانها وحدها . . . ٥٠٠٠٠ ورجالها . . . ٣٥٠٠٠٠ من غير
ضواحيها وأعمالها فقد كانت جيوشها تبلغ بهم ٢٠٠٠٠٠ يخرجون للقتال
من أهل غرناطة والبُشَرَات (Alpuxarat) (Alpujarrat)
ووادى آس Guadix وقد رأيت أن أختم رسائلي المؤتمرية في هدم
المدينة التي كانت آخر ملاذ المسلمين

وصلتها بالليل ونزلت في فندق واشتطون وهو على ما علمت فيما
بعد من أهل التحقيق والمعرفة قائم (باللاسف) على نفس مكان المقبرة
الملوكية التي كانت ملوك المغرب تدفن بها ويسمى ابن الخطيب
« التربة »

وبعد ان تناوت شياً من الزاد عجلت بالاضطجاع وحينئذ
ذهب عنى الرقاد لهجوم الافكار وتذكر ما وقع بتلك الاعصار
والنفكر في أحوال الدنيا وتقلبها باهلها حتى أثقلنى السهر وبرز بى
التعب فانمضت الجفون وما استيقظت الا على تجاوب الاطيار فوق
أغصان الاشجار كأنها تقول لى

تنبه فقد شق البهار مغلسا * كماثمه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة * على أذرع مخروطة من زبرجد

فهمت ونظرت الى الرياض وغابات الاشجار وتدفق المياه فقلت
لله در الشاعر في وصف مثل هذه المناظر

رياض تعشقها سندس * نوثت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خدي ربا * لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنسة * وكل طريق اليها سقر
ولكني تذكرت قول الوزير ابن عبدون الاندلسي ولاغرو فان

أقوال الوزراء وزراء الاقوال

يانفحة الزهر من سراك وافاني * خلوص ريبك في انفاس آذار
والارض في حال قد كاد يحرقها * تو قد النور لولا ماؤها الجارى
والطير في ورق الاشجار شادية * كأنهم قيمان خلف اسستار

ثم طفت بالجراء Alhambra (١) وقصرها ومساجدها
وساحاتها وأطلالها ورسومها وبقاياها التي تذهب بالجنان وتأتى
بالجنون فوقفت باهتا حائرا فاقدا الالب والرشاد من هذا الاتقان
الذي لم يكن يخطر على قلبي مع ما سمعته عنها من الاوصاف
وما شاهدته من غرائب المباني في غير هذه الدار حتى لقد اشتد بي
الهيام وكنت

أمر على الديار ديار قومي * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

(١) وهى مدينة نائية قائمة على قلة الجبل وأما غرناطة فهى فى سفحه

وما حب الدنيا أهاج وجدى * ولكن حب من سكن الدنيا
ثم خرجت منها وأنا أخطبها بقول الشاعر
وقفت بالجرء مستهبرا * معتبرا أندب أشب تاتانا
فقلت يا حرا ألافارجى * قالت وهل يرجع من ماتنا
فلم أزل أبكى وأبكى بها * هيات يغنى الدمع هياتنا
كأنما آثار من قدمضى * نوادب ينسدين امواتنا
وعند الباب قدموا الى دفتر الزيارات فكتبت هذه العبارة التي
املاها الخاطر واليد مرعشة والقواد واجف والعين باكية

أحقت هذه الحمرأ أحقأ أنتى نهبيا

تت هذه القصور وهم هذه الدور وتند قوم خلدوا فخرهم على مدى العصور
هذى آثارهم الباقية تنطق بعظمتهم الفاتحة وتنبه الغفلان الى بقاء
الملوك الديان وأن كل من عليها فان وتذكر بنى الانسان بوجوب
التعاون على البر والاحسان والتباعد عن التحايل فهو الخسران ويرحم الله

محمد زكى

عبدا رأى فتذكر ونظر فاعتبر

منسوبة بالحكومة المصرية
في مؤتمر المستشرقين التاسع بلوندره

يوم الثلاثاء ٧ رجب الفرد سنة ١٣١٠
(٢٤ يناير سنة ١٨٩٣)

ثم انتقلت من الحمراء وزرت اسوار المدينة وأبراجها وبعض
مناراتها وكثيرا من قصورها ولكها ويعلم الله اننى مارأيت فى طول
سياحاتى شيأ أدق واتقن وأجل وأكمل مما رأيت فى هذه المدينة
حتى لقد رأيت ان المقرئ لم يقرب من الحقيقة حينما مدح غرناطة
اثناء وصفه للاندلس بقوله

هى جنة الدنيا التى * قد أذكرت دار المقامه
لاسيما غرناطة * غراء راقية الوسامه
بروائها وبماها * وهوائها النافى الوخامه
ورياضها المهترزة * لعطاف من شدوا الحامه
وبمرجها (١) النضر الذى * قد زين الله ارتسامه
وقصورها الزهراتى * يابى لها الحسن انقسامه
ولقد كانت غرناطة لا يبعدها فى داخلها وخارجها بالدمن بالبدان

(١) مرج غرناطة يعرف عند الافرنج بهذا الاسم (La vega) وهو
كلمة اسبانية معناها المرج ومن الغرائب ان الدون ايجيلاذ (Eguilaz) وهو من
أعيان أهلها ومن نبهاء المشتغلين بالآداب والآثار العربية قد أطلقنى على صورة
ملكه مصرى طولها ٨ سنتيمترات ومقوشة بالحروف الهيروغليفية وأخبرنى ان
أحد الفلاحين قد عثر عليها فى المرج أثناء الفلاحة وتقلب الارض فنبهته الى
وجوب الاعتناء بهذه المسئلة وموالاة البحث لما وراء ذلك من الفوائد التاريخية
التي لا تنكر كما علمت ان القوم عثروا بمدينة برشلونه على آثار مصرية كثيرة

ولا يضاهاها في اتساع عمارتها وطيب قرارتها وطن من الاوطان
ولا يأتي على حصر أوصاف جمالها وأصناف جلالها قلم البيان
وكانت في آخر الامر قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها ويقول
كتاب العرب ان خارجها لانظيره في الدنيا وهو مسيرة . ٤ ميلا
يحترقه نهر شنيل Xenil (Jenil) المشهور وسواه من الانهار الكثيرة
والبساتين والجنات والرياضات والتصور والكروم محذقة بها من
كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات
والبساتين لامثيل له بسواها ويعرف عند المؤلفين الاسبانيين بهذا
الاسم Aindamar محرفا عن اللفظ العربي

وما زلت اتردد بين هانيك الديار واجوب تلك المعاهد وأنا
أرى في كل حجر وفي كل جدار آية ناطقة بعظمة هذه الامة
ومجدها وقد جرتني ذلك الى ذكر بعض أمور مما يدل على بلوغ
أهل الاندلس أرقى ذروة من ذرى النعيم وتأنقهم وترفعهم للدرجة
التي ليس بعدها مطاب أو غاية

مع من تأنق
لا بدلسيين
بيوتهم
الطيبه

فمن ذلك ان اعتماد وهي زوجة المعتمد وأم أولاده المعروفة بالرميكية
رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يععن اللبن وهي رافعات عن سوقهن
يخضن الوحل والطين فقالت له اشتيتي ان أفعل أنا وجواري
مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد

هو صير الجميع طينا في القصر وجعل لها قريبا وحبالا من ابريسم
وخرجت هي وجواريتها تخوض في ذلك الطين الثمين وانالت النفس
مناها ثم اتفق بعد نخله انه حصلت بينهما منافرة كما يحصل عادة بين
الازواج فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها "والا يوم الطين"
تذكيرا بهذا اليوم للذي أباد فيه من الاموال ما لا يعلم مقداره
الا الله فاستحييت واعتذرت وسكنت

وقدمدح بعض الشعراء يعقوب أمير المؤمنين بالاندلس بقصيدة
فيها . ٤ بيتا فأعطاه على كل بيت ألف دينار

وكان بعض ملوكهم اذا جاءته رسل من أعدائه يأمر في
الحال باصطناع برك وحولها آساد وأشجار وازهار كلها من الفضة
الخالصة والذهب النضار ترهيبا لهم وايقاعا للرعب في قلوبهم من
غير أن يشافهم بكلمة واحدة فينال من ملوكهم كل ما يرتضيه
وقد كان عبدالرحمن بن الحكم أمير الاندلس كثير الميل الى النساء
وولع بجارية له اسمها طروب وكان بها كافا شديدا واتفق انما
غضت الطرف عنه ذات يوم وقابلته بالصد والاعراض وانتصرت
في مقصورتها فأرسل يترضاها وهي لا تزاد الا اصرارا على الخفاء
حتى أرسل الخصيان يغصبونها على الخروج فغلت الابواب في
وجوههم فذهبوا الى الخليفة يستأذنونه في اقتلاع الباب فامرهم

بان يسدوه بيد من الدنانير يرصونها عليه رصا ثم جاء بعد ذلك
يترضاها بنفسه ويعتذر اليها ففتحت الباب وانها ات عليها الاموال
فقال لها كل هذا المال لك دون سواك ثم أعطاها حلية قيمتها
مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغي أن يخرج من خزنة
الملك فقال ان لابسه أنفوس منه خطرا وأرفع قدرا وأكرم جوهرها
وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لي شمس النها * رطالعة ذكر تخي طروبا

ومن ذلك ان محمد بن عامر المنصور وزير الاندلس المشهور
صنع قصرا من فضة صافية وأهداه للسيدة صبح البشكنشية أم
الخليفة هشام وحمله على رؤس الرجال فحلب حبا بذلك وقامت
بأمره عند سيدها الخليفة الحسكهم حتى قال الخليفة لبعض
خواصه ان هذا الفتى سلب عقول حرمانا بما يتحفهن به

ومن ذلك ان الحسكهم ثالث خلفاء الاندلس كان له خاصة ألنا

فرس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلي قصره تجتمعها داران

والاعجب من ذلك مارواه المؤرخون من ان الخليفة عبد الرحمن
الناصر المشهور أراد الفصد ذات يوم فجلس في البهو الكبير المشرف
باعلى مدينة الزهراء واستدعى الطبيب لذلك وأخذ الطبيب الآلة

وحبس به الناصر فينما هو كذلك إذ أطل زر زور فصعد على اناه
ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصـدر فقا * بأمر المؤمنيننا
أنما تفصـد عرفا * فيه محيا العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين ذلك غاية
الاستظراف وسر به غاية السرور وسأل عن اهتدى الى ذلك وعلم
الزرزور فذكر له ان السيدة الكبرى مرجانة أم ولده وولى عهده
الحكم المستنصر بالله صنعت ذلك وأعدته لمثل هذا اليوم فوهب
لها ما ينيف على ٣٠ ألف دينار

وأمثال هذه الوقائع أكثر من أن تذكر وأقول ان أول تقدم
الاندلسيين تبليط حصل بالمدائن كان في قرطبة وكذلك الانارة العمومية بالليل
قبل أن يعرف ذلك أحد من أهل الارض قاطبة فقد كان السائر
يشى فيها وقي أرباضها على ضوء السرج المتصلة مسافة ١٠ أميال
وأما رسوخ قدمهم في العلم والعرفان فأمر يشهد به العدو
الاندلسيين والصديق ولا أذكر منهم الا آن سوى أبي القاسم بن فرناس فإنه
أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من
فك كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وقد صنع في
بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والعود والبروق
وصنع الآلة المعروفة بالمنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال

وقد احتال في الطيران فكسا نفسه بالريش واتخذ جناحين وطار
في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتياال في السقوط فتأذى
اذ غفل عن اتخاذ الذنب ولم يتنبه الى ان الطائر انما يقع على

زمكاه

واقدم كانت ملوك الافرنج جميعا تستخدم الاطباء من العرب واليهود
الاندلسيين وكانت الصنائع والفروسية والابهة في عهدهم في مزيد وكان
عندهم مواضع شتى للفرج واللهو وأما علم المساحة والفلك والكيمياء
والطب فلم يكن الا في قرطبة دون غيرها من سائر المدن حتى ان شانه
ملك ليون الملقب بالسمين اضطر الى أن يسافر اليها ليأخذ الطب
عن رجل كان مشهورا في عصره فلما استدعى به الملك أجابه مع
الرسول قائلا ان كان للملك حاجة الى فليقدم عليّ ومثل ذلك الزيج
الذي اشتهر به القونس العاشر ملك قشتالية وصار له به نخر على ملوك
أوروبا انما حردله علماء العرب كما يشهد بذلك علماء الافرنج أنفسهم
ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ان القوم ما وصلوا الى هذه
الدرجة الا بالعلم والعرفان وما أجدر شهباننا المصريين الاذ كبراء
المنعلمين أن يقتدوا بأهل الاندلس في ذلك الزمان فانهم كانوا جميعا
أحرص الناس على التمييز حتى ان الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم
بجهد أن يتميز بصنعة ويربأ ان يرى فارغا عالة على الناس وكانوا

أسوة حسنة
للمصريين

يقروُن جميع العلوم في المساجد بالاجرة لانهم كانوا يتعلمون لاجل
أن يعلموا الخلائق وينوروا الازهان لالكي يأخذوا جاريًا أو معلوما
ولذلك كان العالم منهم بارعا لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه
يحملة على ترك الشغل الذي يستفيد منه ويتفق من عنده حتى
يتعلم ومثلهم الآن معظم علماء أوروبا

ومما ينبغي اضافته للعالم مراعاتهم للشرع الشريف حتى مراعاة الشرع
لقد كان للدولة الاموية في أيام عز الاندلس هيبة وتمكين ناموس
من قلوب العالم فكان في ذلك ضخامة لدولتهم ورسوخ لاقدامهم
وقد ذكر ابن حبان وقائع كثيرة يستدل منها على توجه الحكام
على خليفتهم أو على ابنه أو على أحد حاشيته المختص به وانهم
كانوا في نهاية من الانقياد للحق لهم أو عليهم وبذلك انضبطت
لهم الامور وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وتوطدت القواعد وما
خرقوا هذا الناموس تهتك أمرهم واضمحلت شأنهم وفشلوا وذهبت أسباب
ريحهم حتى قال شاعرهم

دمارهم وفيها
أعظم عبرة

مما يرهدي في أرض أندلس * تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهري يحيى اتفاخا صورة الاسد
وما زالوا على هذا الاضمحلال وهذا الانحطاط حتى تقابلت الدول
وكان الخرق لا يزداد الا اتساعا وصدق عليهم قول الشاعر

فبينما نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقته تنصفه
فوقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف وأعيى العلاج حكام
الرجال وعصفت عليهم ريح العدو والحرب سجال حتى لقد تمكن
منهم بالتفريق وإلقاء العداوة بينهم وبين بعضهم بقبيح المنافسة
ومرذول الطمع وآل أمرهم الى أن استقل العمال وأقام كل واحد
منهم نفسه ملكا في بلد واحد وصاروا يطمعون في بعضهم
ويستحيشون بالاسبابيين وبتاغيتهم ويسلمونه حصون المسلمين
تشقيا لبعض غاياتهم حتى ان بعض ملوك الطوائف واسمه
المأمون قبحه الله وأخراه بعث الى ملك قشتالة أوقشتالة المعروفة
أيضا باسم قشتيلية (Castilla) يستنصره على الموحدين
ويسأله ان يعث له جيشا من الروم يجوز به الى العدو أي
مراكش لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فقال له ملك
قشتيلية « لا أعطيك جيشا الا على شريطة ان تعطيني ١٠
حصون مما بلى بلادى كما أختارها لننسى واذا من الله عليك
ودخلت مدينة مراكش تبنى للنصارى الذى يسرون معك كنيسة
في وسطها يظهرن بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم أوقات
صلواتهم وإن أسلم أحد من الروم لا يقبل اسلامه ويرد الى اخوانه
فيكون فيه بحكمهم ومن تنصر من المسابن فليس لاحد عليه

من سيل» فأسعفه النذل الجبان في جميع ما طلب من غير تبصر
في العواقب
ويشبه ذلك أيضا ماجرى في واقعة العقاب (١) وذلك ان محمد
الناصر المشؤم على المسلمين وجزيرة الاندلس بالخصوص جمع
جوعا اشتبكت على نحو ٦٠٠٠٠٠ مقاتل وداخله الاعجاب والغرور
بكثرة من معه من الرجال فصاف الافرنج فكانت الدائرة عليه
وعلى المسلمين فان الافرنج دهموهم وهم على غفلة وغير أهبة وخلا
بسبب هذه الواقعة أكثر المغرب واستولى الافرنج على معظم
الاندلس اذ لم ينج من الستمائة ألف غير عدد يسير جدا لا يقارب
الالف وكانت هذه الواقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس
بل والمغرب وما ذلك الا اسوء التدبير فان الناصر ووزيره استخفا
برجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج وشنقا بعضهم وطمنا ان
كثرة الاجناد تغني عن دربة القواد ففسدت النيات وتفرقت الكلمة
وتخاذل المسلمون حتى ان جماعات الموحدين لم يسألوا سيفا ولم
يشرعوا رمحا ولا أخذوا في شيء من أسباب الدفاع ولا أهبة القتال
بل انهزموا الاول حملة الافرنج عليهم قاصدين لذلك والعدو يبلى

(١) جمع عقبة لكثرة العقبات التي بحاجب مدينة تولوسه *Tolosa* في شمال اسبانيا
وتعرف هذه الواقعة عند الافرنج بما هو ترجمتها *Las Navas de Tolosa*
وقد أشرت الى الراية الى أخذها الاسبانيون منهم وهي في برغش

فيهم ويقتل فيهم قتلًا ذريعًا وهم (الندالة بالندالة) معرضون عنه
بل عن الدفاع عن أنفسهم ويقول المؤرخون إن الناصر ثبت في
ذلك اليوم نباتًا لم يملك قبله

ولم يزل حالهم على هذا الاختلاف حتى حينما نضع أمرهم
وضيق عليهم العدو أشد الضيق وأحرق بغرناطة من كل مكان
ومع ذلك لم تنقطع شأفة الشقاق حتى كان في هذه المملكة الصغيرة
ثلاثة ملوك (١) أحدهم في غرناطة نفسها والثاني في أحد ضواحيها

(١) فن أكبر المصائب أن أبا عبد الله (المعروف عند الأفرنج باسم *Boubdli* وهو
الذي اضطر فيما بعد لتسليم غرناطة للإسبانيين) ناز على عمه أبي القاسم ملك غرناطة
فساعده على خلع الطاعة وشنق عصا الجماعة الملك فردينسدا الكاثوليكي طمعاً في
استرداد الخصام واحتدام الفتنة ليضعف كل من الأميرين المسلمين صاحبه ويبقى
فتح غرناطة هيما عليه ثم توفي أبو القاسم خلفه على سرير الملك أبو عبد الله المذكور فلم
يلتفت فردينسدا إلى ما بينهما من سابق المؤالفة والمخالفة بل استضعفه ورأى الغنمة
باردة فجم عليه بجيوش قشتالية واراغون وبما جاءه من المدد الكثير من أوربا ومع ذلك
لم يتمكن من فتح غرناطة إلا بعد ست سنوات فانه في آخر الأمر تمكن من حصارها
ثمانية شهور وساعده نزول الثلج وقلب الشتاء على قطع الطرق وتضييق الحصار
فجاءت المملكة أرباباً التحضر هذا الفتح بنفسها وتمتع بالدخول إلى غرناطة

وقدم التسليم بشروط وامتيازات تدل على أن المدينة كان في وسعها استمرار
الدفاع فانه تقرر أن الفاتحين لا يسون شيئا من أموال المسلمين ولا شرائعهم ولا ديانتهم

المعروف بربض البيازين (١) والثالث في عملها القريب منها وهو مدينة
وادي آس المعروفة أيضا بوادياش وبوادي الاشات وكانوا قد
أحسوا بهذا الخطر احساسا لا مزيد عليه حتى (٢) انهم استبدلوا الاقوال
التي كانت تستعمل عادة في ضرب السكة بآيات وعبارات توافق

ولا حريتهم وأن لا يتعرضوا لهم بأي وجه كان بل انهم يردون اليهم اسراهم من غير فدية
ومما يدع عليه المسلمون وينبغي تسطير في بطون التواريخ تحليدا المكارمهم انهم
اشترطوا أن يكون لليهود كل هذه الامتيازات أيضا وعلى هذه العهود خرج أبو عبد الله
من غرناطة وسلم مفااتيحها للفردندوايرابلا

ويقول المؤرخون العصريون انه أذرف الدموع حينما رى ببصره الى هذه
المدينة التي كانت في يد المسلمين منذ ٥٠٠ عام تقريبا اضطرت الى الاقدار لتركتها
عامرة أهلة تفوق كل مدينة سواها وقد رأيت في بعض التواريخ الافرنكية أنه
حينما خنته العبرة وأخمه البكاء قالت له أمه بيتا من الشعر معناه

اتحجب مثل النساء على ملك لم تقدر على حفظ مثل الرجال

ولم أقف إلا آن على لفظ هذا الشعر بالعمرية غير ان الشاعر الاديب محمود أفندي
واصف قد نظم في هذا البيت

ابك مثل النساء كما مضى * لم تحافظ طيب مثل الرجال

(١) هذا المحل سمي كذلك لكونه كان سوقا لاناس اتخذوا تربية الباز حرفة
لهم ويسمى عند الافرنج *Albaicin*

(٢) هذا الاستخراج مما ينبغي الالتفات اليه وأقول انه مما لم يتنبه اليه أحد من
العلماء الباحثين على ما أعلم وهذا من ضمن الفوائد التي تنتج من علم النقود والمسكوكات

مقتضى الحال وقد رأيتهم نقوشة على الدراهم والدنانير المحفوظة
في متحف مدريد وعند الماجد الفاضل الادون أنطونيو فيفس (١)
D. Antonio Vives وهو من علماء أهلها المشتغلين بالعربية
وبفن النقود وذلك مثل (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير
ولا غالب الا الله) . ومثل (غرناطة حاطها الله) . (غرناطة
حرسها الله . مالقة حاطها الله) . (المرية حرسها الله) - ومثل
(بجـمراء غرناطة . نصر من الله وفتح قريب) - ومثل
(العاقبة للمتقين) - ومثل (وما النصر الا من عند الله) - ومثل
(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صدق الله العظيم)
- ومثل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا واتقوا الله
لعلمكم تفلحون) - ومثل (الامير فلان أعانه الله ونصره) .
أو (أيده الله ونصره) وجميع هذه العبارات لم تكن مستعملة
في نقودهم قبل الايام الاخيرة التي أعقبها اقراض دولتهم وما
زالوا على هذه الذن حتى انحى أثرهم من الجزيرة ولقى من بقي فيها
من أنواع الاضطهاد والهوان ما أسفله في الرحلة ان شاء الله
ومما ينبغي ذكره في هذا المقام انهم قد شهد لهم الاعداء قبل
الاصدقاء بانهم لما تم لهم في ظرف أربعة عشر شهرا فتح اسبانيا كلها
ماعدا مغارات وصخور أستوريس (Asturias) (Les Asturies)

(١) انظر البداة التي وضعها بخصوص أسماء الاعلام صحيفة ٤٢٦

لم يتجاوزوا الحدود ولم يشطوا في الطلبات كما فعلته جميع الامم
الفاتحة بل أبغوا للغلوبين أموالهم وشرائعهم ودياناتهم مكتفين
بضرب الجزية وبشرف السيادة والسيطرة (١) بل انه لم يحل
قط بخواطرهم الزام أهل الجزيرة بالدخول في دين الاسلام
ولكن لما سقطت غرناطة اشتدت وطأة المحكمة المعروفة بحكمة
التحرى القيسى (Inquisition) فكان لها من القسوة مع
التظلم في ارتكاب الفظائع ما ينجح له كل من في قلبه ذرة
من المروءة والانسانية وهذه المحاكم قد أمر الباباوات بانشائها
لخدمة الدين ظاهرا والسياسة باطنا ولكن الاسبانيون أضافوا
عليها أعمالا بربرية وحشية تقشعر لهولها الجلود وتجعد منها الدماء
في الشرايين فمن ذلك احراق الملايين من الكتب النفيسة وإبادة
الآلاف المؤلفة من النفوس البريرة البريئة بأنواع العذاب
والاحراق والاعراق وغير ذلك مما لا يكاد يخطر على بال وعندما سقطت
غرناطة أراد الكرديتال شمينيس Xéminés ان يتنصر جميع
المسلمين الذين فيها مع مخالفة ذلك للعاهدة الصريحة التي عقدت

(١) وكذلك السلطان محمد الثاني لما فتح القسطنطينية وبلاد الاعارفة (La Grèce) ترك أهلها يتمتعون بحياتهم بكل سلام وأمان وأباح لهم ممارسة ديانتهم كما أنه لم يطرأ عليهم شيء من الانقلاب وجرى على سننه الشريف خلفاؤه من بعده

مع أهل غرناطة وقت التسليم ولما كانت عملية التنصير تسبب
زمانا طويلا أراد الكردينال ان يصل اليها بغاية ما يمكن من
السرعة كما تم فتح غرناطة في وقت قريب فأرسل قساوسته
يعظونهم ويضطهدونهم كما يشهد بذلك نفس مؤرخهم وما زالوا
بهم حتى أخضعوهم واضطروهم للتعميد فدخل بهم هذه المشابة
خسبون ألب نفس في دين لا يعتقدونه ولا يقولون به وباليتمهم
أبقوهم على ذلك بل جاء الكردينال تركاده Torquemada
وزين لايرابلا انهم يظهرون خلاف ما يبطنون وانه يسوغ حينئذ
مصادرتهم في أموالهم واعدامهم الحياة وقد كان

ولقد صدق على العرب ما قاله أحد ملوك فرنسا (وهو شارل مارتل)
حينما فرغ اليه أكبر دولته لما رأى الامتداد فتوحاتهم وسرعة توغلوهم في
البلاد فانه قال لهم مامعناه - (الرأى عندى ان لاتعترضوهم في
خروجهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في إقبال أمرهم ولهم
نيات تغنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة الدروع أمهلوهم
حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في
الرياسة ويستعين بعضهم على بعض حينئذ يتمكنون منهم بإسبر
أمر) - فكان كذلك بالفتن التي استدامت بين البربر والعرب
وبين العرب وبعضهم وصار بعض المسلمين يستعين ويستجيش على

بعض من يجاورهم من الأعداء وانقلب الموضوع وتبدلت الأحوال
فقد أجلى المسلمون في أول الأمر جميع أهل الجزيرة وأقصوهم
إلى آخر حدودها شمالا حتى لم يبق منهم إلا ٣٠٠ رجل مع ملك
يسميه العرب بلاى ويسميه الأسبانيون بلايو Pelayo ويسميه
الأفرينج بلاج Pélage فالتجأ هذا العدد القليل فكان يعرف عند
العرب بالصخرة ويعرف عند الأفرينج الآن باسم جبل كوفادونجا
Covadonga ولم يزل المسلمون يلحون عليهم بالقتال حتى مات
أصحابه جوعا وبقي في ٣٠ رجلا و ١٠ نسوة ولا طعام لهم إلا العسل
يشتمرونه من خروق بالصخرة فيتقوتون به حتى أعيى المسلمين أمرهم
واحتقروهم وقالوا (ثلاثون علجا ماعسى أن يجيء منهم) وما علموا
أن الأتلاف والاتحاد من جهة القشتاليين والتغابن والتغاذل من
جهة أبنائهم وأعقابهم جعل لهؤلاء « الثلاثين علجا » من القوة
والكثرة مالاخفاء به حتى قهروا العرب وأجلوهم بالمرّة وأذافوهم
أنواع الذل والهوان مما هو مسطور في كتب التواريخ وسألت
بعضه في الرحلة إن شاء الله

واعلم أن إخراج العرب من إسبانيا أضرب بهذه المملكة
و بأهلها ضررا بايغا لم يحصل له نظير في مملكة من ممالك العالم على
الإطلاق فانها كانت في أيام العرب عاصمة زاهرة بانغة من الحضارة

والجلالة ماهو مشهور معلوم وكان عدد سكانها في أزمانهم ٤٠ مليوناً فأصبحت الآن مع الرجوع الى العمار وانتظام الاحوال بعض الانتظام ولم الشعث ورم الرث ورقع الخرق، وربق الفتق لا تحتوى على أكثر من ١٧ مليوناً من النفوس فلذلك ترى أغلب أراضيها خالية وأكثر مزارعها خاوية ومصادر الثروة فيها مهملة وأصول الاستزاق معطلة ولا أريد الاطالة بذكر الاسباب وإنما أقتصر على ايراد شئ قليل يدل على ما يضطرنى بحجم هذه الرسائل وموضوعها للاجمال والاقبال في المقال وذلك ان الملك فيليب الثاني وحده طرد ممن بقى من المسلمين ما بين ٦٠٠ ألف و ٧٠٠ ألف نفس وكانوا كلهم لا يشتغلون بغير الزراعة والتجارة والصناعة لا يعرفون استعمال السلاح باى حال من الاحوال وكانوا مفيدين نافعين لانهم ما كانهم في الشغل والعمل في بلاد اشهر أهلها بالبطالة والكسل وكان القوم يضطرونهم للتظاهر بالنصرانية ويكثرون مع ذلك من تعذيبهم واضطهادهم ومصادرتهم وتجسيمهم أنواع الاحوال التي لا تخطر على البال حتى اتهم لما بلغ الضيم بهم منتهاه نزعوا الى الثورة وثق عصا الطاعة فاسترسلوا لداعى الفتنة ولكن أى فتنة وهم قوم لا يدرون شيئاً من الطعن والضرب ولذلك لم يكن على الدولة سوى ارسال نفر قليلين من جنودها لاجساد هذه

الشبه بثورة الضعيفة التي لا تذكر إخمادا ثم في أقل من لمح البصر
ولقد رقت لبلواهم حينئذ دولة فرنسا حيث رأتهم أناسا مستضعفين
لأناصر لهم ولا معين سوى انكبابهم على اتقان الصنائع واخصاب
الاراضي ولذلك راسلهم ملك فرنسا هنري الرابع (وقد أشرنا
اليه أثناء كلامنا على القائل والانصاب في باريس) ووعدهم
بالامداد والانجاد وانه يجعلهم تحت حمايته حتى لا ينالهم
ضير ولا أذى ولكن الدهر كان لهم بالمرصاد وشؤم الطالع ونفس
البحث من ورائهم أينما وجهوا وجوههم لا يرون الا انكادا وبؤسا
ولا يلقون الا انتقاما وتعا فقد قضى عليهم ان لا يخلصوا من ورطة
الواقعا في شرمها وان لا يسلكوا سبيلا للنجاة الا انقلاب عليهم
سبيلا للهلاك وتله في خلقه تدبير سبحانه قسم الحظوظ فلا عتاب
ولاملامه وذلك أنهم لما تلهفوا بقدر ماتلهفوا ثم استنشقا روح
الامل القليل بمساعدة هذا الملك الجليل لم يلبثوا ان انقلبت
أمانهم خسرانا عليهم ووبالا فان أحد الكتاب في تطارة الخارجية
بفرنسا خان الملك وأذاع هذا السر وأعلم ملك اسبانيا بما عزم
عليه فرنسا فكان ذلك سببا للتعجيل في تنزيقهم والاسراع
بتنزيقهم والمبادرة اطردهم (وهم بقية بقايا البقايا بالاندلس)
غير أنهم كانوا شديدي التعلق بالبقاء بالاندلس للتمتع به واستنشاق

نسيه فعرضوا على الملك ان يدفعوا له مليونين من الدنانير ثمنالا
بقائهم في أرض مهادهم فلم يرض فيليب بذلك على الاطلاق ولكنهم
لشدة تعلقهم ببلادهم أنفوا من الخروج مؤثرين الذل فيها على العز
في غيرها فالتجأ نحو ٣ ألفا منهم الى الجبال ولم يكن لديهم من
وسائل الدفاع سوى الحجارة والمقلاع وهي من الوسائل التي لا تفيد
شيأ ولذلك ما لبثوا ان اضطروا للتسليم ثم صار نقلهم خارج المملكة
ففقدهم فيليب بذلك أفضل رعاياه وأكثرهم حذقا ومهارة . وقد لجأ
أغلب من نجابحياته من هؤلاء الاندلسيين المطرودين الى افريقية
وطنهم الاول وأدخلوا بها من الصنائع والفنون ما جعل صغارها
جنانا وبواديه انعميا . ونخص بعضهم الى أرض فرنسا في عهد ماري
دومدسيس ثم بارحها الذين لم يرضوا بتغيير دينهم الى أرض تونس وأما
الباقون فتنصروا واستقروا باقليم بروفنس (Provence) ولا نجدوك
(Langdoc) بل ذهب بعضهم الى باريس واستوطن بها وكانوا
معروفين متميزين عن بقية القوم ولكنهم مع توالي الزمن امتزجوا
بالامة امتزاجا تاما فاستنادت فرنسا من حيث خسرت اسبانيا وهذه
سنة الله في خلقه تتداخل الامم في بعضها بالاضطهاد وبالفتوحات - وقد
قرر العلامة فولتير هذا الموضوع

ولقد أبقى العرب في اسبانيا آثارا مادية كثيرة لا يزال بعضها
باقيا الى يومنا هذا كما أنهم خلدوا فيها كثيرا من النظمات والقوانين

والسياسات والتراتب والاحكام مما يراه الانسان في هذه البلاد
حتى اليوم كما انهم كانوا لهم مؤثر كبير في الاخلاق والآداب حتى
لقد رأيت في اخلاق أهل إسبانيا أخلاق العرب وشهامتهم
وكرماتهم فقد لقيت فيهم حسن الوفاء وحسن الطباع
والتعجب الى الغريب والفرح بافادته واعانته سواء كانوا يعرفونه
أولا يعرفونه وذلك ما يجعلني أفضلهم جهارا وأشهد على رؤس
الاشهاد بان أخلاقهم أدمت وألطف وأشرف من جميع الامم
التي طفت ديارها في هذه الرحلة المسطوية وسأشرح ذلك
بالتفصيل عند الفرصة اعطاء لكل ذي حق حقه وتقريراً للوقائع
كما هي حتى اتى وجدت فيهم من الطباع النبيلة ما قد نسيه أهل
البلاد العربية واتى اذا تعصبت لامة من الافرنج فانما يكون ذلك
لاهل اسبانيا حياهم الله وبياهم فقد آنت فيهم وفي بلادهم
خصوصاً أيام كنت أجهل لغتهم وليس لي من صديق فيهم وقبل
وصولي الى مدريد ما يجعل لساني يتلو آيات شكرهم في كل ناد
ويفصح بمفاخرهم وآثارهم في كل واد على نوال الآماد وأكرر
قول الاندلسي على جميع البلاد

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها * بتعاقب الاحيان والازمان

كلمة الرسالة الاندلسية

وهي

(مذة في امتزاج العرب بالجم في اسبانيا)
(والاستشهاد على ذلك بالاسماء والالقاب)

اعلم أن كثيرا من أشرف العائلات الاسبانية الاصلية
امتزجت بالعرب امتزاجا كاميا ودخلت في دين الله القويم ولكنها
لم تغير ألقابها الخاصة بها لما كان لها بالطبع من الجاه والحسب
وقد نبغ منها كثيرون

مثال ذلك ❀ ابن بونه وهو اسم لكثير من أدباء الاندلس
وأصله الاسباني (Bueno و Bono) ومعناها الطيب والجيد -
ولاتزال عائلات اسبانية كثيرة بهذا الاسم الى الآن ❀
ومثل ابن ييبش (وهذا هو الاسم الذي دعاني لتحرير هذه
الكلمة) وهو اسم لجملة أدباء اندلسيين منهم الغرناطي اللغوي
الاديب أبو عبد الله محمد بن ييبش (Ibn Vivax) من شيوخ
وزير الاندلس المشهور بابن الخطيب . وأصل اسم العائلة من كلمة
اسبانية لاتينية (Vivas و Vives) مشتقة من فعل معناه
الحياة والعمر والمعيشة - وربما كان صاحبنا الدون أنطونيو فيمس
المذكور بالمتن (صحيفة ٤١٨) من نسل هذه العائلة فإذا صح ذلك الظن

تكون أصلها اسبانية ثم استعربت ثم استسبنت (أى صارت اسبانية كما كانت) ويكون الحكم كذلك فى بقية العائلات المذكورة فى هذه التنبذة ❀ ومثل ابن بشكوال Ibn Paxcual وهو الشيخ العالم أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال من مشاهير المؤرخين من أهل قرطبة وله كتب كثيرة جزيلة الفائدة منها كتاب الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم وهو حجة ثقة واسمه مشتق من Pascual من كلمة لاتينية Paschalis ومعناها المنتسب لعيد الفصح ولا يزال باسبانيا وأوروبا عائلات كثيرة بهذا الاسم ❀ ومثل ابن الأقسطين وهو لقب لكثير من الاندلسيين منهم الأديب محمد بن موسى بن هاشم وهذا الاسم من كلمة اسبانية Agustin فرساويتها Augustin ولا تينيتها Augustinus ومعناها العظيم الجليل ❀ ومثل ابن الباذش وابن البيدش Ibn-al-Pedex وهى كلمة اسبانية لاتينية نص ابن الأبار على ان معناها القدمان أى الرجلان Pedes وهو لقب لأديب غرناطى توفى سنة ٥٢٨ ❀ ومثل ابن برال Borrel و Burriel وهو أبوبكر من مشاهير أدباء الاندلس ولا يزال لقباً لعائلات اسبانية كثيرة ❀ ومثل ابن بستغير (Ibn Baxtagair) وهو من أدباء الاندلس واسمه أبوجعفر ولقبه من كلمة لاتينية Bastagarius معناها الموكل بنقل أمتعة

الدولة أو الكنيسة في الاحتفالات العمومية ❀ ومثل الرشاطى وهو النسابة الاندلسى أبو محمد الرشاطى Arroxati وهذا الاسم مشتق من كلمة اسبانية (روسيتا = Roseta بمعنى الوريذة تصغير وردة) ❀ ومثل ابن الرومية وهو لقب لأحد مشاهير علماء النبات من أهل اشيلية وبما ان عادة العرب النسبة الى الأب لا الى الام الا فى أحوال استثنائية قليلة جدا فذلك يخيل لى أنهم أبقوا هذا اللقب دلالة على أصله كما فعلوا بالنسبة لابن القوطية أحد مشاهير كتاب الاندلس فان العرب أطلقوا اسم القوطية La Goda بالاسبانية و La Gothe بالفرنساوية على سارة Sara حفيدة الملك القوطى ويتيزا Witiza أو Vitiza المعروف عند العرب باسم غبِطْشَه وربما كان الرجل من نسلها ❀ ومثل ابن غرسيه وهو لقب لكثير من الاندلسيين منهم الفقيه العلامة عبد الرحمن بن أحمد وهذا اللقب اسباني محض Garcia وكان فى القديم يكتب هكذا Garsea و Garsia و Garseas و Garseanus ولازال لقباً لعائلات اسبانية كثيرة ❀ ومثل ذوالوزارتين السرقسطى ابن غندشلب وكان صاحب جاه عظيم ونفوذ كبير فى دولة بنى هود بمملكة النغر الاعلى أى مملكة سرفسطة وله شعر جيد - وهذا الاسم اسباني محض Gonzalo و Gonzalve و Gonzalez الخ ولا يزال لقباً لكثير

من العائلات ❀ ومثل ابن فُورْتِس وهو لقب لبعض علماء الاندلس
(ولاتينيته Fortis بمعنى قوى شديد) - ولا يزال لقباً لكثير من
العائلات الاسبانية الآن ❀ ومثل ابن كُنْبَرَاط Comparath
وهو من أهل بلنسية العارفين بالطب وعنه أخذ القاضي أبو
الوليد بن رشد Averroës فيلسوف الاندلس المشهور - وهذا
اللقب اسباني محض ❀ ومثل ابن امون لقب لابي عثمان العالم
الاديب الناشئ بمدينة المرية Almeria ولا يبه أبي جعفر من
علماء الفلاحة المبرزين ومن شيوخ الوزير ابن الخطيب - وهذه
الكلمة اسبانية محضة Leon تجي من اللاتينية Leonis,
بمعنى الاسد ولا زالت لقباً لكثير من العائلات الاسبانية الآن ❀
ومثل ابن سَلْبَطُور من مشاهير علماء الاندلس وهذا اللقب مستعمل
الى اليوم - وهو بالاسبانية Salvador وبالطليانية Salvatore
وبالفرنساوية Sauveur ومعناه الخالص والمنقذ والمنجي وهو علم
في العبادة عند النصارى على سيدنا عيسى عليه صلاة الله
وسلامه - ومثل ابن فيرِه لقب للعالم الاندلسي المشهور وصاحب
الشاطبية وقد نص ابن خلكان على انه لقب اسباني معناه الحديد - واعلم
ان الحديد يسمى عند الفرنسيين Fer وعند الطليانيين Ferro
وكان يسمى كذلك في القديم عند أهل اسبانيا مشتقين له من اللفظة

اللاتينية ولكنهم اليوم حرفوه فلا يقولون « فيره Ferro » اذا
أرادوا ذكر الحديد بل يقولون من باب التحريف « Hierro
هيره » وهم لا ينطقون مطلقا بحرف II مقابل الهاء ولكنهم يقولون
عن السكك الحديدية Ferrocarriles و Caminos de
hierro فترى ان كلمة « فيره » لازالت باقية عندهم في بعض
التراكيب ❀ ومثل ابن فوربون وابن مورجون لكثير من علماء
الاندلس وهما لقبان اسبانيان محضان لا يزالان مستعملين الى
اليوم Fortun و Morejon ❀ - وقد اطلعت على أسماء
كثيرة للاندلسيين وليست من العربية في شئ على الاطلاق مثل
تومرت وانجلينو واشقبلاولة ومردنيش وهمشك وكثير غيرها
ولكنني لم يتيسر لي ارجاعها الى أصولها الافرنكية وسأستوفى ذلك
في فرصة أخرى ان شاء الله

ومن الامور التي يجب ذكرها تسمية هذه الكلمة ان أهل
الاندلس المسلمين تفردوا بزيادة الواو والنون في آخر ألقابهم بخلاف
المشاركة كما تفرد بعض الاعجماء بزيادة «ويه» في سبويه ونظويه
وعمرويه وخالويه ومردويه ومزرويه وحيويه وشاهويه
ودرستويه وراهويه ورزقويه ومادويه وقاذويه وشيرويه
وككويه وحمويه ورجويه الخ وكما تفرد الارمن بزيادة
«يان» و «آن» في آخر أسمائهم وكما تفرد الروس بزيادة «أوف»

و «إيف» ولا حاجة ليراد الامثلة هنا فانها مشهورة سوى انى أقول ان بعض أهالى ايران والجر كس وغيرهم من التابعين الان للروسيا ملزمين بإضافة «أوف» أو «إيف» على أسمائهم وقد لاقيت فى المؤتمر عالما فارسيا من هذا القبيل اسمه «أحمد انايف بك أى أحمد أنايفك» واعلم ان نظير هذين الحرفين «الواو والتون» أى on فى اللغات الافرنكية وخصوصا الاسبانية اذا وضعافى آخر كلمة افرنجية أفادها القوة والشدة والتفخيم وكأنى بالاندلسيين أرادوا هذا المعنى من باب التسمى على المشاركة ومثال هذه الاسماء مضافة الى لفظه ابن : بدرون . برون بكرون - جبرون . جلفون - جبرون . جبنون . حضرون . حنصون . حكون . جدون . حنون . حيون - خادون (١) . خيفون . خيرون - دحون -

(١) أذكرهما من باب التفكهة ان أحد شعراء الاندلس وهو أبو على الملقب هجا العلامة ابن خلدون بهذين البيتين

ياشاعرا يتسمى * وجده خلدون

لم يكف أنث خل * حتى بانك دون

وهذا شبيهه بالشاعر الذى ذم نقطويه والقائل أبو عبد الله محمد بن زيد بن

على بن الحس الواسطى المتكلم المشهور قال

من سره أن لا يرى فاسقا * فليجتهد أن لا يرى نقطويه

أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقى صراخا عليه

قال ابن خالويه ليس فى العلماء من اسمه ابراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى

نقطويه وهو بكسر الهمزة وفتحها او الكسر أفصح لقب بذلك لدمامته تشبيها لله بالنقط

رزقون - زرقون . زقنون . زكون . زيدون - سجبون .
سعدون . سلبون . سلون . سمعون . سمجون . سملون -
شبطون Xabatou - ضيفون - عبدون . عبّيدون (وفي هذا الاسم
تصغير بالعربي وتكبير بالافرنجى) . عجلون . عسلون . عفيون .
عرون . عيسون . عيشون - غدرون . غابون - فتحون .
فلون . فرحون - قلون . قنون - نطقون . وهبون -
يسعون . يشعون . يحيون .

واعلم أن زيادة الواو والنون تعدت أيضا الى بعض أسماء النساء
نذكر لك اسم الشاعرة زهون وهى من أشعر نساء الاندلس ومن أكثر
المستغنين بالمنظم بديهة واجادة كانت تسكن بغرناطة ولها واقعة
حال مع شاعر أعمى من المشاركة تدل على شدة بديتها حينما
طارحته الشعر فى حضرة أحد الامراء ولولا ما فيها من بعض
الاختلال بالادب لذكرتها من باب التفاخر بها ولكن ذلك لا يمنع
الطالب من البحث عليها فى كتاب نفح الطيب المطبوع فى بولاق
صحيفة ٩٠ و ٩١ و ٩٢ وأخبارها فى صحيفة ١١٤٦ و ١١٤٧
من الكتاب المذكور وقد أورد الضبي شيئا من أشعارها فى كتاب بغية
الملتقى فى تاريخ أهل الاندلس فى صحيفة ٥٣٠ (نمرة ١٥٨٨) من
النسخة المطبوعة فى مدريد سنة ١٨٨٥

الظن
مزهون

سعدونة
شاعرة

ونذكر أيضا اسم شاعرة أخرى مشهورة وهى سعدونة فقد
أضيف الى اسمها علامة التأنيث

والاغرب من ذلك أن بعضهم أضاف على اسمه حرفى الواو والسين
وهما علامة الانتهاء فى اللغة اللاتينية Is ومثال ذلك : أحمدوس
أنسوس - عبدوس . عمروس - طعلوس . طعلوس - فالوس
فرعوس . فرغلوس - قبتروس . قبيلس و منهم من يسمى
جديس وهذان الحرفان الانتهاءيان هما أيضا من خصائص اللغة
اللاتينية (Is) كما لا يخفى على العارف . واعلم أن هذه الاسماء التى
ذكرناها هى أعلام لعلماء ترى تراجمهم فى كتب ابن الأبار وابن
القرضى والضى وابن بشكوال ونفع الطيب وابن خلكان ودائرة
المعارف وآثار الأدهار ومجموعة القطع العربية التى انتخبها العلامة
الاسبانيان لرتشندى و سيمونيت (Lerchundi y Simonet)
والمعجم العربى الاسبانى الذى ألحقاه بكتابهما المذكور

واعلم أيدك الله وأبقاك أنه لما آل أمر بقاياهم بالاندلس الى
منتهاه من التلاشى والاضمحلال وتناسوا اللغة العربية وأساليها
مرة واحدة أهملوا لفظة « ابن » واستبدلوها بعلامة الاضافة فى
اللغة القشتالية وهى « دو » فكانوا يقولون (فلان دو فلان) أى
(فلان من) أو (ابن فلان) ولقد نهى بعض الفضلاء الى أن الافرنج قد يكونون
استعملوا لفظة (do = ذو) فى اضافة الاسماء والالقاب الخاصة بعائلاتهم
الشريفة فقلع استعمال العرب اليمانيين الذين يستعملون لفظة (ذو = صاحب) أمام

أسمائهم واني وان لم يتيسر لي استكمال البحث واستيفاء المراجعة لأرى ما دعا من الظن بان الافرنج قد أخذوا ذلك عن أهل اليمن خصوصاً وان التبادلة والاقبال كانوا باليونان والعزوف في جهات الشمال من آسيا وفي بلاد فارس والهند ومن المآمل ان كبار عائلات البلاد التي أخضعوها أو مزوا بها قد تشبهواهم في التسمية بالقباب الشرف كما يحصل عادة من تقليد الامم المستضعفة للام القوية العلية الشأن ولا يجهد الباحثون الواقفون على ارتباط اللغات ببعضها ان بين اللغات الفارسية والهندية وبين اللغات الاوروبوية ارتباطات ومشايات كثيرة جداً فيما يتعلق باصول الالفاظ والتراكيب الجويه والاساليب الصرفية وطرائق التعبير وغير ذلك من العلاقات والمناسبات التي لا تمكر واني أدكر لك الآن أسماء بعض ملوك اليمن الذين تصدرت ألقابهم بلفظة (ذو) : ذوالادغار - ذوأصج - ذوالاعواد - ذوجدن - ذوجيشان - ذورعين - ذورباش - ذوسدد - ذوشدد - ذوالشنانر - ذوالصرح - ذوظلم - ذوفائش - ذوالقرنين - ذوقلاع - ذوكرب - ذو كلاع - ذومرشد - ذوالمنار - ذومهدم - ذونقر - ذونواس - ذوهجرس - ذوهرب - ذوزين - ذومين

وكذلك وردت أعلام جغرافية كثيرة في بلاد اليمن وغيرها مصدر تهجده

الاداءة (ذو) واعلى أستكمل البحث عن ذلك في فرصة أخرى

ونرجع الى الكلام على ما يتعلق ببقايا الانداسيين في هذا الموضوع فنقول انهم بعد أن تناسوا لنظرة (ابن) وصاروا ية قولون (فلان ذوقلان) استبدلوا اللفظة السيد بالكلمة المقابلة لها في اللغة القشتالية (الدون) (١) كما يفعل الآن بعض العوام من وضع كلمة موسيو الفرنسية

(١) وهي مستعملة عند أهل اسبانيا في مقابلة موسيو عند الفرنسيين وسير مند الايكليزوسانيور عند الطائفة وهي مختصرة من كلمة لاتينية Dominus ومعناها الرب والمولى والسيد وقد أطلق هذا اللقب في أول الامر على سادات اسبانيا ثم على ملوكها ثم هو الآن لقب التعظيم فيها

امام الاعراب في اللغة العربية في الكتابات والمخاطبات على ما هو شاهد اليوم
ومثال ذلك عندهم الدون عيسى دو جابر الفقيه الاكبر والمفتي بجامع
شقوبية (Ségovie) في سنة ١٤٦٢ افرنكية فانه ألف كتابا جليلا في
الفقه الاسلامي باللغة الاجممية (الانجيدو) التي سبق لنا الاشارة اليها وقد
ابعت هذا الكتاب جمعية التاريخ الملوكية بمدريد في سنة ١٨٥٣
في الجزء الخامس من مطبوعاتها) وعندى نسخة منه تدل على غزارة
ضاه وواسع علمه ﷺ وقد بلغني من بعض العلماء أن بعض المراكشيين
المتوطنين على الساحل يستعملون ذلك التلقيب اليوم - والاغرب
من هذا وهذا ما بلغني في مدريد من بعض أهل السياحة والتحقيق
ان الاعراب البدويين المتوطنين في صحارى هراكش (أى بعيدا
عن الساحل بمسافات شاسعة تمنع خيال الظن بوجود أى تأثير
لاختلاط مع أهل اسبانيا الآن) لا يزالون يستعملون هذه الطريقة
التسمية أى وضع كلمة « دو » في المكان الذى يضع فيه بقية
العرب لفظة « ابن » وهذا دليل على اتصال نسبتهم بالاندلسيين
الذين أخرجوا من ديارهم - هذا وقد رأيت عند الدون پابلو خيل
في سرقسطة حججا شرعية وصكوك معاملات ووقفات مكتوبة
باللغة الاجممية (انجيدو) وفيها « الدنيا عائشة » أى السيدة
عائشة والدون فلان وهكذا

ثم أقول من باب الاستطراد غير متعرض في هذا المقام الى

استكمال البحث فاني أريد توقيته في فرصة أخرى ان الاسبانيين وقع منهم مثل ماوقع من العرب فان الناظر الى اسمائهم لايعسر عليه ان يتعرف فيها اعلاما عربية قد يكون بعضها مأخوذا بالوراثة وبعضها عفا اولمناسبة أخرى ومثال ذلك Codera وهو قديرة (ولايزال الحاج قديرة والحاج قدور من أسماء أهل طرابلس ووتس والجزائر ومراكش) ومثل Zaidyn = زيدين و Abad اى عباد و Alvarez = الفارس و Alvarez del campo أى فارس الميدان و Baguer = الباجر و Moreira = مريرة و Sofi = صوفى و Ferran = فران و Almenara اى المنارة و Alcayde = القائد و Alcalde = القاضى (ولايزال هذا اللقب عندهم مرادفا للمحافظ والمديروحا كم البلاد كما كان يسمى عند العرب بالقاضى اذله اختصاصات كثيرة في الشرع الشريف ويسمى عند الفرنسية Alcade وان كان الاسبانيون أضافوا لاما L من باب التحريف في قولهم Alcalde فانما ذلك لاطهار تفخيم الضاد) و Rabadan = رمضان (الباء حلت تحريفا محل الميم العربية) و Nasarre = نصار (والاسبانيون ينطقون بحرف S سينا على الدوام مهما كان موقعه بين الحروف الاخرى) و Calaf = خاف و Maymon =

ميمون ﴿ و Alvaro = البر ﴿ و Meaza = معازة ﴿
و Alfageme = الحجام الخ

وهذه الاعلام كلها لاناس موجودين في اسبانيا الا ان رأيت بعضها في كتب الدلالات وعرفت بعضهم بنفسى ومن ينظر الى اعلام الاسبانيين الا ان يرى في آخر أكثرها هذين الحرفين Ez وهما عنى ماتا ككده علامة على البتوة فكل اسم في آخره ذلك يكون معناه ابن فلان مثل Fernando أى فرندو ثم Fernandez أى ابن فرندو وهكذا فى جميع الاسماء ولم أر ما يشبه ذلك فى بقية اللغات الافرنجية التى اطلعت عليها نعم ان كثيرا من أسماء الانكليزية تتهى بمرادف لفظة ابن وهى سن أو سون son مثل سامويلسن وروبرتسن وچونسن ونحو ذلك ولكنها لا تشعر بالدلالة على البتوة وربما كان هذا المعنى مفهوما منها فى أول الامر ثم تنوسى الا ان مرة واحدة بخلاف ما هو فى اسبانيا وهذا ما يدعونى الى الظن بانه أثر باق من آثار العرب الذين يتسبون على الدوام الى الاب مع لفظة ابن والذي يقوى ذلك الظن ان هذه الزيادة فى آخر الاعلام الاسبانية تشبه تمام المشابهة لفظة « زاده » و « أوغلى » التى تضاف على أواخر الاعلام التركية والله أعلم

﴿ الخاتمة ﴾

بعد أن زرت غرناطة وكتبت رسالتى الاندلسية التى لم يتيسر لى
أن أورد فيها جزءاً من عشرين مما وقفت عليه من أحوال الاندلس
وما رأيت فيه من آثار العرب وبقية أخلاقهم وغير ذلك مما قد
يستغرق مجلداً ضخماً قلت الى قرطبة (١) وشاهدت المعاهد والبقايا
فى هذه البلدة الشائقة بل الجنة الرائقة التى يسقيها الوادى الكبير
وتحفظها أشجار الليمون والبرتقال والمان فىنتشر أريجها ويضوع
نفعها فيتعطر هواؤها ويطيب المقام بها ولم تصل مدينة اسلامية
الى ما وصلت اليه قرطبة من كثرة المساجد فانها بلغت فيها ١٦٠٠
مسجد وأوصلها آخرون الى ما يزيد عن ضعف ذلك وأهم ما رأيت
فيها هو المسجد الجامع الذى لانظيره فى العالم الاسلامى وقد
كان فى مكانه كنيسة فاشترى المكان عبد الرحمن الداخل بمبلغ
مائة ألف دينار ثم صرف على بنائه وتشييده ثمانية آلاف ولكن
المسالك والخلفاء الذين أعقبوه لم يقتصروا على ذلك بل رأوا من
الضرورة توسيعه والزيادة فيه وعدد هؤلاء الخلفاء ثمانية وكان

المسجد الجامع
فى قرطبة

كل واحد يتفق بقدر سعته ومنهم الحكم أنفق وحده أكثر من
١٦١ ألف دينار وكلاهما من فى المسلمين الذى يخص بيت المال

(١) يقول العرب اسمها باللعمة القوطية (القلوب المختلفة) وقال بعضهم
(أجزوا سكنها)

وحده (وهو عبارة عن خمس الغنائم كما هو معلوم) ولما جاء المنصور بن أبي
عاصم وزير الاندلس المشهور وعزم على زيادة المسجد ليكون مناسباً لتساع
قرطبة وزيادة سكانها كان يحضر أرباب الدور التي يريد نقاهم عنها فيقول
للواحد منهم «ان هذه الدار التي لك يا هذا أريد أن أبتاعها لجامعة المسلمين
من مالهم وفيهم لازيدها في جامعهم وموضع صلاتهم فشطط واطلب
ما شئت» فإذا ذكر له أقصى الثمن أمر أن يضاعف له وأن تشتري بعد ذلك
له دار بموضعها حتى أتى بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة فقالت
«لا أقبل عوضاً الادارا بنخلة» فقال «تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب فيها
بيت المال» فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ في الثمن (وهو دليل على شدة
عناية القوم بأشياء المشرق وكثرة حنينهم الى النخل الخاص بيلادهم
الاصلية ولعبدالرحمن الداخل وغيره من الملوك قصائد جميلة في مخاطبة
النخل) وقد استمر المنصور في أعمال الزيادة بالجامع مدة سنتين ونصف
وكان يخدم فيه بنفسه كأحد العمال وكان قصده الزيادة في
الاتقان والوثافة دون الزخرفة واعلم ان هذا المسجد أصبح الآن
عبارة عن كنيسة كدراثية جامعة وقد بقيت معالمه الرئيسية على
ما هي عليه وأقسم بالله اني أكثر من البكاء المرحم نادرت في
صعوبته وبين عمدانه ووقفت في محرابه وتأملت ما فيه من غرائب
الاتقان التي لا تحظر على بال مع الفخامة والضخامة وهو متجلبب
بجملات من الحلاله توح المهابة التعددة في نفس الزائر ويجعله يشعر

حقيقة وجود خالق معبود قسم الحظوظ وقدر الارزاق وأراد ما أراد
ولا أتصور أن الخشوع الديني والخضوع التعبدى يحدث في نفس أى
انسان فى أى معبد من المعابد التى أقامتها جميع الامم على اختلاف
نحلها ومقالاتها بكيفية أكثر وأظهر وبانفعال أتم وأكمل مما رأته
فى هذا الجامع الذى يحتوى على ١٢٩٣ عمود من مختلف الرخام والصوان
وكلاهما منقوشة التاج والقاعدة بكيفيات تخالف بعضها وقد كانت قبته
مستندة على ٣٦٥ عمود من نفيس المرمر وبلغ مسطحة ٢٣١٥٠
ذراع مربع وأما المحراب فقد رأيت منه مصنوعا من أحجار دقيقة مختلفة
الالوان متركبة مع بعضها على نظام النص والفسيفساء بحيث
تحدث منها أشكال متناهية فى الجمال وآيات قرآنية وأحاديث نبوية
وإذا نظرت لها الانسان من ذات اليمين رأى ألوانا وأضواء وأشكالا
وتراكيب تخالف كل ما يراه لو وقف بجهة الشمال وكذلك الامر
فإذا لو وقف فى الوسط أو تقدم أو تأخر وهكذا وخلاصة القول اننى
أتصور هذه القبلة مركبة من أحجار كريمة دقيقة مرصوفة بجانب
بعضها باكمل ذوق وأحسن أسلوب

ثم خرجت من قرطبة منقبض الصدر مكلوم الفؤاد ولم
أرض برؤية شئ غير المسجد فى عاصمة الاندلس العربية

وقت الى مدريد ومنها الى سرقطة الى برشلونة Barcelona
الى مرسيلية فبقيت بها أياما شاهدت كل ما يجوز للغريب وعابر

السبيل ان يراه فيها وفي أول فبراير سنة ١٨٩٣ امتنع الحجازيون عن اصطناع الخبز الخلاف في التثمين وقع بينهم وبين البلدية فكان لذلك منظر من أغرب المناظر واستمر الحال ثلاثة أيام كاد الناس يقتلون بعضهم فيها ثم انجحت النازلة على أحسن حال ورأيت فيها آثارا كثيرة وأعمالا عظيمة منها القصر والبستان والمنتزه (البرادو) الذي لا نظير له في العالم وكنيسة فاخرة على جبل عال يصعد اليها بعربات تجرها قوة الغاز من أسفل الى أعلى على قضبان حديدية تكاد تكون رأسية عمودية بلاصق الجبل وهي تزيد في العظمة عما رأيت في تورينو وركبت في عربات الامنيوس التي تجرها الكهرباء بأسلاك معلقة في الجو تتصل العربية بها بواسطة سلك معدني فتندفع العربية الى الامام أو الخلف بقوة شديدة أو خفيفة أو تقف مرة واحدة بحسب ارادة السائق عند اللزوم . وأقول الحق ان أول شئ عنيت به عند دخولي اليها أنى أكلت من طعامها المشهور وهو البويابيس la boullabaisse ورأيت كثيرا من مصانعها ومعاملها والذي يستحق الذكر منها الآن بغاية الايجاز هو معمل أنشاء أحد الاطباء للمساعدة على إتمام خلق الجنين الذي يولد بعد ٦ أو ٧ أو ٨ أشهر أى كل جنين يولد قبل الميعاد وتكون فيه الروح ولكنه اذا ترك مات في الحال فتري الاجنة موضوعة في بواقيل زجاجية فيها الحرارة والغذاء

معمل المساعدة
على إتمام خلق الجنين

مدبرتين تديران عجيبا بانابيب تتصل الى الجنين بدرجات معلومة والله
في خلقه أسرار تبارك الواحد القهار

ثم قمت الى مدينة تولون وهي أهم ميناء بحرية بجزيرة بيلادفرنسا
وقد كان للمسلمين بها جامع نخيم في أيام السلطان سليمان القانوني
فان شريكان ملك فرنسا استنجد بالسلطان العثماني فارسل له
عمارة بحرية تحت قيادة الاميرال خير الدين باشا المعروف عند
الافرنج باسم Chérudin المشتهر عندهم أيضا باسم Barbeousse
أى ذى الذقن الصهباء وقد أقام الاميرال العثماني بالمدينة شتاء
كاملا وكان له الحكم المطلق فيها وقد جعل أحد دورها الكبيرة مسجدا
جامعا للمسلمين

ثم اتيت الى مدينة نيس (Nice) المعروفة عند العرب
باسم نيقية فانهم قد احتلوها هي وشواطئ فرنسا الجنوبية زمنا مديدا
وهي من أجمل المدن وألطفها وأنظفها وغانية ما أقوله عنها الآن
أنتى شاهدت فيها الاحتفال بالكرنفال (أى عيد المرافع) وهو
أعظم احتفال يحصل في العالم كله من هذا القبيل اذ تجيء اليها
قطارات مخصوصة لحضور هذا اليوم المشهود من لوندرة وباريس
وبرلين وويانة ورومة وغيرها من امهات مدن أوروبا كاهابل ويحضرها
في هذه الفرصة كثير من أهل أمريكا ويحتفل به الاهالى والبلدية
احتفالا يشمل جميع أجزاء المدينة ويدفع التجار رسما معيناً للمعاونة

البلدية على تنظيم الاحتفال والانوار باغرب ما تتصوره العقول وأبهي ما ترتاح له النئوس ومتى حلت أيام المرافع ارتفع سلطان العقل من آفاقها وذهب موليا الادبار طالبا النجاة بنفسه في غير هذه الديار ثم يحتلها سلطان الجنون بجنوده فتسقط التكاليف وتمنع الحيثيات ويبقى الناس كلهم كلهم في درجة واحدة فرحين مستبشرين ضاحكين ساخرين وهم متشكون بغرائب الملابس ويتخذون لوجوههم ورؤسهم صوراما أنزل الله بهم امن سلطان ويرقصون جميعهم في الشوارع مختلطين نساء ورجالا وعذارى وأطفالا ويترامون بقصاصات الورق Confetti والارز والفصولية وباقات الازهار وغير ذلك مما لا تحيط به الافكار وهم يسرون زرافات ووحدانا مشاة وربكنا ويتخذون عربات غريبة الشكل تضحك التلكى وتزيل طوعا أو كرها تقطيب الوجه العبوس ويصطعون سفنا تجرها الافراس والخلاصة أنهم يركبون من الرقاعة والخلاعة كل متن ويذهبون فيهما كل مذهب ومع ذلك ترى النظام سائدا ولادب العموى ضاربا أطنابه في قواعده النكبية فقط وهم في هذه الايام لا يعرفون الزعل أو الكدر أو الغيظ أو الخلق أو المضايقة أو غير ذلك مما هو من مستوجبات الطبيعة البشرية ولهم في ذلك نظامات ورسوم معلومة لكل يوم من أيام الاحتفال ولا شك ان شرح ذلك بالبيان الذى يجيش في صدرى

يستوجب رسالة ضافية مطولة لا يسعها المقام الآن و ليس الخبر كالعيان
ثمّقت الى مدينة موناسكو ومنت كارلو (منت قارله في
كتب الجغرافية العربية القديمة) ورأيت جمال مناظرهما
الطبيعية و صفاء البحر تحت أقدامهما و بهاء الجبال فوقهما و نضرة
الاشجار في جميع جهاتهما و غير ذلك من المنازه الطبيعية والصناعية
التي تنبسط لها النفس و ينشرح منها الخاطر و مدينة منت كارلو
مشهورة بالمتدى الذى هو أكل و أجل منتديات العالم في لعب
الميسر (القمار) و قد زرته للوقوف على حقائقه و أحطت علما
بقوانينه و اجراءاته

و رأيت بهامعرضا عاما خصصوا له محلا عظيم الاتساع ليعرض
فيه العارضون كل ما يريدونه من صناعة و تجارة و فنون و علوم
و زراعة و غير ذلك و تعطى فيه لاحسن العارضين و سامات
و شهادات على سبيل المكافأة - و ما أحسن ما قالته احدى الجرائد
في هذا المعنى « كان الاليق بهذه الامارة أن تقيم معرضا للفنون
العاب القمار لانها احتكرتها و نبغت فيها بل تفردت بها على غيرها
من الممالك و البلدان »

ثم خرجت منهما قاصدا بلاد ايطاليا فررت على جنوة فيشنة
(لأنساها) فرومة و أقت بها ثلاثة أيام و رأيت فيها الاحتفال بالكرنقال

وشاهدت حرب الزهور Bataille des fleurs ولكن احتفالها
مع جسامته ونفامته لابساوى جزأ من عشرين مما رأيت في نيقية
Nice. ثم ركب البحر عن طريق برندزي ووصلت الى الديار ووجدت
الله على ما حصل من توفيقه لى وعنايته بى أكثر مما كانت تحوم
حواله آمالى

* * *

والناظر الى هذه الرسائل يعلم اننى بارحت القاهرة فى يوم ١٤
اغسطس سنة ١٨٩٢ ورجعت اليها فى يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٩٣
فتكون مدة رحلتى ستة شهور بالتمام قد لاقيت فيها حراً وأوروبا وحارته
كأشد ما يكون وقاسيت بردها وصبارته فوق ما يقدر عليه شرقى
مثلى تغرب فى أوروبا لأول مرة ويرى اننى زرت مرتين ثنتين
خمس من عواصم أوروبا وهى رومة وباريس ولوندره ومدريد
ولشبونة منها مملكتان يحكهما ملكان من الرجال وهما ايطاليا والبرتقال
ومنها مملكتان أخريان يحكهما ملكتان وهما انجلترا والاندلس
والخامسة جمهورية فرنسا وتقابلت بمسلى ليضربول وتشرفت بلقاء
ملك البرتقال وملكة الاندلس وانى زرت أكثر من أربعين مدينة
زيارة تدقيق وتحقيق وتعلمت لغة أهل الاندلس الحالية حتى توصلت الى
الكتابة والخطابة بها على قدر الامكان وزرت مناجم الفحم وبلاد

الاندلس بالتفصيل وكتبت شيأ يسير مما عرفته عنهم ما ففقت هذا الباب
وشاهدت ثلاث مدائن مخصصة لطلبة العلم فقط وهي أكسفورد في
انجلترا وقلرية في البرتغال وشلنقة في إسبانيا وحضرت عبدالميلاد
في مدريد وعيد رأس السنة في لشبونة وأكلت الفول المدمس
باوروبا ولم يحصل ذلك لغيري من المصريين وحضرت جلسات
مجلسي النواب والشيوخ في فرنسا وشاهدت الاحتفال الربهي
بافتتاح مجلس نواب البرتغال وحضور الملك والملكة والقاء الخطبة
الملوكية وشاهدت تماثيل الأثوار في اسبانيا واعتصم الخبازين
وامتناعهم عن عمل الخبز مدة ثلاثة أيام في مارسيليا والاحتفال
بالكرنقال (الرافع) في نيقية Nice ورومية وغير ذلك من الامور
الكثيرة المتعددة التي لم يتيسر حصولها مرة واحدة وفي رحلة واحدة
لمصرى قبلى وان ما ذكرته وخصوصا عن الاندلس في هذه الرسائل
هو قليل جدا في جانب ما أنوسل الى القادر الكافي توالت نعمائه
ان يوفقنى ويعيننى على تحريره وتدوينه في الرحلة الكبرى لتكون
هى وهذه الرسائل وسيلة لثبني الاوطان على السياحة والافادة
والاستفادة وعسى ان كل واحد يذهب في أوروبا من طريق غير
الذى رسمته يكتب لنا عما يراه وعما تبتئبه به احساساته ليتسكون في

لغتنا الغربية مجموعة سياحات توقف القارئ على أحوال هاتيك
الملاذ التي أصححت منبع التقدم ومقر العرقان

* * *

والمأمول في وجه الله الكريم المنان أن يوفق أبناء الوطن الى
توفيته حقه من الخدمة في ظل نخر الانام وعماد الزمان ولي العصر
ومليك مصر مولانا الاكرم وخديوينا المبجل عباس باشا حلمي الثاني
أدامه الله كهفا للمعالي فهو الذي تفضل على بتطره العالى وانعامه
المتوالى حتى كتبت هذه الرسائل وبثنتها في قومي قياما بما وجب
له من فرائض الشكر على عبده

المخلص

الشيخ

ملخص الخطبة المؤتمرية

التي ألقيتها باللغة الفرنسية في جلسة القسم السامى العام المنعقدة
بمدرسة لوندرة الجامعة في يوم الخميس ٨ سبتمبر سنة ١٩٢٣
(وقد طبعت بالعربي والفرنساوى فى الجرائد
الرسمية المصرية ثم فى كراسين على
حدتها بأمر دولتـه لو أفندم
رياض باشا رئيس مجلس النظار
وناظر المعارف العمومية)

صورة المقدمة التي نشرتها الجريدة الرسمية
(الوقائع المصرية) الصادرة فى ١٣ مارس سنة ١٨٩٣

حضرة أحمد زكى أفندى

فى المؤتمر الدولى التاسع للعلوم الشرقية بلونده

كان اجتماع المؤتمر التاسع للعلوم الشرقية فى مدينة لوندرة
عاصمة الدولة الانكليزية وقد نذب له من مصر مبعوثون كبقية
الدول الشرقية والغربية وكان من اختارتهم -م حكومتنا المصرية

لهذه الأمورية - حضرة الفاضل الشهير أحمد أفندي زكى مترجم
مجلس النظار مطاله لديها من الاعمال العلمية النافعة فتموجه اليه
في أواسط أغسطس سنة ١٨٩٢ ومرة قبل وصوله لوندرة على
بعض الممالك الأوروباوية وطاف كل مدن ايطاليا الشهيرة
وفي أوائل سبتمبر من تلك السنة وصل الى لوندرة واشتغل فيها
باكمال ما أعدته حضرته للعرض على المؤتمر من المؤلفات والمصنفات
وفي الخامس منه اجتمع المؤتمر ثم انقسم الى فروع للنظر فيما
يعرضه العلماء من المباحث والعلوم فكان حضرته في القسم
المخصص للنظر في الساميات (نسبة الى سام بن نوح عليه السلام)
وقد انتخب للنيابة عن مصر في اللجنة الدولية العامة التي نيظت
بالنظر في عقد المؤتمرات الآتية وتنظيمها ووضع القوانين اللازمة
لهذه الاغراض وقد توالى الجلسات الى الثاني عشر من ذلك الشهر
فاجتمع المؤتمر الاجتماع الاخير فخطب جناب الرئيس خطبة انتهائية
شكر فيها كل من لبوا الدعوة من الممالك فكان لهم بين وفود المؤتمر
علماء وفي هذه الحفلة الختامية ترجم حضرته أحمد أفندي زكى
القاصيدة التي ألقاها حضرة العلامة الفاضل الشيخ محمد راشد
(نميله في هذه الأمورية) من اللغة العربية الى اللغة الفرنسية
نظرة تشبه ارتحال الشعر في السرعة والحضور حتى شخص

له المجتمعون وأكبروا ماعلمه اذ لم يكن له عليها سابقة استحضار
ولا اطلاع ثم انفض الجمع باعلان الرئيس بانقضاء جلسات المؤتمر
وشكران جميع من حضره

أتماما لاقامه حضرته من كرم الوفادة والنظر اليه بعين الاعتبار وتقدير
عمله واجتهاده والتعرف اليه بما له من آثار الفضل قبل وصوله
هو اليهم فكان فوق ماعهد للنظار والانداد حتى ان جناب
اللورد نورثبروك الذي حضر الى المؤتمر بالنيابة عن نجل جلالة
الملكة الذي عقد المؤتمر تحت حمايته لما أولم وليمة الاجتماع الاول
لهذا المؤتمر لم يدع فيها من علماء الدول الشرقية سوى هذا
المنسوب المصرى نائبا عن مصر في تلك الولاية التي أعدها من
الرسميات هذا ولما انقضت جلسات المؤتمر مكث حضرته في لوندرة
أكثر من ثلاثين يوما للبحث فيها ودرس أحوالها ثم تنقل في كثير
من مدن انكلترة وبلاد الغال ثم عاد الى فرانس وأقام ببيريس
أكثر من شهر درس فيه أحوال مدينتها وعلومها وآثارها كما ينبغي
ثم تنقل في بعض مدينتها الشهيرة وخرج منها قاصدا بلاد الاندلس
(اسبانيا) فلبث بها مدة لاقى فيها أعاضها وعلماءها وبعض وزراءها
ثم توجه الى بلاد البرتغال ولاقى جلالة ملكها وزار بعض مدينتها
وبعض حصون العرب الباقية على قبال الجبال الى الآن ثم رجع

الى البلاد الاندلسية لانها هي تقريبا الغاية المقصودة من تلك
الرحلة وتشرف بمقابلة ملكة الاندلس مقابلة خصوصية وابث في
الاندلس ونواحيه ومدنه العربية أسايح قضاها كلها في البحث
وإمعان النظر في نفائس الكتب والآثار الموجودة هناك

ثم قدم الى مصر في الرابع عشر من شهر فبراير الماضي سنة
١٨٩٣ معرجا على مدائن التزهة التي في جنوب فرانس وعلی
رومية العظمى عاصمة ايطاليا وفي يوم الاربعاء الماضي تشرف
بمقابلة الجناب الخديوى المعظم مقابلة خصوصية في سراى عابدين
العامة فنال من لدن جنابه العالی وافر الاقبال ومزيد الالتفات
وفي أثناء هذه المقابلة رفع حضرته الى المقام الكريم ما أرسله
بعض علماء اسبانيا معه من الكتب العربية المطبوعة هناك
هدية للجناب الفخيم وقدم مجموعة صور قصر الجراء الشهير الذي
هو أعظم أثر للعرب قائم في بلاد الغرب شاهد بما لهم من
ضخامة الملك وعظيم العمران فلم يوجد له نظيرين أولئك الامم الى
الآن على ما برعوا فيه من الاختراع وتقديمهم في المدنية والعلوم
وفي آخر هذه المجموعة صورة يوم تسليم غرناطة من آخر ملوك
العرب وهو أبو عبد الله من بنى نصر الى الملك فردينند وزوجته
إزابلا الملكة وكذلك قدم للجناب الرفيع ملخصا عن أعماله التي

قدمها لذلك المؤتمر في العلوم العربية وبعضها من كتبه التي ترجمها وطبعت أيام غيبته عن مصر فتلقاها الجنب العالی كلها بوجه طلق وأظهر حفظه الله مالا مزيد عليه من علامات الارتياح وقد كان حضرته في أثناء عرض هذه الصور وتقديم تلك الهدايا يشرح حال الاندلس وما عثر عليه من آثار العرب وكتبهم ولغتهم وعلومهم وأخلاقهم بدقة أجمائه هنالك وطول معاشرته لكبراء الباحثين من الاسبانيين كل ذلك والجنب العالی مقبل عليه كل الاقبال مظهر له علامات السرور والامتنان

وقد استدامت هذه المقابلة نحو نصف ساعة وخرج بعدها من بين يديه الكريمتين منطلق اللسان بشكر ولى النعم الاكرم الذى أنعم عليه بهذه المأمورية العلمية الجليلة وأنجحه بسببها الوصول الى تلك الغاية الجميدة وأجلها علمه بحالة بلاد الاندلس أيام العرب وما آت اليه بعد صيرورتها الى الاسبانيين فانه قبل أن يسافر الى ذلك المؤتمر عرض على الجنب العالی حفظه الله أن يذهب الى اسبانيا وهو عائد الى مصر ليستفيد من البحث فيها ويدرس أحوالها القديمة والحديثة ويقابل بين تمدنها في الحالتين فأذن له جنابه الفخيم فكان ذلك من أجل النعم التي تستوجب الدعاء بدوام مولانا وولى نعمتنا الجنب العالی أدامه الله نصيرا للعلوم وكهفا للمجتهدين من أبناء الوطن

(وهذا ملخص ترجمة الخطبة المؤتمرية)

سبأتي

براعة الاستهلال في هذا المقال حمد الله سبحانه وتعالى ثم
شكروا لي أنعم مولاي الخديو المعظم فإنه أقر الله بوجوده عين بلاده
قد تفضل واختارني للنيابة عن مصر في هذه الحفلة الجليلة العلمية
واني أعرب لكم في فاتحة الكلام عن مزيد سروري ومنتى
إسعادى بدخولي في زمرة المشتغلين بالعلوم الشرقية الفضلاء
فقد اعترف الخاص والعام بأهمية أعمالهم واقتنع العالم كله بثمرات
أتعابهم وسار بذكرهم القاصي والداني وعضدهم الملوك والامراء في
كل زمان ومكان أجل فقد جعلت هذه الحفلة فخول العلماء وجهابذة
الفضلاء الذين توخوا البحث عن الحق الصراح وارسال أشعة التمدن
الصادرة عن شمس المعارف الحقيقية لاضاءة كافة الآفاق
واني لأشكر مسعاكم أيها السادة بالنيابة عن ذلك الشرق
الذى لم يدره القوم حق قدره حتى جاءت أعمالكم المبرورة ومساعدتكم
المشكورة وزحزحت عنه ستار الاعتقادات الباطلة وبددت الأقوال
الساقطة بما سيكون من ورائه نشر لواء المعارف على جميع الأمم بالسواء
ولا غرو ان كانت مجاهدتكم العقلية التي يفتخر بها بنو الانسان
سببا متينا في التمجيل بازالة تلكم الحواجز التي كانت تحول بين

المشرق والمغرب وقد أقامها بين التوأمين أرباب التعصيب الاعمي
من بعض الطوائف حتى كان يخال أنها كثيفة ثابتة لس في
الامكان ذلك معالمها وتقويض دعائها

وهاهي مصر الآن تقاسمكم عن طيب نفس كنوز علمها وذنائب عرفانها
وترى من سعادتها ان تعاوضها أوروبا ببراءات تقدمها ونفائس تقدمها
وأنتم تعلمون أن قومكم كانوا يجهلون قدرها عندنا ويحكون علينا
بما نحن براء منه حتى وقعت الالفة العلمية فأنكشف لكم ما انطوى
عليه العالم الاسلامي من جليل الشعائر المنبذة عن الطوية الخاصة
فأخلصتم لنا الود والصفاء كما أوليناكم الصدق والولاء

ولقد أحرزت جمعيتكم هذه فخرا من أول نشأتها وكلت أعمالكم
بالنجاح وظهرت فوائدها للاميان ولأرباب انما استفوز بتعميم شعائر الوثام
على كافة الاقوام ونشر محامد الاخاء في سائر الارحاء وقد نعت والحمد لله هذه
المبادئ وأينعت أزهارها بين رجال المعارف على اختلاف الجنسيات
وتنوع المشارب وأخذت في السريان بين الامم وبعضها

وانى وان لم ألك من فرسان هذا الميدان الا أنى أشد الناس غيرة وأكبرهم
حقاوة بهذا المجتمع وأعدت نفسي من السعداء بانضمامي اليه ودخولي في نوال
نأيته الجليلة التي هي تبادل الصلة العلمية بين المشرقين والمغربيين

نحن أبناء مصر قد عرفنا جمعية المستشرقين من عهد غير بعيد
وما زلنا الى الآن غير واقفين على أحوالها كما ينبغي وذلك لان

المؤلفات الخاصة بها والكتب التي تطبعها باللسنة المشرقية لم تنل في بلاد الشرق حظوة الاشتهار

ولهذا فاني أتمنى أن تكون إحدى اجتماعات هذا المؤتمر المقبلة في إحدى مداخل الشرق حتى يتيسر لعلمائنا أن يروا بأنفسهم من ايا هذه الأعمال ويقدرها وما ينجم عنها من الفوائد العمومى للانسان فينضم الى هذه العصابة التي هي طليعة الافكار السامية والمقاصد النبيلة الفائحة بجم غفير من أهل التدقيق والتحقيق فينال المستشرقون من موازرتهم ومعاونتهم فوائد تذكر فتشكر

وانى أعترف لكم بأنى لم أقف مقام الوقوف على أهوية جمعيتكم الزاهرة الابدان ارتبطت بالرسالة العلمية الفرنسية اوية بمصر القاهرة فانها فتحت امامى الطريق وكانت فيها مكاشفتى بهذه المزايا المفيدة العديدة وغير خاف ان الشرق في هذا الزمان لا يخلو من رجال أفاضل قد نبغوا فى العلوم على اختلافها وضربوا من فنون العرفان بسهم وافر وحلاهم الله بالذكاء النطرى والقطانة الطبيعية ولكن بعضهم معتكفون محجبون فهم غير معروفين ولهم من الدنيا حظ قليل كما ان مؤلفاتهم وبنات أفكارهم منفردة عن بعضها مستورة فى خبايا الزوايا فليس فى الامكان ان تأتى بكل ما فيها من الثمرات وهى بالحالة التي هى عليها الآن

ولما وقفت على الغاية الجميلة التي توخيتها وما لبثت ان
انجذبت اليكم عواطفى وتوجهت نحوكم رغائى فكانت أعظم أمنية
تخالج فؤادى هي ان يتسنى لى مشاركتكم فى أعمالكم ، وقد نلت
ولله الحمد المنى فى هذا اليوم السعيد بمحض فيض المكارم العباسية
وعناية مولاي الانجم عزيز الديار المصرية

ولقد كان بودى أن أجيئكم بمواد تليق بهذا البناء الفخيم الذى
أخذتم على أنفسكم اقامته لنفعم بنى الانسان ولكن بضاعتى الى الآن
قليلة فى جانب أعمالكم ومع ذلك فوافدت اليكم صفر اليد بن خالى الوطاب
نعم لقد كان يحق لكم أيها السادة الاماجد أن تنتظروا منى
فى هذا النادى المشهود تصنيفا من الطبقة الاولى فى الهمية
والخطارة أو أن أتخفكم بطرفة فريدة نادرة أكون عثرت عليها
أثناء البحث والمراجعة ولكنى لسوء حظى ليس معى الامتاع قليل
ولى فى ذلك عذر أبديه لكم وهو أن انتدابى لهذا المؤتمر لم يتقرر
الافى أوائل شهر يوليو الماضى فلم يكن لى وسعة من الزمن للشروع
فى عمل كبير أو الاشتغال بأمر ذى بال ولكنى مع قصر الوقت قد
بذلت ما فى طاقتى واستخدمت هذا الزمن القليل بما لا يخيب ظنكم
فى هذا العاجز ولا يذهب بانتظاركم أدراج الرياح واليكم الآن بيان
الاعمال التى أشرف بعرضها على المؤتمر وهى

(أولاً) - كتاب على المصحف الشريف سميته (مفتاح القرآن) وخصصته لتسهيل مراجعة الآيات الكريمة ومعرفة مواقعها، وأما كتبها من غير أدنى تعب أو إمعان نظر أو أعمال روية وفكر ولا يخفاكم أن هذا التصنيف ليس من المستحدثات المبتكرة في هذا الزمان فقد تعرض لهذا الموضوع الشيخ محمد مراد النقشبندی وعبداً لله بأشادتكم هي أمير الحج والموسى وفلوجل الألماني وقد جاءت مؤلفاتهم بفوائد عظيمة وإكراها لا تنفي إلا بعض الغرض المقصود وذلك لأن الأسلوب الذي جروا عليه في تحرير تلك المؤلفات يستغرق وقتاً طويلاً في البحث والمراجعة

وهذا الكتاب المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو عمادنا نحن معاشر المسلمين في جميع أعمالنا وإليه مرجعنا في كل أمورنا ومعاملاتنا وهو دليلنا وإمامنا في طول حياتنا ولذلك يحفظه بعضنا كاهن ظهر قلب ويقضون عمرهم في هذه الرياضة المقرونة بالتقوى والاجر ويعرفون عندنا بالحفاظ وكثير منهم فضل لا ينكر وهم يقومون بخدم عظيمة لأمثالنا الذين لم يتيسر لهم مجاراتهم في اجتهاد القوة والحفاظة وإبلاغها إلى نهايتها فراجعهم ونستفهم منهم عن مواقع الآيات الكريمة في السور الشريفه فبدلاً من أن نضيع الوقت الطويل في البحث والمراجعة على غير طائل في كثير من الأحيان وهم يعرفوننا

في الحلال بمطلوبنا ولكن الانسان لا يتيسر له العثور على الحافظ
دائما بل كثيرا ما يرتبك الحافظ وتتعسر عليه الاجابة بسبب التماثل
للمواقع بين كثير من الآيات الفرقانية

وكثيرا ما يحتاج المستشرقون في أعمالهم وخصائفةهم الى
مراجعة الكتاب العزيز فن منكم لم يضع أوقاتا ثمينة ولحظات
نفيسة للعثور على الآية المطلوبة ؟

وقد تكفل فلوجل في كتابه الذي سماه (نجوم الفرقان في أطراف
القرآن) ببيان عدد السور والآيات التي توجد فيها كل كلمة من كلام
الله القديم ولما كانت الكلمة الواحدة كثيرا ما تتكرر في عدد عظيم من
السور والآيات كان من اللازم على كل من يستخدم نجوم الفرقان أن
يصرف وقتا طويلا ويتجشم عناء ثقيلًا في البحث والمراجعة

وفضلا عن ذلك فقد التزم الرجل أن يرقم أعداد (نمر) السور
والآيات بالحروف والاشارات الافرنكية فلذلك لا تتسنى مراجعة كتابه
الا بعد زهد من الباحثين الذين لهم شأن في هذه المواضع أعنى الافرنج
المشتغلين باللغة العربية دون سواهم والقليل من أبناء المشرق الذين لهم
إلمام بأحدى اللغات الافرنكية وهذا ما جعله قليل الانتشار في ديار مصر

أما الشيخ محمد مراد النقشبندی وعبدالله باشا أمير الحج فقد
اقتصرا في كتابيهما (ترتيب زيبا) (أى الترتيب الجميل) على بعض بيانات

اجمالية بخصوص السور والآيات ولو أدخلت الاساليب المستحدثة
في هذين الكتابين وبوشر طبعهما بعناية خصوصية واتقان زائد
ربما جاءت مراجعتهما بكثير من الفوائد

وقد اطاعت في الكتبخانة الحديوية على نسخة من كتاب
النقشبندی وتحققت أن المراجعة فيه من أصعب الصعوبات
ومع ذلك فإن العلماء المسلمين لا يزالون يستخدمونه لعدم وجود
ما هو أفضل منه وأوفى بالمراد وخصوصا في بلاد الأتراك لأنه في
مصر يكاد يكون مجهولا بالكلية

وقد رأيت في مكتبة حصرة العاصم الاحل السيد محمد الهادي يرم الكتاب
المسمى (أنهار الجمان من مباحث آيات القرآن) الذي ألفه الورير عبد الله باشا الشهرير باسم
(حته جي) في أواخر سنة ١١٦٤ في عصر السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى
خان قال فيه « لما احتجت الى وحدات آيات القرآن في أكثر الرمان سنخ لحاطري العاتر
أن أجمع كتاب مع قلة البضاعة مشتملا على جداول في بيان مواضع الآيات » وقد رتبها
على حروف الهجاء ثم أشار في الجداول الى بيان مواقعها في الجزء والحزب والعشر
وعدد الآيات في العشر واسم السورة . وقد وضع في أول الكتاب جدولاً فيه الأرقام
التجومية وتفسيرها بالأرقام الهيدية والأرقام التجومية هي عبارة عن حروف هجائية
بحسب حساب الجمل وهي في الجدول من ١ الى ٧١ وفي آخر الكتاب هذه الجملة
(تم ترتيب زينا بعون الله العلي الاعلى - مؤلفه جتء حى عبد الله باشا رحمه الله عليه وعلى
ما (من) شاء - كتبه محمد بن ابراهيم البليانبولي في بلدة قسطنطينية في مدرسة قيو جي
مراد باشا في ٥ جسة ١٢٦٤) وفي أول صحيفته من الكتاب عبارة تعيدان النسخة

الأصلية محفوظة في كتبخانه مدرسة (لاله لي) بدار الخلافة العظمى
هذا وقد رأيت مصحفا مطبوعا على الحجر في مدينة طهران سنة ١٢٧٩ وفي
آخره فهرست ببيان مواقع جميع الكلمات القرآنية في هذه النسخة وهو على نسق
(نجوم القرآن في أطراف الفرقان) الذي طبعه فلوجل الألماني وقد نسجوا على منواله
بالتمام وأشار إلى ذلك في المقدمة الموضوعية في آخر القرآن الكريم وفي أول الفهرست
وقد ألف العالم الحافظ الشيخ محمد بن شريف كتابا في هذا
الموضوع سماه (مصباح الآيات الجليلة الفرقانية ومفتاح التناسير
الجميلة القرآنية) وخصصه لبيان أسماء السور والأجزاء وعند
الصحيفة الموجودة فيها الآية المبحوث عنها ثم عدد الجزء وعدد
الصحيفة في ثمانية تفاسير (الرازي والقنوي وابن عميد وشيخ
زاده وروح البيان وأبي السعود والتبيان والمواكب) ولهذا
الكتاب مزايا خصوصية لا تشكر ولكن لا حاجة للقول بأنه يستوجب
على الباحث فيه أن يستعمل نفس النسخ القرآنية والتفاسير التي
استخدمها المؤلف وهو أمر متعسر بل متعذر لأن المصحف الشريف
قد طبع مئات ومئات من المرات في أشكال مختلفة (سواء كان
مجموعا في مجلد واحد أو منقسما إلى ثلاثين جزءا) وفضلا عن ذلك
فإن الذي يستعين في أبحاثه بكتاب ابن شريف يلزمه أن يراجع
هذه الثلاثين جزءا وكل جزء منها يتدنى صحائفه بعدد ١ فإن هذا الحافظ
يسرد الآية ثم يقول إنها في صحيفة كذا من جزء كذا من سورة

كذا وتفسرها في الصحيفة الفلانية من الجزء الفلاني من تفسير
الرازي أو القنري الخ ﴿ وقد طبعت الاجزاء القرآنية والمصحف الكريم
وهذه التماسير من كثرة بما يوجب ولا شك تغيير صحائفها وحينئذ
فالدلالة عليها لا تفيد الا من كان عنده نفس الطباعات التي استعان
بها المؤلف وقد أشار الى السنوات التي ظهرت فيها في فاتحة كتابه
واقدمت على الدوام متأثرا من وجود هذه الصعوبات التي تعرض
في طريق الباحث بواسطة أحد هذه الكتب وكنت أفكر في طريقة
تزول بها هذه العوائق حتى أسعدني حسن حظي بالعثور على نسخة
من كتاب قديم بخط اليد لمؤلفه محمد علي الكربلائي تمت كتابتها
في غرة شعبان سنة ١١٦٢ هجرية ورأيت فيها سد بعض الحاجات
التي لم تشكف بها الكتب الموجودة من هذا القبيل فشمرت عن
ساعد الجدي في تنسيق مواد هذا الكتاب وتهذيبه وترتيبه على
أسلوب حديث منتظم مرتبط ببعضه وقد تسرني بحول الله اتمام
ذلك العمل وفق المرام ثم أضفت اليه بيانات كثيرة أرجو أن تتم بها
قائده وتزيد في وضوحه وظهور ثمراته

قسم المؤلف كتابه الى قسمين رتب في الاول الآيات باعتبار
أوائلها وأبان مواقعها في الكتاب العزيز وخصص الثاني لترتيب
الآيات باعتبار أوائلها أعني الحرف الاخير فالذي قبله فالذي قبله

وهكذا حتى تسهل بذلك المراجعة على من لم يتذكر من الآيات
الآخرها فقط وأما الآيات المعروفة بـ (متشابه القرآن) فقد أوردتها
في كلا القسمين من أولها إلى الموضع الذي يظهر فيه فرق بينهما
وبحسب الكلمة الفارقة بين الآيتين المتشابهتين كان ترتيب
أمثال هذه الآيات وراء بعضها . ثم انه رمز بحروف الجمل بالحبر
الاحمر إلى عدد الجزء والحزب ووضع بعدها هذه الحروف الثلاثة
(أ - و - ر) بحبر اسود للدلالة على ان الآية في أول الحزب
أو وسطه أو آخره ثم رمز بإشارات مختزلة إلى أسماء السور القرآنية
ووضع جدولاً بهذه الاختصارات ولكن لم يرتبه على حسب
حروف الهجاء بل بحسب الترتيب المتبع في المصحف ولذلك فراجعة
هذا الجدول تستوجب صعوبة زائدة فضلاً عن أن كتابته جاءت
متوالية وراء بعضها من غير فصل ولا فقرات بينها وأشبه ذلك من
العلامات المميزة

وقد كنت حرت جدولاً بأسماء السور تسهل مراجعته
للغاية ثم عدلت عنه لاني آثرت وضع أسماء السور بأكملها حتى
أريح الباحث من العناء في تفسير الاختصارات والرجوع إلى
الجدول لتأويلها وبذلك يمنع الاختلاط الذي ربما يحدث بسبب
ان أسماء بعض السور تتبدى بحرفين أو ثلاثة حروف هي واحدة

في كل منها ولان أسماء بعض السور الأخرى تتركب من حرف واحد أو حرفين فقط

ولاشك أن هذا الكتاب هو أفضل بكثير من نظائره ولكنه فضلا عما وقع في النسخة التي بيدي من الاغلاط التي لاتعد ولا تحصى لا يزال ينقصه أمور بيانية كثيرة لاتمام فائدته فندبت نفسي لسد ما فيه من الخلل واصلاح ما وقع به من الغلط (وسأودعه في المكتبة الخديوية ليطلع عليه من يريد) وأظن أني وصلت بمعونة الله تعالى الى الغرض المطلوب وحينئذ فبعد ان كان يحتوى على بيان اسم السورة وعدد الجزء والحزب وان الآية في الاول أو الوسط أو الآخر أصبح الآن يشتمل على البيانات الآتية وهي

أولا - عدد الجزء (والقرآن ينقسم الى ثلاثين جزءاً) . ثانيا - عدد الحزب (وكل جزء فيه أربعة أحزاب) (١) . ثالثا - موقع الآية في أول الحزب أو وسطه أو آخره . رابعا - اسم السورة . خامسا - عدد السورة (لان أهل المشرق انما يعرفون السور بأسمائها ولاكن أهل أوروبا

(١) تقسيم الجزء في مصر انما هو الى حزبين بحسب البدعة الحسنة التي أخذتها الحجاج الثقفى وأما الترك والعجم فيقسمونه الى أربعة أحزاب وقد اخترنا طريقتهم لما فيها من زيادة التسهيل في البحث والمراجعة لكون مراجعة الآية في ربع الجزء أسهل منها في نصفه وفي ذلك وفر في الزمن بمقدار النصف وهو ما نسعى وندعو اليه

لايشيرون الاعدد ترتيبها) . سادسا - عدد ترتيب كل آية بحسب القران المطبوع في الستانة العلمية على نسخة الحافظ عثمان . سابعا - عدد ترتيب الآيات بحسب الطبقات العربية والترجمات الافرنكية التي ظهرت في أوروبا

ولى أمل وطيد بأن يجيء على هذا وافية بجميع الشرائط اللازمة لمراجعتة بكل سهولة وفائدة في بلاد المشرق والمغرب وأظن انه يكون مفيدا على الدوام حتى فيما يتعلق بالنسخ القرآنية الكثيرة الخالية من بيان أعداد الآيات فانه يشير بالضبط والتدقيق الى موقع كل آية ببيان عدد الجزء والحزب واسم السورة وبيان موضع الآية في أول الحزب أو وسطه أو آخره

وإذ لم يكن لي متسع كاف من الوقت لم أتمكن من تمييز هذا التصنيف الذي يستدعى زيادة التدقيق لما هو مخفوف به من الصعوبات وانما أقدم لكم الآن منه كراسين على سبيل النموذج والمثال ومتى عدت الى وطني أتمته وأكملته بحيث يتيسر طبعه في أقرب وقت بحوله تعالى (وقدمت إكمله كله بحمد الله)

(ثانيا) - نسخة معدة للطبعة الثانية من رسالتى الموسومة (موسوعات العلوم العربية) وهى تكاد تكون غير الاولى بالمتة

وقد خصصتها لهذا المؤتمر بعد أن حلقتها ونقحتها وشحنها بكثير من
الاضافات المهمة التي لم يسبق ظهورها الى الآن
ولا أذكر لكم على الطبعة الاولى من هذه الرسالة التي نفذت
عن آخرها سوى الكتاب اللطيف الذي أتخفني به جناب العلامة
المسيو باربييه دومينار عقيب ظهور هذه الطبعة وقد أعلمني
فيه بأنه أوسع نهما مقاما كريما وخصني بعز يد الثناء والتهاني على
اتمام هذا البحث الدقيق وسأشركه في هذا في ملحقات الطبعة
الثانية ان شاء الله

(ثالثا) - معجم (فاموس) جمعت فيه الكلمات العربية
المضعفة التي تكرر فيها المقطع الاوّل مثل مرمر وبربر ومرمر
وربرب ومسم ومشمس الخ واني بفضل الله أوّل من جمع باللغة
العربية أكثر من ١٠٢٥ كلمة من هذا القبيل وقائدة هذا الصنيع
يعرفها المشتغلون برد اللغات الى أصولها والباحثون عن كيفية
ابتداء الانسان بتقليد أصوات الطبيعة وحكايتها والتدرج منها
الى غيرها من المعقولات والخياليات وغير ذلك ولا أظن أنه يوجد
تصنيف مماثله في اللغات الاوروبية لان مادتها في هذا الموضوع
غير غزيرة

(رابعا) - معجم صغير ضمته كل ما عثرت عليه من الكلمات
(٣٠ - رسائل)

الخاصة بالكلاب وكان من نيتي أن ألقه بالكتاب الذي أجمعه
على هذا الصنف من الحيوان ولكني رأيت أن الأصوب جعله
رسالة قائمة بذاتها بعد أن عنيت بتهديتها بقدر ما سمح لي به الوقت
وأضنت إليها قصيدة للسيوطي لم يسبق طبعها جمع فيها أسماء
الكلب وسماها (التبرى من معرفة المعري) وذلك لأن أبا العلاء
المعروف بـ(ملتن الشرق) دخل ذات يوم عند أحد الكبراء فوطئ
من غير ارادته قدم بعض الحاضرين فتألم الرجل وقال «من هذا
الكلب» فأجابه المعري في الحال بهذه العبارة «الكلب من
لا يعرف للكلب سبعين اسما»

(خامسا) - معجم خصصته لتحرير الاعلام الجغرافية وردّها
الى أصولها المعتبرة المعروفة عند أهلها فان نقلها من لغتها
الاصلية والنطق بها بالعربية أو الفرنسية أو أية لغة افرنكية
قد أوجب تطرق الفساد اليها ووقوع التحريف فيها بما يوجب
ارتكاب متن الشطط والتورط في الغلط أثناء ذكرها في التراجم
ومثل ذلك ان المدينة المعروفة عند العرب باسم المصيصة تعرف
عند الافرنج بلقظ مويسويوست واقليم ماوراءالنهر يسمى ترانزوكسان
والجهة المعروفة برأس التين في بلاد تونس تسمى عند الافرنج
زوكسانين وكاتين وكاتين ونهر ملوية في مراکش يسمى

مالويانا ومدينة شمشاط تسمى ارزاموزات ونهر دينسبر يسمى في
كتب العرب القديمة نهر ازو أونهر طنابرس وجبل الحرث (بفتح
الخاء والراء) يسمى بالافرنكية ارارات وقد أخطأ المترجمون في
نقله الى العربية فقالوا عراراط أونقلوه بالفظه مهملين الاصل
المتعارف في كتب قومهم (وكثير من أمثال ذلك مما ذكرته نموذجاً
منه في رسائل المؤتمرية أثناء كلامي على برندزي ونابولي ورومة
وفلورانس وبيزه وتورينو وطرف الغار) ومثل ذلك بلاد الانكليز
تعرف في كتب العرب القديمة بهذا الاسم (انكلطيرة وانكلاطيرة
والانكتر) ولكننا الآن نتقرب كثيراً من اللفظ الفرنسي ساوي
فنقول انجلتر ولوندره لانجلند ولندن ونقول فلورانس لافرنتر
ولا أظن أحداً من أهل المشرق والمغرب تفوته فائدة هذا
التصنيف الذي غايته تصحيح كثير من الاغلاط فظالمنا رأيت في
كتب مترجمة في التاريخ والجغرافية اسم قرطبة المعروفة عندنا وفي
كتبنا منقولة بحسب نطق الافرنج لها هكذا (كوردو) وهو اسم
لا يعرفه العربي مطلقاً ومثل ذلك مدينة الأبييض (تصغير أبيض)
في بلاد السودان أخطأ المترجمون في نقلها الى العربية بحسب
النطق الفرنسي ساوي فقالوا العبيد ووردت في خريطة رسمية محفوظة في
الكتبخانة الخديوية (العباد) ومثل ذلك اني رأيت في بعض
كتب الجغرافية التي كان التدريس بموجبها في المدارس الامرية

لفظة سوتا (للدلالة على مدينة ساحلية في مراکش) بدلا من سبتة
لان مؤلفي تلك الكتب راعوا اللفظ الفرنسي وأهملوا اللفظ
العربي الاصلى وهوسبتة وأقول هنا ان هذا اللفظ منقول عن كلمة
لاتينية (سبتا) معناها الحظيرة والسياح

ولا حاجة لبيان المزايا التي تترتب على وجود كتاب من هذا
القبيل يكون سببا في تحقيق الاعلام الجغرافية والارشاد الى
صحتها والتنبيه على حقيقتها والاشارة الى الفساد الذي اعتورها
حتى لا يخلط المترجم بين الاسماء وبعضها أو يبدل على المسميات
باسماء غير معروفة بها وبذلك يمتنع وجود الخطا في الابحاث
التاريخية والجغرافية واني أرجو أن أكون وصلت الى الغاية
المقصودة وعلى كل حال فقد فتحت هذا الباب وهو حسبي

هذا ولما علم صاحب السعادة سليمان باشا أباطه بان الحكومة
المصرية نددتني للنيابة عنها في هذا المؤتمر تكرم وقدم لي كل
الكتب النفيسة التي بخط اليد المحفوظة في خزائنه الثمينة ولكن
ضيق الوقت لم يسمح لي الا باختيار بعض طرف لا تحف المؤتمر
بنسخ منها بعد أن عنيت بتنقيحها وتهذيبها

سادسا - وسابعهما - فأول ما انتقيته منها كتابان للقريري
الشهير أولهما اسمه (ضوء السارى في معرفة خبر تيم الدارى)
وهو يختص باقطاع النبي صلى الله عليه وسلم ببلدين من الشام الى

تميم هذا قبل أن يفتح المسلمون هذه الديار والثاني (تاريخ الغلاء
الواقع بمصر)، من أيام الفراعنة الى زمان المؤلف وقد جاء في
صك الإقطاع تميم مانصه (هذا ما أنطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الخ) فهذه الكلمة (أنطى) مستعملة بدل أعطى بحسب لهجة
المبنيين أهل تميم وقد رأيت في معجم أبي السرور الصديقي الذي
سأتكلم عنه انه يقال نطشان بدل عطشان ورأيت في كتب
اللغة في ترجمة ن ط ش أنه يقال فلان عطشان نطشان على سبيل
المنابعة وعلمت من الموثوق بهم ان بعض عرب البادية في بلاد الشام
لا يزالون الى الآن يستعملون أنطى بدلا من أعطى ولعلهم من
الذين وربما كانوا من ذرية تميم صاحب الإقطاع فانه انتقل الى
ورثته من بعده

وقد تكلم المقرئ على هذا الإقطاع وصحته ببراعة علمية
وتحقيق دقيق حتى انه يوجب للقارئ الملل ولكنه برهان جديد
على فضل الرجل وواسع اطلاعه

ومن سوء الحظ أن النسخة الثانية التي تكلم فيها المقرئ
على تواريخ القحط والغلاء ينقص منها الصفحات الأخيرة ولكن
هذا لا يذهب بشئ من الفوائد الجليلة التي تضمنتها وأنا أظن أن
هذه النسخة هي جزء من خطته المشهورة فقد أشار في مقدمتها

الى انه سيتكلم في القسم السابع منها على أسباب خراب مصر
وانحطاطها ثم لم يرد شئ من ذلك في الكتاب المطبوع في بولاق أو
النسخ التي بخط اليد المحفوظة في مصر وأروبا واذا صح هذا الظن
كانت هذه الرسالة ذات فائدة عظيمة وقيمة خطيرة

(ثامنا) - وما انتقيته من مكتبة سعادة أباطه باشا معجم

أبي السرور الصديقي وهو يتضمن الكلمات العرفية الدارجة في مصر
التي تنطبق على أصول اللغة العربية النحوي وقد اختصره من
المعجم الذي ألّفه الشيخ يوسف المغربي وسماه (رفع الاصر عن
كلام أهل مصر) وبلغني أنه يوجد منه نسخة عند بعضهم في مصر
ونسخة أخرى بمكتبة ليدن

وقد عنى صاحب المختصر بتجريد هذا الكتاب من الانباط
اللغوية والشواهد والاشعار والاستطرادات والحكايات التي لاعلاقة
لها بالموضوع وسماه (المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات
العرب) ولما كان المستشرقون يهتمون بنوع خصوصي باللغة
العربية الدارجة كنت واثقا من أن نشر مثل هذا الكتاب يقابل
بعض القبول ويصيبه شئ من الترحاب ولاجل ذلك أدخلت فيه
بعض اصلاحات وتعديلات لاتمام الفائدة فأبدلت الترتيب المتبع
في صحاح الجوهري وقاموس النيروز ابادي الذي يترتب عليه ارتباك

المباحث وتعقيد المطالب بالاسلوب الهجائي الذي جنح اليه
الزمخشري في أساس البلاغة والفيومي في المصباح المنير وهو الاسلوب
المتبع في جميع المعاجم الاروباوية وسميته (ترتيب المقتضب فيما
وافق لغت مصر من لغات العرب) وفي هذا السفر من ايا كثيرة
لمعرفة تاريخ علم اللغة العربية لانه يدلنا على أن اللغة العرفية كانت
في الزمان القديم متقاربة من اللغة العربية الفصحى وبه نعرف مقدار
ابتعادنا عن هذه في كل يوم بكيفية محسوسة ظاهرة ومما يزيد
في الطين بلة ويوجب ازدياد هذا الابتعاد كثرة علاقاتنا مع أهل
أوروبا فان اختلاطنا بهم الزمنا بنقل جملة كلمات وتعبيرات ينبغي
المبادرة بدرسها والنظر فيها فان كثيرا منها له نظائر في العربية الصحيحة
يجمل بل يلزم تفضيلها على غيرها واستعمالها ومالم يكن له مقابل
في العربية يمكن الاستغناء عنه بنحت ألفاظ جديدة بحسب قواعد
اللغة وأصول القلب والابدال فان ذلك أولى من استعمال ألفاظ
وعبارات محرفة فاسدة أصبحت لا تنسب الى لغة من اللغات

. وقد اجتهد صاحب العالم الفاضل الاستاذ الشيخ محمد راشد
بكتابة رسالة عن الكلام الدارج الآن في مصر القاهرة وشجنها
بأعمال الزجل والمواويل والاعاني والادوار والموشحات المستعملة
عند العامة وبلسانهم ولا شك أن المقارنة بين هذين الكتابين
توقفكم على الحركة اللغوية الحاصلة في بلادنا

واليكم الآن نسخا من أربع رسائل انتقيتها أيضا من مكتبة

سعادة أباطه باشا وهي

(تاسعا) - معجم يحتوى على ٥٩٤ اسم يعبر بها عن الأسد

استخرجها من قاموس الفيروز ابادى العلامة الشريف عبد الله

ابن محمد بن حسين المغربي وقد نحا في ترتيبها نحو صاحب القاموس

ولكننى استبدلت هذا الترتيب بالاسلوب الهجائى السهل للأسباب

التي شرحتها فيما قبل

(عاشرا) - معجم يحتوى على كلمات الاضداد مثل جبر

وبسل وزحك وأسد وسجد الخ وقد طبع الموسيو هوسما (كتاب

الاضداد) لابن الانبارى فى مدينة ليدن ولكن المعجم الذى أقدمه

لكم الآن له قيمة خاصة به وقد استخرجه الشريف عبد الله

المذكور من القاموس أيضا

(حادى عشر) - معجم الكلمات اللغوية النصيحة التى يصح

استبدال السين فيها بالشين ألفه العلامة الفيروز ابادى صاحب

القاموس وسماه (تجبير الموشين فيما يعبر فيه بالسين والشين) وهذا

الكتاب النادر لا تنكر قيمته وأهميته

(ثانى عشر) - التصميده الفارقة بين الضاد والظاء

لناظمها الشيخ الامام على بن عبد الله المروزى وقد كانت النسخة

التي عثرت عليها سقيمة للغاية محترفة مشوهة فاجتهدت في اصلاحها وتهدئتها حتى أصبحت واضحة الفوائد ظاهرة المزايا ويمكن الانتفاع بمراجعتها وسأضيف اليها جهد ولا هجاءيا عند طبعها لتتميم ثمنها وتسهيل البحث فيها

(ثالث عشر) - ثم اني أرجع الان الى المقريري وأذكر لكم انه حل لغزا في (الماء) وقد عثرت على تفسيره في نسختين بخط اليد في الكتبخانة الحديوية الاولى تمت كتابتها في رمضان سنة ١١١٢ (وهي محفوظة بنمرة ٨٣ فنون متنوعة) والثانية في رجب سنة ١٠٩٩ (وهي محفوظة بنمرة ٤١٨ مجاميع) وفي النسخة الاولى مقدمة موجزة قال المقريري فيها ان أحد الكبراء أمره بحل هذا اللغز العسير وانه توصل الى ذلك مع قلة بضاعته وقال في آخر الحل انه كتبه في بضع ساعات من يوم الثلاثاء ١٤ محرم سنة ٨٢٣ من غير مراجعة أى كتاب ومن غير تعليق مسودات وهذه النسخة أجود بكثير من الاخرى ولكنها خالية من متن اللغز مجوعا على حدته كما في صدر النسخة الثانية وقد تحكك المقريري وتمكك في الحل حتى جاء جوابه غير مقرون بالاقناع والسداد فحررت التفسير وضبطته بحسب هاتين النسختين ولما كان الحل سقيمة عقيما لم أر من فائدة في ترجمته (الى الفرنسية)

والكتنى حكمت بغير ذلك على نفس الغز فترجمته لكم لاحتطكم
علمًا بمثال من غرابة أغاننا العربية (والترجمة في القسم
الفرنساوى)

(رابع عشر) - وأقدم لكم الآن أيها السادة نسخة
من قصيدة تحتوى على الكلمات العربية التى اتفق لتظها
واختلاف معناها تظها العلامة الفاضل الشيخ أبو الحسن على بن
محمد بن عبد الصمد الهمدانى المشهور بعلم الدين السخاوى وهذه
النسخة لم تكلفنى أدنى عناء لان الاصل الذى نقلتها عنه كان
بخط الاستاذ الكبير والعلامة الشهير عبد القادر بن عمر البغدادى
وهو كتبها بخطه وأصلها معتمدا على نسخة قديمة سقيمة
قد مسخها النساخ وأجحف بحققها الزمان وقد أتم البغدادى
نسخته فى يوم السبت ٣ رجب سنة ١٠٧٤ من الهجرة واست
فى حاجة لاثبات فضل الرجل والاعلام بمقامه فانه فوق كل مدح
يشهد له مصنفه الحافل المعروف بمخزاة الادب المحتوى على أربعة
أجزاء قد أودعها من طرف العلوم وتحف الفنون ما يجعل له
المكانة الاولى بين أرباب المعارف (١) وأقول ان عنايته به - انه
القصيدة أصدق دليل على أهميتها وقد اشتغل كثير من الشعراء

(١) وقد وضع العلامة الطليانى المتبحر فى العلوم واللغات الشرقية السيد رافى غناطىوس

جويدى قاموسا مفيدا جدا يبين أسماء الشعراء المصنوع عليهم فى هذا الكتاب

بمسألة الكلمات المتفقة لفظا المختلفة معنى ولكن الجمهور منهم
اقتصر على كلمة واحدة فان الازدي نظم قصيدة تكررت فيها كلمة
(عجوز) ثنتين وستين مرة مع اختلاف المعاني وقد شرحها
أبوحيان وأصاف اليها ١٣ معنى جديدا ونظم ابن تمام السبكي
قصيده فيها ٧٣ معنى (المعين) والحصكفي أورد في احدى قصائده
عشرة معان (للهلال) وقد أضيفت اليها معان أخرى وقد أورد ابن
معصوم في كتابه (أنوار الريح في أنواع البديع) هذه القصائد
كلها أما السبكي الذي نحن بصدد منظومته فقد أورد فيها أكثر
من ٢٠٠ كلمة من هذا القبيل

(خامس عشر) - وأتكلم الآن على وصف مجالس المعدادات
والندابات في مصر والمجموعة التي جمعت فيها أشعارهن ومراثيهن (١)
نعم إن هذا الموضوع محفوف بالهموم والاحزان ولا يمكن

(١) الذي دعاني للاهتمام بهذا الموضوع مارأيته من عناية أهل البحث
والتدقيق من الأفرنج بكل ماله صلة بأحوال المشرق ولما كان كثير منهم قديتبع
في الخطأ من حيث لا يشعرون ويجعل للأمور عللا وأسبابا يعزبها الى الدين
الاسلامي عن قصور فهم أو تنبأدرا الى مخيلته بحسب ما يصورها له الوهم من غير
أن يكون له من المعرفة والاطلاع ما يجعله قادرا على تمييز الفكر الصحيح من
القول السقيم أحببت أن أستوفى في هذه النبذة كل ما وصل اليه على من بعض
عادات قومي فضلا عن الفائدة الادبية الجلييلة التي قد لا يتنبه لها الانسان لأول
وهلة وهي المحافظة على الاشعار التي تنوح بها المعدادات والندابات أثناء الرثاء

البحث فيه يكشف القناع لارباب الاطلاع من علماء الاخلاق عن
بعض أمورهم معرفتها وهذه العادات قد سبقني غيري الى
الاشارة اليها غير أني لأعلم أن أحدا درسها كما ينبغي أوجع المراني التي
أقدمها لكم الآن

ولست أول من قال (لا يعرف صدق الاخاء في أيام الهناء
والرخاء بل عند وقوع المحن والبلاء) ولكني قد أكون أول
من يؤكد لكم بان نساء العامة في مصر ربما كن المتفردات بالعمل
بهذه الموعظة البالغة ومراعاتها بكل دقة كأنما هي فرض من
الفروض وذلك لانهم في كل خميس (وهو يوم تجدد الحداد)
يتجمعن زرافات زرافات ويسمعين في بعض أزقة العاصمة
ساكنات ساكنات كأنما على رؤسهن الطير حتى يصلن الى دار
صديقتن التي طرق الموت بابها واختطف واحدا من أربابها

فان في كثير منها معاني دقيقة وأنظارا حكيمية قد لا يجدها الباحث في المراني
الشهيرة التي يعمل الشعراء فيها فكبرتهم ويعصون الاوقات المفيسة الطويلة في
سبكها وحبكها بحسب ما تقتضيه صباغاتهم وممارستهم بخلاف أقوال العامة
فانها خصوصا في مثل هذا الموضوع صادرة عن الضمير مباشرة وليست الترجمة لما
يكلمه الفؤاد من عواطف الاشجان ولما كانت هذه الاشعار غير مدقوقة في ديوان
رأيت من الفائدة ضم أشتاتها مع عدم الادعاء بالاحاطة بها وذلك أفضل من
اهمالها اذ لا يبعد أن يأتي يوم تزول فيه هذه العادات وينمى معها أثر هذه
الاشعار الواجب حياطتها بالحفظ والتدوين

وكلهن يتدثرن بلباس سوداء ويضعن على رؤسهن مناديل زرقاء
فان ذلك هو اللبس الرسمي المقر عندهن في مجالس الحداد
وقبل أن أتكلم على المعدادات والندابات اللاتي خصصت
لهن هذا الفصل أقول كلمة ثانية على العصبية التي يرتبط بها
نساء العامة بالسليقة والغريزة عندما تحمل شدائد الحياة باحداهن
أو يقلب الدهر لها ظهر الجحش

فليس من النادر أن يرى الانسان أبة امرأة تأخذ في الولاة
عند ماتر جنازة في طريقها وفي بعض الاحيان تقف أمام الدار
التي فجع الموت أهلها وهي لم يسبق لها الدخول فيها ولم تعرف
أحدا من ذويها وليكنها لا تلتفت الى ذلك بل تتساقط الدموع
سراعا من ما آقيا ثم لا تلبث أن يتولاها الصياح والعويل وذلك
لانها تتذكر بالمنظر الذي يتراهى أمامها أنها فقدت بعض أهلها
فانجرح بفقده فؤادها جرحا لا يندمل بل ان الآلام القديمة التي
كان يظن أن طول العهد محاهها من ذكراها تتجدد في الحال لان
الضعف من طبيعتها والجزع من جبلتها فلا يمكنها أن تغالب
نفسها وتكتم الحزن في صدرها بل كثيرا ما تدخل الى الدار التي
حصلت فيها الوفاة وتشارك أهلها في أحزانهم ومصابهم
أما المعدادات والندابات فليس لهن الآن من أثر في ربوع

أوروبا ولكنهنّ في مصر عبارة عن طائفة منتظمة مازالت محافظة على كل مالها من الحظوة والتأثير والمرأة منهنّ في حياتها الاعتيادية وأعمالها الخصوصية تشابه غيرها من النساء على السواء ولكنها متى تفرّغت لوظيفتها دبت فيها حياة أخرى وظهرت في نشأة ثانية بظهور جديد فتضطرب وتتفعل وتحرك ذات اليمين وذات الشمال كمن أصابه المس أو الصرع أو الخبال حتى يحال للرأى أنها أشبه بأولئك الكاهنات في هياكل القدماء عند ما تأخذهنّ الرعدة والرعدة بسبب حضور الهاتف الالهى الذى جاء يوحى اليها أو امره ويلقى عليها متاصده فان صوت الندابة وهى في وسط عصابة من النساء قد هاجتهنّ الاحزان وولآتهنّ الاشجان يزيد في غصتهنّ بما فيه من التقاطيع والتراجيع التى تذوب منها القلوب وتنفطر لها الابدان وتتشقق من هولها المرائر بل ان كل كلمة من كلماتها يتقبض لها صدر الحاضرات وتوجب زيادة الكآبة في نفوسهنّ فتأخذهنّ الصيحة بالرجفة وتهب عليهنّ أنفاس الندابة كأنها إعصار فيه نار تحترق منه الافئدة ثم ان الندابة تنقطع عن الرثاء في أوقات معينة فيكون سكوتها موجبا لزيادة الجزع عين الحاضرات ويعبرن عنه بدموع متناثرات وترديد صحبات متواليات

وكما أن العامة في ليالى الافراح يلحون على المغنى بان
يطربهم بدور مشهور أو لحن مأثور فكذلك كل امرأة في مجالس
الحداد تلتبس من السداية أن تذكر رثاء يختص بفقيدها
العزير فتجيبها الى ذلك فى الحال ومتى أتمت الرثاء وجب على
تلك التى طلبته أن تغالى فى الصياح بصوت محزن صادر من
فؤاد جريح وأما الجماعة فيشاركنها لاسناد عويلها ومقاهتها
فى حزنها

وتستمر هذه المجالس من الصباح الى وقت الظهر فى الايام
الثلاثة الاولى التى تعقب الوفاة ثم تتكرر فى كل خميس الى
انقضاء الاربعين (وهو ختام الحداد) وفى خلالها يستريح النساء
بعض برهات قصيرة يتفرغن فيها لشرب القهوة والدخان ومتى
حل الظهر تفرقن شذرمدر وتبدد شملهن فى كل أرجاء المدينة
فيمدهن بعد أن فعل التأثير بهن ما يوجب انحناء الضلوع وبجحة
الصوت وضعف العيون ولكنهن ينصرفن مضاجبات للصمت
والخشوع مقتنعات بأنهن قدقن بأكبر الواجبات

ولاتظن أيها السادة أنى توخيت المبالغة فى هذا الوصف لاحداث
بما تعبرون عنه بالتأثير الأدبى كلا فان من أتيج أو يتاح له منكم حضور
أحد هذه المجالس فى مصر يقر ويعترف بأنى ما وصلت قط الى

الحقيقة ولا بدى من أن أكون مقتدرا على الانشاء وخصوصا
الاسلوب الوصفى ككبابكم المجيدين (مثل تيوفل جوتييه وأمبير)
حتى أتوصل للتأثير على عقولكم وأفئدتكم كما تفعله الحقيقة
وانى لاسارع فأخبركم بأن الاعتياد على الانفعال فى المآتم
بهذه الدرجة الزائدة التى تقابل الصرع والخبال ليست فى شئ
بالكلية من ديننا الحنيف فان النبى صلى الله عليه وسلم يأمرنا
بأن نجعل الحزن فى قلوبنا وأن نمثل لاحكام الله والاحاديث
فى هذا الشأن كثيرة وليس هذا محل ارادها

وأرى من الواجب على أن آتى الآن على ذكر ملحوظ دقيق
عنلى أثناء طبع هذه الخطبة فيما يتعلق بأصل هذه الاصطلاحات
فى المآتم وما هى الطريق التى أوصلتها الى الامة المصرية حتى
جعلتها متمسكة بها لهذا الحد الذى هو مناقض لاحكام الشرع
الشريف والسنة النبوية الكريمة

فأما مسألة الجنائز وسير الكفارات والفقهاء والفقراء وأولاد
الكتاب وجماهير المعزين أمام النعش وجماعات النساء خلفه
صائحات نائحات راخيات الشعور داعيات بالويل والثبور فذلك
كله مأخوذ عن قدماء المصريين مع بعض تعديل قليل وكل من
اطلع على ما أورده العلماء عن الفراعنة من هذا القبيل أخذه

العجب من محافظة أهل وادى النيل على عاداتهم مع توالى القرون
وتغابب الدهور

وأما مسألة إقامة الاحزان مدة الثلاثة أيام التى تعقب
الوفاة واختتام الحداد بحلول اليوم المتمم للاربعين فانى أحكم
بأنها مأخوذة عن النصرانية وذلك لانتشارها فى البلاد
الاسلامية المحضة بل لانجد فى سيرة السلف الاسلامى أصلا ما
تستمد منه فان السنة جاءت بتعزية أهل الميت فى يوم الوفاة
على القبر بعد الدفن ومن لم يتأت له ذلك يذهب الى بيت الميت
لتعزية أهله وتسليتهم فوجب القول بانها خاصة بأهل مصر وحيث
انهم لم تكن فى أخلاق الفراعنة ولا مألوفاتهم ووجب الجزم بانها
جاءت عن طريق النصرانية وبيانه أن المسلمين لما افتتحوا مصر
دخل فى دينهم فريق من قبضها وبقي هذا الفريق محافظا على أكثر
عادته (ولاتزال آثارها باقية بيننا الى اليوم)

ومن جملة هذه العادات ولاشك عادة الحداد مدة الثلاثة أيام
ثم فى اليوم المتمم للاربعين فان المسيحيين يعتقدون أن سيدنا عيسى
عليه السلام قال لتلامذته قبل الصلب انه سيقوم من القبر بعد
ثلاثة أيام فاستمروا يتربصون ظهوره فى هذه المدة وهم فى غاية
الحزن والقلق حتى حصلت قيامته فى أوائل اليوم الثالث وراه

بعض النساء وأخبرن به بقية الذين آمنوا وهم يعتقدون أيضا أنه
بقي بعد القيامة يظهر تارة ويختفي أخرى في أوقات غير معلومة
وأيام ليست معينة حتى حل اليوم المئتم للاربعين من يوم الصلب
فارتفع الى السماء في أجل المظاهر وأرفع الدرجات (انظر الاصحاحات
الاخيرة من الاناجيل وأعمال الرسل) ولا يزال الاقباط الى يومنا
هذا يقيمون الحداد على موتاهم مدة الثلاثة أيام الاولى وفي اليوم
المئتم للاربعين وبعده يعتبر أن الميت فاز بالزاني وخطى باكرام
المنوى كما حصل لسيدنا عيسى عليه السلام

أمامسألة إقامة الحداد في الاخسنة فلا أراها الاسلامية
اذتسحب في ليلة الجمعة تلاوة القرآن الكريم والتقرب من المولى
بالادعية والتوسلات والاذكار التي يقصد بها أن الميت ينال
النجاة وحسن العقبى ولان الناس يتمكنون من السهر وتعزية
بعضهم في هذه الليلة التي يصبحون بعدها وهم خلو من
الاعمال منقطعون في الغالب للرياضة التعبدية ولا بأس من التنبيه
بهذه المناسبة أيضا الى ان المسيحيين يقولون ان الحوارين قد
اجتمعوا في يوم خميس عقيب ظهور سيدنا عيسى عليه السلام من
القبر وتحدثوا في شأن دينهم الجديد وفيما ينبغي عليهم اجراؤه من
حيث الثبات على معتقداتهم أو النكوص على أعقابهم فتراى

لهم حيثئذ سيدنا عيسى عليه السلام وأكد عليهم بوجوب المحافظة
على ما جاء به ودعوة الخلائق اليه

وأقول هنا ان العادات التي أتيت على ذكرها هي الجارية
في المدن الكبيرة وانها قد يحدث فيها اختلافات وتنويعات في الاقاليم
والارياف سواء كان عند المسلمين أو عند الاقباط

﴿سادس عشر﴾ - ولقد كان أشار على المسيو بوريان رئيس
الارسالية العلمية الفرنسية بمصر والمسيو كازنوفا أحد أعضائها
بجمع نبذة على عادات المصريين في الاحتفال بزيادة النيل وأن
أورد فيها بعض أقوالهم في هذه الازمنة الحديثة كما صنع ذلك
بعض علماء العادات المصرية فيما يختص بايام الفراعنة فاجتهدت
في جمع كثير من المواد وأضفت اليها بعض الاستعلامات الرسمية
ثم اتفق لي العنور على كتاب مطبوع اسمه (قطائف اللطائف)
وليس فيه اسم المؤلف وقد تضمن كل ما كنت جمعته بل وزيادة
فرايت أن الغير لسعده قد سبقني فيما كنت أظنه ملكا لي خاصا
بي ولكني لما علمت ان هذا الكتاب قد قامت بتأليفه وترصيفه
احدى السيدات الشرقيات زال عني ما كنت أجده وشمرت عن
ساعد الجدي في ترجمة القطعة الخاصة بتفاصيل جبر الخليج في مصر
نقلا عن القاضية مؤلفته اجلالا للروابط الادبية والعلاقات

التأليفية التي بين المشتغلين بالباحث المفيدة (والترجمة في القسم
الفرنساوى)

هذا واني أشكركم أيها السادة على تفضلكم بالإتفات
والاصغاء الى ما ألقيته عليكم وأختم خطبتي بأني أتمنى للمستشرقين
الفوز بالنجاح في جميع الاعمال واني قد أخذت على نفسي بأن
أكون في بلادى من أول العاملين على تبيان حسناتهم واطهار
فضائلهم وكلماتهم

بعض أقوال الأفاضل والمجرائد

«بصورة ما كتبه حضرة الفاضل اللوذعي الجليل محمد بك ذهني»

«مفتش عموم المعارف ومراقب المطبوعات والمجرائد»

«في ولاية أزمير إلى حضرة صديق الطرفين»

«الأديب المذهب محمد أفندي كامل تيمور»

«من تجار الإسكندرية»

عزيزي كنت شائقا إلى مطالعة كتاب «السفر إلى المؤتمر» نائما إلى اقتطاف
بانع ثمراته من آن ما تكرمتم ووعدهم بإرساله وها هو قد وافاني من بضمنه أسابيع
فتهاقت إذ ذلك لاستلامه من البريد تهافت الفراشة إلى نور السراج ولم أصدق أنه بيدي
الأو كبيت على مطالعته اكتاب لم يسبق له مثيل مدته حياتي فاقمته في يوم واحد بحيث لم
أشعر إلا وسواد الصححات قد انقلب بياضا في النهاية وأباغيره تنبته إلى ذلك فالغيبته
كتابا فريدا في بابها قد فارقته قصص السبق في هذا المجال على ما وضع في هذا الباب مما
عثر عليه من المصنفات وذلك لترتيب ما هو جامع من الاعمال والمواضع ترتيبا
تدرجيا وللأسلوب الرائق الذي آثره حضرة المؤلف اللوذعي الأريب في التحرير
والإفصاح عن أفكاره الفلسفية ووصف ما شاهد وتأمل من المعالم الشاهقة والمباني
الشامخة مع التقييم الشديد والفحص الدقيق الذي تكبد لتحقيق ما وضعه العرب من
الأسماء للبلدان الأوروبية في قديم الزمان ثم الغيرة العظيمة التي أبدتها حضرة للدفاع
عن حقوق الإسلام التي مسها الاقتراق الشنيع الضارب أطباعه بين أفواج المسلمين
باصحابهم نصها ممناعن فؤاد سليم لاجتماع كلمتهم واءلاء شأنهم واعظالهم العظة
الحسنة لطرح مساوي الأخلاق واعتناق مكارمها

فاستلذت جلدنا من لطيف عباراته ورشيق اشاراته الى حد لا يقدر على وصفه الكلام ولا غرو فان حضرة المؤلف من اشتهر وافي ضسناهة التحرير واثرا المعارف على حدائنة السن وبوذي لو كان الكتاب أطول لكي أرتشف من حياضه زلال المعرفة استفادة وقد أريت هذه الرسائل متفائرا الى بعض شبانا المنزى من أهل الكسل والبطالة الذين يذهبون أوقاتهم سدى في سبيل الملاعب والملاهي راجيا أن تكون الوسيلة العظمى لحثهم على التحلى بالمعارف والفضائل . ولعمري ان هذا المؤلف لقد أذكى في صميم الفؤاد نارا الاشتياق لاقتناء ما وعد حضرته من الرحلة التي لا ريب في أنها تكون أكثر تفصيلا منه فيطفيئ حينئذ باسمها به نارا التوقان ويرد غليل الاشتياق فن الآن ألتبس من مكارمكم التي عودتموني بها أن تشتروه بل تخطفوه آن برو في ساحة المطبوعات فترسلوه الى الهقير على جناح السرعة وعاية رجائي ان تسعفوني أيضا بجميع آثار المؤلف التي صدرت الى يومنا هذا

قال الكاتب الفاضل والمنشى المجيد البارع أمين أفندي شمائل
صاحب جريدة الحقوق الزهراء في العدد ٣٥ الصادر في يوم السبت ٢٨
اكتوبر سنة ٩٣ مانصه

الرحلة الزكية

في المحاسن الاوروبية

هي ست عشرة رسالة حررها حضره اليب الفاضل والكاتب الحرير أحمد بك زكى مترجم مجلس النظائر في سياحته باور وباوزيارته بالاخص مدينة لوندن الشهيرة منسودا من قبل الحكومة المصرية لحضور المؤتمر المشرقى الدولي التاسع فاودع فيها من بديع الاخبار وجميل الفوائد والآثار وذكر ما هي عليه تلك البلاد من التقدم والراهية والثروة وبركات المدينة والراحة في كل جهاتها ما يصح المطالع ويستعظمه

السامع وقد جاءت شاهدة على ما لناظم نثرها وناثر طمها من اتساع المطالع وتوريق
الميل الى نشر القوائد الالامعة بما سمعه وراة وشعر به واستحسنه ونبه أفكاره الى ما في تلك
الاماكن من المأدر والبديع والجليل والرفيع اذا قيس ببلادنا الشرقية ومعاملنا
العظيمة ووجد بينهما بعد شاسع وارتفاع واسع وقد أجاد حصرته في كل ما ذكره عن المدن
التي رآها وتركت في قلبه حبا يكاد يقول معه

تلاها بعص حرك كل قلبي * فان تردى الرادة هات قلبا

وقد يظن القارئ انه أطنب في أوصافه وبالغ في تعظيمه ولا يظنه الا وخرقا عجزا فان
في المدن التي زارها من نابولي الى مدينة لوندرة عاصمة انكلترا ما يقصر اللسان عن
مدحه والقلم عن ترقيمه فلا يقدر المطنب على الايفاء والمطيل على الايعاء فان ما جمعه
تلك الديار من محاسن الوجود ووجود المحاسن لا يتصوره عقل من لا ينتقل اليها وينظر
غرائبها وعجائبها وما اليها مما وصلت اليه قدرة الانسان

وما قاله في لندن وباريس واسبانيا حقائق تاريخية قديمة وحديثة لا يختلف
فيها اثنان ولذلك قد استحق هذا الكتاب البليغ شكران الرفيع والوضيع وانى أتخذ
هذه الفرصة لانه أفكار المصريين وغيرهم من سكان الممالك المحروسة العثمانية بان
ما نشاهد من عرائب الصنعة وبيدع الاختراعات وجمال النظام في أوربا لم يكن كله
بفعل حكوماتها وعدل دولها وانما هو عن اجتهاد رجالها وهم علماءها واتحاد قلوب
أهلها للوصول الى قمة السعادة فجاوبوا الاقطار وحسمائة سنة حتى وصلوا الى ما هم
عليه فقد كانوا أقل منادرجة وقتئذ تتجازهم أنواع الغيرة والحسد وتتهوى بهم الاميال
الاعتقادية الى تجديد النزاع كما سكن ونقد والعمل على انعطاط التقدم كما ظهر حتى رأوا
ان في ذلك تأخرا وخرابا فقلوا من اختلافهم ونبتوا عنهم تلك الالهواء المضرة ورفعوا
اقطارهم الى ما حولهم من المدن الشرقية ونظروا قوة ملوكه وسلاطينه فأرادوا التشبه
بهم وجعلوا بازاء أعينهم مقاصدهم غير المقاصد الاولى ولم يعودوا ينظرون الى ما خلفهم

وكانت أول بعثتهم - م إلى الامام فلبشوا عليها إلى أن توصلوا إلى النقطة الخاضرة التي
نحسد هم عليهم او كانوا هم الدافعين حكوماتهم إلى تلك المراغب وتتميم تلك الرغائب
ثم استطرد - حضرة الكاتب الفاضل إلى نصيحة أهل الشرق وتنبيههم إلى
وجوب التعاون والتماسر والاستنارة بنبراس الحرية الحقيقية وهذا
نفسه وكل قارئ على ما لاح من مبادئ التقدم واعميم التعاليم ثم قال
ونختم كلام هذا بالامتنان لحضرتي ركي بك على ما أتخفها به من درر رحلته
ورسائله المذكورة نفعنا وجميع الامة بعدالة أفكاره ونافع تأليفه

وجاء في جريدة الآداب الزاهرة الصادرة بتاريخ ٣ ربيع الثاني مانصه

(السفر إلى المؤتمر)

هو عنوان لدائه السفر الجليل الذي رقبته يراع حصره الفاضل مثال الاجتهاد
ودليل الساعين في طريق النهضة المصرية الحديثة (أحمد أفندي ركي) مترجم مجلس
المطار والمائب عن الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الدولي التاسع الذي انعقد
ببلوندره السنة الماضية

قد طالعنا هذا الكتاب الجليل والعيناء مصداقاً لما امتار به حصره مؤلفه البارع
من الكتابة نارشاد العواطف وإلهام الافعال المعسافي الماشئ من رؤية المناظر الجديدة
الشائقة وتوخي التحقيق والتدقيق في الاعلام الجغرافية والعلمية وهو البحث الجليل الذي
بدل على سعة اطلاع حضر المؤلف واحاطته بكتب المتقدمين من العرب واوردهنا
أمثلة من تلك التحقيقات تختص باسماء البلدان التي لها أسماء معلومة في كتب المتقدمين
ثم عمد إلى تسميتها بما ينطبق على تمثيل اسماء عند سكانها الآن فبادر برندزي الشهير في
ايطاليا بانها ممر السفن التجار به التي تخمر البحر الادرياتيكي تسمى في كتب العرب
برندس ونابولي نابل ونابل الساحلية ونابل السكان وبيزة بشة وخنسفة خنطرة وبارز

بريس وترا فيلجارا الطرف الاغرا لخوا ما الاحصائيات التي وردت في الكتاب فهي في غاية الفائدة والنفع وقد مهدت لحضرة المؤلف استنتاج الحقائق واستقصاء الاسرار الاجتماعية ومن ذلك ما نقله عن تقو يم ترو يخ النفوس (ونقات الاحصائية الواردة في صحيفة ٩٧ و ٩٨) و بعد ان ترجم المؤلف انفعالاته من مناظر ايطاليا وفرنسا بما يخال معه القارئ انه كان رفيقاه في السفر وعطف في رسائل باريرالي الكلام على النساء الباريزيات شخص لبا لوندرة في مثال الضخامة والفحامة وورى لها عنها أمور تختلب عقل القارئ أهمها اجتماع الضدين وتوفر النقيضين فيها وانتمل الى الكلام على اسبانيا والبرتغال ولم يهمل حضرة المؤلف وصف المناظر الطبيعية والاذنية الفخيمة والقصور والامارات الباذخة في كل جهة مر بها

وحسن الاسلوب الذي اتبعه في كتابه هذا لا يسعنا معه الا الاقرار بهجز هذا اليراع عن استقصاء فضائله وتقر يظه هبا بما يمثل للقارئ جزأ من أهميته ونفاسته فليعدرنا حضرة صديقنا الفاضل في هذا التصور الذي نامل منه ان يتخذة دليلا على ما تملك من استحسان رسائله لدرجة لم تمكن معها الا من تخريج عيب واحد في هذه الرسائل وهو ان لا عيب فيها

جاء في جريدة الزراعة الغراء الصادرة في ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٩٣ ما نصه

(السفر الى المؤتمر)

اهدا نا حضرة صديقنا الاديب الفاضل والكتاب المدقق احمد زكي أفندي مترجم مجلس المطار العالي هذا الكتاب الذي وضعه بعد عودته من اور وبا حيث كان مندوبا مصريا لدى مؤتمر المشرقيات وقد طالعنا مطالعة المنتقد الواضع لديه ككفتي الاستحسان والاستهجان تاركين جا باهوى القلب الخافق سرور الذي أثر هذا الصديق الفاضل وقد حثنا الا ان نظهر رأينا فيه

مزاياء الكتاب - يظهر لمن يطالع كتاب السفر الى المؤتمر ان نية كاتبه الفاضل معقودة على إثراء مواطنيه في كل ما رأى من مشاهد التمدن الاوربي ومظاهرها الحضارية الغربية لانه يعلم ان القسم الاعظم منهم لم يردوا غير ماء النيل من مياه المعمورة . ووفاء أحسن كل الاحسان في عدم الوقوف عند حد الاخبار بما رأى وما سمع بل قد وضع ما آه وما سمعه على قوالبارائه وأجال فيها نظره الحديدي الذكاء فامكنه أن يضع لدى مطالع كتابه مشهد العالم الاوربي بعناصر تقدمه ومجال رونقه ووهائه والشهادة لله ان سفر سفر صديقنا الزكي الى المؤتمر كأنه معرض تشریح للحضارة الاوربية اوه ورسم فوتوغرافي مقبول عما رسم على مخبلة كاتبنا الركي من مشاهد اوروپا ومرتباتها ثم والكتاب فصيح العبارة الطيف الاشارة من أحسن ما كتبت في باب السياحات فهو اذا شبه بكتابات المسعودي وان بطوطة في اسلوب كتابته فاشابهاه في شيء من جهة الصلة بالحقيقة والفوائد الجملة والبعد عن الاوهام وقد علمنا من ترتيب الكتاب ان كاتبه كان اذا نزل في بلد او حل في مدينة يزور كل ما هو عظيم وداشأن فيها ويودعه مذكراته الا انه كثيرا ما يرى في الكتاب انرا الاقنصاب والاختصار كذلك كثير مما تعلم وجوب ذكره وليس مذكورا وكثير من اجائه مما يفيد تفصيله ليس مفصلا الا اننا نجد عذرا للكاتب في وقته القصير بجانب كثرة اشغاله واتساع جولانه وجسامته مهماته وكان يود ان يترك القلم مع هواه في الكلام على اثر من يهواه ولكن المضمير قصير والحاضر حسير لكالانوقفه حتى نذكر الكاتب الركي صفته الوطنية وغيرته الشرقية الظاهرتين في كل عبارة من عبارات الكتاب . وسنعود الى مشاركتة في الكلام على البحث الذي هو أول طارق لبابه وهو المتعلق بلغة الامراء وآثارهم في الاندلس

جاء في جريدة الشرائع الغراء الصادرة في ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٣

السفر الى المؤتمر

هو عنوان كتاب مجموع الرسائل التي بعث بها حضرة امام المترجمين ونجبة الشبان المصريين الكاتب الفاضل والاصولي المدقق أحمد أفندي زكي مترجم رياة مجلس النظار حين كان ببلاد أوروبا وبادعهدت اليه رياة الوفد المصري الى مؤتمر المستشرقين بمدينة لوندرة جمع حفظه الله بعد عودته بالسلامة وطبعه على نفقته بالمطبعة الكبرى فجاء كتابا جليلا يقوم برهانها ناطقة الشبان يتحدثون به في مقام الفخر باعمالهم بل لحما يرد جماح الذين يتحدثون أن في السويدياء رجالا وفي الكنازة نبالا بل قدوة حسنة لمن يريد خدمة بلاده وسد أفواه حساده وما عساني أن أقول في سفر بصور للاحال أوروبا وأغلبها أكمل التصوير ماديا وأدبيا من الطبيعيات كوصف البلاد والمدائن والجبال والآبار والبساتين والطرق والطقوس والاهوية والاطعمة والاشربة ثم المصنوعات من قديمة وحديثة وجيدة وردية فالآثار وأصحابها وتواريخ تأسيسها من عجيبها وغريبها وعظيمها وصغيرها فالتجارة ورواحها وكساده والصناعة والاقبال عليها أو العدول عنها والرعاية وأصنافها وهياتها ومناظرها حال البلد العام غناها أو فقرها ووفرة حاصلاتها أو قلة موجوداتها فطباع كل شعب حسنها وورديتها من ائتلاف الافراد أو اختلافهم وتناصرهم أو تقاطعهم ونشاطهم أو لادتهم واقبالهم على العمل أو اعراضهم عنه ثم أفعالهم صحتها وفاسدها واخلاقهم ليسها وجايبها وأميالهم خيرها وشرها ثم غرائب ما عندهم على العموم من المعامل وتشغيلها والمخاخر وأصنافها على ما هو عليه مع ذلك كله من دقة المعاني وجزالتها وعدوثة الالفاظ وسلاستها ولاغرابة فقد كتب بقلم بلينغ عربي واحساس شرقي مصري ودافع قوى وطني فيا حبذا الوينسج

شباننا المصريين على منواله اذ في هذا فليتنافس المتنافسون ولئلا هذا فليعمل
العاملون وتقديره لحضرة الكاتب اذ اياه الله خير قدوة للشبان في كتابه هذا بطبع
رحلته الكبرى فاطنك بها اذا كانت هذه حال الصغرى * وان غدا لناظره قريب
أكثر الله في مصر من أمثاله انه سميع مجيب
ولقد يسرنا ان نظارة المعارف العمومية قد اشتركت في نسخة من السفر
الذكور لتوزعها على طلبه المدارس اعادة لهم وتعمو ايضا البعض ما أتفق حضرة المؤلف
وتشجيعا لغيره في الاقدام على مثل ذلك فلا عدمننا من يسهر ون على تقديم البلاد ونجاح
شبانها آمين

قالت جريدة المقتطف الاغتر الصادرة في أول اكتوبر سنة ١٨٩٣ مانضه

الغزالي المؤتمر

هو مجموع الرسائل التي كتبها حضرة لبارع في ميادين المعارف أحمد أفندي زكي
مترجم مجلس النظار في سياحته بأوروبا وأتباعا من الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين
الدولي التاسع الذي عقد في العام الماضي وقد أطل الكلام فيها على لندن وباريس
ومدائش اسبانيا فيجاءت كتابا كبيرا في أربع مائة صفحة جامعة لاشتات الفوائد (١)
وفي رسالته عن اسبانيا والبرتغال (أما البرتغال) فوائده كثيرة ومكات بديعة من
ذلك ما وقع له في طلب أحرز المركبة منه ستمائة ريال (٢)
ويتلو ذلك بئذ بديعة في امتزاج العرب بالعم في اسبانيا وسأق على ذكرها في
فرصة أخرى وجملة القول ان هذه الرسائل شاهدة لحضرة مؤلفها بسعة الاطلاع ودقة
البحث وبانه لقي من الحفاوة والاکرام ما يفخر به شبان مصر

(١) ثم أورد بعض نقول من المقدمة صحيفة ٤

(٢) ثم أورد القصة المسطورة في صحيفة ٣٩٩

Du *Journal Officiel* du 6 novembre 1893.

Sous le titre : « *Départ pour le Congrès* », Ahmed effendi Zeki, chef du bureau de traduction à la présidence du Conseil des Ministres, vient de réunir en un volume publié en langue arabe par l'imprimerie nationale de Bouïaq, ses impressions de voyage au cours de sa mission à Londres, où il avait été envoyé, l'année dernière, au Congrès des Orientalistes.

Le livre de Zéki effendi se distingue par un style élégant, mis au service d'un talent de description de bon aloi, et, par son intérêt soutenu, qui assure à l'avance son succès de lecture.

De l'*Egyptian Gazette* du 14 novembre 1893
(La traduction française a paru dans la partie française du même numéro).

Under the title of *Al Safar illa Al Motamar* (the journey to the Congress), Ahmed Zeki Bey, the head of the translating department at the President of the Council of Ministres, has pu-

published in Arabic an account of his recent travels in Europe, which is very interesting from both scientific and literary points of views. In an elegant and clear style, the author gives his impressions of his journey when he proceeded to London to represent the Egyptian Government at the IXth Congress of Orientalists held in that city.

The work abounds with ethnographical and literary notes and gives a very correct idea of the state of civilisation in several countries of Europe, of their industrial and commercial progress and of the manners and customs of their inhabitants. Specially worthy of attention are the author's remarks respecting the beauties of Paris, the grandeur of London, his visit to the South Wales coal mines and the description of his journey through Spain and Portugal.

We compliment Ahmed Bey Zeki on the able manner in which he has compiled his work which shows great originality of thought on his part and which, as a book written by an Egypt-

ian for the benefit of his fellow countrymen, is one deserving of an extensive circulation among Egyptians.

Du *Phare d'Alexandrie* du 15 novembre 1893.

Bibliographie. — Les jeunes et vieux égyptiens qui n'ont pas eu l'occasion de contempler les merveilles de la civilisation européenne, feront bien de lire attentivement l'ouvrage qui a pour titre : *Départ pour le Congrès*.

L'auteur, M. Ahmed Zéki effendi, dont les divers et nombreux travaux littéraires et scientifiques ont déjà obtenu tant de succès, a réuni dans un remarquable ouvrage en langue arabe, les impressions recueillies au cours de son récent voyage en Europe.

Délégué par le Gouvernement égyptien au Congrès des Orientalistes à Londres, M. Ahmed Zéki, en homme intelligent, a su mettre à profit les courts instants dont il a pu disposer pendant son séjour en Europe. En lisant : *Départ pour le Congrès*, on demeure étonné de la somme de

travail fournie par l'auteur, pour recueillir tant de notes intéressantes, pour s'assimiler tant de détails de mœurs, tant d'observations d'un si haut intérêt.

Les récits, tout vibrants d'émotion, concernant la grandeur de Londres, les magnificences de Paris, les curiosités artistiques et archéologiques du Portugal et surtout de l'Espagne où l'on rencontre tant de vestiges de la civilisation arabe, tout est pensé et dit avec un grand charme infini.

M. Zéki sait communiquer son enthousiasme au lecteur.

Dans son ouvrage, M. Zéki s'adresse plus spécialement aux Égyptiens, ses compatriotes, et, à ce titre, le travail de l'auteur est non seulement une belle œuvre, mais une bonne action.

Nous recommandons vivement la lecture de : *Départ pour le Congrès*, à toute personne éprise d'art, de science et de littérature. On y rencontrera toutes les qualités, qui sont l'apanage des bons écrivains.

قالت جريدة الهلال الاغربي العدد الصادر في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٠ ما نصه

السفر الى المؤتمر

هو كتاب يتضمن الرسائل التي جادت بها اهل محبة حضرة صديقنا الكاتب الالهي رفعتلواً حمد أفندي زكي رئيس قلم ترجمة مجلس النظارة أثناء رحلته في بلاد أوروبا وبامندوباً للنيابة عن الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الدولي التاسع الذي التأم في لندرا اواخر العام العابر. وقد أفرغ الوسع في وصف العواصم التي مر بها وأقام فيها ووصفها دقيقاً لم يعاد فيه شارد ولا وارد مما يهم المطالع معرفته عن أحوال تلك البلاد. ومن مرآيات تلك الرسائل أنه كتبها بقلم مصري ينظر الى الاشياء بعيني مصري يبحث بنفسه عن ما يفعال المصريين. يكتب للمصريين. وأول مدينة تزل فيمها ووصفها بانولى ثم رومة المطمى فقلورا نسا هبيرة فجببوة فتوريبو فودان فماريس فلندرا وبعض مدائن الانكليز ثم بلاد العال ووصف بلاد الاندلس وآثار العرب فيها وغير ذلك من الفوائد التي لا يعثر عليها الا بالاسفار الشاقة والامحاث الطويلة

وقد أسهب الوصف بنوع خاص في مدينة باريس فلم يعاد شياً لم يصفه ووصفاً دقيقاً من أحوالها المدنية والسياسية والعلمية والتاريخية ومتاحدها ومعارضها وأبنيتها وعوائدها وأهلها وأخلاقهم رجالاً ونساء حتى تمثلت المدينة لديها تمثل العيان. وقد أجاد في الكلام عن الاندلس وتأثير المدن العربي على الاسبان وأورد كثيراً من الاسماء العربية التي اختلطت باغة هؤلاء الاقوام ووردها الى أصلها العربي لغويًا وتاريخيًا وبالجملة فإنه قد أشبع الكلام وأفاد فيه افادة يستوحى عليها الثناء ويليق من اجلها أن يكون قدوة ومثلاً في الاقدام والاجتهاد ودقة البحث على ما نستأدنه بعد أن وفيناه بعض الراجب من الثناء ان نذكر طرفاً مما رأينا فيه

وحها البقدا جابة لطلبه . ونحن على يقين أنه لا يستمكن من مماع ملاحظتها لعلماءه
من يحجون البحث عن الحقيقة ولا يستعظم الرجوع الى الحق فنقول .
قد رأينا في وصف مدينة لندرا انجازا يكاد يبلغ حد الاحلال على حين انما كانت تظن
الافاصه في وصفها أكثر من سواها لما حوته من الآثار والمتاحف والعظمة ولا سيما
انها مقر المؤتمرات ومحط رجال حصره الكاتب في رحلته هذه فانه لم يذكّر متحفها الشهير
المعروف بالتحف البريطاني الا بطريق العرض . ذلك كلامه عن متاحف باريس ولم يشبع
الكلام فيه وولد كرشياً عن مسرحها (معرض الحيوان) ولا منبتها (معرض النبات)
ولا غير ذلك مما يستغرق في وصفه المجلدات الضخمة وخصوصاً المتحف البريطاني
الدائع الصيدت فانه من أعظم متاحف الدنيا اذ الم نقل أعظمها وفيه آثار العالم على
اختلاف الرمان والمكان

وقد قال انباء كلامه عن لندرا تحت عنوان «تمو يندالا سكبير» صفحة ١٠٨ (١)
«وأما جيش السلام فلا أنكم آيه الآن وانما أقول ان جماعة من الموديين الوثنيين جاؤا
الى لندرا بقصد تمو يندالا سكبير (ان صح التعبير أي جعل الاسكيز كلهم على مذهب
بوده) وبأنى ان اهم هيكله تمام فيه شعائرهم الدينيه في حط ويت شبل المعمور بالوف
من الحلائق وعلت ان أعمالهم سائر في طريق التقدم وان بمضامر رجال البوليس
الاسكيزي قد دخلوا في زميرهم»

نقول ولا يعلم بوجود هذا الجيش في لندرا ولا شيء مما سمي اليه واعلمه أراد «جيش
المخلص» Salvation Army وليس جيش السلام أما جيش الخلاص فهو بريئ
من تلك التهم ادعاءه باله بالوديين ولا مذهبهم وأما هو فعباره عن جماعة من المسيحيين
يدعون أنفسهم المبشرين المسيحيين Mission Christian وهم أخلاط من بقايا عدة
جمعيات مسيحية تأسست سنة ١٨٦٥ لتبشير أسافل الناس وقد نظموا أنفسهم على هيئة
جيش له قائد (جنرال) وضباط وصف ضباطان وعساكر وقائده أو رئيسه الآن

الجنرال « بوث » أو « بوذ » ولعل ذلك ما التبس على حصرة الكاتب بذهب بوذ . وقد مر على هذا الجيش الآن زهاء ثلاثين سنة عاملا على خطته وله نفقات خصوصية من أوقاف محدودة وقامى مشقات عظيمة في سبيله ولكنه كان يكتسب أموالا طائلة يجمعها بين أموال المحسنين تتجاوز مئات الألوف من الجنيهات ولم يقتصر انتشاره في لندن بل تجاوزها إلى الضواحي والمستعمرات ومدن كثيرة من أوروبا فإن منه فروعا في كوينهاجن وبرلين وهامبورج وغيرها وفي جنوبي أفريقيا وأستراليا ولا يزال الجنرال بوث قائما بأعمال هذا الجيش عاملا على نصرته إلى هذه الغاية وقد شاهدنا من هذا الجيش أنماه يارتنا عاصمة بلاد الإنكليزية ١٨٨٦ جماعات يطوفون الشوارع يعرفون بالموسيقى العسكرية ورأيناهم يقفون على ملتقى الطرق وفي المترهات العمومية يعطون الناس ويحثونهم على الصلاح وربما كان بين وعاظهم من لا تليق به هذه المهنة وسبب ذلك ما قدمناه من أن الجيش تألف لهداية السوة وأسافل القوم فانتظم في سلكه جماعة منهم فشو هو وأمامهم في خط « ويت شبل » على أن ما ذكرناه لا يحط شيأ من قدر حضرة صديقا الفاضل ولا يقلل شيأ من قيمة مؤلفه الجليل ونحن نعلم أنه كتب ما كتبه في أصبغ الاوقات وأقصر الفرص والعصمة لله وحده سبحانه وتعالى

ايضاح الحقيقة

عمورد في النبذة المتقدمة

لما اطلعت على ما كتبه الهلال الاغر أرسلت اليه رسالة مطولة
أخلصها هنا في كلمات وجيزة وسطور قليلة
الاعتراض الاوّل وهو الايجاز في وصف لوندرة يتفيه الاطلاع

على الكتاب ومقارنة الجزء المخصص فيه لها وحدها وهو لاشك كثير جدا بالنسبة لغيرها من البلدان الكثيرة التي زرتها وهذا لا ينافي أن هذا الوصف مهما طال ومهما كثر فليس يستحق الذكر بجانب جسامتها والتي قد سبقت الى الاشارة الى ذلك في صحائف ١٠٣

١٠٧ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٠٨ و ٢١٥ (١)

أما ما يتعلق بالتحف البريطاني فاني لم أذكره فقط بطريق العرض اثناء الكلام على متاحف باريس بل قد ذكرته وأشرت اليه في صحيفة ٢٠٦ في رسالة لوندريه ولما كان وصف هذا التحف قد أسهب فيه حضرة العالم الفاضل أمين بك فكري في «ارشاد الالباء الى محاسن أوروبا» ما رأيت وجوبا لاعادة الكلام عليه بل آثرت الدخول في مواضيع أخرى لم ترد في الغالب في كتاب حضرة كما أنني اذا اضطررت للكلام على موضوع قد سبق له الخوض فيه أجتهد في شرح أمور جديدة وبيانات لم ترد في كتابه حتى يكون لمن قد قرأ كتابه الا سبق فائدة في تلاوة كتابي أيضا . وكل من قابل بين الكتابين يعلم أن أحدهما لا يغني عن الآخر ولا بد من الحصول عليهما معا . ومن رأي أن القارئ العربي يكفيه أن يعلم عن التحف البريطاني ما ورد في ارشاد الالباء وأنه من الواجب أن يجد معلومات جديدة ومزايا أخرى نى

(١) اعلم أن النقول والنصوص الموجودة في هذا الصحائف هي الواردة في الطبعة الاولى

«السفر الى المؤتمر» وهو الامر الذي دعوت اليه في خاتمة كتابي هذا لتكمل الفائدة. (ص ٤٦٦)

أما الاعتراض الثاني فهو مبني على كون صاحب الهلال الأغر ظن أنني جعلت أهل جيش السلام من البوذيين الوثنيين وتصور أن الذي أوجب عندي (أنا) حصول الالتباس أن قائد جيش السلام يسمى (بوث) ثم بُني على ذلك الشرح الذي علقه على عصابة هذا الجنزل وأحواله بما فيه فوائد جمة كنت أدخر شرحها لرحلتي الكبرى فجزأ، الله خيراً على هذا الاستعجال

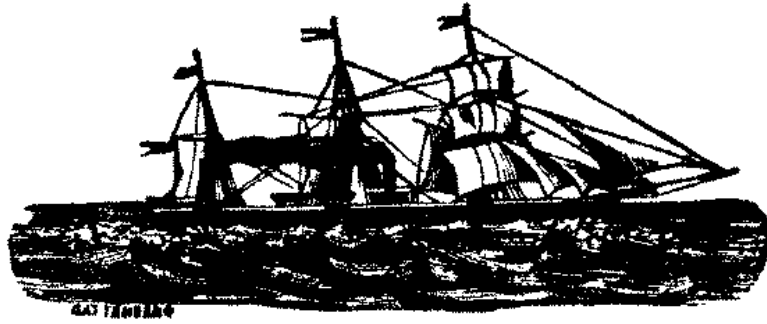
غير أنني لم أقصد ما فهمه حضرته بالمرّة ولم يدرك في خلدي شيء من التهم التي تصوراني نسبتها لهم لان قولي « وأما جيش السلام فلا أتكلم عليه الآن وإنما أقول ان جماعة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندرة بقصد تبويد الانكليز (ان صح التعبير أي جعل الانكليز كلهم على مذهب بوثة) وبلغتني أن لهم هيكلا الخ» وذلك لانه لو تدبر كتاباتي في الرسائل لرأى أنني عند ما تزدهم على المواضيع وتتوارد المطالب أجنح الى هذا الاسلوب من التعبير «وأما الامر الفلاني فلا أذكر عنه شيئاً الآن - أو - فاني أؤخر شرحه لفرصة أخرى - أو - ما أشبه ذلك من العبارات » ثم أعقب هذه الجملة بقولي « وإنما أتكلم على الامر الفلاني » الذي يكون غير

الاول ولكنه يكون منظوما تحته في باب واحد وله به تمام الارتباط وشواهدى على ذلك كثيرة في الكتاب أكتفى بذلك واحد منها ليكون الاطالة لا طائل تحتها وهو « أما زهنتنا في لوندريه فلا أتكلم عليها الآن وإنما أذكر أنى شفيت الغليل برؤية شبه مدينة البندقية فى احدى ضواحيها وهو محل متسع الخ » فقد أغفلت الكلام على النزهة فى لوندريه وذكرت شياً عن النزهة فى ضواحيها وهذا له تمام المشابهة فى كونى أغفلت الكلام عن جيش السلام وتكلمت على تبويد الانكليز (بحسب مذهبهم ود) لان سياق الكلام كان على « أفكار الانكليز واعترافهم وآرائهم ومقالاتهم »

هذا وان فى قولى « ان جماعة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندريه الخ) كفاية تامة للتعريف بمن أريد وانى لأقصد أهل جيش السلام الذين هم من طوائف النصرارى كما هو اعتقادى الحقيقى الظاهر فى عبارتى وهنا أرى وجوب الرجوع الى الاحق من حيث التسمية لان الترجمة التى قال بها صاحب الهلال الاغر « جيش الخلاص » هى فى الحقيقة أفضل وأدل على المراد من ترجمتى لاسمهم بقولى « جيش السلام » لكن لفظ الخلاص هى خاصة بالاصطلاح المسيحى فلذلك أعذر على كونها فاتتني مع كون الكثير من الكتاب يذكرون « جيش السلام » ويريدون به كتيبة الجنرال بوث وأهل طريقته وهذه الترجمة متداولة معروفة

وقد أخبرني حضرته انه قرأ العبارة هكذا « وانما أقول انه
جماعة من البوذيين » فلما وضع هو الضمير في لفظة « انه » توهم اني
خلطت هذه الجماعة النصرانية بالطائفة البوذية وليس الامر كذلك
فاني ماقلت الا « أن » في الطبعة الاولى والطبعة الثانية هذه
هذا ما رأيته ذكره باختصار بيانا للحقيقة التي أراي متقفا مع
حضرة الفضل صاحب الهلال الاغر على تحريمها وتفضيلها على
عواطف الوداد وروابط الاجتهاد وانى أشكره في هذا المقام على توجيهه
هذا الاسلوب المفيد في الانتقاد فاني لأزال أجاهر بانى ممن يفتخر
بمجة الانتقاد ويرى وجوبه على الدوام فيما يتعلق بكل كتاب يظهر
في عالم المطبوعات لان « الحقيقة بنت البحث » ويا حبذا الانتقاد
الصادر عن طوية خالصة ونية صافية بمقتضى قواعد العلم ونواميسه
المعتبرة فانه مما يوجب ارتقاء المعارف ورفع مقام الكتاب أرشدنا
الله جميعا الى السداد والصواب

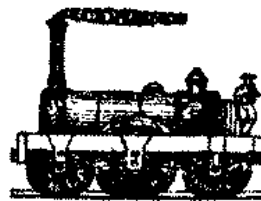




كانت براعة الاستهلال في هذا الكتاب الرسالة الفائقة التي كتبها
تاج المنشئين ونخرا الكاتبين الاستاذ الاجل الشيخ عبدالكريم سلمان
والحمد لله الذي وفق له براعة ختام من أحسن ما تستطيعه العقول
وتنتهى اليه المطالب ويكمل به اختتام هذا الكتاب على أجل منوال
فقد جادت قريحة الذي لا يصح أن ينتهى الشعر الا الى بابيه ولا تقف
مطايا العلم الا عند رحابه حضرة الفاضل الجليل اسمعيل بك صبرى
وكيل محكمة الاستئناف الاهلية بهذه القصيدة الفائقة وهى

أهجر النوم في طلب العلاء * وصل الصبح دابا بالساء
والتمس بالمسير في كل قطر * رتبة العارفين والحكام
ان غص الشباب فقهه الستر * حال شيخ في أعين العقلاء
ومقام الحسام في التمديزى * بالذى حازمتهم من جلاء
فدع الغمد بيد العين من فض * لا ما كان في زوايا الخفاء
ان أمضى الرجال من كان سهما * نافذا في حشاشة الغبراء
والليبي الليبي من دار في الار * ض لعلم يناله أوثرا

انما الارض والفضاء كتاب * فاقراوه معاشر الاذكياء
واقرنوا العلم بالسرى رب علم * لم تحزه قرائح العلماء
واذليبا لما كان من قصر العيش * ش بحث الركاب فى الانحاء
وطن المرء مهده وبقايا الـ * يكون بيت له رفيع البناء
رميب ان تصرف العرفى المهـ * وتسى البيت الوسع الفناء
هذه الفلك يستحث خطاها * هزج الريح فى صحارى الماء
كم اطالت مدى الرحيل ووالته * فعادت بالخير والسراء
وهل لال السماء يزداد نورا * كلما خاض لجة الظلماء
لوونى عزمه لما فاز بالقيد * ح المعلى فى القبة الزرقاء
خلق المرء للتنقل فى الار * ض والسعى لالمحض الثواء
فتحرك بحكم طبعك أوكن * ح جرافى مجاهل البيداء
حذار حلة تمثل تمثيـ * لا مزايا الاسفار للقراء
قد اجادت فىم ابراعة مفشيـ * ها اختيار الاخبار والانباء
فاجل فى جمالها نظرات * فهى بكر الاداب والانشاء
وتفهم حديتها ثم سافر * ليس من يسمع الحديث كرائى



جدول

اجمالي بيان الاعمال المقدمة للمؤتر

كتب أصلية ألفتها	كتب قديمة صححتها ونقحتها
١ - مفتاح القرآن	{ ضوء السارى لمعرفة خبر تميم النارى - ١ { للمقرىزى
٢ - { النسخة المحررة للطبعة الثانية من موسوعات العلوم العربية	٢ - ذكر الغلاء الواقع بأرض مصر له
٣ - مجمع الكلمات المضعفة	{ ترتيب المقتضب فيما وافق لغة - ٣ { مصر من لغات العرب (أصله للصديق وقد غيرت ترتيبه)
٤ - { مجمع الكلمات السكلية ويليه التبرى من معرفة المعرى	٤ - أسماء الاسد
٥ - { مجمع تحرير وضبط الاعلام الجغرافية بالعربى والفرنساوى	٥ - { استخراج من القاموس الاضداد
٦ - وصف مجالس الندابات ومجموعة	{ تحبير الموشين فيما يعرفه بالسين - ٦ { والشين للغير وزابادى
٦ - { فيها أكثر من ٢٠٠٠ بيت من مرثيهم	٧ - القصيدة الفارقة بين الضاد والظاء - ٧ { حل لغز الماء للمقرىزى (وترجمته - ٨ { بالفرنساوى)
	{ قصيدة علم الدين السخاوى فيما - ٩ { اتفق لفظه واختلف معناه
	{ الاحتفال بزيادة النيل وجبر الخليج - ١٠ { (وترجمته الى الفرنساوى)

(استدراكات)

(١) سهوتان أذكرفي حاشية صحيفة ٢٣ ان لفظة دارالصناعة كانت مستعمنة أيضاً في الديار المصرية فحشيت ان يتصور القارئ ان مصرنا لم يكن لها شأن كبير في ذلك فاخترت نقل ما أورده المتريزي في صحيفة ١٨٩ من الجزء الثاني من خططه المشهورة المطبوعة في بولاق سنة ١٢٧٠ هجرية تحت عنوان (ذكر المواضع المعروفة بالصناعة)

قال بعد ان عرف لفظ الصماعة من حيث اللفظ (وأما في العرف والصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب الحربية التي يقال لها السفن واحدها سفينة وهي بمصر على قسمين نيلية وحرية فالحرية هي التي تنشأ لغزو العدو ونسحق بالاسلح وآلات الحرب والمقاتلة فتم من نغرا لاسكندرية ونغردمياط وتينس والفرمالي جهاد أعداء الله من الروم والفرنج وكانت هذه المراكب الحربية يقال لها الاسطول ولا أحسب هذا اللفظ عربياً وأما المراكب النيلية فإما تنشأ لتمر في النيل صاعداً إلى أعلى الصعيد ومنحدراً إلى أسفل الأرض لحمل الغلال وغيرها) ثم قال في صحيفة ١٩٠ مانصه (وأول ما أنشئ الاسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفصّل جعفر بن المعتمد عندما رمل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثمانين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنده بن اسحاق فلكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال ومضوا إلى تينس فأقاموا بها شتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البرالخ) وقال في صحيفة ١٩٥ مانصه (قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه أنشأ به دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها مائة مراكب لم ير مثلهما في البحر على ميناها

وقال المسجى (١) ان العزيز بالله من المعزه والذى بنى دار الصناعة التى بالمقس وعمل
المراكب التى لم يمثلهاف فيما تقدم كبراً ووثاقه وحسناً) وقد ذكر المقرئى فى صحيفه ٩٦ ؛
و ١٩٧ تفاصيل أخرى عن دار الصناعة بالجزيرة أى جزيرة الروضة ودار صناعة مصير .
(٢) قلت فى صحيفه ٩٧ أن بهاء الدين العاملى وصف النساء فى الارحونة
الشهيرة التى كتبها على رحلته فى بلخ وأوردها فى أوائل الجزء الثانى من الكشكول
وحقيقة الرحلة أنها كانت فى هراة والارجوزة اسمها الفاخرة وهى واردة فى الجزء
الاول صحيفه ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ من الجزء الاول من كشكوله المطبوع فى بولاق سنة
١٢٨٨ وهذه هى الايات

نساؤها مثل الطباء النافرة * ذوات الحياض مراض ساحرة
يسلبن حلم الناسك الاقواء * يسلمن جسمه الى الدواهى
من كل خود عذبة الالفاظ * تقتل من تشاء بالالحاظ
أضيق من عيش الديدب نعرها * أضعف من حال الاديب خصرها
فأكة قد شمدت خداهما * بما بنا تفسعه عيناهما
تروى بطرف ناعس فتاك * يفسد دين الراهد السائك
والصدغ واو ليس واو العطف * والثدى رمان عزيز القطف
والجسم فى رفته كالماء * والقلب مثل صخرة صماء
ولفظها ونفرها والر . . ف * سحر حلال أفتواو حقف
وقدها ونهدها وانحد * غصن ورمات طرى ورد
والشعر والرضاب والاجفان * صوارم مدامة نعبان
غيد حميدات خصالهن * طوبى لمن نال وصالهن

(١) اعلم أن حقيقة اسمه بالباء الموحدة بعد السين المهملة وقد وردت غلطاً بالياء التحتية
المثناة فى جميع المواضع فى طبع حطط المقرئى فليحذر ذلك

(٣) مسألة تساؤل الانكليز بعضهم بعضا عن الوجود والصلاة في الكنائس في يوم
الاحد (صحيفة ١٤٢) تشابه تساؤل المصرين بعضهم بعضا في شهر رمضان
(:نت صائم والافطر ؟) يريدون مفطرا

(٤) يقول المغاربة في تعظيم السيدات (اللات) فربما كان ذلك أصلا للعبارة المكتوبة
في بورصة مدينة بورتو التي أوردتها في صحيفة ٣٩٦

وقد راجعت منذ كراتي مرأيت ان العبارة المكتوبة على زجاج البورصة هي
(هز لانا السلطانة مريم ٢) وانني أوردهما الايات التي رأيتها على طرازات الزجاج في
دار البورصة المذكورة وذلك بناء على طلب أحد الاصدقاء العضلاء وهي

« سعد الرجاء وساعد الاقبال ❦ ودنا الهما وأجابت الآمال »

وأقول ان أصل هذا البيت بحسب ما أورده السعد في مقدمة شرح الخنيس هي

سعد الرمان وساعد الاقبال ❦ ودنا الما وأجابت الآمال

وهي أجود وأمتن في بابها

تم انه يوجد في شبايك البورصة المذكورة وردات من الزجاج وفي
وسطها هذه العبارة

(عز نصره)

وبهذه المناسبة أوردتها ما عندي من النصوص العربية المعتبرة التي تدل على أن

بورتو هي المعروفة عند العرب باسم يرتقال بالباء الموحدة والراء المهملة والتاء

الفوقية والقاف يتلوها ألف ولام والذي دعاني للتجميل بإيراد هذه النصوص في هذا المقام

مع أنني كنت وعدت في صحيفة ٣٩٥ بأنني سأوردها في الرحلة أن بعض الادباء قد

طالبني بها فلم أر مندوحة عن تجميل الجواب

قال في الجزء الثاني من البيان المغرب في أخبار المغرب للمرا كشي الذي طبعه

العلامة المحقق دوزي في مدينة تليد سنة ١٨٤٩ مانصه بالحرف « الى أن خرج »
« الحاجب المنصور أبو عامر بموضع يرتقال على نهر دويرة وقد كان »
« المنصور تقدم في انشاء أسطول كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من »
« ساحل غرب الاندلس وجهزه برجال البحريين وصنوف المترجلين ورحل »
« الاقوات والاطعمة والعدد الاسلحة استظم ارا على نفوذ العزبة »

وقال في الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك العرب وتاريخ مدينة
طس المسموع في مدينة أوبسالا *Upsala* سنة ١٨٤٣ مانصه بالحرف
الواحد « وفي سنة أربع وخمسين وما تفتح الامبرسير من أنى بكر سنتريش »
« وبطليوس ورتقال وناقورة والاشبونة وجميع بلاد العرب »
وفي هذا أكبر كفاية وأولى غاية والله محيط بالمخلصين من عباده

(٥) يقول مؤرخو الافرنج ان الذي بقي مع بلاى أو بلايه أو بلايو *Pelage*
أو *Pelayo* ٤٠٠ رجل فقط لا ٣٠٠ كما ذكرته عن مؤرخى العرب
واكر الطرفان متفقين على تمام القصة المذكورة في صحيفة ٤٢١

(٦) قد قلت في صحيفة ٤٢٨ أثناء الكلام على « ابن القوطية أحد مشاهير كتاب
الاندلس » ان العرب أطلقوا اسم التوطية *La Goda* بالاسبانية و *La Gothe*
بالفرنساوية على سارة *Sara* حميدة الملك القوطى و *Witiza* أو *Vitiza*
المعروف عند العرب باسم غيطشه تور بما كان الرجل من نسلها »

والحمد لله فقد تحقق هذا الظن وصار الآمن اليقينيات فليسك أيها الحبيب
للأبحاث التاريخية ما أوردهم هذا الخصوص العلامة ابن حلكان في ترجمة أنى بكر محمد بن
القوطية قال

(والقوطية بضم القاف وسكون الواو وكسر الطاء المهملة وتشديد الياء المثناة
من تحتها وبعدها هاء ساكنة تهذه النسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام نسب إليه

حمدة أبي بكر المذكور وهي أم ابراهيم بن عيسى
ابن مزاحم جد أبي بكر المذكور وهي ابنة وبة بن غيطشة وكان من ملوك الاندلس
وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك منتظمة من عمها ارطباس
المذكور رفقا لوجهها الشام عيسى بن مزاحم المذكور وهو من موالي عمر بن عبد
العزير الاموي رضي الله عنه وسافر معها الى الاندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن
مزاحم الى الاندلس وانسأله بها وغلب اسمها على ذريتها وعرفوا بها
الى اليوم الخ

(٧) قلت في صحيفة ٤٣٠ اني لم اتعرف الاصل الا فرنكي في جملة اعلام اندلسية
منها انجلينو ومردنيش وأقول الآن ان انجلينو مأخوذ من أنجيل Angel بمعنى
الملك يفتح الادم في اللغة الاسبانية وهم يقولون بالتصغير Angelino وعنه أخذ
اللفظ العربي ولا يزال هذا الاسم مستعملا في السمية عند الافرنج عموما وأما مردنيش فاني
أظن انه مأخوذ من Martin مرتين و Martinis مرتين ثم صارت مردنيش
(٨) بمناسبة ما ذكرته في صحيفة ٤٣٣ من ان بعض الاندلسيين

أضافوا الى أسمائهم الواو والسين والياء والسين وان ذلك شبيه باللاتينية
التي تنتهي الاعلام وأغلب الاسماء فيها بهذه الاداة Us أو Is أقول الآن
انه يوجد في نفس اللغة العربية ألفاظ تدخل عليها الواو والسين والياء
والسين لزيادة التأكيد مثل قديم وقدموس والقط والقطوس والاس
والاسيس والبقس والبتسيس والقس والقسيس واني أورد ذلك الآن
جملة كلمات من هذا القبيل ترى معناها محفوظة فيها بعد حذف
الحرفين الاخيرين منها فاحرص على ذلك وراجع كتب اللغة بكل

عناية وتدقيق وهي . سقوس . جعسوس . جهموس . خرفوس . خربسيس
مرسيس . حمقوس . خندوس . دحموس . خربسيس . خلبوس
خلبيس . حلنبوس . درديس . درعوس . دعبوس . درهوس . دلغوس
دلعبيس . ضبوس . طرطيس . طرموس . طغموس . طاهيس
طمروس . عبقوس . عتريس . عنتريس . مرمرس . عرسيس
عسطوس . عيطموس . عفروس . كهوس . عطيس . عاطوس . عطميس
عمروس . فرطوس . فلطوس . فجليس . قربوس . قرطوس . عرقوس . فرعوس
فرفوس . قنطريس . هيجوس . هلبسيس . هاطوس .

واعلم ان من تتبع كتب اللغة علم ان الكلمات التي في آخرها سين تدل في
أغلب الغالب على القوة والشدة والصلابة

(٩) تكلمت في صحيفة ٤٦٩ على اقطاع تميم الدري وأقول الآن اني رأيت
بعد ذلك في الكتبخانة الخديوية رسالة للسيوطي على هذا الاقطاع في مجموعة عمدة ٥٣
ولكن شان بين كتابة السيوطي والمقريزي في هذا الموضوع الدقيق

(١٠) تكلمت في صحيفة ٤٧٣ على لغز الماء الذي أورد المقريزي حله وأقول
الآن اني رأيت هذا اللغز تحت عنوان (اغزى ٣١٢) في صحيفتي ٢٣ و ٢٤ من
كتاب الكثر المدفون والفلك المشحون المطبوع في بولاق سنة ١٢٨٨ فالتنم
لذلك غواة الاعاز وكذلك هو في الكشكول

(١١) واتنى أن أذكر أثناء الكلام على الكتب التي ترتب فيها آيات القرآن
الكريم ان الحاج صالح ناظم بن محمد بن اسمعيل رتب كتاب اسمه (ترتيب زيبا) ورأيت
نسخة منه مطبوعه على الحجر في القسطنطينية سنة ١٢٨٤ وفيه جدول يرمز به لاسم
السورة ثم جدول آخر لآيات مرتبة بحسب حروف الهجاء في أوائلها فقط ثم جدول
ثالث لعدد الآيات وهو كتاب مختصر مفيد

تصحيحات

	سطر	صفحة
{ وقعت فيه كلمتا Naples الفرنسية و Neapoli الطليانية كل منهما محل الأخرى }	١٦	٣١
الصفير صوابه الصفير	١٨	٣٨
ثانيتها » ثانيتها	١٥	٥٥
فيها تحيزت » فيها تحيزت	١٧	٧٠
تفطن » تفطن	١١	٧٨
(لندرس = Londres)	١٦	١٠٧
London » Londres	١٧	١٠٧
البرزوق » البرزوق	١٣	١٣٧
تبويد » تبويد	١٢	١٣٩
ولم أر » ولم أرو	١٣	٣٤٦
وهن » وهى	١٦	٤٠٨

فهرست الكتاب

الفائمة

مقدمة الكتاب ٢٠ - مقدمة الطبعة الثانية ٥ - كتابة الأستاذ الشيخ هبيب
الكریم سلمان ٦

الرسالة الاولى

مبدأ الرحلة

فراق الوطن ١٧ - احتفال الاخوان ١٨ - شرف المنول بين يدي ولي النعم ٢٠
ركوب البحر وزيادة الامتحان ٢٠ - تعب البحر ٢١ - وصول برندزي ٢٤
الطريق من برندزي الى نابولي ٢٥

الرسالة الثانية

وصول أوروبا

فوائد السفر وتسهيلاته ٢٩ - نابولي ورؤية أول مدينة من أوروبا ٣٠ -
عود لوصف الطريق الى نابولي ٣٠ - عجالة على نابولي ٣١ - لحيطسة في
المحاسن ٣٥ - المتاع وعذابه في السفر ٣٦ - الطريق لرومه ٣٧

الرسالة الثالثة

رومة

الاندهاش من رؤية رومة ٣٨ - نخامة رومة ٣٨ - غرام أهاليها بالتجميل
والتجميل ٣٩ - كائن رومة ٤٠ - بعض مشاهد رومة ٤١ - تخليد ذكر

الأعدان والامجاد ٤١ - تأسف على عظمة مصر واهمال ذكراهم ٤١ - نهوض
إيطاليا في طريق التقدم ٤٣ - أمور ثانوية والقيظ بأوروبا ٤٤

الرسالة الرابعة

فلورانس

تأسف لفراق رومة ٤٦ - عذاب المتاع ٤٦ - وصول فلورانس ٤٧ - عليك
بالشباب ٤٧ - هيئة فلورانس ومحاسنها ٤٨ - استعداد الطليانية للفنون
المستظرفة ٤٩ - عناية الافرنج بالصنائع ٥٠ - التشوق للوطن ٥١

الرسالة الخامسة

مدينة بيزا

نأوه على عدم رؤية مدينة البندقية ٥٣ - عجالة على بيشة ٥٤ - نظام المكتبة
والمتاحف ٥٥ - البرج المائل وغرائب الصدى ٥٦ - جبانة بيشة ٥٧ -
كنيسة صححة ٥٨ - أحسن بيشة ٥٨

الرسالة السادسة

مدينة جنوة

فراق بيشة ووهف الانفاق ٦٥ - اهم جنوة ٦١ - منظر جنوة ٦١ - براهين
الوطنية في أوروبا ٦٦ - العملة والطر بوش في أوروبا ٦٤ - الضيق
في اتخاذ الملابس الاغريقية ٦٦ - معامل الشفتشي ٦٨ - أول رؤية مسلم
بأوروبا ٦٨

الرسالة السابعة

من تورينو الى مودان الى باريس

فراق جنوة وقرافتها ٦٩ - منظر تورينو ٧٠ - دليل عجوز ٧٠ - آثار
مصر في تورينو ٧٣ - نقق جبل سنيس ٧٤ - وصف جنرب فرندا ٧٦

الرسالة الثامنة

باريس

الانهار من رؤية باريس ٨٦ - أهمية المرأة في الوجود ٨٧ - المرأة في
فرنسا ٩١ - أحسن باريز في غابة بولونيا ٩١ - وجوب حجب النساء ٩٥ - زيارة
سفير الدولة العلية ٩٧

الرسالة التاسعة

من باريس الى لوندرة و خلاصة وجيزة على المؤتمر

وصف محر المانش والاكل الامكليزي ٩٩ - دخول اسكتره ١٠٢ - وصول
لوندرة ١٠٢ - بعض ريارات ١٠٣ - أعمال المؤتمر بغاية الايجاز ١٠٤ -
تزد على الاسلوب الامكليزي ١٠٨ - ضياهة عند غنى اسكليزي ١٠٨ - البندقية
في لوندرة ١١١ - معرض التاريخ الطبي ١١١

الرسالة العاشرة

لوندرة

عظمة لوندرة وجسامتها ١١٣ - حركة لوندرة ١١٤ - وابورات

- بلويزة ١١٤ - فوائد الشركات ١١٥ - باجتهاد الافراد نجاح المجموع ١١٦ -
استئثار الاسكتلندي في كل شئ ١١٧ - تصوير الوطنية الحقبة باوروبا ١١٨ -
احصائيات ناطقة بجسامه لوندرة ١٢١ - وسائل النقل ١٢١ - وصف
القطارات بلوندرة ١٢٥ - تشخيص حركة لوندرة ١٢٦ - سكة حديد
العامية ١٢٧ - شركات الاستدعاء بالكهربائية ١٣١ - شركة حماية الحيوانات
١٣٢ - شركات المطالعة والكتبجات ١٣٣ - شركات التوريد ١٣٣ -
النوادي وغرابه تنوعها ١٣٤ - مطاعم لوندرة وقها وبيها ١٣٥ - أماكن
الاجتماع العمومية ١٣٦ - الحمامات ١٣٧ - النياترات والملاهي ١٣٨ -
جرائدها ودياناتها ١٣٨ - الكويكرز ١٣٨ - قبويد الانكليز ١٣٩ -
الاستراحة يوم الاحد باسكترة ١٤٠ - الخطباء في هايدبارك وغيره ١٤٢ -
التناقض باسكترة ١٤٤ - لانكلم من لاتعرفه بلوندرة ١٤٥ - عوميات على
البريد ١٤٥ - عوميات على التلغراف ١٤٧ - عوميات على التلفون ١٤٧ -
المدارس ١٤٨ - الاعلانات وهولها ١٥٠ - العميان في لوندرة ١٥٣ -
مواطن وطنيه ١٥٤ - وداع وسياحة بافرداد ١٥٥ - أحلاق الانكليز
١٥٥ - ولوع الانكليز بالرياضات ١٥٦ - حرصهم الكلي على الوقت ١٥٨ -
تجنبهم في بعض عبارات ١٥٩ - الثقة والصدق ١٥٩ - مبادئ الرواح ١٦٠ -
شدت قسكهم بعدادهم ١٦١ - احدر النساء ١٦١ - مبادئ لوندرة ١٦٢ - المطبخ
الاسكتلندي ١٦٣ - تميز المساكن ١٦٤ - المرتفعات والمباول العمومية ١٦٤ -
وصف الستى ١٦٥ بلوندرة روح التجارة ١٦٦ السعادة بالاحمداد ١٦٧ - الغنى
والفق ١٧١ -

الرسالة الحادية عشرة

تجول في بعض مدن الانجليز

- وصف المطر والضباب ١٧٢ - مدينة برمنغام ١٧٤ - مدينة درى ١٧٥ -

مدينة منشستر ١٧٥ - لفر بول وفندق ادلني ١٧٨ - الجمعية الاسلامية الانكليزية
١٧٨ - الرمهرير في سبتمبر ١٧٩ - نار السعير ١٧٩ - عموميات ١٨٠

الرسالة الثانية عشرة

تجول في بلاد الغال

نظرة في الانسان ١٨٢ - السبب في عدم تغرب المصريين ١٨٢ - السبب في
ولوع الانكليز بالسياحة ١٨٤ - استعباد المصريين للسياحة ١٨٥ - الادب
للسياحة ١٨٦ - دخول بلاد الغال ١٨٨ - لتجوئلن ومناظرها ١٨٩ - عموميات
على لتجوئلن ١٩٠ - طباع أهل الغال ١٩١ - نساء الغال ١٩١ - معالم
الصوف ١٩٢ - منبع نهرالدي ١٩٢ - وصف مناجم الفحم الحجري ١٩٣ -
محرر صهيح ١٩٨ - مدينة شستر ١٩٩

الرسالة الثالثة عشرة

العودة الى لوندرة ٢٠١

الرسالة الرابعة عشرة

مبارحة لوندرة ٢٢٠ - التعصب والنسائل المطلقين ٢٢٠ - نفقات أميين
مدينة لوندرة ٢٢٢ - مصاريف الانتخابات ٢٢٣ - القيام من لوندرة ٢٢٤ -
عموميات على دوور ٢٢٥ - حال المفارق ووطنه والقادم عليه ومن لا يزال بعيدا عنه
٢٢٧ - مطر المطرفي البحر ٢٢٨ - دخول فرنسا ٢٢٨ - عموميات على اميان
٢٣٠ - تجارة اميان وصناعاتها ٢٣٣ - التعليم باميان ٢٣٣ - عموميات على اميان
٢٣٤ - تكيمة المجاذيب والاميان ٢٣٥ - الكنيسة الجامعة باميان ٢٣٦

الرسالة الخامسة عشره

العودة الى باريس

كلماني على باريس ٢٤٤ - متاحف باريس ٢٤٢ - قصور باريس ٢٥٦ -
معاملي باريس ٢٧٠ - خزائن الكتب بباريس ٢٧٣ - العماثر الدينية في باريس ٢٨٤ -
برج سانت مارتن ٢٩٥ - بعض الاعددة والبوابات والفساق و برج ايغل ٣٠٩ - بستان
الامانات ٣٣٠ - المدارس والمحلات الخيرية والاعانات ٣٣٤ - التيارات والملاهي
والمتميزات ٣٤٣ - التماثيل والبيادين والرهريات المربعة (الاسكوير) والارصفة
والقباطر ٣٥٢ - المطبعة الاهلية و بنك فرنسا و بنك الرهونات ٣٥٨ - الاسواق
والمطاعم ومعارض الصباغة والرعاة ونحو ذلك ٣٦٠ - ضواحي باريس ٣٦٤ -
أهل باريس ٣٦٦

الرسالة السادسة عشره

وداع باريس وذكر الاندلس والبرتقال بوجه الاجمال

وداع باريز ٣٧٣ - التحسر على الاندلس ٣٧٥ - استمرار الحسرة ٣٨٠ - معرفة
التحول لا تغني ٣٨١ - اشتباك الحيرة والهوس بالوطن ٣٨١ - التغلب على الصعوبة
٣٨٢ - زيارة بعض المدن ٣٨٣ - مدينة سرقسطة والجمعية العلمية ٣٨٣ - الغد
الاعجمية الاندلسية ٣٨٦ - تحريف الكلمات العربية ٣٨٧ - تجول في بعض
مدن ٣٨٩ - مدريد ومقابلة سفير الدولة العلية ٣٨٩ - طليطلة ٣٩١ - دخول
بلكة البرتقال وذكر اشبونة وشتمه ٣٩٣ - التشرف بمقابلة جلالة الملك ٣٩٣ - الفول
لمدس باز وباريس ٣٩٥ - امدينتي قلمريه وبرتقال ٣٩٥ - إشكال على الفول المدمس ٣٩٦ -
فة البرتقال والتحريف فيها ٣٩٧ - ذكر النقود باسبانيا والبرتقال ٣٩٨ - العودة الى
لازيس ٤٠٠ - مقابلة جلالة ملكة الاندلس ٤٠٠ - اشبيلية ٤٠١ - مدينة

غزاة وقصر الحمراء ٤٠٣ - ملح من تألق الاندلسيين ٤٠٨ - تقدم الاندلسيين ٤٢٤ -
 معارف الاندلسيين ٤١١ - اسوة حسنة للمؤمنين ٤١٢ - مراعاة الشرع ٤١٣ -
 أسباب دمارهم وفيها أعظم عبرة ٤١٣ - أخلاق الأسبانيين الآن ٤٢٥ -
 كالة هذا الرسالة في امتزاج العرب بالجم في أسبانيا والاشهاد بالاسما
 والالقب ٤٢٦

الخاتمة

وفيها ذكر قرطبة وسجدها الجامع - ومرسيليا وآثارها - وتولون والجامع الذي
 كان أهم فيها - ويس والكرنفال بها - وموناكو ومننت كارلو - ثم الرجوع المحزومة -
 والعودة الى الوطن

الخطبة المؤترة

وهي الاشارة بالتخصيص الى المصنفات والكتب المقدمة الى المؤتمر ٤٤٨ - جدول
 الالاعمال المقدمة للمؤتمر ٥٠٦

بعض أقوال الافاضل والجرائد

ما كنيهه حضرته محمد بن دهي مفسر علوم المعارف ومراتب المطبوعات في أمير ٤٨٥
 كتاب جرائد الحقوق والآداب والرياسة والشرائع والاعتداف والجريدة الرسمية
 الفرنسية والجريدة الايبسبانية الانكليزية والفارسية الكسادري والهلالي (مع
 ايضاح عليه) ٤٨٦ - ٥٠٢

فصيلة حضرته اسماعيل بن صبري وكيل محكمة الاستئناف الاهلية ٤٠٥

استدراكات ٥٠٧

اصلاح حظ ٥٠٨

To: www.al-mostafa.com